تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء التاسع
[سورة فصلت، الآية: ٣٧]- [آخر سورة القمر]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)} [فصلت : ٣٧]

التفسير:

ومِن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبهما، كل ذلك تحت تسخيره وقهره. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر- فإنهما مدَبَّران مخلوقان- واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [فصلت : ٣٧]، أي:" ومِن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبهما، كل ذلك تحت تسخيره وقهره"(١).

عن السدي، في قوله: "{يقلب الله الليل والنهار}، أما يقلب الله الليل والنهار: فإنه يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل"(٢).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(٣).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"(٤).

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا الليل ولا النهار ، ولا الشمس ولا القمر ، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم ، وعذابا لقوم"(٥).

القرآن

{فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨)} [فصلت : ٣٨]

التفسير:

فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له، وينزِّهونه عن كل نقص بالليل والنهار، وهم لا يَفْتُرون عن ذلك، ولا يملون.

قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} [فصلت : ٣٨]، أي:" وهم لا يَفْتُرون عن عبادته، ولا يملون"(٦).

عن عبدالله بن الحارث:" أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}، و {يسبحون الليل والنهار لا يسأمون}، فقال: هل يئودك طرفك؟ هل يَئُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس"(٧).

عن عبد الله بن الحارث، قال: "قلت: لكعب الأحبار: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}، أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي إنهم جُعل لهم التسبيح، كما جُعل لكم النفس، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفَّس؟ قلت: بلى قال: فكذلك جُعل لهم التسبيح"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٢٣):ص٢٦١٩/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.
(٤) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(٥)مسند أبي يعلى (١٣٩/٤) ، قال الهيثمي في المجمع (٧١/٨) : "إسناده ضعيف".
(٦) التفسير الميسر: ٤٨٠.[بتصرف]
(٧) أخرجه الطبري: ٤٢٣/١٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٢٤/١٨.

عن إبراهيم النخعي: "أنّه كان يسجد في {يَسْأَمُونَ}"[٩].
عن ابن سيرين:" أنه كان يسجد في الآية الآخرة"[١٠].

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)} [فصلت : ٣٩]

التفسير:

ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، وانتفخت وعلت، إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً} [فصلت : ٣٩]، أي:" ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها"[١١].

عن قتادة، قوله: "{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً}، أي: غبراء متهشمة"[١٢].

قال السدي:" يابسة متهمشة"[١٣].

قوله تعالى:{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [فصلت : ٣٩]، أي:" فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، وانتفخت وعلت"[١٤].

عن مجاهد، قوله: "{اهْتَزَّتْ}، قال: بالنبات، {وَرَبَتْ}، يقول: انتفخت"[١٥].

عن مجاهد: "{وَرَبَتْ}: للنبات، قال: ارتفعت قبل أن تنبت"[١٦].

عن السديّ: "{وَرَبَتْ}: انتفخت"[١٧].

عن قتادة: "{فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}، يعرف الغيث في سحتها وربوها"[١٨].

وقال في رواية:" حسنت وعرف العشب في ربوها"[١٩].

ويقرأ:«وَرَبأتْ»، بالهمز[٢٠].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى} [فصلت : ٣٩]، أي:" إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم"[٢١].

قال السدي:" كما يحيي الأرض بالمطر، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين"[٢٢].

---

(٩)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٣/ ١٠٥ (٢٤٤)، وابن أبي شيبة (ت: عوامة) ٢/ ١٠.
(١٠)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٢٤٥ (١٩٠٠)، وابن أبي شيبة (ت: عوامة) ٢/ ١٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢١.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢١.
(١٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٠٧):ص٣٩٨/٢.
(٢٠) انظر معاني القرآن للزجاج: ٣٨٨/٤.
(٢١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٢) اخرجه الطبري: ٤٧٦/٢١.

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت : ٣٩]، أي:" إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى"[٢٣].

قال ابن إسحاق:" أي: لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك"[٢٤].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)} [فصلت : ٤٠]

التفسير:

إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَون علينا، بل نحن مُطَّلعون عليهم. أفهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مستحقًا لثوابه; لإيمانه به وتصديقه بآياته؟ اعملوا -أيها الملحدون- ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزل في أبي جهل بن هشام وابيّ بن خلف: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ..} الآية"[٢٥].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} [فصلت : ٤٠]، أي:" إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَون علينا، بل نحن مُطَّلعون عليهم"[٢٦].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ} [فصلت : ٤٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : يكذبون بآياتنا، قاله قتادة[٢٧].

الثاني : يميلون عن آياتنا، قاله أبو مالك[٢٨].

الثالث : يشركون. قاله قتادة[٢٩].

الرابع : يعاندون رسلنا، قاله السدي[٣٠].

الخامس : هو المكاء والتصفيق عند تلاوة القرآن ، قاله مجاهد[٣١].

السادس: يدخلون فيها ما ليس منها .

قال مبشر بن عبيد القرشي: "قال الأعمش: {يلحدون}، بنصب الياء والحاء من اللحد قال: وسألته عن تفسيرها فقال: يدخلون فيها ما ليس منها"[٣٢].

السابع:.-وهو قول عطاء- أن:" الإلحاد: المضاهاة"[٣٣].

---

(٢٣) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١):ص٢٠٢/١.

(٢٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.

(٢٦) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.

(٢٨) انظر: النكت والعيون: ١٨٤/٥.

(٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٦):ص١٦٢٣/٥.

(٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.

(٣١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.

(٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٧):ص١٦٢٣/٥.

(٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٥):ص١٦٢٣/٥. والمضاهاة -في اللغة-: المشابهة. انظر: "الصحاح" (ضهى) ٦/ ٢٤١٠، و"القاموس"، فصل الضاد، باب الواو والياء ١٣٠٦.

وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك في قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلا عن آيات الله، وعدولا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادا، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها.

ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى[٣٤].

قوله تعالى:{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [فصلت : ٤٠]، أي:" أفهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مستحقًا لثوابه; لإيمانه به وتصديقه بآياته؟"[٣٥].

عن مجاهد، في قوله: {أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة} [الزمر: ٢٤] قال: «يجر على وجهه في النار» . وهو كقوله {أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة}"[٣٦].

عَن بشير بن نَمِيم، قَالَ: "نزلت هَذِه الْآيَة فِي أبي جهل وعمار بن يَاسر {أَفَمَن يلقى فِي النَّار} أَبُو جهل {أم من يَأْتِي آمنا يَوْم الْقِيَامَة} عمار"[٣٧].

عَن عِكْرِمَة :"فِي قَوْله {أَفَمَن يلقى فِي النَّار خير أم من يَأْتِي آمنا يَوْم الْقِيَامَة}، نزلت فِي عمار بن يَاسر وَفِي أبي جهل"[٣٨].

قوله تعالى:{اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت : ٤٠]، أي:" اعملوا -أيها الملحدون- ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك"[٣٩].

عن مجاهد :"{اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}، قال: هذا وعيد"[٤٠].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)} [فصلت : ٤١-٤٢]

التفسير:

إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذَّبوا به حين جاءهم هالكون ومعذَّبون، وإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل، لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه ولا يبطله شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزاد فيه، تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} [فصلت : ٤١]، أي:" إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذَّبوا به حين جاءهم هالكون ومعذَّبون"[٤١].

قال قتادة:" كفروا بالقرآن"[٤٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [فصلت : ٤١]، أي:" وإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل"[٤٣].

---

(٣٤) تفسير الطبري: ٢١٤٧٨.
(٣٥) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٣٦) تفسير مجاهد: ٥٧٨.
(٣٧) الدر المنثور: ٣٣٠/٧، وعزاه إلى عبد الرَّزَّاق وَعبد بن حميد وَابْن المُنْذر وَابْن عَسَاكِر.
(٣٨) الدر المنثور: ٣٣٠/٧، وعزاه إلى ابْن عَسَاكِر.
(٣٩) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٤٠) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢١.
(٤١) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٤٢) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.

قال قتادة:" أعزه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل"[٤٤].
قال السدي:" عزيز من الشيطان"[٤٥].
قوله تعالى:{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت : ٤٢]، أي:" لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه ولا يبطله شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزاد فيه"[٤٦].
وفي قوله تعالى:{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت : ٤٢]، وجوه من التفسير:
أحدها: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله. قاله سعيد بن جبير[٤٧].
قال سعيد :"لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه"[٤٨].
الثاني: معناه: أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : ٩]. وهو معنى قول قتادة[٤٩]، والسدي[٥٠].
قال قتادة:" الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقا، ولا يزيد فيه باطلا"[٥١].
وقال السدي:" «الباطل»: هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص"[٥٢].
وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه[٥٣].
قوله تعالى:{تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢]، أي:" تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال"[٥٤].
عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٥٥].

القرآن
{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)} [فصلت : ٤٣]
التفسير:
ما يقول لك هؤلاء المشركون -أيها الرسول- إلا ما قد قاله مَن قبلهم مِنَ الأمم لرسلهم، فاصبر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله. إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب لمن أصرَّ على كفره وتكذيبه.
سبب النزول:
قال الفراء:" جزع -صلى الله عليه- من تكذيبهم إياه، فأنزل الله جل وعز عليه: {مَا يُقَالُ لَكَ} من التكذيب، إلا كما كذب الرسل من قبلك"[٥٦].

---

(٤٣) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٤٤) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٤٥) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٤٦) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٤٨) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٥١) اخرجه الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٥٢) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٥٣) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٥٤) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.
(٥٦) معاني القرآن: ١٩/٣.

قوله تعالى:{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ} [فصلت : ٤٣]، أي:" ما يقول لك هؤلاء المشركون -أيها الرسول- إلا ما قد قاله مَن قبلهم مِنَ الأمم لرسلهم، فاصبر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله"(٥٧).

عن السدي، قوله:"{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}، قال: ما يقولون إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك"(٥٨).

أخرج الثوري بسنده عن سهيل بن أبي صالح، قوله: "{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}: من الأذى"(٥٩).

قال قتادة:" يعزيه، يقول: قد قيل للأنبياء: ساحر، وشبه ذلك"(٦٠).

وقال قتادة:-في رواية-" يعزي نبيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كما تسمعون، يقول: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ"(٦١).

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} [فصلت : ٤٣]، أي:" إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب لمن أصرَّ على كفره وتكذيبه"(٦٢).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٦٣).

عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية : {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لولا غَفْر الله وتجاوزه ما هَنَأ أحدا العيشُ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد"(٦٤).

القرآن

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)} [فصلت : ٤٤]

التفسير:

ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- أعجميًا، لقال المشركون: هلا بُيِّنتْ آياته، فنفقهه ونعلمه، أأعجمي هذا القرآن، ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ هذا لا يكون. قل لهم -أيها الرسول-: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض، والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره، وهو على قلوبهم عَمًى، فلا يهتدون به، أولئك المشركون كمن يُنادى، وهو في مكان بعيد لا يسمع داعيًا، ولا يجيب مناديًا.

سبب النزول:

عن سعيد بن جبير:" قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا، فأنزل الله {لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ}، فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه، {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} قال: فارسية أعربت: سنك وكل"(٦٥).

---

(٥٧) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٥٨) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢١.

(٥٩) تفسير سفيان الثوري(٨٦٢: ٩: ٧):ص٢٦٧، وتفسير عبدالرزاق(٢٧١١):ص١٥٥/٣. في نسخة تفسير سفيان: خطأ مطبعي:« أبي صالح»، والصحيح: أنه « سهيل بن أبي صالح».

(٦٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢٠):ص١٥٧/٣.

(٦١) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢١.

(٦٢) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٦٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧. إسناده مرسل ، وعلي بن زيد متفق على ضعفه.

(٦٥) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.

قوله تعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٤٤]، أي:" ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- أعجميًا، لقال المشركون: هلا بُيِّنتْ آياته، فنفقهه ونعلمه"(٦٦).

قال قتادة:"يقول: لولا بينت آياته"(٦٧).

عن السدي:"{لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}، يقول: بُينت آياته"(٦٨).

قوله تعالى:{أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت : ٤٤]، أي:" أقران أعجميٌ ونبيٌ عربي؟"(٦٩).

هذا"(٧٠).

عن مجاهد، قوله: "{لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}، فجعل عربيا، أعجميّ الكلام وعربيّ الرجل"(٧١).

قال سعيد بن جبير:" لو كان هذا القران أعجميا، لقالوا: القرآن أعجميّ، ومحمد عربيّ"(٧٢). وفي رواية:" قال: الرسول عربيّ، واللسان أعجميّ"(٧٣).

قال قتادة:" لقالوا: " هذا القرآن أعجمي وهذا النبي عربي , فيقول: لكان ذلك أشد لتكذيبهم"(٧٤).

عن السدي:"{أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ}، نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة"(٧٥).

وقرأ الحسن: «أعْجَمى»، بهمزة وَسَكُون العين(٧٦)، والمعنى -على هذه القراءة-: "هلا أنزل بعضها بالأعجمي ، وبعضها بالعربي.. وهو في التعنت والعناد أبلغ"(٧٧).

قوله تعالى:{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} [فصلت : ٤٤]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض"(٧٨).

عن السديّ: "{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ}، قال: القرآن"(٧٩).

قال قتادة:" جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين"(٨٠).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ} [فصلت : ٤٤]، أي:" والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره"(٨١).

عن السديّ: "{وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ}، قال: صمم"(٨٢).

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت : ٤٤]، أي:" وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمى فلا يهتدون به"(٨٣).

عن السديّ: "{وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}، قال: عميت قلوبهم عنه"(٨٤).

---

(٦٦) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٦٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢١):ص١٥٨/٣.
(٦٨) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.
(٦٩) صفوة التفاسير: ١١٦/٣.
(٧٠) غريب القرآن: ٣٩٠.
(٧١) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.
(٧٢) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.
(٧٣) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.
(٧٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢١):ص١٥٨/٣.
(٧٥) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.
(٧٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٨٩/٤.
(٧٧) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.
(٧٨) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٧٩) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢١.
(٨٠) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢١.
(٨١) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٨٢) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٨٣) انظر: التفسير الميسر: ٤٨١، وتفسير الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٨٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.

قال قتادة:" عموا وصموا عن القرآن، فلا ينتفعون به، ولا يرغبون فيه"[٨٥].

عن سليمان بن قتّة عن ابن عباس، وابن الزبير، ومعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، انهم قرءوا: «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ»، -بكسر الميم- على وجه النعت للقرآن[٨٦] [٨٧].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٤٤]، أي:" أولئك المشركون كمن يُنادى، وهو في مكان بعيد لا يسمع داعيًا، ولا يجيب مناديًا"[٨٨].

وفي قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدهما : من مكان بعيد من قلوبهم، قاله مجاهد[٨٩]، وطاووس[٩٠].

قال مجاهد:" بعيد مِن قلوبهم"[٩١].

الثاني : ينادون يوم القيامة من مكان بعيد بأبشع أسمائهم، ليكون ذلك اشد عليهم في الفضيحة والتوبيخ. قاله الضحاك[٩٢].

قال الضحاك:" ينادَى الرجل بأشنع اسمه"[٩٣].

قال السدي : "كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-جالسا عند رجل من المسلمين يقضي ، إذ قال : يا لبَّيكاه. فقال عمر : لِمَ تلبي ؟ هل رأيت أحدا ، أو دعاك أحد ؟ قال : دعاني داع من وراء البحر. فقال عمر : أولئك ينادون من مكان بعيد"[٩٤].

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)} [فصلت : ٤٥]

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن كذَّب. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفُصِل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال، وإن المشركين لفي شك من القرآن شديد الريبة.

---

(٨٥) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.

(٨٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٤٥/٤، وتفسير الطبري: ٤٨٤/٢١، والبحر المحيط: ٢٠/٣.

(٨٧) قال النحاس :"وقرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن أبي إسحاق قال: حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يحدث عن ابن عباس أنه قرأ: «وهو عليهم عم»، هذه القراءة مخالفة للمصحف فإن قال قائل: الإسناد صحيح، قيل له: الإجماع أولى على أنّ الإسناد فيه شيء وذلك أنّ عمرو بن دينار لم يقل: سمعت ابن عباس فيخاف أن يكون مرسلا، وسليمان بن قتّة ليس بنظير عمرو بن دينار على أن يعقوب القارئ على محله من الضبط قد قال في هذا الحديث: ما أدري أقرءوا وهو عليهم عم أو وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى على أنه فعل ماض. ومع إجماع الجمع سوى من ذكرناه. والذي في المصحف أنّ المعنى بعمى أشبه لأنه قال جلّ وعزّ: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ}، فالأشبه بهذا أعمى". [إعراب القرآن: ٤٥/٤].

(٨٨) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢١.

(٩٠)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١، وفيه: عن ابن جريج، عن مجاهد، عن طاووس. ولعله: عن مجاهد، وعن طاووس.

(٩١) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢١.

(٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢١.

(٩٣) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢١.

(٩٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [فصلت : ٤٥]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن كذَّب، ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفُصِل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال"(٩٥).

عن قتادة:" {ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ}، قال: سبق لهم مِن الله حينٌ وأجلٌ هم بالِغوه"(٩٦).

عن السدي: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}، قال:" أخروا إلى يوم القيامة"(٩٧).

وعن عطاء قال: "الكلمة التي سبقت من ربه، هي أن آدم صلوات الله عليه لما عطس ألهمه الله تعالى حتى قال: الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك ربك. فهي الكلمة التي سبقت من الله"(٩٨).

القرآن

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)} [فصلت : ٤٦]

التفسير:

من عمل صالحًا فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله. وما ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيِّئة.

قوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت : ٤٦]، أي:" وما ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيِّئة"(٩٩).

عن السدى، قال: "الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي. فيقال له: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤]"(١٠٠).

القرآن

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧)} [فصلت : ٤٧]

التفسير:

إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيخًا لهم وإظهارًا لكذبهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ قالوا: أعلمناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكًا.

سبب النزول:

قال الثعلبي:" وذلك أنّ المشركين، قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: لئن كنت نبيًّا، فأخبرنا عن الساعة متى قيامها؟ وإن كنت لا تعلم ذلك فإنّك لست بنبيّ. فأنزل الله تعالى هذِه الآية"(١٠١).

قوله تعالى:{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} [فصلت : ٤٧]، أي:" إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره"(١٠٢).

---

(٩٥) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٩٦) الدر المنثور: ٣٣٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩٧) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢١.

(٩٨) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٥٧/٥.

(٩٩) التفسير الميسر: ٤٨١.

(١٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢١١):ص٢٣٢١/٧.

(١٠١) الكشف والبيان: ٣١١/٢٣. ط. دار التفسير. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٢٦٤ وفيه أن اليهود هم من سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قوله تعالى:{وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فصلت : ٤٧]، أي:" وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك"(١٠٣).

قال الحسن: "{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وما تَخْرُجُ مِن ثَمَراتٍ مِن أكْمامِها} هذا في النخل خاصَّة حين يطلع، لا يعلم أحدٌ كيف يُخرجه الله"(١٠٤).

قال مجاهد: يعني: «حين تطلع»(١٠٥).

قال السدي:" من طلعها"(١٠٦).

وقال الحسن وقتادة: "أكمامها: ليفها"(١٠٧).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} [فصلت : ٤٧]، أي:" ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيخًا لهم وإظهارًا لكذبهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ قالوا: أعلمناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكًا"(١٠٨).

عن السدي: {قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ}، " قالوا: أطعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكا"(١٠٩).

القرآن

{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨)} [فصلت : ٤٨]

التفسير:

وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم، وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا محيد عنه.

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} [فصلت : ٤٨]، أي:" وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم"(١١٠).

قوله تعالى:{وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} [فصلت : ٤٨]، أي:" وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا محيد عنه"(١١١).

قال السدي:" استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ"(١١٢).

القرآن

{لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩)} [فصلت : ٤٩]

التفسير:

---

(١٠٢) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١٠٣) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١٠٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبى زمنين ٤/ ١٥٨.

(١٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢١.

(١٠٦) تفسير مجاهد: ٥٨٧، وأخرجه الطبري: ٤٨٨/٢١.

(١٠٧)انظر: "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٢٦٢، والتفسير البسيط للواحدي: ١٤١/٢١.

(١٠٨) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١٠٩) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢١.

(١١٠) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١١١) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢١.

لا يملُّ الإنسان من دعاء ربه طالبًا الخير الدنيوي، وإن أصابه فقر وشدة فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط بسوء الظن بربه.

سبب النزول:

قال ابن عطية:" نزلت في كفار قريش، قيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في عتبة بن ربيعة، وجلّ الآية يعطي أنها نزلت في كفار وإن كان أولها يتضمن خلقا ربما شارك فيه بعض المؤمنين"(١١٣).

قوله تعالى:{لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ} [فصلت : ٤٩]، أي:" لا يملُّ الإنسان من دعاء ربه طالبًا الخير الدنيوي"(١١٤).

عن السديّ:"{لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}، يقول: الكافر"(١١٥).

وفي قراءة عبدالله:«لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءٍ بالخَيْرِ»(١١٦).

قوله تعالى:{وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} [فصلت : ٤٩]، أي:" وإن أصابه فقر وشدة فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط بسوء الظن بربه"(١١٧).

عن السديّ:"{وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}، قانط من الخير"(١١٨).

القرآن

{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)} [فصلت : ٥٠]

التفسير:

ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغى ويقول: أتاني هذا؛ لأني مستحق له، وما أعتقد أن الساعة آتية، وذلك إنكار منه للبعث، وعلى تقدير إتيان الساعة وأني سأرجع إلى ربي، فإن لي عنده الجنة، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولنذيقنهم من العذاب الشديد.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت : ٥٠]، أي:" ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغى ويقول: أتاني هذا؛ لأني مستحق له"(١١٩).

عن مجاهد:"{لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}، أي: بعملي، وأنا محقوق بهذا"(١٢٠).

قوله تعالى:{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} [فصلت : ٥٠]، أي: ويقول:" وما أعتقد أن الساعة آتية"(١٢١).

قال مجاهد:" يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم"(١٢٢).

قوله تعالى:{وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى} [فصلت : ٥٠]، أي:" وعلى فرض أن القيامة حاصلة، فليحسننَّ إليَّ ربي كما أحسن إليَّ في هذه الدنيا"(١٢٣).

---

(١١٣) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(١١٤) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١١٥) أخرجه الطبري: ٤٩٠.
(١١٦) .انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢١
(١١٧) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١١٨) أخرجه الطبري: ٤٩٠.
(١١٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١٢٠) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(١٢١) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١٢٢) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(١٢٣) صفوة التفاسير: ١١٨/٣.

قال مجاهد:"يقول: وإن قامت أيضا القيامة، ورددت إلى الله حيا بعد مماتي. يقول: إن لي عنده غنى ومالا"[١٢٤].

عن السديّ، قوله: "{إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى}، يقول: غنى"[١٢٥].

قال الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "للكافر أمنيتان، أما في دنياه فهذه: {إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى}. وأما في آخرته: ف {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]"[١٢٦].

قوله تعالى:{فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [فصلت : ٥٠]، أي:" فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولنذيقنهم من العذاب الشديد"[١٢٧].

عن أبي مالك، قوله: "{غليظا}، يعني: شديدا"[١٢٨].

القرآن

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١)} [فصلت : ٥١]

التفسير:

وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترفَّع عن الانقياد إلى الحق، وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرَّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} [فصلت : ٥١]، أي:" وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترفَّع عن الانقياد إلى الحق"[١٢٩].

عن السديّ، قوله: "{أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ}، يقول: أعرض: صدّ بوجهه، و{نأى بجانبه}، يقول: تباعد"[١٣٠].

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} [فصلت : ٥١]، أي:" وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرَّه"[١٣١].

عن السديّ: "{فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}، يقول: كثير، وذلك قول الناس: أطال فلان الدعاء: إذا أكثر، وكذلك أعرض دعاءه"[١٣٢].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢)} [فصلت : ٥٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذَّبتم به، لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق بكفركم بالقرآن وتكذيبكم به.

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ} [فصلت : ٥٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذَّبتم به"[١٣٣].

---

(١٢٤) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(١٢٥) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(١٢٦) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(١٢٧) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٦):ص٢٠٤٧/٦.
(١٢٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١٣٠) أخرجه الطبري: ٤٩٢/٢١.
(١٣١) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(١٣٢) أخرجه الطبري: ٤٩٢/٢١.
(١٣٣) التفسير الميسر: ٤٨٢.

قوله تعالى:{مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٥٢]، أي:" لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق بكفركم بالقرآن وتكذيبكم به"(١٣٤).

عن السدي: "{لفي شقاق بعيد}، يقول: في عداوة بعيدة"(١٣٥).

عن قتادة: "{وإنما هُم في شقاق}، أي: في فراق"(١٣٦).

عن الربيع:"{فإنما هُمْ في شقاق}، يعني: فراق"(١٣٧).

القرآن

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)} [فصلت : ٥٣]

التفسير:

سَنُري هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السموات والأرض، وما يحدثه الله فيهما من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعه، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحَى به من رب العالمين. أو لم يكفهم دليلا على أن القرآن حق، ومَن جاء به صادق، شهادة الله تعالى؟ فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى.

سبب النزول:

حكي أبو الليث السمرقندي عن الضحاك، :" أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة، فانشق القمر نصفين. فقال: أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كان القمر قد انشق، فهي آية. ثم قال: يا معشر قريش، إن محمدا قد سحر القمر، فوجهوا رسلكم إلى الآفاق. هل عاينوا القمر؟ إن كان كذلك، فهي آية وإلا فذلك سحر، فوجهوا. فإذا أهل الآفاق، يتحدثون بانشقاقه. فقال أبو جهل عليه اللعنة: هذا سحر مستمر. يعني: ذاهبا في الدنيا. فنزل: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}"(١٣٨).

قوله تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت : ٥٣]، أي:" سَنُري هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السموات والأرض، وما يحدثه الله فيهما من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعه، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحَى به من رب العالمين"(١٣٩).

واختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} [فصلت : ٥٣]، على أقوال:

أحدها : أن {فِي الْآفَاقِ}: هو ظهور مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-على البلاد والقرى النائية وفتحها عليه، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}، أي: فتح مكة وظهوره عليهم، على ما وعد له ربه - جل وعلا - من النصر له وفتح البلاد والقرى. وهذا قول الحسن(١٤٠)، ومجاهد(١٤١)، والسدي(١٤٢)، والمنهال(١٤٣).

---

(١٣٤) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٨):ص٢٨٦/١-٢٨٧.

(١٣٦) أخرجه الطبري(٢١١-):ص١١٥/٣.

(١٣٧) أخرجه الطبري(٢١١١):ص١١٥/٣.

(١٣٨) بحر العلوم: ٢٣٣/٣.

(١٣٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١٤٠) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٩/٤-١٦٠، وزاد المسير: ٥٧/٤. بدون سند.

(١٤١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٧٢٣):ص١٥٨/٣.

(١٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١.

عن السديّ: "{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ}، يقول: ما نفتح لك يا محمد من الآفاق، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}، في أهل مكة، يقول: نفتح لك مكة"[١٤٤].

قال مجاهد:" ما يفتح الله عليهم من القرى وفي أنفسهم , قال: فتح مكة"[١٤٥].

وقال المنهال:" {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ}: ظهور محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على الناس"[١٤٦].

قال الحسن: {في الآفاق}، "يعني: ما أهلك به الأمم السالفة في البلدان, فقد رأوا آثار ذلك. {وفي أنفسهم} أخبر بأنهم تصيبهم البلايا, فكان ذلك كما قال فأظهره الله عليهم , وابتلاهم بما ابتلاهم به"[١٤٧].

الثاني : {فِي الآفَاقِ}، يعني: وقائع الله تعالى في الأمم الخالية، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: يوم بدر. قاله قتادة[١٤٨].

الثالث: {فِي الآفَاقِ}، يعني: أقطار الأرض والسماء من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار والبحار والأمطار، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: حوادث الأرض من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وسبيل الغائط والبول، حتى إن الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين.وفيه عبرة للإنسان بجسمه وحواسه وغريب خلقته وتدريجه في البطن ونحو ذلك. وهذا معنى قول عطاء[١٤٩].

الرابع : أن {فِي الآفَاقِ}: انشقاق القمر ، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: كيف خلقناهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، وكيف إدخال الطعام والشراب من موضع واحدٍ وإخراجه من موضعين آخرين ، قاله الضحاك[١٥٠].

والقول الأول هو أولى هذه الأقوال بالصواب، ونسق الكلام يدلّ عليه"[١٥١]، وهو تفسير حسن ينتظم الإعلام بغيب ظهر وجوده بعد كذلك ويجري معه لفظ الاستئناف الذي في الفعل[١٥٢]، وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راءوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا راؤه قبل من ظهور نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك[١٥٣].

القرآن

{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)} [فصلت : ٥٤]

التفسير:

ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد الممات. ألا إن الله -جلَّ وعلا- بكل شيء محيط علمًا وقدرة وعزةً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ} [فصلت : ٥٤]، أي:" ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد الممات"[١٥٤].

عن السديّ: "{أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ}، يقول: في شك"[١٥٥].

---

(١٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١، والكشف والبيان: ٣٠٠/٨.
(١٤٤) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢١.
(١٤٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢٣):ص١٥٨/٣.
(١٤٦) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢١.
(١٤٧) نقلا عن تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٩/٤-١٦٠.
(١٤٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٠/٨، وابن الجوزي في زاد المسير: ٥٧/٤. بدون سند.
(١٤٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٠/٨. بدون سند.
(١٥٠) حكاه عنه أبو الليث السمرقندي في بحر العلوم: ٢٣٣/٣، والماوردي في النكت والعيون: ١٨٩/٥.
(١٥١) إعراب القرآن: ٤٧/٤.
(١٥٢) المحرر الوجيز: ٢٣/٥.
(١٥٣) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١-٤٩٤.
(١٥٤) التفسير الميسر: ٤٨٢.

عن عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري : "أن عمر بن عبد العزيز صَعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق[١٥٦]، والمكذب به هالك ثم نزل"[١٥٧].

وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن: «في مرية»، بضم الميم، والمعنى واحد[١٥٨].

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} [فصلت : ٥٤]، أي:" ألا إن الله -جلَّ وعلا- بكل شيء محيط علمًا وقدرة وعزةً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"[١٥٩].

قال السدي:" أحاط علمه بكل شيء"[١٦٠].

«آخر تفسير سورة (فصلت)، والحمد لله وحده»

---

(١٥٥) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢١.

(١٥٦) قال ابن كثير:١٨٨/٧:" ومعنى قوله ، رضي الله عنه : "أن المصدق به أحمق" أي : لأنه لا يعمل له عمل مثله ، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله ، وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه ، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه ، فهو أحمق بهذا الاعتبار ، والأحمق في اللغة : ضعيف العقل.

وقوله : "والمكذب به هالك" هذا واضح ، والله أعلم".

(١٥٧) رواه ابن أبي دنيا، كما في تفسير ابن كثير: ١٨٧/٧.

(١٥٨) انظر: المحرر الوجيز: ٢٤/٥.

(١٥٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(١٦٠) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الشورى»

سورة «الشورى»: هي السورة «الثانية والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثانية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الكهف»، وقبل «سورة إبراهيم»[١٦١].

قال ابن عاشور:" السورة نزلت في حدود سنة ثمان بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقباء الأنصار ليلة العقبة فقد قيل: إن قوله: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم} [الشورى : ٣٨]، أريد به الأنصار قبل هجرة النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة"[١٦٢].

عدد آياتها ثلاث وخمسون فى الكوفى، وخمسون فى الباقين. كلماتها ثمانمائة وست وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمان وثمانون. المختلف فيها من الآي ثلاث: {حم (١)} [الشورى : ١]، {عسق (٢)} [الشورى : ٢]، {كَالْأَعْلَامِ} [الشورى : ٣٢]، مجموع فواصل آياتها:«زرلصب قدم»[١٦٣].

- **مطكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[١٦٤]، وابن الزبير[١٦٥]، الحسن[١٦٦]، وعكرمة[١٦٧]، ومجاهد[١٦٨]، وقتادة[١٦٩].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ} [الشورى : ٢٧]. نزلت في أهل الصفة، كما قال عمرو بن حريث[١٧٠]، وخباب بن الأرت[١٧١]، وحكاه ابن الفرس عن مقاتل[١٧٢]، فتكون الآية مدنية.

عن عمرو بن حريث: "إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ} [الشورى : ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"[١٧٣].

الثالث: أنها مكية إلّا أربع آيات نزلن بالمدينة، أولاها: قوله: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، إلى آخر الأربع الآيات. وهذا قول ابن عباس-أيضا[١٧٤]، وقتادة[١٧٥].

---

(١٦١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.

(١٦٢) التحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.

(١٦٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤١٨.

(١٦٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٦٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٦٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٦٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٦٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٦٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٧٠) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.

(١٧١) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.

(١٧٢) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٢٤/٢٥.

(١٧٣) رواه الواحدي قي أسباب النزول: ٣٩٠، وأخرجه ابن المبارك في الزهد وقال ابن صاعد عقب روايته: عمرو هذا من أهل مصر ليست له صحبة وهو غير المخزومي [الإصابة ٢/ ٥٣١- ترجمة عمرو بن حريث] .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٤) وعزاه للطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وله شاهد من حديث علي أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥) وصححه ووافقه الذهبي قلت في إسناده عند الحاكم: الأعمش وقد عنعنه وهو مدلس.

(١٧٤) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.

(١٧٥) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، من قوله: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا} [الشورى : ٢٣]، إلى قوله: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} [الشورى : ٢٤]، ومن قوله: تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} [الشورى : ٣٩]، إلى قوله: {مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]. قاله مقاتل[١٧٦].

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"[١٧٧].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[١٧٨].

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[١٧٩].

(١٧٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٣/٣. قال المحقق:" فى نسخة «ل، ف»: وفيها من المدني...» وذكر الآيات.

(١٧٧) غريب القرآن: ٣٣٨.

(١٧٨)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٨/١.

(١٧٩) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

القرآن

{حم (١) عسق (٢)} [الشورى : ١ - ٢]

التفسير:

سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة..

وهذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: «حم عسق»، وتقرأ هكذا: «حا ميمْ عَيْنْ سِيْنْ قَاف».

وفي قوله تعالى:{حم (١) عسق (٢)} [الشورى : ١ - ٢]، أقوال:

القول الأول : أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة(١٨٠).

القول الثاني : أنه اسم من أسماء الله أقسم به، قاله سالم بن عبدالله(١٨١)، والشعبي(١٨٢).

القول الثالث: أنه فواتح السور، قاله مجاهد(١٨٣).

القول الرابع: أنه حروف من أسماء الله تعالى، ثم فيه أقوال:

- أحدها: حكي الثعلبي عن محمد بن كعب، قال:" أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناءه وقدرته، أن لا يعذب من عاد إليه بـ«لا إله إلا الله» مخلصا له من قلبه"(١٨٤).
- الثاني: أن«العين» من العزيز، و«السين» من السلام، و«القاف»: من القادر. قاله السدي(١٨٥).
- الثالث: أن «الحاء» من رحمن، و«الميم»: من مجيد، و«العين»: من عالم، و«السين»: من قُدُّوس، و«القاف»: من قاهر، قاله جعفر بن محمد(١٨٦)، وسعيد بن جبير(١٨٧).
- الرابع: أن «الحاء والميم»: من الرحمن، و«العين»: من العليم، و«السين» من القدوس، و«القاف»: من القاهر ، قاله محمد بن كعب(١٨٨).
- الخامس: أن «العين»: من العزيز، و«السين»:من السلام، و«القاف»: من القادر، قاله السدي(١٨٩).

القول الخامس : أنها حروف مقطعة من حوادث آتية، ثم فيه أقوال:

- أحدها: أن «الحاء»: من حرب، و«الميم»: من تحويل مُلك، و«العين»: من عدوّ مقهور، و«السين»: استئصال بسِنين كسِنيّ يوسف، و«القاف»: من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء(١٩٠).
- الثاني :أن «الحاء»: حرب تكون بين قريش والموالي، فتكون الغلبة لقريش على الموالي، و«الميم»: ملك بني أمية، و«العين»: علو ولد العباس، و«السين»: سناء المهدي، و«القاف»: قوة عيسى -عليه السلام- حين ينزل، فيقتل النصارى ويخرب البيع. حكاه الثعلبي عن بكر بن عبد الله المزني(١٩١).

---

(١٨٠) رواه عنه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢٦):ص:ص١٥٩/٣.

(١٨١)عزاه إليه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١ :٣٦ (وسالم هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم توفي في المدينة سنة ١٠٦هـ أنظر: تاريخ الأعلام، الزركلي: ٧١/٣.

(١٨٢) عزاه إليه الطبري في جامع البيان: ٦٧/١.

(١٨٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(١٨٤) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨. بدون سند.

(١٨٥) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.

(١٨٦) انظر:الكشف والبيان: ٨/ ٣٠٣. بدون سند.

(١٨٧) انظر:الكشف والبيان: ٨/ ٣٠٣، وزاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٨٨) انظر: النكت والعيون: ١٩١/٥.

(١٨٩) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٩٠) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(١٩١) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨، وانظر: العمدة لابن بطريق: ٤٢٩ ح ٨٩٨، والطرائف لابن طاوس: ١٧٦ ح ٢٧٦ عن الثعلبي.

- الثالث: أن «الحاء»: حرب في أهل مكة يجحف بهم حتى يأكلون الجيف وعظام الموتى، و«الميم»: ملك يتحول من قوم إلى قوم، و«العين»: عدو لقريش قصدهم، و«السين»: سيء يكون فيهم، و«القاف»: قدرة الله النافذة في خلقه. حكاه الثعلبي عن عطاء[١٩٢].

وحكي الماوركي عن عطاء:" فـ«الحاء»: من حرب و«الميم»: من تحويل ملك، و«العين»: من عدو مقهور ، و«السين»: من استئصال سنين كسني يوسف، و«القاف» من قدرة الله في ملوك الأرض"[١٩٣] .

وحكي الثعلبي عن عن شهر بن حوشب وعطاء :أن"«الحاء»: حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش، ثم تقضى إلى العرب، ثم تقضى إلى العجم، ثم تمتد إلى خروج الدجال"[١٩٤].

القول السادس: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله عبد الله بن بريدة[١٩٥].

قلتُ: أما الكلام في الحروف المقطعة التي في أوائل السور: فالأصح السكوت عنها، وتفويض علم تفسيرها إلى الله تعالى، واليقين بأن الله أنزلها لحكمة قد لا نعلمها. والله تعالى أعلم بالصواب.

القرآن

{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)} [الشورى :٣]

التفسير:

كما أنزل الله إليك -أيها النبي- هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك، وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} [الشورى :٣]، أي:" كما أنزل الله إليك -أيها النبي- هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك"[١٩٦].

عن عائشة :"أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجَرَس ، وهو أشده عَلَيّ فيفصم عني قد وَعَيت ما قال. وأحيانا يأتيني الملك رجُلا فيكلمني ، فأعي ما يقول" قالت عائشة فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصّد عرقا"[١٩٧].

وقرئت: «يُوحَى»، و«نُوحِي»، بالنون[١٩٨].

قوله تعالى:{اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الشورى :٣]، أي:" وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله"[١٩٩].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٠٠]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٠١].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٠٢]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٠٣].

---

(١٩٢) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.
(١٩٣) انظر: النكت والعيون: ١٩٢/٥.
(١٩٤) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.
(١٩٥) انظر: النكت والعيون: ١٩١/٥.
(١٩٦) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(١٩٧)الموطأ (٢٠٢/١) وصحيح البخاري برقم (٢) وصحيح مسلم برقم (٢٣٣٣).
(١٩٨) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٩٣/٤، والسبعة في القراءات: ٣٥١.
(١٩٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٢٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٠٤].

القرآن

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)} [الشورى :٤]

التفسير:

لله وحده ما في السماوات وما في الأرض، وهو العليُّ بذاته وقدره وقهره، العظيم الذي له العظمة والكبرياء.

قوله تعالى:{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٤]، أي:" لله وحده ما في السماوات وما في الأرض"[٢٠٥].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٢٠٦].

القرآن

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)} [الشورى :٥]

التفسير:

تكاد السماوات يتشقَّقْنَ، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب مَن في الأرض مِن أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم.

قوله تعالى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} [الشورى :٥]، أي:" تكاد السماوات يتشقَّقْنَ، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى"[٢٠٧].

عن السديّ: "{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ}، قال: يتشقَّقن، [و] في قوله: {مُنْفَطِرٌ بِهِ}، قال: منشقّ به"[٢٠٨].

قال الضحاك:" يقول: يتصدعن من عظمة الله"[٢٠٩].

قال قتادة:" «من جلال الله وعظمته»"[٢١٠].

قال محمد بن قيس: "جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دقّ الله تعالى، أفتسال عن هذا؟ فقال كعب: دعوه، فإن يك عالما ازداد، وإن يك جاهلا تعلم. سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكئ، واضع إحدى رجليه على الأخرى، ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، حتى تمّ سبع أرضين، ثم من

---

(٢٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٢٠٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٢٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٢٠٥) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٢٠٧) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢٠٨) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١.

(٢٠٩) تفسير عبدالرزاق(٢٧٢٧):ص١٥٩/٣، والطبري: ٥٠١/٢١.

(٢١٠) .

الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، والله على العرش متكئ، ثم تفطر السموات، ثم قال كعب: اقرءوا إن شئتم {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ}،الآية "[٢١١].

وقرئت: «مِمَّنْ فَوْقَهُن»[٢١٢].

قوله تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٥]، أي:" والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب مَن في الأرض مِن أهل الإيمان به"[٢١٣].

عن السديّ، قوله: "{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ}، قال: للمؤمنين"[٢١٤].

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى :٥]، أي:" ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم"[٢١٥].

قال ابن إسحاق: "أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"[٢١٦].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٢١٧].

القرآن

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦)} [الشورى :٦]

التفسير:

والذين اتخذوا غير الله آلهة مِن دونه يتولَّونها، ويعبدونها، الله تعالى يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة، وما أنت -أيها الرسول- بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الشورى :٦]، أي:" وما أنت -أيها الرسول- بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب"[٢١٨].

قال السدي:" أما «الوكيل»، فالحفيظ"[٢١٩].

عن الحسن، {وكيلا}، " أي: حفيظا لأعمالهم"[٢٢٠].

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)} [الشورى :٧]

التفسير:

---

(٢١١) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١، وانظر: تفسير الطبري ، تحق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط. هجر: ٤٦٧/٢٠، وأخرجه أبو الشيخ (٢٣٦) من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار بلفظ: أخبرك أن الله تعالى خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن، ثم جعل -تبارك وتعالى- ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما من السماوات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافي أول ما يرتحل؛ مِن ثِقَل الجبار -تبارك وتعالى- فوقهن. والعلافي: هو أعظم الرحال. والمقصود هنا الجديد منها. انظر: النهاية (علف).

(٢١٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٩٤/٤.

(٢١٣) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢١٤) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢١.

(٢١٥) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢١٦) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

(٢١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٢١٨) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٧):ص٢٠٠٩/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(٢٢٠) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٠٥/١.

وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحَيْنا إليك قرآنا عربيًّا؛ لتنذر أهل «مكة» ومَن حولها مِن سائر الناس، وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه. الناس فيه فريقان: فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم فريق في النار المستعرة، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الشورى :٧]، أي:" وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحَيْنا إليك قرآنا عربيًّا"[٢٢١].

قال مجاهد:" نزل القرآن بلسان قريش، وهو كلامهم"[٢٢٢].

قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى :٧]، أي:" لتنذر أهل «مكة» ومَن حولها مِن سائر الناس"[٢٢٣].

عن السديّ، قوله: "{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى}، قال: مكة"[٢٢٤].

وفي سبب تسمية مكة بـ«أُمّ الْقُرَى»، قولان:

أحدهما : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرى نشأت عنها ، قاله السدي[٢٢٥].

الثاني: سميت «أم القرى»، لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل. وهذا قول قتادة[٢٢٦].

قال قتادة:" بلغني أن الأرض دُحِيَتْ من مكة"[٢٢٧].

روي عن عبد الله بن عَدِي بن الحمراء الزهري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وهو واقف بالحَزْوَرَة في سوق مكة - : "والله ، إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت"[٢٢٨].

قوله تعالى:{وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الشورى :٧]، أي:" وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه"[٢٢٩].

عن السديّ: "{وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ}، قال: يوم القيامة"[٢٣٠].

قوله تعالى:{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى :٧]، أي:" منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في النار المستعرة"[٢٣١].

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"[٢٣٢].

عن عبد الله بن عمرو، قال: "إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزود، فأخرج منه كل ذرية، فخرج أمثال النغف، فقبضهم قبضتين، ثم قال: شقي وسعيد، ثم ألقاهما، ثم قبضهما فقال: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}"[٢٣٣].

---

(٢٢١) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٢٠٩٩/٧.
(٢٢٣) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٢٤) اخرجه الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٤):ص٥٣١/١١.
(٢٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٢):ص٥٣١/١١.
(٢٢٧) أخرجه الطبري(١٣٥٥٢):ص٥٣١/١١.
(٢٢٨) المسند: ٣٠٥/٤، وسنن الترمذي برقم (٣٩٢٥) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٤٢٥٢) وسنن ابن ماجه برقم (٣١٠٨).
(٢٢٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٣٠) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٣١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٧٣٠/٩.
(٢٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٩٨٢/٣.
(٢٣٣) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢١.

عن أشهب، قال: "سئل مالك عن قول الله: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}، قال: خلقهم ليكونوا فريقين: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير"[٢٣٤].

عن شفي الأصبحي، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان، فقال:"هل تدرون ما هذا؟ " فقلنا: لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال:"هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم"، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم"، ثم أجمل على آخرهم،"فلا يزاد ولا ينقص منهم أبدا"، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"بل سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أي عمل، وصاحب النار يختم له بعمل النار وإن عمل أي عمل، فرغ ربكم من العباد" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما:"فرغ ربكم من الخلق، فريق في الجنة، وفريق في السعير" قالوا: سبحان الله، فلم نعمل وننصب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"العمل إلى خواتمه"[٢٣٥].

عن ابن حجيرة:" أنه بلغه أن موسى قال: يا رب خلقك الذين خلقتهم، جعلت منهم فريقا في الجنة، وفريقا في السعير، لو ما أدخلتهم كلهم الجنة قال: يا موسى ارفع زرعك، فرفع، قال: قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يترك شيئا، قال: يا رب قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه"[٢٣٦].

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨)} [الشورى :٨]

التفسير:

ولو شاء الله أن يجمع خَلْقَه على الهدى ويجعلهم على ملة واحدة مهتدية لفعل، ولكنه أراد أن يُدخل في رحمته مَن يشاء مِن خواص خلقه. والظالمون أنفسهم بالشرك ما لهم من وليٍّ يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله تعالى.

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الشورى :٨]، أي:" لو شاء الله لجعل الناس كله مهتدين، أهل دينٍ واحدٍ وملةٍ واحدة وهي الإسلام"[٢٣٧].

قال الضحاك:" أهل دين واحد أهل ضلالة أو أهل هدى"[٢٣٨].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ} [الشورى :٨]، أي:" ولكنه أراد أن يُدخل في رحمته مَن يشاء مِن خواص خلقه"[٢٣٩].

قال عطاء:" يعني: من صدّق نبيه أدخله جنته"[٢٤٠].

القرآن

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩)} [الشورى :٩]

---

(٢٣٤) أخرجه الطبري(١٨٧٢٩):ص٥٣٦/١٥.
(٢٣٥) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢١.
(٢٣٦) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢١-٥٠٥.
(٢٣٧) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٣٨) النكت والعيون: ١٩٤/٥.
(٢٣٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٤٠)"الوسيط" ٤/ ٤٠٦، و"البسيط" للواحدي: ٦٦/٢٣.

التفسير:
بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم، فالله وحده هو الوليُّ يتولاه عَبْدُه بالعبادة والطاعة، ويتولَّى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم، وهو يحيي الموتى عند البعث، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ} [الشورى :٩]، أي:" بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم، فالله وحده هو الوليُّ يتولاه عَبْدُه بالعبادة والطاعة، ويتولَّى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم"(٢٤١).

عن السدي، قوله: "{من أولياء}، قال: أما الولي فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"(٢٤٢).

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى :٩]، أي:" وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء"(٢٤٣).

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(٢٤٤).

القرآن

{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)} [الشورى :١٠]

التفسير:
وما اختلفتم فيه -أيها الناس- من شيء من أمور دينكم، فالحكم فيه مردُّه إلى الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ذلكم الله ربي وربكم، عليه وحده توكلت في أموري، وإليه أرجع في جميع شؤوني.

قوله تعالى:{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى :١٠]، أي:" وما اختلفتم فيه أيها المؤمنون من شيء من أمر الدنيا أو الدين، فالحكم فيه إلا الله جل وعلا، هو الحاكم فيه بكتابه أو بسنة نبيه عليه السلام"(٢٤٥).

قال مجاهد: "يقول:يحكم فيه"(٢٤٦).

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [الشورى :١٠]، أي:" الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده، عليه وحده اعتمدت في جميع أموري "(٢٤٧).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"(٢٤٨).

عن محمد بن إسحاق: قوله: "{وتوكل على الله}، أي: ارْضَ به مِن العباد"(٢٤٩).

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى :١٠]، أي:" وإليه وحده أرجع في جميع شؤوني"(٢٥٠).

عن مجاهد: {وإليه أنيب}، يعني: «إليه أرجع»"(٢٥١).

عن عبيد بن يعلى، قال: "الإنابة: الدعاء"(٢٥٢).

---

(٢٤١) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣٠):ص٢٦٧٢/٨.
(٢٤٣) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.
(٢٤٥) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٤٦) تفسير مجاهد: ٥٨٨، ورواه الطبري: ٥٠٦/٢١.
(٢٤٧) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.
(٢٤٩)أخرجه الطبري(٨١٣٢):ص٣٤٦/٧، وابن المنذر(١١٢١):ص٤٦٩/٢، وابن أبي حاتم(٤٤٢٤):ص ٣/ ٨٠٢.
(٢٥٠) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٥١) تفسير مجاهد: ٣٩٠، وتفسير ابن أبي حاتم(١١١٤٨):ص٢٠٧٤/٦.
(٢٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٤٩):ص٢٠٧٤/٦.

القرآن
{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} [الشورى :١١]

التفسير:

الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعهما بقدرته ومشيئته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجًا؛ لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجًا ذكورًا وإناثًا، يكثركم بسببه بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلَّها حسنى، وصفاتِه صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه مِن أعمال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى :١١]، أي:" الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعهما بقدرته ومشيئته وحكمته"[٢٥٣].

عن السدي، قوله: "{فاطر السماوات والأرض}، قال: خالق"[٢٥٤].

قوله تعالى:{جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا} [الشورى :١١]، أي:" أوجد لكم بقدرته من جنسكم نساءً من الآدميات، وخلق لكم كذلك من الإبل والبقر والضأن والمعز أصنافاً، ذكوراً وإناثا"[٢٥٥].

عن قتادة: {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}، قال: " خلق آدم ثم خلق زوجته منه"[٢٥٦].

قوله تعالى:{يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} [الشورى :١١]، أي:" يكثركم بسببه بالتوالد"[٢٥٧].

وفي قوله تعالى:{يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} [الشورى :١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يخلقكم فيه، قاله السدي[٢٥٨]، ورواه شعبة عن منصور[٢٥٩].

الثاني : يعيشكم فيه، قاله قتادة[٢٦٠].

قال قتاجة:" عَيْش من الله يعيشكم الله فِيهِ"[٢٦١].

الثالث : نسلاً من بعد نسل من الناس والأنعام ، قاله مجاهد[٢٦٢].

السابع: ينبتكم من حال إلى حال أي ينبتكم في الجعل. قاله علي بن سليمان[٢٦٣].

وأولى هذه الأقوال بالصواب الذي رواه شعبة عن منصور، لأن أهل اللغة المتقدمين منهم أبو زيد وغيره رووا عن العرب: ذرأ الله عزّ وجلّ الخلق يذرؤهم، أي: خلقهم[٢٦٤].

قوله تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى :١١]، أي:" ليس له تعالى مثيلٌ ولا نظير، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهوالواحد الأحد، الفردُ الصمد"[٢٦٥].

وروي عن الضحاك، في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، قال:" ليس كمثل الرجل والمرأة شيء"[٢٦٦].

---

(٢٥٣) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٥٤) أخرجه الطبري :٥٠٧/٢١.
(٢٥٥) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٥٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥/١، ورواه ابن أبي حاتم(١٢٥٨٤):ص٢٢٩١/٧.
(٢٥٧) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢١.
(٢٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢١.
(٢٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢١.
(٢٦١) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢١، وانظر: الدر المنثور: ٣٣٩/٧، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.
(٢٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢١، ٥٠٨.
(٢٦٣) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٥١/٤.
(٢٦٤) إعراب القرآن: ٥١/٤.
(٢٦٥) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى :١١]، أي:" وهو تعالى السميع لأقوال العباد، البصير بأفعالهم"[٢٦٧].

عن محمد بن إسحاق: {السَّمِيعُ}:" أي : سميع لما يقولون"[٢٦٨].

القرآن

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)} [الشورى :١٢]

التفسير:

له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسِّع رزقه على مَن يشاء مِن عباده ويضيِّقه على مَن يشاء، إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

قوله تعالى:{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى :١٢]، أي:" له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق"[٢٦٩].

وفي قوله تعالى:{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى :١٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : خزائن السموات والأرض ، قاله السدي[٢٧٠].

الثاني : مفاتيح السموات والأرض ، قاله مجاهد[٢٧١]، وقتادة[٢٧٢]، والضحاك[٢٧٣].

قال مجاهد:" «مفاتيح السموات والأرض، وهي بالفارسية»[٢٧٤].

قيل: الإقليد: المفتاح، فارسي معرَّب، قال الراجز[٢٧٥]:

لَمْ يُؤْذِها الدِّيكُ بصوتِ تَغْرِيدْ ... ولَمْ تُعالِجْ غَلَقاً باقْلِيدْ"[٢٧٦].

قوله تعالى:{يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الشورى :١٢]، أي:" يوسِّع رزقه على مَن يشاء مِن عباده ويضيِّقه على مَن يشاء"[٢٧٧].

قال الحسن:" يبسط لهذا مكرا به ويقدر لهذا نظرا له"[٢٧٨].

عن الحسن:"{ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وان كان الفقر خير له أفقره"[٢٧٩].

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الشورى :١٢]، أي:" إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه"[٢٨٠].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٢٨١].

---

(٢٦٦) النكت والعيون: ١٩٤/٥.
(٢٦٧) صفوة التفاسير: ١٢٥/٣.
(٢٦٨) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.
(٢٦٩) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١، و٥١١/٢١.
(٢٧١) تفسير مجاهد: ٥٨٨، وانظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١٢/٧ .
(٢٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١، و٥١١/٢١.
(٢٧٣) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
(٢٧٤) تفسير مجاهد: ٥٨٨، وانظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١٢/٧ .
(٢٧٥) الرجز بدون نسبة في تفسير السمعاني: ٤٧٩/٤، وزاد المسير: ٢٥/٤.
(٢٧٦) زاد المسير: ٢٥/٤.
(٢٧٧) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٦٢):ص٢٣٢٨/٧.
(٢٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٦١):ص٢٣٢٧/٧.
(٢٨٠) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

القرآن

{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)} [الشورى :١٣]

التفسير:

شرع الله لكم -أيها الناس- من الدِّين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصَّى به نوحًا أن يعمله ويبلغه، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى -هؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل على المشهور- أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون مَن سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به، عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، الله يصطفي للتوحيد مَن يشاء مِن خلقه، ويوفِّق للعمل بطاعته مَن يرجع إليه.

قوله تعالى:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [الشورى :١٣]، أي:" شرع الله لكم -أيها الناس- من الدِّين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصَّى به نوحًا أن يعمله ويبلغه، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى"[٢٨٢].

قال مجاهد:"يقول: أوصاك به يا محمد وأنبياءه كلهم بالإسلام دينا واحدا"[٢٨٣].

وقال مجاهد في رواية أخرى:" ما أوصاك به وأنبيائه، كلهم دين واحد"[٢٨٤].

عن السديّ، قوله: "{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا}، قال: هو الدين كله"[٢٨٥].

عن قتادة:" {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا}، قال: الحلال والحرام"[٢٨٦].

قال قتادة:" بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال، وتحريم الحرام"[٢٨٧].

قوله تعالى:{أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى :١٣]، أي:"وصيناهم بأن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون مَن سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به"[٢٨٨].

عن السديّ، قوله: "{أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ}، قال: اعملوا به"[٢٨٩].

عن قتادة، قوله: "{وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}، تعلموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة"[٢٩٠].

قوله تعالى:{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} [الشورى :١٣]، أي:" عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له"[٢٩١].

---

(٢٨٢) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٢٨٣) تفسير مجاهد: ٥٨٨.

قال السعدي:" وهذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب"[تفسير السعدي: ٧٥٤].

(٢٨٤) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢١.

(٢٨٥) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢١.

(٢٨٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٣١)ص١٥٩/٣.

(٢٨٧) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢١-٥١٣.

(٢٨٨) التفسير الميسر: ٤٨٤.[بتصرف]

(٢٨٩) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢١.

(٢٩٠) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢١.

(٢٩١) التفسير الميسر: ٤٨٤.

عن قتادة: "{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ}، قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها"[٢٩٢].

قوله تعالى:{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى :١٣]، أي:" الله يصطفي للتوحيد مَن يشاء مِن خلقه، ويوفِّق للعمل بطاعته مَن يرجع إليه"[٢٩٣].

قال مجاهد:" يقول: ويوفق للعمل بطاعته، واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحق من أقبل إلى طاعته، وراجع التوبة من معاصيه"[٢٩٤].

عن السديّ: "{وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}: من يقبل إلى طاعة الله"[٢٩٥].

القرآن

{وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤)} [الشورى :١٤]

التفسير:

وما تفرَّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعًا وأحزابًا إلا مِن بعد ما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد، ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم. وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من الدين والإيمان موقعٍ في الريبة والاختلاف المذموم.

قوله تعالى:{وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الشورى :١٤]، أي:" وما تفرَّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعًا وأحزابًا إلا مِن بعد ما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد"[٢٩٦].

عن قتادة: "{وَمَا تَفَرَّقُوا إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ}، فقال: إياكم والفرقة فإنها هلكة"[٢٩٧].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [الشورى :١٤]، أي:" ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم"[٢٩٨].

عن السديّ :"{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}، قال: يوم القيامة"[٢٩٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [الشورى :١٤]، أي:" وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من الدين والإيمان موقعٍ في الريبة والاختلاف المذموم"[٣٠٠].

عن السديّ، قوله: "{وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ}، قال: اليهود والنصارى"[٣٠١].

---

(٢٩٢) أخرجه الطبري: ٢١/٥١٣-٥١٤.
(٢٩٣) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٤) أخرجه الطبري: ٢١/٥١٤.
(٢٩٥) أخرجه الطبري: ٢١/٥١٤.
(٢٩٦) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٧) أخرجه الطبري: ٢١/٥١٥.
(٢٩٨) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٩) أخرجه الطبري: ٢١،٥١٥.
(٣٠٠) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٣٠١) أخرجه الطبري: ٢١/٥١٥.

القرآن
{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)} [الشورى :١٥]

التفسير:

فإلى ذلك الدين القيِّم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين، وقل: صدَّقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم، الله ربنا وربكم، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعدما تبين الحق، الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه، وإليه المرجع والمآب، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى :١٥]، أي:" فإلى ذلك الدين القيِّم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين"(٣٠٢).

عن قتادة: {وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}، قال: " واستقم على أمر الله"(٣٠٣).

وقال الضحاك:" فاستقم على تبليغ الرسالة"(٣٠٤).

قوله تعالى:{وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} [الشورى :١٥]، أي:" ، وقل: صدَّقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم"(٣٠٥).

عن أبي العالية:{وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ}، قال: " لأسوي بينكم في الدّين، فأؤمن بكلّ كتاب وكلّ رسول"(٣٠٦).

قال قتادة:" أمر نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدّق الله الصادق، ويكذّب الكاذب، وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه، ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام: كان يقول: ثلاث من كن فيه أعجبني جدا: القصد في الفاقة والغنى، والعدل في الرضا والغضب، والخشية في السر والعلانية; وثلاث من كن فيه أهلكه: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة"(٣٠٧).

عن ابن أبي نجيح قال: "قال سليمان بن داود عليهما السلام: أوتينا مما أوتي الناس ومما لم يؤتوا وعلمنا مما علم الناس وما لم يعلموا، فلم نجد شيئا هو أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر"(٣٠٨).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن"(٣٠٩).

---

(٣٠٢) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٣٠٣) النكت والعيون: ١٩٩/٥.
(٣٠٤) النكت والعيون: ١٩٩/٥.
(٣٠٥) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٣٠٦) الكشف والبيان: ٣٣٨/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٠٧) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢١.
(٣٠٨) الدر المنثور: ٥٣٤/١، وعزاه إلى الاصبهاني في الترغيب.
(٣٠٩) أخرجه البيهقي في الشعب(٦٨٦٥):ص٣٩٦/٩.

قوله تعالى:{اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} [الشورى :١٥]، أي:" الله خالقنا جميعاً ومتولي أمورنا فيجب أن نفرده بالعبادة، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعدما تبين الحق"[٣١٠].

عن مجاهد، قوله: "{لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم}، قال: لا خصومة"[٣١١].

وعن السدي: "{لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ}، قال: هذه قبل السيف، وقبل أن يؤمر بالجزية"[٣١٢].

القرآن

{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)} [الشورى :١٦]

التفسير:

والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلتُ به محمدًا صلى الله عليه وسلم، مِن بعد ما استجاب الناس له وأسلموا، حجتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم، وعليهم من الله غضب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو النار.

سبب النزول:

عكرمة مولى ابن عباس، قال: "لما نزلت: {إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ} قال المشركون بمكة لِمَن بين أظهرهم مِن المؤمنين: قد دخل الناسُ في دين الله أفواجًا، فاخرُجُوا مِن بين أظهرنا، فعلام تُقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: {والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ} الآية"[٣١٣].

عن الحسن: "{والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ} الآية، قال: قال أهل الكتاب لأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -: نحن أولى بالله منكم. فأنزل الله: {والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} يعني: أهل الكتاب"[٣١٤].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ} [الشورى :١٦]، أي:" والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلتُ به محمدًا صلى الله عليه وسلم، مِن بعد ما استجاب الناس له وأسلموا"[٣١٥].

عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية :"{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ} قال: بعد ما دخل الناس في الإسلام"[٣١٦].

وعن مجاهد: "{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ}، قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية"[٣١٧].

قال قتادة:" هم اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم"[٣١٨].

قوله تعالى:{حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الشورى :١٦]، أي:" حجتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم"[٣١٩].

قال السدي:" هم أهل الكتاب للمسلمين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم"[٣٢٠].

---

(٣١٠) صفوة التفاسير: ١٢٦/٣.

(٣١١) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢١.

(٣١٢) رواه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٠.

(٣١٣)الدر المنثور: ٣٤٢/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣١٤)الدر المنثور: ٣٤٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣١٥) التفسير الميسر: ٤٨٥.

(٣١٦) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.

(٣١٧) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.

(٣١٨) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.

(٣١٩) التفسير الميسر: ٤٨٥.

قال قتادة:" هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم"[٣٢١].

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)} [الشورى :١٧]

التفسير:

الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإنصاف. وأي شيء يدريك ويُعْلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} [الشورى :١٧]، أي:" الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإنصاف"[٣٢٢].

قال مجاهد وقتادة:" «الميزان»: هو العدل"[٣٢٣].

قوله تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} [الشورى :١٧]، أي:" وأي شيء يدريك ويُعْلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟"[٣٢٤].

قال عون بن عبد الله بن غنية:" {لعلّ} من الله واجب"[٣٢٥].

القرآن

{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)} [الشورى :١٨]

التفسير:

يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكمًا واستهزاءً، والذين آمنوا بها خائفون من قيامها، ويعلمون أنها الحق الذي لا شك فيه. ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [الشورى :١٨]، أي:" ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق"[٣٢٦].

قال عطاء: "يريد: في خسران كبير"[٣٢٧].

القرآن

{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩)} [الشورى :١٩]

التفسير:

الله لطيف بعباده، يوسِّع الرزق على مَن يشاء، ويضيِّقه على مَن يشاء وَفْق حكمته سبحانه، وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه.

قوله تعالى:{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ} [الشورى :١٩]، أي:" الله تعالى بارٌّ رحيم بالخلق كثير الإحسان بهم، يفيض عليهم من الخيرات والبركات مع عصيانهم"[٣٢٨].

---

(٣٢٠)أخرجه ابن جرير -كما في فتح الباري ٨/ ٥٦٣ -.

(٣٢١) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.

(٣٢٢) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٣٢٣) أخرجه الطبري: ٢١/ ٥٢٠، وانظر: تفسير مجاهد: ٥٨٩، وتفسير عبدالرزاق(٢٧٣٤):ص١٦٠/٣.

(٣٢٤) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٣٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٦):ص١٠٨/١، وانظر: الدر المنثور: ٨٥/١، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ.

(٣٢٦) التفسير الميسر: ٤٨٥.

(٣٢٧) التفسير البسيط للواحدي: ٣٩٨/١٢، ولم أقف عليه.

قال عكرمة: "بارّ بهم"[٣٢٩].
قال السدي: "رفيق بهم"[٣٣٠].
قال القرظي: "لطيف بهم في العرض والمحاسبة"[٣٣١].
قوله تعالى:{يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى :١٩]، أي:" يوسِّع الرزق على مَن يشاء، وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه"[٣٣٢].
عن قتادة:{ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}، قال: " قويا في أمره، عزيزا في نقمته"[٣٣٣].

القرآن
{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)} [الشورى :٢٠]
التفسير:
من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نزد له في عمله الحسن، فنضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة، ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نؤته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب.
قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ} [الشورى :٢٠]، أي:" من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نزد له في عمله الحسن، فنضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة"[٣٣٤].
قال السدي:" من كان يريد عمل الآخرة نزد له في عمله"[٣٣٥].
قوله تعالى:{وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى :٢٠]، أي:" ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نؤته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب"[٣٣٦].
قال قتادة:" يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئا إلا رزقا قد فرغ منه وقسم له"[٣٣٧].
عن أبي بن كعب، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بشر هذه الأمة بالسَّنَاء والرفعة ، والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب"[٣٣٨].

القرآن
{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)} [الشورى :٢١]

---

(٣٢٨) صفوة التفاسير: ١٢٨/٣.
(٣٢٩) تفسير الثعلبي: ٣٣٩/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٣٠) تفسير الثعلبي: ٣٣٩/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٣١) تفسير الثعلبي: ٣٤٠/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٣٢) صفوة التفاسير: ١٢٨/٣.
(٣٣٣) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.
(٣٣٤) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٣٥) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢١.
(٣٣٦) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٣٧) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢١-٥٢٢.
(٣٣٨) رواه عنه الثوري، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.

التفسير:
بل ألهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؟ ولولا قضاء الله وقدره بإمهالهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضي بينهم بتعجيل العذاب لهم. وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [الشورى :٢١]، أي:" ولولا قضاء الله وقدره بإمهالهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضي بينهم بتعجيل العذاب لهم"[٣٣٩].

قال مجاهد:" {ولَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ}، قال: يوم القيامة، أُخِّروا إليه"[٣٤٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى :٢١]، أي:" وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع"[٣٤١].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٣٤٢]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٣٤٣].

القرآن

{تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)} [الشورى :٢٢]

التفسير:
ترى -أيها الرسول- الكافرين يوم القيامة خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمال خبيثة، والعذاب نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة، والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة، لهم ما تشتهيه أنفسهم عند ربهم، ذلك الذي أعطاه الله لهم من الفضل والكرامة هو الفضل الذي لا يوصف، ولا تهتدي إليه العقول.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ} [الشورى :٢٢]، أي:" والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة"[٣٤٤].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٣٤٥].

عن مجاهد، قوله:"{فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ}، قال: المكان الموفق"[٣٤٦].

عن أبي مالك قوله: {فِي رَوْضَةٍ} [الروم : ١٥]، يعني:" بساتين الجنة"[٣٤٧].

قوله تعالى:{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الشورى :٢٢]، أي:" لهم ما تشتهيه أنفسهم عند ربهم"[٣٤٨].

عن أبي ظبية السلفي، قال: "إن السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول: ما أمطركم؟ قال: فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم، حتى أن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابا"[٣٤٩].

---

(٣٣٩) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٤٠)تفسير مجاهد ص ٥٨٩، وأخرجه إسحاق البستي ص ٣٠١ من طريق ابن جُرَيْج. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٣٤١) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٤٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٤٤) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٤٥)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٣٤٦) الدر المنثور: ٣٤٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٣٤٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٧٦):ص٣٠٨٩/٩.
(٣٤٨) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٤٩) الدر المنثور: ٣٤٥/٧، وعزاه إلى ابن جرير. وأبو ظبية السلفي ثم الكلاعي الشامي الحمصي، لا يعرف اسمه وقيل:

القرآن

{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)} [الشورى :٢٣]

التفسير:

ذلك الذي أخبرتكم به -أيها الناس- من النعيم والكرامة في الآخرة هو البشرى التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه. قل -أيها الرسول- للذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به عوضًا من أموالكم، إلا أن تَوَدُّوني في قرابتي منكم، وتَصِلوا الرحم التي بيني وبينكم. ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعدًا. إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه.

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: "قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخروا، قال ابن عباس، أو العباس، شكّ عبد السلام: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأتاهم في مجالسهم، فقال:"يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فأَعَزَّكُمُ الله بِي؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أَلَمْ تَكُونُوا ضُلالا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال:"أفلا تُجِيبُونِي؟ " قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال:"ألا تقولون: أَلَمْ يُخْرِجْكَ قَوْمُكَ فآوَيْنَاكَ، أَوَلَمْ يُكَذِّبُوكَ فَصَدَّقْنَاكَ، أَوَلَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْنَاكَ؟ " قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت :{قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}"[٣٥٠].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشورى :٢٣]، أي:" ذلك الذي أخبرتكم به -أيها الناس- من النعيم والكرامة في الآخرة هو البشرى التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه"[٣٥١].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٣٥٢].

يقرأ: «يُبَشِّرُ، و«يَبْشرُ»، و«يُبْشِرُ»[٣٥٣].

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى :٢٣]، أي:" قل -أيها الرسول- للذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به عوضًا من أموالكم، إلا أن تَوَدُّوني في قرابتي منكم، وتَصِلوا الرحم التي بيني وبينكم"[٣٥٤].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى :٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم. قاله مجاهد[٣٥٥]، والضحاك[٣٥٦]، وعكرمة[٣٥٧]، وقتادة-في رواية-[٣٥٨]، وأبو مالك[٣٥٩]، والسدي[٣٦٠]، وعطاء بن دينار[٣٦١].

إن اسمه كنيته، من كبار التابعين، مقبول. انظر "تهذيب الكمال" للمزي ٣٣/ ٤٤٧، "تقريب التهذيب" لابن حجر (٨١٩٢)

(٣٥٠) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.

(٣٥١) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٥٢)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.

(٣٥٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٩٨/٤.

(٣٥٤) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.

(٣٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.

(٣٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.

(٣٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.

قال أبو مالك:" كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم واسط النسب من قريش، ليس حيّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه; قال: فقال الله عز وجل: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} :«إلا أن تودّوني لقرابتي منكم وتحفظوني»"[٣٦٢].

وقال أبو مالك:"كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من بني هاشم وأمه من بني زهرة وأم أبيه من بني مخزوم، فقال:«احفظوني في قرابتي»"[٣٦٣].

قال قتادة:" وإن الله تبارك وتعالى أمر محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة، وكلّ بطون قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة"[٣٦٤].

عن مجاهد، قوله: "{إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}، أن تتبعوني، وتصدقوني وتصلوا رحمي"[٣٦٥].

قال الضحاك:" يعني: قريشا. يقول: إنما أنا رجل منكم، فأعينوني على عدويّ، واحفظوا قرابتي، وإن الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، أن تودّوني لقرابتي، وتعينوني على عدويّ"[٣٦٦].

قال عكرمة:" تعرفون قرابتي، وتصدّقونني بما جئت به، وتمنعوني"[٣٦٧].

قال عطاء بن دينار:" يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتمنعوني من الناس"[٣٦٨].

الثاني: معناه: قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّوا قرابتي. قاله علي بن الحسين-رضي الله عنهما-[٣٦٩]، وسعيد بن جبير[٣٧٠]، وعمرو بن شعيب[٣٧١].

قال سعيد بن جبير:" هي قُربى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣٧٢].

عن أبي الديلم قال: "لما جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربى الفتنة، فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنهما: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال نعم"[٣٧٣].

الثالث: معناه: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّدوا إلى الله، وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة. قاله الحسن[٣٧٤]، وقتادة-في رواية أخرى-[٣٧٥]، ورواه ابن عباس مرفوعا الى النبي-صلى الله عليه وسلم-[٣٧٦].

---

(٣٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٦١) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٦٢) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٦٣) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٦٤) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٦٥) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٦٦) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٦٧) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٦٨) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣٧١) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٩/٢١.
(٣٧٢) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣٧٣) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣٧٤) انظر: تفسير:٥٢٩/٢١ .
(٣٧٥) انظر: تفسير:٥٢٩/٢١ .

قال الحسن:" قل لا أسألكم على ما جئتكم به، وعلى هذا الكتاب أجرا، إلا المودة في القربى، إلا أن تووددوا إلى الله بما يقربكم إليه، وعمل بطاعته"[٣٧٧].

قال قتادة:" إلا أن تووددوا إلى الله فيما يقربكم إليه"[٣٧٨].

الرابع: معناه: إلا أن تصلوا قرابتكم. قاله عبد الله بن القاسم[٣٧٩].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم، وذلك لدخول"في" في قوله: {إلا المودة في القربى} ، ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال: إلا أن تودوا قرابتي، أو تقربوا إلى الله، لم يكن لدخول"في" في الكلام في هذا الموضع وجه معروف، ولكان التنزيل: إلا مودة القربى إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلا المودة بالقربى، أو ذا القربى إن عني به التودد والتقرب. وفي دخول«في» في الكلام أوضح الدليل على أن معناه: إلا مودتي في قرابتي منكم، وأن الألف واللام فى المودة أدخلتا بدلا من الإضافة، كما قيل: {فإن الجنة هي المأوى} وقوله:«إلا» في هذا الموضع استثناء منقطع. ومعنى الكلام: قل لا أسألكم عليه أجرا، لكني أسألكم المودة في القربى، فالمودة منصوبة على المعنى الذي ذكرت[٣٨٠].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} [الشورى :٢٣]، أي:" ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعدًا"[٣٨١].

عن السدي، قوله:"{ومن يقترف حسن}، قال: يعمل حسنة"[٣٨٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى :٢٣]، أي:" إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه"[٣٨٣].

عن قتادة: "{إن الله غفور} للذنوب، {شكور}، للحسنات يضاعفها"[٣٨٤].

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)} [الشورى :٢٤]

التفسير:

بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوه علينا اختلاقًا من عند نفسه؟ فإن يشأ الله يطبع على قلبك -أيها الرسول- لو فعلت ذلك. ويُذْهِبُ الله الباطل فيمحقه، ويحق الحق بكلماته التي لا تتبدل ولا تتغيَّر، وبوعده الصادق الذي لا يتخلف. إن الله عليم بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ} [الشورى :٢٤]، أي:" بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوه علينا اختلاقًا من عند نفسه؟ فإن يشأ الله يطبع على قلبك -أيها الرسول- لو فعلت ذلك"[٣٨٥].

---

(٣٧٦) انظر: تفسير:٥٢٩/٢١ .

(٣٧٧) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢١.

(٣٧٨) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢١.

(٣٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٠/٢١.

(٣٨٠) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢١.

(٣٨١) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٨٢) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢١.

(٣٨٣) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٨٤) تفسير الطبري: ٥٣١/٢١.

(٣٨٥) التفسير الميسر: ٤٨٦.

عن قتادة، قوله:"{فإن يشأ الله يختم على قلبك}، قال: إن يشأ الله أنساك ما قد أتاك"[٣٨٦].
قال قتادة: "فينسيك القرآن"[٣٨٧].
عن السدي، قوله:"{فإن يشأ الله يختم على قلبك}، قال: يطبع"[٣٨٨].
قوله تعالى:{وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} [الشورى :٢٤]، أي:" ويُذْهِبُ الله الباطل فيمحقه، ويثبتُ اللهُ الحق ويوضّحه بكلامه المنزل، وقضائه المبرم"[٣٨٩].
قال السدي: "فيه تقديم وتأخير، مجازه: والله يمحو الباطل"[٣٩٠].
قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الشورى :٢٤]، أي:" إن الله عليم بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه"[٣٩١].
قال سعيد بن جبير:" {عليم} يعني: عالما بها"[٣٩٢].

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)} [الشورى :٢٥]
التفسير:
والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم به.
قال عمرو بن عثمان: "ملاك التوبة إصلاح القوت"[٣٩٣].
عن إبراهيم، «أنه سأل علقمة عن رجل فجر بامرأة ثم تزوجها، فقرأ هذه الآية: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}»"[٣٩٤].
عن ابن سيرين قال: سئل ابن مسعود، عن الرجل يزني بالمرأة، ثم ينكحها قال: «هما زانيان ما اجتمعا» قال: فقيل لابن مسعود: أرأيت إن تابا؟ قال: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} [الشورى: ٢٥]. قال: فلم يزل ابن مسعود يرددها حتى ظننا أنه لا يرى به بأسا"[٣٩٥].
عن بكير بن الأخنس، عن أبيه، قال: " قرأت من الليل حم عسق فمررت بهذه الآية: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى : ٢٥]، فغدوت إلى عبد الله أسأله عنها، فأتاه رجل فسأله عن الرجل يفجر بالمرأة، ثم يتزوجها؟ فقرأ عبد الله: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} [الشورى: ٢٥]"[٣٩٦].
قال الإمام احمد:" ومن لقي الله بذنب يجب له النار تائبا غير مصر عليه فإن الله يتوب عليه و{يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}، من لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"[٣٩٧].

---

(٣٨٦) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣٨٧) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣٨٨) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣٨٩) التفسير الميسر: ٤٨٦، وصفوة التفاسير: ١٢٩/٣.
(٣٩٠) الكف والبيان للثعلبي: ٣٦٢/٢٣، ط. دار التفسير.
(٣٩١) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.
(٣٩٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.
(٣٩٤) الآثار لأبي يوسف(٦٠٣):ص١٣١.
(٣٩٥) مصنف عبدالرزاق(١٢٧٩٨):ص٢٠٥/٧.
(٣٩٦) مصنف ابن أبي شيبة(١٦٧٨١):ص٥٢٧/٣.
(٣٩٧) أصول السنة: ٥١-٥٢.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحا بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالته، إذا وجدها»[٣٩٨].

القرآن

{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)} [الشورى :٢٦]

التفسير:

ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لربهم لِمَا دعاهم إليه وينقادون له، ويزيدهم من فضله توفيقًا ومضاعفة في الأجر والثواب. والكافرون بالله ورسوله لهم يوم القيامة عذاب شديد موجع مؤلم.

قوله تعالى:{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشورى :٢٦]، أي:" ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لربهم لِمَا دعاهم إليه وينقادون له"[٣٩٩].

عن إبراهيم النخعي، قوله:"{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال: يُشَفَّعُون في إخوانهم"[٤٠٠].

وقال الضحاك:" يُشَفِّعُهُمْ فِي إِخْوَانِهِم"[٤٠١].

عن سلمة بن سبرة، قال: "خطبنا معاذ، فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة، والله إني لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة، ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت غفر الله لك، ثم قرأ: {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}"[٤٠٢].

قوله تعالى:{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [الشورى :٢٦]، أي:" ويزيدهم من فضله توفيقًا ومضاعفة في الأجر والثواب"[٤٠٣].

عن إبراهيم النخعي : "{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}، قال: يشفعون في إخوان إخوانهم"[٤٠٤].

وقال الضحاك :"يُشَفِّعُهُمْ في إخوان إخوانهم"[٤٠٥].

عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تبارك وتعالى: {فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله} قال: "أجورهم يدخلهم الجنة". {ويزيدهم من فضله} قال: "الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا"[٤٠٦].

---

(٣٩٨) صحيح مسلم(٢٦٧٥):ص٢١٠٢/٤، وسنن ابن ماجة(٤٢٤٧):ص١٤١٩/٢، وسنن الترمذي(٣٥٣٨):ص٤٣٨/٥.

(٣٩٩) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٤٠٠) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٤٠١) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (٤٩٥):ص٣٣٣/٢. [إسناده واه].

(٤٠٢) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٤٠٣) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٤٠٤) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٤٠٥) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (٤٩٥):ص٣٣٣/٢. [إسناده واه].

(٤٠٦) السنة لأبي عاصم(٨٤٦):ص٤٩٨/٢، إسناده ضعيف رجاله موثقون غير إسماعيل بن عبد الله الكندي أورده الذهبي فقال عن الأعمش وعنه بقية بخبر عجيب منكر.

قلت: وكأنه يشير إلى هذا.

والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٨/١٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣/٧) : "فيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكر وبقية رجاله وثقوا"، وذكره ابن كثير في تفسيره:٤٨١/٢ وقال: "وهذا إسناد لا يثبت".

والحديث رواه ابن ابي حاتم(١٤٦٦٤):ص٢٦١٠/٨.

القرآن

{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)} [الشورى :٢٧]

التفسير:

ولو بسط الله الرزق لعباده فوسَّعه عليهم، لبغوا في الأرض أشَرًا وبطرًا، ولطغى بعضهم على بعض، ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم. إنه بعباده خبير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم.

سبب النزول:

قال أبو هانئ: "سمعت عمرو بن حريث وغيره، يقولون: إنما أزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ}، ذلك بأنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا"[٤٠٧].

عن حيوة بن شريح قال: حدثنا أبو هانئ الخولاني أنه سمع عمرو بن حريث وغيره يقولان: " إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} [الشورى: ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"[٤٠٨].

قال خبّاب بن الأرتّ: "فينا نزلت هذه الآية؛ وذلك أنّا نظرنا إلى أموال قريظة والنضير، فتمنّيناها؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى- هذه الآية"[٤٠٩].

قوله تعالى:{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ} [الشورى :٢٧]، أي:" ولو بسط الله الرزق لعباده فوسَّعه عليهم، لبغوا في الأرض أشَرًا وبطرًا، ولطغى بعضهم على بعض، ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم"[٤١٠].

قال قتادة:" كان يقال: خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك"[٤١١].

وفي الحديث:«إن أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتشاجوا ويقتتلوا»[٤١٢].

عن أبي سعيد، قال: "جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إنما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر، فسكت، فقيل له: ما شأنك تكلم النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكلمك، ورئينا أنه ينزل عليه، فأفاق فمسح عنه الرحضاء، فقال: «أين السائل؟» وكأنه حمده، فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر، فإنها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها، ثم استقبلت عين الشمس، فبالت، وثلطت، ورتعت، وإن هذا المال خضر حلو، ونعم مال المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل» أو كالذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة "[٤١٣].

ورواه أبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤) من طريق ابن حمير عن الثوري عن شقيق عن عبد الله بن مسعود بنحوه، وقال: "غريب من حديث الأعمش، عزيز عجيب من حديث الثوري، تفرد به إسماعيل بن عبيد الله الكندي عن الأعمش، وعن إسماعيل بقية بن الوليد، وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ".

(٤٠٧) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢١-٥٣٦.

(٤٠٨) الزهد والرقائق لابن المبارك(٥٥٤):ص١٩٤/١. وقال:"قال ابن صاعد: عمرو بن حريث هذا رجل من مصر، ليست له صحبة، وليس هو عمرو بن حريث المخزومي، الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه".

(٤٠٩)أورده الثعلبي ٨/ ٣١٧، والواحدي في التفسير الوسيط ٤/ ٥٤.

(٤١٠) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٤١١) اخرجه الطبري: ٥٣٦/٢١.

(٤١٢) قطعة من حديث رواه ابن ابي عاصم في الآحاد والمثاني(٢٥٠٨):ص٤٥٣/٤.

(٤١٣) مسند احمد(١١٠٣٥):ص٨٣/١٧-٨٤، ومسند أبي داود(٢٢٩٤):ص٦٣٤/٣[واللفظ له]، ومسند ابن أبي شيبة(٣٤٣٨١):ص٨٤/٧.

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى :٢٧]، أي:" إنه بعباده خبير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم"(٤١٤).

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"(٤١٥).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)} [الشورى :٢٨]

التفسير:

والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما يئسوا من نزوله، وينشر رحمته في خلقه، فيعمهم بالغيث، وهو الوليُّ الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، الحميد في ولايته وتدبيره.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا} [الشورى :٢٨]، أي:" والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما يئسوا من نزوله"(٤١٦).

عن مجاهد، قوله: "{مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا}، قال: يئسوا"(٤١٧).

قال قتادة:" ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر، وقنط الناس قال: مطرتم: {وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ}"(٤١٨).

عن ثابت، قال: "بلغنا: أنّه يُستجاب الدعاء عند المطر. ثم تلا هذه الآية: {وهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيثَ مِن بَعْدِ ما قَنَطُوا}"(٤١٩).

عن قتادة: "أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أجدبت الأرض، وقنط الناس، قال: مطروا إذن"(٤٢٠).

قرأ نافع وابن عامر وعاصم :«وهو الذي ينزل الغيث»، بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان(٤٢١).

قوله تعالى:{وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى :٢٨]، أي:" وينشر رحمته في خلقه، فيعمهم بالغيث"(٤٢٢).

قال السدي:" وأمّا {رحمته}، فهو المطر"(٤٢٣).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [الشورى :٢٨]، أي:" وهو الوليُّ الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، الحميد في ولايته وتدبيره"(٤٢٤).

عن السدي، قوله: " أما {الولي}، فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"(٤٢٥).

قال قتادة:" ذُكر لنا أنّ رجلًا أتى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط النّاس. قال: مطرتم، ثمّ قال: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}"(٤٢٦).

---

(٤١٤) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٤١٥) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.
(٤١٦) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٤١٧) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢١.
(٤١٨) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢١.
(٤١٩) الدر المنثور: ٣٥٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤٢٠) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢١.
(٤٢١) انظر: حجة القراءات: ٦٤١.
(٤٢٢) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٤٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٠٩):ص١٥٠٢/٥.
(٤٢٤) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٤٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣٠):ص٢٦٧٢/٨.
(٤٢٦) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٧٦/٢٣، د. دار التفسير، وأخرجه الطبري في "جامع البيان" ٢٥/ ٣١ عن

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩)} [الشورى :٢٩]

التفسير:

ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خَلْقُ السموات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ} [الشورى :٢٩]، أي:" ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خَلْقُ السموات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب"(٤٢٧).

عن مجاهد، قوله: "{وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ}، قال: الناس والملائكة"(٤٢٨).

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"(٤٢٩).

القرآن

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)} [الشورى :٣٠]

التفسير:

وما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في دينكم ودنياكم فبما كسبتم من الذنوب والآثام، ويعفو لكم ربكم عن كثير من السيئات، فلا يؤاخذكم بها.

وذكروا في تفسير قوله تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى :٣٠]، قولان:

أحدهما : أنه الحدود على المعاصي. قاله الحسن(٤٣٠).

عن الحسن:" {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ} ... الآية، قال: هذا في الحدود"(٤٣١).

عن الحسن:"{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠] قَالَ: «الْحُدُودُ»"(٤٣٢).

الثاني : أنها البلوى في النفوس والأموال عقوبة على المعاصي والذنوب. وهذا معنى قول عكرمة(٤٣٣).

قال عكرمة: "ما من نكبة أصابت عبدًا فما فوقها إلاّ بذنب لم يكن الله ليغفر له إلاّ بها، أو درجة لم يكن الله ليبلّغه إلاّ بها"(٤٣٤).

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:"لا يصيب ابن آدم خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر"(٤٣٥).

بشر، عن يزيد، عن سعيد به.

وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٧/ ٣٥٣ لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤٢٧) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٤٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢١.

(٤٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٤٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢١.

(٤٣١) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢١.

(٤٣٢) تفسير عبدالرزاق(٢٧٤٠):ص١٦٢/٣.

(٤٣٣) الكشف والبيان: ٣٨٣/٢٣. ط. دار التفسير.

(٤٣٤) الكشف والبيان: ٣٨٣/٢٣. ط. دار التفسير.

قال الحسن:" «بلغنا أنه ليس من أحد تصيبه عثرة قدم أو خدش عود، أو كذا ، إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر»"[٤٣٦].

قال الحسن:" ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا هو بذنب وما يعفوا الله عنا أكثر ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير"[٤٣٧].

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من خدش عود ، ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم قرأ: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]" [٤٣٨].

وفي الحديث الصحيح : "والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب ولا هم ولا حُزَن ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه ، حتى الشوكة يشاكها"[٤٣٩].

عن معاوية ابن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كَفَّرَ الله عنه به من سيئاته"[٤٤٠].

عن عائشة-رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا كثرت ذنوب العبد ، ولم يكن له ما يكفرها ، ابتلاه الله بالحَزَن ليكفرها"[٤٤١].

عن الضحاك، قال: ما تعلَّم رجلٌ القرآن ثمّ نسيه إلاّ بذنب، ثمّ قرأ {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن"[٤٤٢].

عن أبي البلاد، قال : "قلت للعلاء بن بدر : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} ، وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال : فبذنوب والديك"[٤٤٣].

عن أيوب، قال: "قرأت في كتاب أبي قلابة، قال: نزلت: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} وأبو بكر رضي الله عنه يأكل، فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من خير أو شر؟ فقال:"أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر، وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة"، قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله، قال: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}"[٤٤٤].

عن محمَّد بن سيرين، قال: "لما ركبه الدَّين اغتمّ لذلك، فقال: إنّي لأعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة"[٤٤٥].

---

(٤٣٥) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢١.

(٤٣٦) تفسير عبدالرزاق(٢٧٤١):ص١٦٢/٣.

(٤٣٧) تفسير سفيان الثوري(٨٦٥: ١: ٥):ص٢٦٨.

(٤٣٨) رواه عبدالرزاق في "التفسير"(٢٧٤٢):ص١٦٢/٣، وابن ابي حاتم(١٨٤٨١):ص٣٢٧٨/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧. وفي رواية ابن أبي حاتم: عن الحسن - هو البصري - قال في قوله : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} قال : لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذي نفس محمد بيده ، ما من خَدْش عود ، ولا اختلاج عرق ، ولا عَثْرة قدم ، إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر".

(٤٣٩)صحيح البخاري برقم (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٣) "من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما".

(٤٤٠)المسند (٩٨/٤) قال الهيثمي في المجمع (٣٠١/٣) : "رجال أحمد رجال الصحيح".

(٤٤١)المسند (١٥٧/٦).

(٤٤٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٨٣/٢٣، ط. دار التفسير، ورواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.

(٤٤٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.

(٤٤٤) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢١-٥٣٩. وقال:" حدّث هذا الحديث الهيثم بن الربيع، فقال فيه أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالسا عند النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فذكر الحديث، وهو غلط، والصواب عن أبي إدريس".

(٤٤٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٨١/٢٣. [رجاله ثقات]

عن ابن أبي مُلَيْكَة: "أن أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق كانت تُصْدَع، فتضع يدها على رأسها، وتقول: بذنبي، وما يغفرُه الله أكثر"[٤٤٦].

عن مُرَّة الهَمْدانِيّ، قال: "رأيتُ على ظهر كفّ شُرَيْح قُرحة، قلت: يا أبا أمية، ما هذا؟ قال: {فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ويَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ}"[٤٤٧].

عن علي ، رضي الله عنه قال : "ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل ، وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}. وسأفسرها لك يا علي : "ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا ، فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يُثَنِّى عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه"[٤٤٨].

وعن أبي جُحَيفَة، قال : دخلت على علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يَعيَه؟ قال : فسألناه فتلا هذه الآية : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} قال : ما عاقب الله به في الدنيا فالله أحلم من أن يُثَنِّي عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة"[٤٤٩].

عن عمران بن حصين، قال : "دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده ، فقال له بعضهم إنا لَنَبْتَئِسُ لك لما نرى فيك. قال : فلا تبتئس بما ترى ، فإن ما ترى بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}"[٤٥٠].

القرآن

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)} [الشورى :٣١]

التفسير:

وما أنتم -أيها الناس- بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه، وما لكم من دون الله مِن وليٍّ يتولى أموركم، فيوصل لكم المنافع، ولا نصير يدفع عنكم المضارَّ.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٣١]، أي:" وما أنتم -أيها الناس- بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه"[٤٥١].

قال السدي:" يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة، فتفوتوه هربا"[٤٥٢].

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [الشورى :٣١]، أي:" وما لكم من دون الله مِن وليٍّ يتولى أموركم، فيوصل لكم المنافع، ولا نصير يدفع عنكم المضارَّ"[٤٥٣].

قال السدي:" يعني: من قريب يمنعكم، يعني: الكفار"[٤٥٤].

القرآن

---

(٤٤٦)أخرجه ابن سعد ٨/ ٢٥١.

(٤٤٧)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٢٠.

(٤٤٨) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧، ورواه الإمام احمد بنحوه في المسند (٩٨/٤) قال الهيثمي في المجمع (٣٠١/٣) : "رجال أحمد رجال الصحيح"

(٤٤٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧.

(٤٥٠) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧-٢٠٩.

(٤٥١) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٤٥٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢٤/٢.

(٤٥٣) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٤٥٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢٤/٢.

{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)} [الشورى :٣٢-٣٣]

التفسير:

ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه القاهر السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر. إن يشأ الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يُسكن الريح، فتَبْقَ السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري، إن في جَرْي هذه السفن ووقوفها في البحر بقدرة الله لعظات وحججًا بيِّنة على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الشورى : ٣٢]، أي:" ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه القاهر السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر"(٤٥٥).

قال السدي: الأعلام: الجبال"(٤٥٦).

عن مجاهد، قوله: "{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ}، يعني: «السفن» {كَالْأَعْلَامِ}، يعني: «كالجبال»"(٤٥٧).

قرأ نافع: «الجواري»، بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف(٤٥٨).

قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ} [الشورى : ٣٣]، أي:" إن يشأ الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يُسكن الريح، فتَبْقَ السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري"(٤٥٩).

عن السدي:"{إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}: لا تجري"(٤٦٠).

قال قتادة:" سفن هذا البحر تجري بالريح فإذا أمسكت عنها الريح ركدت"(٤٦١).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الشورى : ٣٣]، أي:" إن في جَرْي هذه السفن ووقوفها في البحر بقدرة الله لعظات وحججًا بيِّنة على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله"(٤٦٢).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(٤٦٣).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"(٤٦٤).

قال مطرف: "نعم العبد المؤمن إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر"(٤٦٥).

عن عون بن عبد الله، قال: "رب منعم عليه غير شكور، ومبتلى غير صبور"(٤٦٦).

القرآن

{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤)} [الشورى :٣٤]

التفسير:

أو يهلكِ السفن بالغرق بسبب ذنوب أهلها، ويعفُ عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها.

---

(٤٥٥) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٥٦) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١.

(٤٥٧) تفسير مجاهد: ٥٩٠، وتفسير الطبري: ٥٤٠/٢١، ٥٤١.

(٤٥٨) انظر: السبعة في القراءات: ٥٨١.

(٤٥٩) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٦٠) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١.

(٤٦١) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١.

(٤٦٢) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.

(٤٦٤) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.

(٤٦٥) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٧٩/٥.

(٤٦٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٧٩/٥.

قوله تعالى:{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} [الشورى :٣٤]، أي:" أو يهلكِ السفن بالغرق بسبب ذنوب أهلها"[٤٦٧].

عن مجاهد، قوله: "{أَوْ يُوبِقْهُنَّ}: أو يهلكهنّ"[٤٦٨].

قال السدي:" يغرقهن بما كسبوا"[٤٦٩].

عن قتادة: "{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا}، أي: بذنوب أهلها"[٤٧٠].

قوله تعالى:{وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى :٣٤]، أي:" ويعفُ عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها"[٤٧١].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٤٧٢].

القرآن

{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)} [الشورى :٣٥]

التفسير:

ويَعْلَم الذين يجادلون بالباطل في آياتنا الدالة على توحيدنا، ما لهم من محيد ولا ملجأ من عقاب الله، إذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به.

عن السديّ، قوله: "{مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}: ما لهم من ملجأ"[٤٧٣].

قرأ نافع وابن عامر :«ويعلم الذين»، برفع «الميم»[٤٧٤].

القرآن

{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)} [الشورى :٣٦]

التفسير:

فما أوتيتم -أيها الناس- من شيء من المال أو البنين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، سُرعان ما يزول، وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم يتوكلون.

قوله تعالى:{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الشورى :٣٦]، أي:" فما أوتيتم -أيها الناس- من شيء من المال أو البنين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، سُرعان ما يزول"[٤٧٥].

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"[٤٧٦].

قوله تعالى:{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى :٣٦]، أي:" وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم وحده يتوكلون"[٤٧٧].

---

(٤٦٧) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٦٨) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢١.

(٤٦٩) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢١.

(٤٧٠) اخرجه الطبري: ٥٤٣/٢١.

(٤٧١) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٤٧٣) أخرجه الطبري: ٥٤٤/٢١.

(٤٧٤) انظر: السبع في القراءات: ٥٨١.

(٤٧٥) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.

(٤٧٧) التفسير الميسر: ٤٨٧.[بتصرف]

عن محمد بن إسحاق:"{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، قال: خيرٌ ثوابا، وأبقى عندنا"[٤٧٨].

عن كعب، قال: "مكتوب في التوراة: ابن آدم ضع كنزك، عندي، فلا غرق ولا حرق أدفعه إليك أفقر ما تكون إليه يوم القيامة"[٤٧٩].

عن سعيد بن جبير، قال: "التوكل على الله جماع الإيمان"[٤٨٠].

عن سعيد بن جبير، قال: "التوكل على الله نصف الإيمان"[٤٨١].

القرآن

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)} [الشورى :٣٧]

التفسير:

والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فَحُش وقَبُح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على مَن أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلبًا لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق.

سبب النزول:

قال مقاتل:"{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}، يعني: يتجاوزون عن ظلمهم فيكظمون الغيظ ويعفون، نزلت في عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رازح بن عدي بن لؤي حين شتم بمكة، فذلك قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا} [الجاثية : ١٤]، يعني: يتجاوزوا عن الذين {لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ الله} [الجاثية : ١٤]..."[٤٨٢].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ} [الشورى :٣٧]، أي:" والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فَحُش وقَبُح من أنواع المعاصي"[٤٨٣].

عن السديّ: "{وَالْفَوَاحِشَ}، قال: الفواحش: الزنى"[٤٨٤].

وذكر أهل التفسير في معنى «الكبائر»، وجوها :

أحدها : أنها كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها، وهذا قول إبراهيم[٤٨٥].

الثاني : أن كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة. وهذا قول أبي العالية[٤٨٦]، وعبيدة في رواية ابن سيرين[٤٨٧].

عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: " ما عصي الله به فهو كبير، ولقد ذكر الطرفة: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}"[٤٨٨].

عن عوف، قال: "قام أبو العالية الرّياحي على حَلْقةٍ أنا فيها فقال: إن ناسًا يقولون: "الكبائر سبع"، وقد خفت أن تكون الكبائر سبعين أو يزدن على ذلك"[٤٨٩].

الثالث: أن الكبائر سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذا قول عمرو بن عبيد[٤٩٠]، وعبيدة[٤٩١].

---

(٤٧٨) أخرجه الطبري: ٦٠٤/١٩.

(٤٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٦):ص٢٩٩٨/٩.

(٤٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٤):ص١٦٥٦/٥.

(٤٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٦):ص١٦٥٦/٥.

(٤٨٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٤٨٣) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٤٨٤) اخرجه الطبري: ٥٤٥/٢١.

(٤٨٥) انظر: تفسير الطبري(٩١٧٦):ص٢٣٤/٨.

(٤٨٦) انظر: تفسير الطبري(٩٢٠٥):ص٢٤٥/٨.

(٤٨٧) انظر: تفسير ابن المنذر(١٦٦٨):ص٦٧١/٢.

(٤٨٨) انظر: تفسير ابن المنذر(١٦٦٨):ص٦٧١/٢.

(٤٨٩) انظر: تفسير الطبري(٩٢٠٥):ص٢٤٥/٨.

وقال عطاء: "الكبائر سبع : قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ، ورمي المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار يوم الزحف"[٤٩٢].

عن ابن عون، عن محمد قال: "سألت عبيدة عن الكبائر فقال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها، وفرارٌ يومَ الزحف، وأكل مال اليتيم بغير حقه، وأكل الربا، والبهتان. قال: ويقولون: أعرابية بعد هجرة. قال ابن عون: فقلت لمحمد: فالسحر؟ قال: إن البهتان يجمع شرًا كثيرًا"[٤٩٣].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الكبائر سبع: "أولهما الإشراك بالله، ثم قتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة"[٤٩٤].

وضمن هذا السياق روي عن عبيد الله بن عمير أنه قال: "الكبائر سبع، يتلو بكل واحدة آية: {مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ}[٤٩٥]، الآية، و{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا}[٤٩٦] الآية {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى}[٤٩٧] الآية، {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}[٤٩٨] الآية، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا}[٤٩٩] الآية كلها"[٥٠٠]، وزاد في رواية أخرى:" التعرب بعد الهجرة، ثم قرأ{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ}[٥٠١]"[٥٠٢].

وروي عن صهيب مولى العُتْواريّ : "أنه سمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري يقولان : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فقال : والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكبَّ ، فأكبَّ كل رجل ، منا يبكي، لا يدري على ماذا حلف ، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشر ، فكان أحبَّ إلينا من حُمْر النَّعم ، فقال : ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رَمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبعَ ، إلا فتحت له أبواب الجنة ، ثم قيل : ادخل بسلام"[٥٠٣].

الرابع: أنها كل ما أوعد الله عليه النار، وهذا قول سعيد بن جبير[٥٠٤]، والحسن[٥٠٥]، ومجاهد[٥٠٦] ، والضحاك[٥٠٧].

الخامس : أنها كل ما لا تصح معه الأعمال ، وهذا قول زيد بن أسلم[٥٠٨].

السادس: أن الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة. قاله مالك بن مغول[٥٠٩].

---

(٤٩٠) انظر: تفسير الطبري(٩١٨٠)، (٩١٨١):ص٨/٢٣٥-٢٣٦.
(٤٩١) انظر: تفسير الطبري(٩١٨٢)-(٩١٨٤):ص٨/٢٣٧.
(٤٩٢) أخرجه الطبري(٩١٨٦):ص٨/٢٣٨.
(٤٩٣) أخرجه الطبري(٩١٨٢):ص٨/٢٣٦.
(٤٩٤) تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٠٢):ص٣/٩٣١، و مسلم كتاب الإيمان رقم ١٨٩/ ٩٢.
(٤٩٥) [سورة النساء:٤٨، و١١٦]، و[المائدة:٧٢]، و[الحج:٣١].
(٤٩٦) [سورة النسا:٩٣].
(٤٩٧)[سورة النسا:١٠].
(٤٩٨) [يورة النور:٢٣]..
(٤٩٩) [سورة الأنفال:١٥]..
(٥٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٢٠٣):ص٣/٩٣٢.
(٥٠١) [سورة محمد:٢٥].
(٥٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٢٠٤):ص٣/٩٣٢.
(٥٠٣) أخرجه الطبري(٩١٨٥):ص٨/٢٣٧-٢٣٨. إسناده صحيح.
(٥٠٤) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٤)، و(٩٢١٥):ص٨/٢٤٧.
(٥٠٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢١٥):ص٣/٩٣٤.
(٥٠٦) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٦)، و(٩٢١٧):ص٨/٢٤٧.
(٥٠٧) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٨):ص٨/٢٤٧.
(٥٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢١٩):ص٣/٩٣٤، قال فيه:" الشرك، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعا لله ولدا أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال والقول الذي لا يصلح معه عمل، وأما كل ذنب يصلح معه دين، ويقبل معه عمل- فإن الله تعالى يعفو السيئات بالحسنات"..

السابع: أن " الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجتمع فيه الصالح والفاسق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهها. وهذا قول السدي[٥١٠]، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه"[٥١١].

والأقرب أن "الكبيرة": كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع الإشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين[٥١٢].

القرآن

{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)} [الشورى :٣٨]

التفسير:

والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده وطاعته، وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها، وإذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه، ومما أعطيناهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في الأنصار"[٥١٣].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [الشورى :٣٨]، أي:" والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده وطاعته، وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها"[٥١٤].

عن الزهري: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}، قال: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٥١٥].

قال الحسن:"فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[٥١٦]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[٥١٧].

قوله تعالى:{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى :٣٨]، أي:" وإذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه"[٥١٨].

قال الحسن:أي: "يتشاورون"[٥١٩].

قال الحسن: "والله ما تشاور قوم قط، إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم"[٥٢٠].

وفي الحديث:« إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»[٥٢١].

---

(٥٠٩) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.

(٥١٠) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.

(٥١١)أخرجه أحمد في المسند: ١ / ٤١٢، ٢ / ٣٤٣ عن أبي هريرة، والطبراني وأبو يعلى والبزار وابن حبان عن أبي هريرة. قال الهيثمي في المجمع ٦ / ٢٥٦، سنده جيد، وقال المنذري صحيح. وانظر: فيض القدير للمناوي: ٤ / ٣٩٩، والمصنف في شرح السنة: ١ / ١٣٨..

(٥١٢) تفسير أبي السعود:١٧١/٢.

(٥١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٥١٤) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.

(٥١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.

(٥١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.

(٥١٨) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥١٩) نقلا عن: تفسير ابن ابي زمنين: ١٧٠/٤. حكاه بدون سند.

(٥٢٠) نقلا عن :التفسير الوسيط للواحدي: ٥٧/٤. حكاه بدون سند.

قوله تعالى:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الشورى :٣٨]، أي:" ومما أعطيناهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق"[٥٢٢].

قال قتادة:" فأنفقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها"[٥٢٣].

القرآن

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)} [الشورى :٣٩]

التفسير:

والذين إذا أصابهم الظلم هم ينتصرون ممن بغى عليهم مِن غير أن يعتدوا، وإن صبروا ففي عاقبة صبرهم خير كثير.

سبب النزول:

قال الفراء:" نزلت خاصة في أبي بكر الصديق -رحمه الله-، وذلك: أن رجلا من الأنصار وقع به عند رسول الله فسبه، فلم يردد عليه أبو بكر ولم ينه رسول الله صلى الله عليه الأنصاري فأقبل عليه أبو بكر فرد عليه، فقام النبي- صلى الله عليه- كالمغضب واتبعه أبو بكر فقال: يا رسول الله، ما صنعت بي أشد علي مما صنع بي: سبني فلم تنهه، ورددت عليه فقمت كالمغضب، فقال النبي- صلى الله عليه-: كان الملك يرد عليه إذا سكت، فلما رددت عليه رجع الملك، فوثبت معه فنزلت هذه الآية"[٥٢٤].

واختلفوا في هذا «البَغْي»، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بَغْيُ الكفار على المسلمين. قاله عطاء[٥٢٥].

قال عطاء: "هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبَغَوْا عليهم، ثم مَكَّنهم الله منهم فانتصروا"[٥٢٦].

الثاني: أنه عامّ في جميع البُغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين. وهذا قول السدي[٥٢٧].

القول الثاني أولى في ذلك بالصواب، لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه"[٥٢٨].

قال إبراهيم:" كانوا يكرهون للمؤمنين أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا"[٥٢٩].

---

(٥٢١)أخرجه الترمذى (٥٢٩/٤، رقم ٢٢٦٦) وقال: غريب.

ومن غريب الحديث: "سمحاءكم": أسخياءكم. "فظهر الأرض خير لكم من بطنها": أى الحياة خير لكم من الموت. "أموركم إلى نسائكم": أى مفوض إلى رأيهن، والحال أنهن ناقصات العقل والدين. "فبطن الأرض خير لكم من ظهرها": أى فالموت خير لكم من الحياة.

(٥٢٢) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩):ص٣٨/١.

(٥٢٤) معاني القرآن: ٢٥/٣. والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان(٧٧١٦):ص٤١٢/١٠، عن أبي هريرة، قال: "استطال رجل على أبي بكر الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر ساكت، فلما أكثر انتصر أبو بكر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، استطال علي وأنت ساكت، فلما انتصرت قمت؟ فقال: " يا أبا بكر، إنك ما سكت كان الملك يرد عليه، فلما انتصرت ارتفع الملك، وحضر الشيطان، فلم أكن لأجالس الشيطان، يا أبا بكر، ثلاث اعلم أنهن حق: ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقرا، وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة ".

(٥٢٥) انظر: زاد المسير: ٦٧/٤. حكاه بدون سند.

(٥٢٦) نقلا عن: زاد المسير: ٦٧/٤. حكاه بدون سند.

(٥٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.

(٥٢٨) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.

(٥٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٨٦):ص٣٢٧٩/١٠.

وقال إبراهيم -في رواية-:" كانوا يكرهون أن بذلوا أنفسهم للفساق فيجترئوا عليهم"[٥٣٠].

القرآن

{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)} [الشورى :٤٠]

التفسير:

وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الودَّ بينه وبين المعفو عنه ابتغاء وجه الله، فأجْرُ عفوه ذلك على الله. إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسيئون إليهم.

قوله تعالى:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى :٤٠]، أي:" وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة"[٥٣١].

عن مجاهد:" {وجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها} هو جواب القبيح إذا قال: أخزاك الله. تقول: أخزاك الله. وإذا شتمك فاشتمه بمثلها، مِن غير أن تعتدي"[٥٣٢].

قال أبو بشر: "سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}، قال: يقول أخزاه الله، فيقول: أخزاه الله"[٥٣٣].

قال السدي:" إذا شتمك بشتمة فاشمته مثلها من غير أن تعتدي"[٥٣٤].

حكي النحاس عن قتادة:" أنه عام، والآية محكمة" [٥٣٥].

قوله تعالى:{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى :٤٠]، أي:" فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الودَّ بينه وبين المعفو عنه ابتغاء وجه الله، فأجْرُ عفوه ذلك على الله"[٥٣٦].

عَن مُحَمَّد بن الْمُنْكَدر، قَالَ: "إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة صرخَ صارخ الأَرْض ألا من كَانَ لَهُ على الله حق فَليقمْ فَيقوم من عَفا وَأَصْلح"[٥٣٧].

قال الحسن البصري:" يُنادي مُنادٍ يوم القيامة: مَن كان له أجرٌ على الله فلْيَقُم. قال: فيقوم مَن عفا في الدنيا"[٥٣٨].

القرآن

{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١)} [الشورى :٤١]

التفسير:

ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه له فأولئك ما عليهم من مؤاخذة.

سبب النزول:

قال الفراء:" نزلت أيضا في أبي بكر"[٥٣٩].

---

(٥٣٠) رواه الفراء في معاني القرآن: ٢٥/٣.

(٥٣١) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥٣٢)تفسير البغوي ٧/ ١٩٨.

(٥٣٣) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢١.

(٥٣٤) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢١.

(٥٣٥) الناسخ والمنسوخ: ٦٥٩.

(٥٣٦) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥٣٧) الدر المنثور: ٣٥٩/٧، وعزاه إلى سعيد بن مَنْصُور وَابْن الْمُنْذر.

(٥٣٨)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٠٩.

(٥٣٩) معاني القرآن: ٢٥/٣. والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان(٧٧١٦):ص٤١٢/١٠، عن أبي هريرة، قال: "استطال رجل على أبي بكر الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر ساكت، فلما أكثر انتصر أبو بكر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، استطال علي وأنت ساكت، فلما انتصرت قمت؟ فقال: " يا أبا

قال قتادة:" هذا في الخمش[٥٤٠]يكون بين الناس"[٥٤١].

وقال قتادة:" هذا فيما يكون بين الناس من القصاص، فأما لو ظلمك رجل لم يحلّ لك أن تظلمه"[٥٤٢]

روي عن ابن عون، قال: "كنت أسأل عن الانتصار {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ}... الآية، فحدثني علي بن زيد بن جدعان، عن أمّ محمد امرأة أبيه، قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أمّ المؤمنين قالت: قالت أم المؤمنين: دخل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وعندنا زينب بنت جحش، فجعل يصنع بيده شيئا، ولم يفطن لها، فقلت بيده حتى فطَّنته لها، فأمسك، وأقبلت زينب تقحم عائشة، فنهاها، فأبت أن تنتهي، فقال لعائشة:"سُبيها" فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت عليا، فقالت: إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم، فجاءت فاطمة، فقال لها:"إنها حبة أبيك وربّ الكعبة"، فانصرفت وقالت لعليّ: إني قلت له كذا وكذا، فقال كذا وكذا; قال: وجاء عليّ إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فكلّمه في ذلك"[٥٤٣].

عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من دعا على من ظلمه فقد انتصر"[٥٤٤].

القرآن

{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)} [الشورى :٤٢]

التفسير:

إنما المؤاخذة على الذين يتعدَّون على الناس ظلمًا وعدوانًا، ويتجاوزون الحدَّ الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الشورى :٤٢]، أي:" إنما المؤاخذة على الذين يتعدَّون على الناس ظلمًا وعدوانًا، ويتجاوزون الحدَّ الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق"[٥٤٥].

محمد بن واسع، قال: "قدمت مكة فإذا على الخندق منظرة فأخذت، فانطلق بي إلى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة، فقال: حاجتك يا أبا عبد الله. قلت: حاجتي إن استطعت أن تكون كما قال أخو بني عدي، قال: ومن أخو بني عدي؟ قال: العلاء بن زياد، استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب إليه: «أما بعد فإن استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف، وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عذاب أليم}، فقال: صدق والله ونصح، ثم قال: ما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قلت: حاجتي أن تلحقني بأهلي. قال: نعم "[٥٤٦].

بكر، إنك ما سكت كان الملك يرد عليه، فلما انتصرت ارتفع الملك، وحضر الشيطان، فلم أكن لأجالس الشيطان، يا أبا بكر، ثلاث اعلم أنهن حق: ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقرا، وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة ".

(٥٤٠)المقصود بالخمش: ما كان دون القتل والدية من قطع أو جدع أو جرح أو ضرب أو نهب ونحو ذلك. من أنواع الأذى التي لا قصاص فيها. [انظر: النهاية لابن الأثير].

(٥٤١) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٥٤٢) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢١.

(٥٤٣) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٥٤٤)سنن الترمذي برقم (٣٥٥٢):ص٤٤٦/٥، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف(٢٩٥٧٦):ص٧٤/٦، وابن عدي في الكامل (٤١٢/٦) من طريق أبي الأحوص به ، وقال ابن عدي : "لا أعلم من يرويه عن أبي حمزة غير أبي الأحوص".

(٥٤٥) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٨٧):ص٣٢٧٩/١٠-٣٢٨٠.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى :٤٢]، أي:" أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع"(٥٤٧).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(٥٤٨)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(٥٤٩).

القرآن

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)} [الشورى :٤٣]

التفسير:

ولمن صبر على الأذى، وقابل الإساءة بالعفو والصفح والسَّتر، إن ذلك من عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورتَّب لها ثوابًا جزيلا وثناءً حميدًا.

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى :٤٣]، أي:" إن ذلك من عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورتَّب لها ثوابًا جزيلا وثناءً حميدًا"(٥٥٠).

قال سعيد بن جبير : "يعني: لمن حق الأمور التي أمر الله بها"(٥٥١).

حكى عن الحسن البصري -من طريق المبارك بن فَضالة - قال: "سبَّ رجلٌ رجلًا مِن الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرَق عن وجهه، وهو يتلو: {ولَمَن صَبَرَ وغَفَرَ إنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزْمِ الأُمُور}. قال الحسن: عَقِلَها -واللهِ- وفهمها إذ ضيَّعها الجاهلون"(٥٥٢).

عن عبد الصمد بن يزيد - خادم الفضيل بن عياض - قال : "سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا فقل : "يا أخي ، اعف عنه". فإن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل. فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو ، فإنه باب واسع ، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور"(٥٥٣).

القرآن

{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤)} [الشورى :٤٤]

التفسير:

ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد. وترى -أيها الرسول- الكافرين بالله يوم القيامة -حين رأوا العذاب- يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ فلا يجابون إلى ذلك.

قوله تعالى:{وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى :٤٤]، أي:" وترى -أيها الرسول- الكافرين بالله يوم القيامة -حين رأوا العذاب- يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟"(٥٥٤).

---

(٥٤٧) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٥٤٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٥٥٠) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٥٥١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٣/٧.

(٥٥٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٧ (١٢٠) - ، وانظر: الكشاف: ٢٣٠/٤.

(٥٥٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢١٣/٧-٢١٤.

(٥٥٤) التفسير الميسر: ٤٨٧.

عن السديّ، قوله: "{هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ}، يقول: إلى الدنيا"[٥٥٥].

القرآن

{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)} [الشورى :٤٥]

التفسير:

وترى -أيها الرسول- هؤلاء الظالمين يُعْرَضون على النار خاضعين متذللين ينظرون إلى النار مِن طرْف ذليل ضعيف من الخوف والهوان. وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لما عاينوا ما حلَّ بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين -يوم القيامة- في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول.

قوله تعالى:{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} [الشورى :٤٥]، أي:" وترى -أيها الرسول- هؤلاء الظالمين يُعْرَضون على النار خاضعين متذللين"[٥٥٦].

عن السديّ، قوله:"{خَاشِعِينَ}، قال: خاضعين من الذلّ"[٥٥٧].

قوله تعالى:{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى :٤٥]، أي:" ينظرون إلى النار مِن طرْف ذليل ضعيف من الخوف والهوان"[٥٥٨].

وفي قوله تعالى:{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى :٤٥]، وجوه من التفسير:

أحدهما : يسارقون النظر إلى النار حذراً، قاله قتادة[٥٥٩]، والسدي[٥٦٠]، ومحمد بن كعب[٥٦١].

الثاني : بطرفٍ ذليل ، قاله مجاهد[٥٦٢].

والصواب قول مجاهد، وهو أن معناه: أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب[٥٦٣].

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الشورى :٤٥]، أي:" وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لما عاينوا ما حلَّ بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار"[٥٦٤].

قال السدي:" غبنوا أنفسهم وأهليهم في الجنة"[٥٦٥].

قال مجاهد وقتادة:" ليس أحد إلا وقد أعد الله له أهلا في الجنة، إن أطاعه"[٥٦٦].

القرآن

{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧)} [الشورى :٤٧]

---

(٥٥٥) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢١.

(٥٥٦) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٥٧) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٥٥٨) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٥٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٥٦١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٦١/٤، والماوردي في النكت والعيون: ٢١٠/٥.

(٥٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩١.

(٥٦٣) تفسير الطبري: ٥٥٤/٢١.

(٥٦٤) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٦٥) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢١.

(٥٦٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٢٢):ص١٢٩/٣.

التفسير:
استجيبوا لربكم -أيها الكافرون- بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده، ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب، ولا مكان يستركم، وتتنكرون فيه. وفي الآية دليل على ذم التسويف، وفيها الأمر بالمبادرة إلى كل عمل صالح يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات وموانع.

قوله تعالى:{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ [الشورى :٤٧]، أي:" استجيبوا لربكم -أيها الكافرون- بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده، ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب"(٥٦٧).

عن مجاهد، قوله: "{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ}، قال: من مَحْرَز"(٥٦٨).

عن السديّ: "{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ}، تلجئون إليه"(٥٦٩).

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ} [الشورى :٤٧]، أي:" ولا تستطيعون إنكار ما اجترحتموه من السيئات"(٥٧٠).

عن مجاهد، قوله: "{مِنْ نَكِيرٍ}، قال: ناصر ينصركم"(٥٧١).

عن السديّ: "{وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ}، يقول: من عز تعتزون"(٥٧٢).

القرآن

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨)} [الشورى :٤٨]

التفسير:
فإن أعرض هؤلاء المشركون -أيها الرسول- عن الإيمان بالله فما أرسلناك عليهم حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها، ما عليك إلا البلاغ. وإنَّا إذا أعطينا الإنسان منا رحمة مِن غنى وسَعَة في المال وغير ذلك، فَرِح وسُرَّ، وإن تصبهم مصيبة مِن فقر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدمته أيديهم من معاصي الله، فإن الإنسان جحود يعدِّد المصائب، وينسى النعم.

قوله تعالى:{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [الشورى :٤٨]، أي:" :" إن أعرض هؤلاء المشركون -أيها الرسول- عن الإيمان بالله، فما أرسلناك عليهم حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها"(٥٧٣).

قال عطاء: "{وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}: تمنعهم مني"(٥٧٤).

القرآن

{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)} [الشورى :٤٩-٥٠]

التفسير:

---

(٥٦٧) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٥٦٨) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٥٦٩) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٥٧٠) تفسير ابن المراغي: ٦١/٢٥.
(٥٧١) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٥٧٢) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٥٧٣) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٥٧٤) تفسير الثعلبي: ١٧٣/١٢، ط. دار التفسير. وتفسير البغوي: ١٧٦/٣، وذكره الواحدي في "البسيط":٣٤٥/٨، عن عطاء عن ابن عباس.

لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

قوله تعالى:{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [الشورى : ٤٩]، أي:" لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق"(٥٧٥).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٥٧٦).

قوله تعالى:{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} [الشورى : ٤٩]، أي:" يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم"(٥٧٧).

عن السدي: "{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} ليست معهم إناث"(٥٧٨).

عن الضحاك: قوله:"{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} ليس فيهم أنثى"(٥٧٩).

عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إنّ من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذّكر، وذلك إنّ الله تعالى يقول: {يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُور}، ألا ترى إنّه بدأ بالإناث قبل الذّكور»(٥٨٠).

قوله تعالى:{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا} [الشورى : ٥٠]، أي:" ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى"(٥٨١).

عن السدي: "{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا}، قال: يهب لهم إناثا وذكرانا"(٥٨٢).

قال الضحاك:" تلد المرأة ذكرا مرّة وأنثى مرّة"(٥٨٣).

عن مجاهد: "{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا}، قال: يخلط بينهم، يقول: التزويج: أن تلد المرأة غلاما، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاما، ثم تلد جارية"(٥٨٤).

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} [الشورى : ٥٠]، أي:" ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له"(٥٨٥).

عن الضحاك والسدي: "{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}، لا يُولد له"(٥٨٦).

عن قتادة، قوله: "{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}، قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى، وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا، فيجمعهم له جميعا، {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}، لا يولد له"(٥٨٧).

---

(٥٧٥) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٥٧٧) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٧٨) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٥٧٩) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٥٨٠) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٢٤/٨، وانظر: كنز العمال: ١٦/ ٦١١/ ح ٤٦٠٤٦، وتفسير القرطبي: ١٦/ ٤٨ بتفاوت في المصدرين.

(٥٨١) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٨٢) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٥٨٣) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٥٨٤) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٥٨٥) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٨٦) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

عن إسحاق بن بشر، في قول الله تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً}، قال: "نزلت في الأنبياء -عليهم السلام- ثم عمت، {يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً}، يعني: لوطا -عليه السلام- لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان. {وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ}، ويعنى: إبراهيم -عليه السلام- لم يولد له أنثى، {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً}، يعني: النبي صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات، {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً}، يعني: يحيى وعيسى -عليهم السلام-"[٥٨٨].

القرآن

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)} [الشورى :٥١]

التفسير:

وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحيًا يوحيه الله إليه، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كلَّم سبحانه موسى عليه السلام، أو يرسل رسولا كما ينزل جبريل عليه السلام إلى المرسل إليه، فيوحي بإذن ربه -لا بمجرد هواه- ما يشاء الله إيحاءه، إنه تعالى عليٌّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه.

سبب النزول:

ذكر مقاتل، والثعلبي، والواحدي، والبغوي:" أن اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- ألا تكلم الله، وتنظر إليه إن كنت صادقا، كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى يعمل الله ذلك بك، فقال الله لهم: «لم ينظر موسى إلى الله»، فأنزل الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا}"[٥٨٩].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا} [الشورى :٥١]، أي:" وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحيًا يوحيه الله إليه"[٥٩٠].

عن السدي، قوله: "{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا}، قال: يوحي إليه"[٥٩١].

عن مسروق، قال: «بينا أنا عند عائشة أم المؤمنين فقالت: يا أبا عائشة! من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وتلت: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام: ١٠٣]، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى:٥١]"[٥٩٢].

وفي قوله تعالى :{وَحْياً}[الشورى :٥١]، وجهان :

أحدهما : أنه نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً، قاله مجاهد[٥٩٣].

الثاني: ما روي عن إبراهيم النخعي، قال: "كان من الأنبياء من يخط له في الأرض"[٥٩٤].

---

(٥٨٧) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٥٨٨) أخرجه الواحدي في الكشف والبيان: ٣٢٥/٨.

(٥٨٩)تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٥/٣، والكشف والبيان: ٣٢٥/٨-٣٢٦، وأسباب النزول للواحدي: ١٣٩، وتفسير البغوي: ٢٠٠/٧. [بدون إسناد ومن غير عزو لأحد، فهو ساقط].

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤٦) : لم أجده.

(٥٩٠) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٩١) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢١.

(٥٩٢)صحيح، رجاله ثقات، غير أن هشيم بن بشير على جلالته كان مدلسا، لكن تابعه عليه الثقة الحافظ إسماعيل بن علية؛ أخرجه مسلم (١٧٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٤٨)،

ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٣٢)، وتابعه أيضا الثقة الحافظ عبد ربه بن سعيد، كما عند ابن حبان (٦٠)، والثقة المتقن يزيد بن هارون، كما عند ابن منده في الإيمان (٧٦٣)، وإسحاق بن يوسف بن مرداس، كما عند الترمذي (٣٠٦٨).

(٥٩٣) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٥.

(٥٩٤) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٣/٥.

قوله تعالى:{أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى :٥١]، أي:" أو يكلمه من وراء حجاب"(٥٩٥).

عن السدي، قوله:"{أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، قال: موسى كلمه الله من وراء حجاب"(٥٩٦).

قوله تعالى:{أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى :٥١]، أي:" أو يرسل رسولا كما ينزل جبريل عليه السلام إلى المرسل إليه، فيوحي بإذن ربه -لا بمجرد هواه- ما يشاء الله إيحاءه"(٥٩٧).

عن السدي، قوله:"{أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}، قال: جبرائيل يأتي بالوحي"(٥٩٨).

وقرأ نافع :«فَيُوحِي» بإرسال الياء، بمعنى الرفع عطفا به على {يُرْسِلَ}، وبرفع «يُرْسِلُ»، على الابتداء(٥٩٩).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى :٥١]، أي:" إنه تعالى عليٌّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه"(٦٠٠).

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٦٠١).

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)} [الشورى :٥٢-٥٣]

التفسير:

وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك -أيها النبي- أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟ ولكن جعلنا القرآن ضياء للناس نهدي به مَن نشاء مِن عبادنا إلى الصراط المستقيم. وإنك -أيها الرسول- لَتَدُلُّ وَتُرْشِدُ بإذن الله إلى صراط مستقيم -وهو الإسلام- صراط الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. ألا إلى الله -أيها الناس- ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلا بعمله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٣]، أي:" وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك -أيها النبي- أوحينا إليك قرآنًا من عندنا"(٦٠٢).

عن الربيع بن أنس، قال:" كل كَلِمٍ تكلم به ربنا فهو روح منه، {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} إلى قوله: {ألا إلى الله تصير الأمور} [الشورى: ٥٢ - ٥٣]"(٦٠٣).

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٣]،، على أقوال:

أحدها: رحمة من أمرنا. قاله الحسن(٦٠٤).

الثاني: وحيا من أمرنا. قاله السدي(٦٠٥).

الثالث: قرآناً من أمرنا ، قاله الضحاك(٦٠٦)، ومالك بن دينار(٦٠٧).

---

(٥٩٥) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٩٦) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢١.

(٥٩٧) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٥٩٨) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢١.

(٥٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢١.

(٦٠٠) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٦٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

(٦٠٢) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦٠٣) أخرجه الطبري: ١٦٦/١٧.

(٦٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢١-٥٦٠.

(٦٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢١.

(٦٠٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٥.

الرابع: يعني: جبريل. قاله الربيع[٦٠٨].

قوله تعالى:{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى : ٥٣]، أي:" ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟"[٦٠٩].

عن السديّ: "{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإيمَانُ}، يعني: محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٦١٠].

عن ابي العالية، قوله:{ وَلَا الْإِيمَانُ}:" الدعوة إلى الإيمان"[٦١١].

عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: " هل عبدت وثنا قط؟ قال: لا. قالوا: هل شربت خمرا قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولذلك أنزل الله في القرآن: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإيمَانُ}"[٦١٢].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله: "من زعم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان على دين قومه، فهو قول سوءٍ، أليس كان لا يأكل ما ذُبح على النّصب؟"[٦١٣].

وحكي عن بعض اهل العلم أنه-صلى الله عليه وسلم- "كان على دين قومه أربعينَ سنةً"[٦١٤].

والصواب أنه -صلى الله عليه وسلم- كان على دين إبراهيم عليه السلام، لأن قومه كانوا على الشرك كما نطق القرآن بذلك في آيات كثيرة فمن ذلك: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١]، والمراد بالمشركين –هنا-: قريش وما والاها، فتنبه، والله أعلم.

قوله تعالى:{وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى : ٥٣]، أي:" ولكن جعلنا القرآن ضياء للناس، نهدي بهذا القرآن مَن نشاء مِن عبادنا إلى الصراط المستقيم"[٦١٥].

عن السديّ: "{وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}، يعني: بالقرآن"[٦١٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى : ٥٣]، أي:" وإنك -أيها الرسول- لَتَدُلُّ وَتُرْشِدُ بإذن الله إلى صراط مستقيم -وهو الإسلام-"[٦١٧].

قال السدي:" يقول: تدعو إلى دين مستقيم"[٦١٨].

عن قتادة:" عن قتادة (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال: لكل قوم هاد"[٦١٩].

عن قتادة، قوله: "{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال تبارك وتعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}: داع يدعوهم إلى الله عز وجل"[٦٢٠].

عن قتادة: "{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، أي: على الإسلام"[٦٢١].

---

(٦٠٧) انظر: تفسير البغوي: ٢٠١/٧.

(٦٠٨) انظر: تفسير البغوي: ٢٠١/٧.

(٦٠٩) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢١.

(٦١١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧٠/٤. بدون سند.

(٦١٢) رواه الواحدي في التفسير الوسيط(٨٢٣):ص٦٢/٤.

(٦١٣) نقلا عن: زاد المسير: ٧٠/٤، وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ٢٠٦/٢.

(٦١٤) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧١/٤، وقال :قال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعينَ سنةً".
ليس بحديث، وإنما هو رأي لبعض أهل العلم.

(٦١٥) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦١٦) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢١.

(٦١٧) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦١٨) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢١.

(٦١٩) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢١.

(٦٢٠) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢١.

عن قتادة:"{ إنك على صراط مستقيم) : أي: الإسلام"[٦٢٢].

ويقرأ: «وَإِنَّكَ لَتُهْدِي»، مخاطبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأُمَّتِه، فيكون المعنى وإنك وأمتك لَتُهدَوْنَ إلى صراط مستقيم[٦٢٣].

قوله تعالى:{صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٥٣]، أي:" هذا الدين الذي لا اعوجاج فيه هو دينُ الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض"[٦٢٤].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٦٢٥].

قوله تعالى:{أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى : ٥٣]، أي:" ألا إلى الله -أيها الناس- ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلا بعمله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[٦٢٦].

عن مجاهد:" {ولله عاقبة الأمور}، قال: وعند الله ثواب ما صنعوا"[٦٢٧]. وروي عن زيد بن اسلم مثله[٦٢٨].

عن صالح بن محمد، قال: "سمعت أبا معشر يحدّث، عن سهل بن أبي الجعد أو غيره، قال: احترق مصحف فلم يبق إلاّ قوله: {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} وغرق مصحف فامتحى كل شيء فيه إلّا قوله: {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}"[٦٢٩].

«آخر تفسير سورة (الشورى)، والحمد لله وحده»

---

(٦٢١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٠.

(٦٢٢) أخرجه الطبري: ٢١/٦١٠.

(٦٢٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤/٤٠٤.

(٦٢٤) التفسير الميسر: ٤٨٩، صفوة التفاسير: ٣/١٣٦.

(٦٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٦٢٦) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦٢٧) النكت والعيون: ٤/٣٤٤.

(٦٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.

(٦٢٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ص٤٠٠/٢٣. ط. دار التفسير[فيه صالح بن محمد، متهم ساقط].

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الزخرف»

سورة «الزخرف»: هي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشورى»[٦٣٠]، عدد آياتها ثمان وثمانون عند الشاميين، وتسع عند الباقين. وكلماتها ثمانمائة وثلاث وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {حم (١)} [الزخرف : ١]، {مَهِينٌ} [الزخرف : ٥٢]. مجموع فواصل آياتها :«ملن»[٦٣١].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[٦٣٢].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]. نزلت في بيت المقدس، قاله ابن زيد[٦٣٣]، ومقاتل[٦٣٤].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمَّهم وصلَّى بهم، وقيل له: سَلْهُمْ فلم يشكك عليه السلام ولم يَسَل"[٦٣٥].

قال ابن زيد:" جمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس، فأمهم، وصلى بهم، فقال الله له: سلهم، قال: فكان أشدّ إيمانا ويقينا بالله وبما جاء من الله أن يسألهم، وقرأ: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزلنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}، قال: فلم يكن فى شكّ، ولم يسأل الأنبياء، ولا الذين يقرءون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقلت في نفسي:"الآن يؤمنا أبونا إبراهيم"; قال:"فدفع جبرائيل في ظهري"، قال: تقدم يا محمد فصلّ، وقرأ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ... حتى بلغ: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}"[٦٣٦].

وروي عن سعيد بن جبير، في قوله:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ}، قال: "لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة اسري به»"[٦٣٧].

قال النحاس:"ومعناه: أنه سيسرى إذا بك وتلقى الرسل فاسألهم"[٦٣٨].

قال ابن عاشور:" هي مكية..وأما ما روي ... أن آية: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]، نزلت بالمسجد الأقصى، فإذا صح لم يكن منافيا لهذا، لأن المراد بالمكي ما أنزل قبل الهجرة"[٦٣٩].

قال الألوسي:"وفي الإتقان: نزلت بالسماء، وقيل: بالمدينة"[٦٤٠].

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"[٦٤١].

---

(٦٣٠) انظر: تفسير المراغي: ٦٧/٢٥، والتفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٥/١٣. وقال ابن عاشور:"نزلت بعد سورة فصلت". انظر: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥

(٦٣١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢١.

(٦٣٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١، والدر المنثور: ٣٨٢/٧.

(٦٣٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٢٣٥/٤، وابن الجوزي في زاد المسير: ٧٢/٤، القرطبي في التفسير: ٦١/١٦، ولم أجده في تفسير مقاتل.

(٦٣٥) معاني القرآن: ٤١٣/٤.

(٦٣٦) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.

(٦٣٧) رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٦٣٨) معاني القرآن: ٣٦٥/٦.

(٦٣٩) المحرر الوجيز: ١٥٧/٢٥.

(٦٤٠) روح المعاني: ٦٣/١٣.

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[٦٤٢].
قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع من أهل العلم"[٦٤٣].

(٦٤١) غريب القرآن: ٣٩٥.
(٦٤٢) زاد المسير: ٧٢/٤.
(٦٤٣) المحرر الوجيز: ٤٥/٥.

القرآن

{حم (١)} [الزخرف : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وقد اختلف أهل التفسير فى معنى قوله: {حم} [الزخرف : ١]، على أقوال:

أحدها : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي(٦٤٤).

الثاني : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة(٦٤٥).

الثالث: أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد(٦٤٦).

وهذا كله تكلف لا موجب له، وتعسف لا ملجئ إليه، والحق أن هذه الفاتحة لهذه السورة، وأمثالها من المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة(٦٤٧).

القرآن

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} [الزخرف :٢]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى.

عن السديّ: "{حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}: هو هذا الكتاب المبين"(٦٤٨).

قال قتادة:" مبين والله بركته، وهداه ورشده"(٦٤٩).

القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)} [الزخرف :٣-٤]

التفسير:

إنَّا أنزلنا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان العرب؛ لعلكم تفهمون، وتتدبرون معانيه وحججه. وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعليٌّ في قَدْره وشرفه، محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض.

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف : ٤]، أي:" إنَّا أنزلنا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان العرب؛ لعلكم تفهمون، وتتدبرون معانيه وحججه"(٦٥٠).

عن مجاهد: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، قال: " نزل القرآن بلسان قريش، وهو كلامهم"(٦٥١).

عن سفيان في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الزخرف: ٣] قال: وصفناه"(٦٥٢).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{لعلكم}، يعني: لكي"(٦٥٣).

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف : ٤]، أي:" وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعليٌّ في قَدْره وشرفه، محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض"(٦٥٤).

---

(٦٤٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٦٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٦٤٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٦٤٧) فتح القدير: ٥٥١/٤.

(٦٤٨) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢١.

(٦٤٩) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢١.

(٦٥٠) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٢٠٩٩/٧.

(٦٥٢)طبقات الحنابلة" ١/ ٤٧٦.

(٦٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٢٠٩٩/٧.

عن عكرمة:"{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا}، قال: أمّ الكتاب القرآن"[٦٥٥].
عن السديّ:"{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ}، يقول: في الكتاب الذي عند الله في الأصل"[٦٥٦].
قال قتادة:" أمّ الكتاب: أصل الكتاب وجملته"[٦٥٧].
عن عطية بن سعد، قوله:"{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}، يعني: القرآن في أمّ الكتاب الذي عند الله منه نسخ"[٦٥٨].
عن قتادة: "{لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}، يخبر عن منزلته وفضله وشرفه"[٦٥٩].

القرآن
{أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥)} [الزخرف :٥]
التفسير:
أفنُعْرِض عنكم، ونترك إنزال القرآن إليكم لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم، وإسرافكم في عدم الإيمان به؟
عن قتادة :"{أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ}، أي: مشركين"[٦٦٠].
واختلف أهل العلم في تفسير الآية على وجهين:
أحدهما : أفنُمْسِكُ عن عذابكم ونترُكُكم على كفركم؟! وهذا معنى قول مجاهد[٦٦١]، والسدي[٦٦٢]، وأبي صالح[٦٦٣].
قال مجاهد:" تكذّبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه"[٦٦٤].
الثاني: أفنُمْسِكُ عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمِنون به؟! وهو معنى قول قتادة[٦٦٥].
قال قتادة:" والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك"[٦٦٦].
وقال قتادة:" لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحا، قال: الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا، لا يذكر لكم منه شيئا"[٦٦٧] [٦٦٨].
والصواب معناه: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها

---

(٦٥٤) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٦٥٥) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.
(٦٥٦) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.
(٦٥٧) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.
(٦٥٨) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.
(٦٥٩) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٦٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٩٦):ص٣٢٨١/١٠.
(٦٦١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٦٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٦٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٦٦٤) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٦٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٦٦٦) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٦٦٧) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٦٦٨)قال ابن كثير:" قول قتادة لطيف المعنى جدا ، وحاصله أنه يقول في معناه : أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل أمر به ليهتدي من قدّر هدايته ، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته". [تفسير ابن كثير: ٢١٩/٧].

رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: {أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا} وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم"[٦٦٩].

وقرئ:«إِنْ كُنْتُمْ» بكسر الألف من«إن»، بمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحا إذ كنتم قوما مسرفين[٦٧٠].

القرآن

{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)} [الزخرف :]

التفسير:

كثيرًا من الأنبياء أرسلنا في القرون الأولى التي مضت قبل قومك أيها النبي. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك، فأهلكنا مَن كذَّبوا رسلنا، وكانوا أشد قوة وبأسًا من قومك يا محمد، ومضت عقوبة الأولين بأن أهلِكوا؛ بسبب كفرهم وطغيانهم واستهزائهم بأنبيائهم.

قوله تعالى:{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزخرف :٧]، أي:" وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك"[٦٧١].

قال مجاهد:" يعني: " بما جاءتهم به رسلهم من الحق، يقول: استهزءوا به"[٦٧٢].

قوله تعالى:{فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} [الزخرف :٨]، أي:" فأهلكنا مَن كذَّبوا رسلنا، وكانوا أشد قوة وبأسًا من قومك يا محمد، ومضت عقوبة الأولين بأن أهلِكوا؛ بسبب كفرهم وطغيانهم واستهزائهم بأنبيائهم"[٦٧٣].

عن قتادة: "{وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ}، قال: عقوبة الأولين"[٦٧٤].

عن مجاهد، قوله: "{مَثَلُ الأَوَّلِينَ}، قال: سُنتهم"[٦٧٥].

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)} [الزخرف :٩]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك مَن خلق السموات والأرض؟ ليقولُنَّ: خلقهنَّ العزيز في سلطانه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الزخرف :٩]، أي:" ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك مَن خلق السموات والأرض؟"[٦٧٦].

عن عكرمة، قال: "هو قول الله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [سورة لقمان: ٢٥/ سورة الزمر:٣٨] . فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به"[٦٧٧].

---

(٦٦٩) تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٦٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٦٧١) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٦٧٢) تفسير مجاهد: ٥٨٤.
(٦٧٣) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٦٧٤) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢١.
(٦٧٥) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢١.
(٦٧٦) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٦٧٧) أخرجه الطبري(١٩٩٥٩):ص٢٨٧/١٦.

عن مجاهد:"{وله أسلم من في السموات والأرض}، قال: هو كقوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [سورة الزمر: ٣٨]"[٦٧٨].

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"[٦٧٩].

قوله تعالى:{لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف :٩]، أي:" ليقولُنَّ: خلقهنَّ العزيز في سلطانه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء"[٦٨٠].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٦٨١]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٦٨٢].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٦٨٣]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٦٨٤].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٦٨٥].

القرآن

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)} [الزخرف :١٠]

التفسير:

الذي جعل لكم الأرض فراشًا وبساطًا، وسهَّل لكم فيها طرقًا لمعاشكم ومتاجركم ; لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية.

قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا} [الزخرف :١٠]، أي:" الذي جعل لكم الأرض فراشًا وبساطًا"[٦٨٦].

عن السديّ :"{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا}، قال: بساطا"[٦٨٧].

عن الحسن ، في قوله تعالى: {الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ: ٦] قال: «فراشا»[٦٨٨].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الزخرف :١٠]، أي:" وسهَّل لكم فيها طرقًا لمعاشكم ومتاجركم، لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية"[٦٨٩].

عن قتادة: "{وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا}، أي: طرقا"[٦٩٠].

عن السديّ: "{وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا}، قال: الطرق"[٦٩١].

القرآن

---

(٦٧٨) أخرجه الطبري(٧٣٤٢):ص٥٦٥/٦.

(٦٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٦٨٠) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٦٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٦٨٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٦٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٦٨٦) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦٨٧) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.

(٦٨٨) تفسير عبدالرزاق(٣٤٧١):ص٣٨٦/٣.

(٦٨٩) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٦٩٠) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.

(٦٩١) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.

{وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١)} [الزخرف :١١]

التفسير:

والذي نزل من السماء مطرًا بقدر، ليس طوفانًا مغرقًا ولا قاصرًا عن الحاجة؛ حتى يكون معاشًا لكم ولأنعامكم، فأحيينا بالماء بلدة مُقْفِرَة من النبات، كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة النبات والزرع، تُخْرَجون -أيها الناس- من قبوركم بعد فنائكم.

قوله تعالى:{وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا} [الزخرف :١١]، أي:" والذي نزل من السماء مطرًا بقدر، ليس طوفانًا مغرقًا ولا قاصرًا عن الحاجة؛ حتى يكون معاشًا لكم ولأنعامكم، فأحيينا بالماء بلدة مُقْفِرَة من النبات"(٦٩٢).

قال عكرمة:" ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة"(٦٩٣).

قال خالد بن معدان: "إن المطر ماء يخرج من تحت العرش فينزل من سماء إلى سماء حتى يجتمع في السماء الدنيا فيقع في شيء يقال له الإبزم فيجتمع فيه ثم يجئ السحاب السوداء فتدخله فتشربه مثل شرب الإسفنجة فيسوقها الله حيث يشاء"(٦٩٤).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الزخرف :١١]، أي:" كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة النبات والزرع، تُخْرَجون -أيها الناس- من قبوركم بعد فنائكم"(٦٩٥).

قال قتادة:" كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة"(٦٩٦).

عن سليمان بن موسى قال: قال أبو رزين العقيلي: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كيف يحيي الله الموتى؟ قال: ما أتيت على أرض من أرضك وهي مجدبة؟ قلت: بلى. ثم أتيت عليها وهي مخصبة؟ قلت: بلى. ثم أتيت عليها وهي مجدبة؟ قلت: بلى: ثم أتيت عليها وهي مخصبة؟ قلت: بلى، قال: كذلك النشور"(٦٩٧).

القرآن

{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢)} [الزخرف :١٢]

التفسير:

والذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات، وجعل لكم من السفن ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون في البر.

قوله تعالى:{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} [الزخرف :١٢]، أي:" والذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات"(٦٩٨).

قال الحسن:" يعني: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماء والأرض، وكل اثنين، فالواحد منهما زوج"(٦٩٩).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} [الزخرف :١٢]، أي:" وجعل لكم من السفن ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون في البر"(٧٠٠).

---

(٦٩٢) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٦٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٢٧):ص٦١/١.
(٦٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٢٥):ص٦١/١.
(٦٩٥) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٦٩٦) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢١.
(٦٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧١):ص٢٧٤/١.
(٦٩٨) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٦٩٩) حكاه عنه ابن ابي زمنين في التفسير: ١٧٧/٤.
(٧٠٠) التفسير الميسر: ٤٩٠.

عن مجاهد: "الفلك: السفينة"[٧٠١].

القرآن

{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)} [الزخرف :١٣-١٤]

التفسير:

لكي تستووا على ظهور ما تركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا ركبتم عليه، وتقولوا: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مطيقين، ولتقولوا أيضًا: وإنا إلى ربنا بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.

قوله تعالى:{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} [الزخرف :١٣]، أي:" لكي تستقروا على ظهور ما تركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا ركبتم عليه"[٧٠٢].

عن قتادة، قوله: "{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ}: يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، وإذا ركبتم الإبل قلتم: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}، ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعا تقولون: اللهمّ أنزلنا منزلا مباركًا وأنت خير المنزلين"[٧٠٣].

قوله تعالى:{وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [الزخرف :١٣]، أي:" وتقولوا بألستنكم عند ركوبكم: سبحان الله الذي ذلّل ويسَّر لنا ركوب هذا المركوب، وما كنا له مطيقين لركوبه لولا تسخيره تعالى لنا"[٧٠٤].

عن مجاهد، قوله:"{مُقْرِنِينَ}، قال: الإبل والخيل والبغال والحمير"[٧٠٥].

عن قتادة: "{وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، أي: مُطِيقين، لا والله لا في الأيدي ولا في القوّة"[٧٠٦]. وفي رواية:" «في العتاد في القوة»[٧٠٧].

قال قتادة:" أي مُطِيقين، لا والله لا في الأيدي ولا في القوّة"[٧٠٨].

عن السدي:" {وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، قال: مُطِيقين"[٧٠٩].

قال معمر: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: {وما كنا له مقرنين}، فلم يجبنى، فقلت: انى سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول ياأبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر - وقد قال (-صلى الله عليه وسلم-) : اذا ذكر القدر فأمسكوا - لما عدلت به أحدا من أهل دهره"[٧١٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف :١٤]، أي:" ولتقولوا أيضًا: وإنا إلى ربنا بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون"[٧١١].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إنا إلى ربنا منقلبون}، يعني: إنا إلى ربنا راجعون"[٧١٢].

---

(٧٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٢٧):ص٣٠٨/١٥.
(٧٠٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٧٠٣) اخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٧٠٤) صفوة التفاسير: ١٤١/٣.
(٧٠٥) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٧٠٦) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٧٠٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٥٣):١٦٥/٣.
(٧٠٨) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٧٠٩) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢١.
(٧١٠)وفيات الاعيان ٤ / ٨٥، نكت الهميان ٢٣١.
(٧١١) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٧١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٧):ص١٥٣٧/٥.

عن مجاهد: "من ركب ولم يقل: {سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين}، قال له الشيطان: تغنه فإن لم يحسن قال له تمنه"[٧١٣].

عن ابن طاووس، عن أبيه:" أنه كان إذا ركب قال: اللهمّ هذا من منك وفضلك، ثم يقول: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}"[٧١٤].

وفي رواية: "أنه كان «إذا ركب قال: بسم الله، اللهم إن هذا من منك وفضلك علينا، الحمد لله ربنا» ، ثم يقول: {سبحان الذي سخر لنا هذا} [الزخرف: ١٣] الآية"[٧١٥].

وحكي ابن ابي زمنين عن طاووس: "حق على كل مسلم إذا ركب دابةً أو سفينة أن يقول: «اللهم لك الحمد هذا من فضلك ونعمك علينا، فلك الحمد ربنا، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»، أي: راجعون إلى الله من آخر عمرنا على مركب آخر، وهو الجنازة، أمروا بهذا وعظا"[٧١٦].

عن علي بن ربيعة، أنه شهد عليا حين ركب، فلما «وضع رجله في الركاب، قال:» بسم الله «، فلما استوى قال:» الحمد لله «ثم قال: {سبحان الذي سخر لنا هذا} [الزخرف: ١٣] الآية، حتى {لمنقلبون} [الزخرف: ١٤] ثم حمد الله ثلاثا، وكبر ثلاثا، ثم قال:«لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله؟ قال:«العبد - أو قال: عجبت للعبد - إذا قال: لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو»"[٧١٧].

عن عبد الله بن عمر: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان إذا ركب راحلتَه كبَّر ثلاثاً، ثم قال: «{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}»، ثم يقول: «اللهم إني أسألك في سفري هذا البرَّ والتقوى، ومنَ العمل ما تَرْضى، اللهم هون علينا السفر، واطْوِلنَا البعيد، اللهم أنتَ الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصْحبنا في سفرنا، واخْلُفْنَا في أهلنا»، وكان إذا رجع إلى أهله قال: «آيبون تائبون إن شاء الله، عابدون حامدون»"[٧١٨].

وروي عن أبي الزبير، أن عليا الأزدي، أخبره أن ابن عمر علمهم:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[٧١٩].

عن أبي مجلز، قال: "ركبت دابة، فقلت: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، فسمعني رجل من أهل البيت- قال أبو كُرَيب والهباريّ: قال المحاربيّ: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما-، فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا

---

(٧١٣) حكاه النحاس في معاني القرآن: ٣٤٠/٦.
(٧١٤) اخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٧١٥) جامع معمر بن راشد(١٩٤٧٩):ص٣٩٦/١٠.
(٧١٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٦١/٢.
(٧١٧) جامع معمر بن راشد(١٩٤٨٠):ص٣٩٦/١٠.
(٧١٨) أخرجه أحمد(٦٣١١):ص٥٠٢/٥-٥٠٣، والترمذي (٣٤٤٧) في الدعوات: باب ما يقول إذا ركب الناقة، والدارمي ٢٨٥/٢، والحاكم ٢٥٤/٢، ورواه أبو داود(٢٥٩٩):ص٣٣/٣، وزاد في آخره: "وكان النبي -صلي الله عليه وسلم - وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبَّحوا، فوضعت الصلاة على ذلك".
(٧١٩) أخرجه مسلم(١٣٤٢):ص٩٧٨/٢، والترمذي (٣٧٥٠)، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٠٢).

الإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أُخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما، ثم يقول بعد ذلك: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}"[٧٢٠].

وحكى سليمان بن يسار:" أن قوماً كانوا في سفر، فكانوا إذا ركبوا قالوا : {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي لا تتحرك هزالاً فقال أما أنا فإني لهذه مقرن، قال فقصمت به فدقت عنقه"[٧٢١].

القرآن

{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥)} [الزخرف :١٥]

التفسير:

وجعل هؤلاء المشركون لله مِن خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة: بنات الله. إن الإنسان لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، مظهر لجحوده وكفره يعدِّد المصائب، وينسى النعم.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} [الزخرف :١٥]، أي:" وجعل هؤلاء المشركون لله مِن خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة: بنات الله"[٧٢٢].

عن السديّ: "{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا}، قال: البنات"[٧٢٣].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} [الزخرف :١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن معنى «الجزء» -هاهنا-: العدل والشبيه، وذلك أنهم عبدوا الملائكة والجن، فجعلوهم لله عدلًا وشبيهًا، وهذا معنى قول قتادة[٧٢٤].

عن قتادة:" {وجَعَلُوا لَهُ مِن عِبادِهِ جُزْءًا}، قال: عِدلًا"[٧٢٥].

الثاني : أن معنى:«جُزْءًا»: نصيباً، قاله الضحاك[٧٢٦].

قال عطاء الخراساني:" جعلوا له نصيبا وشريكا من عباده"[٧٢٧].

الثالث : أن المراد بـ«الجزء» -هنا-: الملائكة، فإنهم جعلوهم أولادا لله سبحانه. قاله مجاهد[٧٢٨].

قال مجاهد:" يعني: الملائكة، حيث جعلوهم بنات الله"[٧٢٩].

القرآن

{أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦)} [الزخرف :١٦]

التفسير:

---

(٧٢٠) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢١.

(٧٢١) النكت والعيون: ٢١٨/٥.

(٧٢٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٢٣) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٧٢٤) أخرجه الطبري:٥٧٨/٢١، وعبدالرزاق في التفسير(٢٧٥٦):ص١٦٦/٣، والبخاري في «خلق أفعال العباد»: ٥٣.

(٧٢٥) أخرجه الطبري:٥٧٨/٢١، وعبدالرزاق في التفسير(٢٧٥٦):ص١٦٦/٣، والبخاري في «خلق أفعال العباد»: ٥٣.

(٧٢٦)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٢٢٦):ص٩١.

(٧٢٧)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٢٢٦):ص٩١.

(٧٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٢.

(٧٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٢، ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٧٩ -.

بل أتزعمون -أيها الجاهلون- أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصَّكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

عن السدي، في قوله: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ} [النحل: ٥٧]، "يعني: ويصفون لله البنات"(٧٣٠).

القرآن

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)} [الزخرف :١٧]

التفسير:

وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى -التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله- صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعالى الله وتقدَّس عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا.

قوله تعالى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا} [الزخرف :١٧]، أي:" وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى -التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله"(٧٣١).

عن قتادة، قوله: "{بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا} بما جعل لله"(٧٣٢).

عن مجاهد، قوله: "{بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا}، قال: ولدا"(٧٣٣).

قوله تعالى:{ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [الزخرف :١٧]، أي:" صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب"(٧٣٤).

عن قتادة: "{وَهُوَ كَظِيمٌ}، أي: حزين"(٧٣٥).

قال قتادة: "يقول: جعلوا له البنات وهم إذا بشِّر أحدهم بهنّ ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم"(٧٣٦).

قال قتادة:" هذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله بخبث صنيعهم. فأما المؤمن، فهو حقيق إن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما ندري أنه لخير لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه، فكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته"(٧٣٧).

قال السدي:" كانت العرب يقتلون ما ولد لهم من جارية فيدسونها في التراب وهي حية، حتى تموت"(٧٣٨).

القرآن

{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)} [الزخرف :١٨]

التفسير:

أتجترئون وتنسبون إلى الله تعالى مَن يُرَبَّى في الزينة، وهو في الجدال غير مبين لحجته; بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

قوله تعالى:{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} [الزخرف :١٨]، أي:" أيجعلون لله من يُربَّى في الزينة وينشأ ويكبر عليها وهنَّ الإناث؟"(٧٣٩).

---

(٧٣٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٩/١.

(٧٣١) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٣٢) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢١-٥٧٩.

(٧٣٣) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢١.

(٧٣٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٣٥) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢١.

(٧٣٦) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.

(٧٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٣):ص٢٢٨٧/٧.

(٧٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٤):ص٢٢٨٧/٧.

وفي قوله تعالى:{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} [الزخرف :١٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : يعني: الجواري والنساء، قاله مجاهد[٧٤٠]، وقتادة[٧٤١]، والسدي[٧٤٢].
قال قتادة: "الجواري، يسفههنّ بذلك، غير مبين بضعفهنّ"[٧٤٣].
قال مجاهد:" الجواري، جعلتموهنّ للرحمن ولدا، كيف تحكمون"[٧٤٤].
عن مجاهد، قال: "رخص للنساء في الحرير والذهب، وقرأ :{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، قال: يعني المرأة"[٧٤٥].
الثاني : يعني: الأصنام، قاله زيد بن أسلم[٧٤٦].
قال زيد: "إن الذي قال الله الذي {ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين}، إنها الأصنام"[٧٤٧].
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر"[٧٤٨].
وفى قراءة عبد الله: «أومن لا ينشؤا إلا فى الحلية»[٧٤٩].
قوله تعالى:{وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف :١٨]، أي:" وهو في الجدال غير مبين لحجته; بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟"[٧٥٠].
عن السدي:" {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، قال: النساء"[٧٥١].
عن قتادة، قال: "وأما قوله:{وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، يقول: قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها"[٧٥٢].

القرآن
{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)} [الزخرف :١٩]
التفسير:
وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، أحَضَروا حالة خَلْقهم حتى يحكموا بأنهم إناث؟ ستُكتب شهادتهم، ويُسألون عنها في الآخرة.
قوله تعالى:{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا} [الزخرف :١٩]، أي:" وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا"[٧٥٣].

---

(٧٣٩) صفوة التفاسير: ١٤٢/٣.
(٧٤٠)انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢١.
(٧٤١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٤٢)انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢١.
(٧٤٣) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٤٤) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢١-٥٨٠.
(٧٤٥) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢١.
(٧٤٦) انظر: التفسير الجامع لابن وهب(٢٨٣):ص١٤٠:٢.
(٧٤٧) انظر: التفسير الجامع لابن وهب(٢٨٣):ص١٤٠:٢.
(٧٤٨) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢١-٥٨١.
(٧٤٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩/٣.
(٧٥٠) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٧٥١) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.
(٧٥٢) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.

عن السُّدّيّ: "{وجَعَلُوا المَلائِكَة}، يعني: وصَفوا"[٧٥٤].

عَن قَتَادَة: "{وَجعلُوا الْمَلَائِكَة الَّذين هم عباد الرَّحْمَن إِنَاثًا}، قَالَ: قد قَالَ ذَلِك أنَاس من النَّاس وَلَا نعلمهُمْ إِلَّا الْيَهُود: أن الله عز وَجل صاهر الْجِنّ فَخرجت من بنيه الْمَلَائِكَة"[٧٥٥].

عن سعيد بن جبير، قال: "كنت أقرأ هذا الحرف: {الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا}، فسألت ابن عباس فقال: {عِبَادُ الرَّحْمَنِ}، قلت: فإنها في مصحفي «عند الرحمن»، قال: فامحها واكتبها {عِبَادُ الرَّحْمَنِ}، بالألف والباء. وقال: أتاني رجل اليوم وددت أنه لم يأتني فقال: كيف تقرأ هذا الحرف: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا}، قال: إن أناسا يقرءون «الذين هم عند الرحمن» فسكت عنه، فقلت: اذهب إلى أهلك!"[٧٥٦].

القرآن

{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)} [الزخرف :٢٠]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحدًا من دونه، وهذه حجة باطلة، فقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاحتجاجهم بالقضاء والقَدَر مِن أبطل الباطل مِن بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون مِن ذلك مِن علم، وإنما يقولونه تخرُّصًا وكذبًا؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} [الزخرف :٢٠]، أي:" وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحدًا من دونه"[٧٥٧].

عن مجاهد، قوله: "{لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}، يعنون الأوثان، لأنهم عبدوا الأوثان"[٧٥٨].

قوله تعالى:{مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} [الزخرف :٢٠]، أي:" ما لهم بحقيقة ما يقولون مِن ذلك مِن علم"[٧٥٩].

قال مجاهد:"يقول الله: {مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ}، يعني: الأوثان أنهم لا يعلمون "[٧٦٠].

وقال قتادة: عبدوا الملائكة"[٧٦١].

قوله تعالى:{إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الزخرف :٢٠]، أي:" إنما يقولونه تخرُّصًا وكذبًا؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان"[٧٦٢].

قال مجاهد، قوله:" "{إِنْ هُمْ إلا يَخْرُصُونَ}، قال: ما يعلمون قدرة الله على ذلك"[٧٦٣].

وفي رواية:" لم يعلموا قدرة الله عز وجل على ذلك"[٧٦٤].

---

(٧٥٣) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٥٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٨٠ -.

(٧٥٥) الدر المنثور: ٣٧١/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر.

(٧٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٩٨):ص٣٢٨١/١٠-٣٢٨٢، والحاكم في المستدرك على الصحيحين(٣٦٧٠):ص٤٨٥/٢، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٧٥٧) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٩٩):ص٣٢٨٢/١٠، والطبري :٥٨٣/٢١.

(٧٥٩) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٩٩):ص٣٢٨٢/١٠، والطبري :٥٨٣/٢١.

(٧٦١) الدر المنثور: ٣٧٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧٦٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٦٣)أخرجه الطبري :٥٨٣/٢١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٩٩):ص٣٢٨٢/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٣٧٢/٧. وفي المصدرين الأخيرين: " يعلمون قُدرة الله على ذلك". بدون «ما» في أوله.

(٧٦٤) تفسير مجاهد: ٥٩٣.

القرآن

{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢)} [الزخرف :٢٢]

التفسير:

بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في الوليد بن المغيرة، وصخر بن حرب، وأبي جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، كلهم من قريش"(٧٦٥).

قوله تعالى:{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} [الزخرف :٢٢]، أي:" بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين"(٧٦٦).

عن مجاهد، قوله: "{عَلَى أُمَّةٍ}: مِلَّة"(٧٦٧).

قال مجاهد:" يقول: وجدنا آباءنا على دين"(٧٦٨).

عن السديّ: "{قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}، قال: على دين"(٧٦٩).

قال قتادة: "قد قال ذلك مشركو قريش: إنا وجدنا آباءنا على دين"(٧٧٠).

قوله تعالى:{وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف :٢٢]، أي:" وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم"(٧٧١).

قال قتادة:" وإنّا مُتَّبعوهم على ذلك"(٧٧٢).

القرآن

{وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣)} [الزخرف :٢٣]

التفسير:

وكذلك ما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- في قرية مِن نذير ينذرهم عقابنا على كفرهم بنا، فأنذروهم وحذَّروهم سخَطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إنَّا وجدنا آباءنا على ملة ودين، وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} [الزخرف :٢٣]، أي:" وكذلك ما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- في قرية مِن نذير ينذرهم عقابنا على كفرهم بنا، فأنذروهم وحذَّروهم سخَطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إنَّا وجدنا آباءنا على ملة ودين"(٧٧٣).

---

(٧٦٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٢/٣.

(٧٦٦) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٦٧) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٧٦٨) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٧٦٩) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٧٧٠) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٧٧١) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٧٧٢) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢١.

(٧٧٣) التفسير الميسر: ٤٩١.

عن قتادة، قوله: "{إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا}، قال: رؤساؤهم وأشرافهم"[٧٧٤].
وقال قتادة:" قادتهم ورءوسهم فى الشرك"[٧٧٥].
قوله تعالى:{وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف :٢٣]، أي:" وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون"[٧٧٦].
عن مجاهد، قوله: "{وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}، قال: بفعلهم"[٧٧٧].
قال مجاهد:" أي: نقتدي بفعلهم"[٧٧٨].
قال قتادة:" فاتبعوهم على ذلك"[٧٧٩].

القرآن
{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)} [الزخرف :٢٥]
التفسير:
فانتقمنا من هذه الأمم المكذبة رسلها بإحلالنا العقوبة بهم خَسْفًا وغرقًا وغير ذلك، فانظر -أيها الرسول- كيف كان عاقبة أمرهم إذ كذبوا بآيات الله ورسله؟ وليحْذَر قومك أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.
عن قتادة: "{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، قال: شر والله، أخذهم بخسف وغرق، ثم أهلكهم فأدخلهم النار"[٧٨٠].

القرآن
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)} [الزخرف :٢٦]
التفسير:
واذكر -أيها الرسول- إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده قومك: إنني براء مما تعبدون من دون الله.
عن قتادة، قوله: "{إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}، يقول: إنني بريء مما تعبدون، إلا الذي خلقني"[٧٨١].
عن قتادة، قوله: "{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبيهِ وَقَوْمِهِ}، ... الآية، قال: كايدهم، كانوا يقولون: إن الله ربنا: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، فلم يبرأ من ربه"[٧٨٢].
وفي قراءة ابن مسعود: «بريء»[٧٨٣].

القرآن
{إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)} [الزخرف :٢٧]
التفسير:

---

(٧٧٤) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢١.
(٧٧٥) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢١.
(٧٧٦) التفسير الميسر: ٤٩١.
(٧٧٧) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢١.
(٧٧٨) تفسير مجاهد: ٥٩٣.
(٧٧٩) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢١.
(٧٨٠) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢١.
(٧٨١) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٨٢) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٨٣) انظر: تفسير السمعاني: ٩٨/٥.

إلا الذي خلقني، فإنه سيوفقني لاتباع سبيل الرشاد.
عن قتادة: "{إلا الَّذِي فَطَرَنِي}، قال: خلقني"[٧٨٤]، وروي عن السدي مثله[٧٨٥].

القرآن
{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)} [الزخرف :٢٨]
التفسير:
وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية فيمَن بعده؛ لعلهم يرجعون إلى طاعة ربهم وتوحيده، ويتوبون من كفرهم وذنوبهم.
قوله تعالى:{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} [الزخرف :٢٨]، أي:" وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» باقية فيمَن بعده"[٧٨٦].
وفي قوله تعالى:{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} [الزخرف :٢٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : يعني: «لا إله إلا الله»، لم يزل في ذريته من يقولها، قاله مجاهد[٧٨٧]، وقتادة[٧٨٨]، وعكرمة[٧٨٩]، والسدي[٧٩٠]،.
قال قتادة:" شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده"[٧٩١].
قال قتادة:" التوحيد والإخلاص، ولا يزال في ذريّته من يوحد الله ويعبده"[٧٩٢].
الثاني : الإسلام، لقوله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} [الحج : ٧٨][٧٩٣]، وقوله: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ } [البقرة : ١٢٨][٧٩٤]، وقوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة : ١٣٢][٧٩٥]. قاله عكرمة[٧٩٦]، والقرظي[٧٩٧].
وفي قوله تعالى: {فِي عَقِبِهِ} [الزخرف :٢٨]، وجهان:
أحدهما : ولده، قاله مجاهد[٧٩٨]، عكرمة[٧٩٩].
قال عكرمة:" أوصى بها ولده"[٨٠٠].
قال ابن شهاب:" العقب: الولد، وولد الولد"[٨٠١].
الثاني : في آل محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله السدي[٨٠٢].

---

(٧٨٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٩٥، والطبري(١٨٢٦٠):ص ٥٣٨/١٥.
(٧٨٥) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٨٦) التفسير الميسر: ٤٩١.
(٧٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٨٩) انظر: تفسير سفيان الثوري(٨٧٢ ٢٨: ٢: ١٨):ص٢٧٠.
(٧٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٩١) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٩٢) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٧٩٣) قاله ابن زيد، انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.
(٧٩٤) قاله ابن زيد، انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١، وقرأ: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة : ١٣١].
(٧٩٥) قاله القرظي، انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٦):ص١٤٦/٢.
(٧٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٥٠٠):ص٣٢٨٢/١٠.
(٧٩٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٦):١٤٦/٢.
(٧٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.
(٧٩٩) انظر:تفسيرابن أبي حاتم(١٨٥٠٠):ص٣٢٨٢/١٠.
(٨٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٠٠):ص٣٢٨٢/١٠.
(٨٠١) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢١.
(٨٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.

القرآن

{بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩)} [الزخرف :٢٩]

التفسير:

بل متعتُ -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم مِن قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبيِّن لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

قوله تعالى:{بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ} [الزخرف :٢٩]، أي:" بل متعتُ -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم مِن قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم"(٨٠٣).

عن قتادة:" أنّه كان يقرؤها: (بَلْ مَتَّعْتَ هَؤُلَآءِ) بنصب التاء"(٨٠٤).

قوله تعالى:{حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ} [الزخرف :٢٩]، أي:" حتى جاءهم القرآن ورسول يبيِّن لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم"(٨٠٥).

عن الضحاك: {حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ}، "قال: الإسلام"(٨٠٦).

عن قتادة بن دعامة: (بَلْ مَتَّعْتَ هَؤُلاءِ وآباءَهُمْ حَتّى جاءَهُمُ الحَقُّ ورَسُولٌ مُبِينٌ)، قال: هذا قول أهل الكتاب لهذه الأمة"(٨٠٧).

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠)} [الزخرف :٣٠]

التفسير:

ولما جاءهم القرآن من عند الله قالوا: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحرٌ يسحرنا به، وليس بوحي مِن عند الله، وإنا به مكذِّبون.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في: سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وعتبة وشيبة"(٨٠٨).

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} [الزخرف :٣٠]، أي:" ولما جاءهم القرآن من عند الله"(٨٠٩).

قال قتادة: "هم اليهود"(٨١٠).

قوله تعالى:{قَالُوا هَذَا سِحْرٌ} [الزخرف :٣٠]، أي: قالوا: "هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحرٌ يسحرنا به، وليس بوحي مِن عند الله"(٨١١).

قال السدي:" هؤلاء قريش، قالوا القرآن الذي جاء به محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: هذا سحر"(٨١٢).

---

(٨٠٣) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٨٠٤) الدر المنثور: ٣٧٤/٧، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

وهي قراءة شاذة، تروى أيضًا عن الأعمش، وقراءة العشرة: {بَلْ مَتَّعْتُ} برفع التاء. انظر: المحرر الوجيز ٥/ ٥٢، والبحر المحيط ٨/ ١٤.

(٨٠٥) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٨٠٦) تفسير الثعلبي: ٤٢٧/٢٣. ط. دار التفسير، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٢/٢٠، وذكره البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢١١، وابن عادل في "اللباب" ٢٥٣/ ١٧، والخازن في "تفسيره" ٤/ ١٠٤ ولم ينسبه.

(٨٠٧) الدر المنثور: ٧/ ٣٧٤، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٨٠٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٣/٣.

(٨٠٩) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٨١٠) نحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧٦/٤. بدون سند.

(٨١١) تفسير الطبري: ٥٩١/٢١.

(٨١٢) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢١.

القرآن

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)} [الزخرف :٣١]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون مِن قريش: إنْ كان هذا القرآن مِن عند الله حقًا، فهلا نُزِّل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين «مكة» أو «الطائف».

سبب نزول الآيتان: [٣١-٣٢]:

قال ابن عباس:" لَمّا بعَث اللهُ محمدًا - صلى الله عليه وسلم - رسولًا أنكَرَتِ العربُ ذلك، أو مَن أنكر منهم، فقالوا: اللهُ أعظمُ مِن أن يكونَ رسولُه بشرًا مثلَ محمدٍ. فأنزل الله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَى رَجُلٍ مِنهُم} الآية، {وَمَآ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجالًا} الآية [الأنبياء: ٧]. فلمّا كَرَّر الله عليهم الحُجَجَ قالوا: وإذا كان بشرًا فغيرُ محمدٍ كان أحقَّ بالرسالةِ، {لَوْلا نُزِلَ هَذا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١]، يقول: أشرَفَ مِن محمدٍ، يَعْنون: الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفيَّ من الطائف؛ فأنزَل الله ردًا عليهم: {أَهُمْ يَقسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِكَ} الآية [الزخرف: ٣٢]"[٨١٣].

عن قتادة:" القريتان: الطائف ومكة"[٨١٤].

عن عطاء الخراساني:" {من القريتين عظيم}، قال: مكة، والطائف"[٨١٥].

وفي عظيم «مكة»، قولان:

أحدهما : أنه الوليد بن المغيرة القرشيّ، قاله قتادة[٨١٦]، والسدي[٨١٧]، والشعبي[٨١٨].

قال قتادة:" الرجل: الوليد بن المغيرة، قال: لو كان ما يقول محمد حقا أنزل عليّ هذا"[٨١٩].

قال قتادة:" القريتان: مكة والطائف; قال: قد قال ذلك مشركو قريش، قال: بلغنا أنه ليس فخذ من قريش إلا قد ادّعته، وقالوا: هو منا، فكنا نحدّث أن الرجلين: الوليد بن المغيرة، وعروة الثقفي أبو مسعود، يقولون: هلا كان أنزل على أحد هذين الرجلين"[٨٢٠].

الثاني : عتبة بن ربيعة، قاله مجاهد[٨٢١].

قال مجاهد:" هو عُتبة بن ربيعة، وكان ريحانة قريش يومئذ"[٨٢٢].

وأما عظيم «الطائف»، ففيه أربعة أقوال:

أحدها : عمير بن عبد ياليل الثقفي، قاله مجاهد[٨٢٣].

الثاني : عروة ابن مسعود الثقفي، قاله قتادة[٨٢٤].

---

(٨١٣)أخرجه ابن جرير:١٣/١٥، و٢٠٨/١٧، و٥٩٤/٢١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٢ (١٠١٩٣)، من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به.

إسناده ضعيف جِدًّا؛ فيه بشر بن عمارة، قال عنه ابن حجر في التقريب (٦٩٧): «ضعيف». والضحّاك معروف بكثرة الإرسال، ولم يسمع من ابن عباس شيئًا، ولم يَرَه، كما في جامع التحصيل للعلائي ص ١٩٩.

(٨١٤) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢١، ٥٩٣.

(٨١٥)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩١.

(٨١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٨١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٨١٨) الدر المنثور: ٣٧٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٨١٩) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٨٢٠) اخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٨٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٣.

(٨٢٢)أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١ مختصرًا، وعبد بن حميد -كما في الفتح ٦/ ٣١٥ - مصرحًا بلفظ النُّزول. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٣٧٥/٧، إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم.

(٨٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٣.

(٨٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

الثالث : أنه كنانة بن عبد بن عمرو بن عمير، قاله السدي[٨٢٥]، والشعبي[٨٢٦].

والظاهر : أنهم قصدوا إلى من عظم ذكره بالسن والقدم، وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حينئذ أعظم من هؤلاء، لكن لما عظم أولئك قبل مدة النبي وفي صباه استمر ذلك لهم[٨٢٧]، فإن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان[٨٢٨]، وقيل: قول قتادة أشبه بالصواب، لأن معمرا روى عنه، أنه قال: «قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقا، أنزل علي أو على أبي مسعود الثقفي». فخبر قتادة بسبب نزول الآية"[٨٢٩].

القرآن

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)} [الزخرف :٣٢]

التفسير:

أهم يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاؤوا؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات: هذا غنيٌّ وهذا فقير، وهذا قويٌّ وهذا ضعيف؛ ليكون بعضهم مُسَخَّرًا لبعض في المعاش. ورحمة ربك -أيها الرسول- بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني.

قوله تعالى:{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف :٣٢]، أي:" نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات"[٨٣٠].

قال قتادة:" فتلقاه ضعيف الحيلة، عي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله جلّ ثناؤه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى"[٨٣١].

وقرأ ابن مسعود والأعمش: «معائشهم»[٨٣٢].

قوله تعالى:{وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف :٣٢]، أي:" فضلنا بين الخلق في الرزق والعيش، وجعلناهم مراتب: هذا غني، وهذا فقير، وهذا قويٌّ وهذا ضعيف، ليكون كلٌ منهم مسخراً للآخر، ويخدم بعضهم بعضاً، لينتظم أمر الحياة"[٨٣٣].

وفي قوله تعالى:{لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف :٣٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : خدماً، يعني: ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا قاله السدي[٨٣٤].

قال السدي:" يستخدم بعضهم بعضا في السخرة"[٨٣٥].

الثاني : ملكاً، يعني: ليملك بعضهم بعضا. قاله الضحاك[٨٣٦]، وقتادة[٨٣٧].

---

(٨٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢١.
(٨٢٦) الدر المنثور: ٣٧٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.
(٨٢٧) المحرر الوجيز: ٥٣/٥.
(٨٢٨) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٧.
(٨٢٩) معاني القرآن للنحاس: ٣٥١/٦.
(٨٣٠) التفسير الميسر: ٤٩١.
(٨٣١) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢١.
(٨٣٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣/٥.
(٨٣٣) التفسير الميسر: ٤٩١، وصفوة التفاسير: ١٤٥/٣.
(٨٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.
(٨٣٥) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.
(٨٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.

قال الضحاك:" يعني بذلك: العبيد والخدم، سخر لهم"[٨٣٨].
قوله تعالى:{وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف :٣٢]، أي:" ورحمة ربك -أيها الرسول- بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني"[٨٣٩].
عن قتادة: "{وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، يعني: الجنة"[٨٤٠].
قال السدي:" يقول: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا"[٨٤١].

القرآن
{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)} [الزخرف :٣٣]
التفسير:
ولولا أن يكون الناس جماعة واحدة على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة وسلالم عليها يصعدون.
قوله تعالى:{ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الزخرف :٣٣]، أي:" ولولا أن يرغب الناسُ في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الرزق، ويصيروا أمةً واحدة في الكفر"[٨٤٢].
قال قتادة: «لولا أن يكون الناس كفارا»، وفي لفظ:" أي: كفارا كلهم"[٨٤٣].
قال السدي:" كفارا على دين واحد"[٨٤٤].
قال الحسن:" لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون، يميلون إلى الدنيا، لجعل الله تبارك وتعالى الذي
قوله تعالى:{لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ} [الزخرف :٣٣]، أي:" لخصصنا هذه الدنيا بالكفار، وجعلنا لهم القصور الشاهقة المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش، سقفها من الفضة الخالصة"[٨٤٥].
قال قتادة:" السقف: أعلى البيوت"[٨٤٦].
عن الشعبي: "{سقفا من فضة}، قال جزوعا"[٨٤٧].
وقرئ: «سَقْفا»، بفتح السين وسكون القاف[٨٤٨].
قوله تعالى:{وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف :٣٣]، أي:" وجعلنا لهم مصاعدَ وسلالم من فضة عليها يرتقون ويصعدون"[٨٤٩].
قال السدي:" المعارج: المراقي"[٨٥٠].
قال قتادة:" أي: دَرجا عليها يصعدون"[٨٥١]. وفي رواية:" درج عليها يرفعون"[٨٥٢].

---

(٨٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.
(٨٣٨) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.
(٨٣٩) التفسير الميسر: ٤٩١.
(٨٤٠) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.
(٨٤١) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.
(٨٤٢) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.
(٨٤٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٧٦٣):ص١٦٨/٣، وتفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.
(٨٤٤) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢١.
(٨٤٥) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.
(٨٤٦) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢١.
(٨٤٧) رواه سفيان، كما في معاني القرآن للنحاس: ٣٥٤/٦.
(٨٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.
(٨٤٩) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.
(٨٥٠) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

عن سهل بن سعد، قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة، فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها، فقال: «أترون هذه هينة على صاحبها؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها قطرة أبدا»"[٨٥٣].

القرآن

{وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)} [الزخرف :]

التفسير:

وجعلنا لبيوتهم أبوابًا من فضة، وجعلنا لهم سررًا عليها يتكئون، وجعلنا لهم ذهبًا، وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل، ونعيم الآخرة مدَّخر عند ربك للمتقين ليس لغيرهم.

قوله تعالى:{وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ} [الزخرف :٣٥]، أي:" ولجعلنا لبيوت الكفار أبوابًا من فضة وسررا من فضة، على تلك الأسرَّة الفضيَّة يتكئون ويجلسون"[٨٥٤].

عن الشعبي:" {وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ}، قال: مِن فِضّة، وأبواب من فِضّة"[٨٥٥].

قوله تعالى:{وَزُخْرُفًا} [الزخرف :٣٥]،أي:" وجعلنا لهم ذهبًا"[٨٥٦].

وفي قوله تعالى:{وَزُخْرُفًا} [الزخرف :٣٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه الذهب : قاله الحسن[٨٥٧]، ومجاهد[٨٥٨]، وقتادة[٨٥٩]، والضحاك[٨٦٠]، والسدي[٨٦١]، ومنه قول ذي الأصبع[٨٦٢]:

زخآرف أشباهاً تخال بلوغها .. سواطع جمر من لظى يتلهب

قال مجاهد:" قال كنت لا أدري ما معنى: {وزخرفا}، حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود: «وذهبا»[٨٦٣].

وقال الحسن: "بيتا من ذهب"[٨٦٤].

قال قتادة:": الزخرف: الذهب، قال: قد والله كانت تكره ثياب الشهرة. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إياكم والحمرة فإنها من أحب الزينة إلى الشيطان»"[٨٦٥].

---

(٨٥١) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٨٥٢) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٨٥٣)أخرجه ابن ماجه (١٣٧٦/٢، رقم ٤١١٠) ، قال البوصيرى (٢١٣/٤) : إسناد ضعيف. والدارقطنى فى الأفراد كما فى أطراف ابن طاهر (٩٥/٣، رقم ٢١٣٤) ، والطبرانى (١٥٧/٦، رقم ٥٨٤٠) ، والحاكم (٣٤١/٤، رقم ٧٨٤٧) ، وقال: صحيح الإسناد. قال الذهبى: زكريا بن منظور ضعفوه. وأخرجه أيضا: البيهقى فى شعب الإيمان (٣٢٥/٧ رقم ١٠٤٦٥).

(٨٥٤) التفسير الوسيط: ٨٠٥/٩.

(٨٥٥)أخرجه إسحاق البستي ص ٣١٥.

(٨٥٦) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(٨٥٨) رواه شعبة، كما في معاني القرآن للنحاس: ٣٥٥/٦.

(٨٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(٨٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢١.

(٨٦١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(٨٦٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٢٥/٥.

(٨٦٣) رواه شعبة، كما في معاني القرآن للنحاس: ٣٥٥/٦.

(٨٦٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٦٦):ص١٦٨/٣، وأخرجه الطبري: ٦٠١/٢١. بتفاوت يسير في الألفاظ.

(٨٦٥) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢١.

قوله تعالى:{وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف :٣٥]، أي:" وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل"(٨٦٦).

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"(٨٦٧).

قوله تعالى:{وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} [الزخرف :٣٥]، أي:" ونعيم الآخرة مدَّخر عند ربك للمتقين ليس لغيرهم"(٨٦٨).

عن قتادة :"{وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} خصوصا"(٨٦٩).

ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام بغلته وقال: "يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة فأسلم اليهودي"(٨٧٠).

القرآن

{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)} [الزخرف :٣٦]

التفسير:

ومن يُعْرِض عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يَخَفْ عقابه، ولم يهتد بهدايته، نجعل له شيطانًا في الدنيا يغويه; جزاء له على إعراضه عن ذكر الله، فهو له ملازم ومصاحب يمنعه الحلال، ويبعثه على الحرام.

سبب النزول:

عن محمد بن عثمان المخرمي:" أن قريشا قالت: قيضوا لكل رجل رجلا من أصحاب محمد يأخذه، فقيضوا لأبي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر رضي الله عنه، إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى! قال أبو بكر رضي الله عنه: وما اللات؟ قال: ربنا قال: وما العزى؟ قال: بنات الله. قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهم؟ فسكت طلحة، فلم يجبه. فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فأنزل الله:{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا}، الآية"(٨٧١).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} [الزخرف :٣٦]، أي:" ومن يُعْرِض عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يَخَفْ عقابه، ولم يهتد بهدايته"(٨٧٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} [الزخرف :٣٦]، قولان:

أحدهما : معناه: يعرض عن ذكر الله، وهو القرآن. به قال قتادة(٨٧٣)، والسدي(٨٧٤).

الثاني : يَعْمَ بصره عن ذكر الرحمن. به قال عطاء(٨٧٥).

---

(٨٦٦) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.

(٨٦٨) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٦٩) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢١.

(٨٧٠) فيض القدير: ٥٤٦/٣.

(٨٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٠٥):ص٣٢٨٣/١٠.

(٨٧٢) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٤/٢١.

(٨٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٤/٢١-٦٠٥.

(٨٧٥) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي :٢٢٧، وانظر: زاد المسير: ٧٨/٤.

قوله تعالى:{نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف :٣٦]، أي:" نجعل له شيطانًا في الدنيا يغويه; جزاء له على إعراضه عن ذكر الله، فهو له ملازم ومصاحب يمنعه الحلال، ويبعثه على الحرام"[٨٧٦].

عن سعيد بن جبير:" أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار"[٨٧٧].

عن سعيد الجريري: "بلغنا أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره سفع بيده شيطان , فلا يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار فذلك حيث يقول: {يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين}، وأما المؤمن فيوكل به ملك حتى قال: «إنما يقضى بين الناس أو يصير إلى ما شاء الله»"[٨٧٨].

القرآن

{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)} [الزخرف :٣٧]

التفسير:

وإن الشياطين ليصدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيِّنون لهم الضلالة، ويكرِّهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته، ويظن هؤلاء المعرضون بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال أنهم على الحق والهدى.

قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} [الزخرف :٣٧]، أي:" وإن الشياطين ليصدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيِّنون لهم الضلالة، ويكرِّهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته"[٨٧٩].

عن قتادة:" {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ}، قَالَ: عَنِ الدّين"[٨٨٠].

القرآن

{حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨)} [الزخرف :٣٨]

التفسير:

حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والجزاء، قال لقرينه: وددت أن بيني وبينك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، فبئس القرين لي أنت؛ حيث أغويتني.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَنَا} [الزخرف :٣٨]، أي:" حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والجزاء"[٨٨١].

قال قتادة:" {حتى إذا جاءنا} هو وقرينه جميعا"[٨٨٢]. وفي رواية:" {حَتَّى إِذا جَاءَنَا} جَمِيعًا هُوَ وقرينه"[٨٨٣].

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص: {جَاءَنَا}، على التوحيد، يعني: ابن آدم، وقرأ الباقون:«جَاءَانَا»، على التثنية، يعني: ابن آدم وقرينه[٨٨٤].

---

(٨٧٦) التفسير الميسر: ٤٩٢.
(٨٧٧) النكت والعيون: ٢٢٦/٥.
(٨٧٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٦٧):ص١٦٩/٣.
(٨٧٩) التفسير الميسر: ٤٩٢.
(٨٨٠) الدر المنثور: ٣٧٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وَابْن جرير.
(٨٨١) التفسير الميسر: ٤٩٢.
(٨٨٢) اخرجه الطبري: ٦٠٦/٢١.
(٨٨٣) الدر المنثور: ٣٧٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وَابْن جرير.
(٨٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢١.

قوله تعالى:{قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} [الزخرف :٣٨]، أي:" قال لقرينه: وددت أن بيني وبينك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب"(٨٨٥).

عن قتادة، في قوله: {رب المشرقين ورب المغربين} [الرحمن: ١٧]، قال: "لها مشرق في الشتاء، ومشرق في الصيف، ومغرب في الشتاء، ومغرب في الصيف"(٨٨٦).

القرآن

{وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)} [الزخرف :٣٩]

التفسير:

ولن ينفعكم اليوم -أيها المعرضون- عن ذكر الله إذ أشركتم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون أنتم وقرناؤكم، فلكل واحد نصيبه الأوفر من العذاب، كما اشتركتم في الكفر.

عن السدي:" {فأغويناكم} قَالَ: الشَّيَاطِين تَقول {فأغويناكم} فِي الدُّنْيَا {إِنَّا كُنَّا غاوين} {فَإِنَّهُم يَوْمئِذٍ} وَمن أغووا فِي الدُّنْيَا {فِي الْعَذَاب مشتركون}"(٨٨٧).

القرآن

{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٠)} [الزخرف :٤٠]

التفسير:

أفأنت -أيها الرسول- تُسمع مَن أصمَّه الله عن سماع الحق، أو تهدي إلى طريق الهدى مَن أعمى قلبه عن إبصاره، أو تهدي مَن كان في ضلال عن الحق بيِّن واضح؟ ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي مَن يشاء، ويضلُّ مَن يشاء.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في رجل من كفار مكة"(٨٨٨).

قال المارتريدي:" جائز أن يكون قوله - تعالى -: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي}، إنما ذكر لإياس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن إيمان قوم علم الله - تعالى - أنهم لا يؤمنون، والله أعلم"(٨٨٩).

قوله تعالى:{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ} [الزخرف :٤٠]، أي:" أفأنت -أيها الرسول- تُسمع مَن أصمَّه الله عن سماع الحق"(٨٩٠).

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يفهمه"(٨٩١).

قوله تعالى:{أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الزخرف :٤٠]، أي:" أو تهدي إلى طريق الهدى مَن أعمى قلبه عن إبصاره أو تهدي مَن كان في ضلال عن الحق بيِّن واضح؟"(٨٩٢).

عن يحيى بن يعمر، قوله: "{وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم}، أي: ما تفعل ذلك"(٨٩٣).

---

(٨٨٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٨٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٣/٢.

(٨٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٦٨):ص٣٢٠٩/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٨٦/٧.

(٨٨٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٨٨٩) تاويلات أهل السنة: ١٦٧/٩.

(٨٩٠) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٩١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٦٤/٢. عن قتادة، في قوله: {إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى} وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [النمل: ٨٠] ،قال: "هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يفهمه كما لا يسمع الميت، ولا يسمع الأصم الدعاء إلا ولى مدبرا".

(٨٩٢) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٨٢):ص٢٩٢١/٩.

القرآن
{فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢)} [الزخرف :٤١-٤٢]
التفسير:
فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك، فإنَّا منهم منتقمون في الآخرة، أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر» ، فإنا عليهم مقتدرون نُظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.
قوله تعالى:{فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} [الزخرف : ٤١]، أي:" فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك، فإنَّا منهم منتقمون في الآخرة"(٨٩٤).
عن قتادة:" أنه تلا {فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون} [الزخرف: ٤١] قال: «ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبقيت النقمة ، ولم ير الله نبيه في أمته شيئا يكرهه ، ولم يكن نبي قط ، إلا قد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم»"(٨٩٥).
قوله تعالى:{أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} [الزخرف : ٤٢]، أي:" أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر» ، فإنا عليهم مقتدرون نُظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك"(٨٩٦).
واختلف أهل التفسير في المعنيين بهذا الوعيد في قوله تعالى: {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} [الزخرف : ٤٢]، ، وفيه قولان:
أحدهما: أنه عنى به أهل الشرك من قريش، وقالوا: قد أري الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم. وهذا معنى قول السدي(٨٩٧)، واكثر المفسرين(٨٩٨).
عن السديّ، قوله: "{فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ}، كما انتقمنا من الأمم الماضية. {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ}، فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه"(٨٩٩).
الثاني: أنه عني به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى أكرم نبيه على أن ينتقم منهم بحضرته وفي حياته، فوقعت النقمة منهم بعد أن ذهب به، وذلك في الفتن الحادثة في صدر الإسلام مع الخوارج وغيرهم. وهذا قول الحسن(٩٠٠)، وقتادة(٩٠١).
قال الحسن:" لقد كانت بعد نبي الله نقمة شديدة، فأكرم الله جلّ ثناؤه نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده"(٩٠٢).
قال قتادة:" ذهب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبقيت النقمة، ولم ير الله نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبيّ قطّ إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم. قال:

---

(٨٩٤) التفسير الميسر: ٤٩٢.
(٨٩٥) تفسير عبدالرزاق(٢٧٦٨):ص١٦٩/٣.
(٨٩٦) التفسيرالميسر: ٤٩٢.
(٨٩٧) انظر: تفسير الطبري :٦٠٩/٢١.
(٨٩٨) انظر: تفسير القرطبي: ٩٢/١٦.
(٨٩٩) أخرجه الطبري :٦٠٩/٢١.
(٩٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢١.
(٩٠١) انظر: تفسير الطبري :٦٠٨/٢١، وأخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٦٧):ص١٦٩/٣. باختصار.
(٩٠٢) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢١.

وذُكر لنا أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أري ما يصيب أمته بعده، فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله"[٩٠٣].

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة، عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره"[٩٠٤].

عن أبي بردة، عن أبيه، قال:" صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «أحسنتم أو أصبتم» قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[٩٠٥].

وروي عن جابر بن عبد الله: "عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون}، نزلت في علي بن أبي طالب أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي"[٩٠٦].

والقول الأول من توعد الكفار أكثر، والآية تتضمن وعيدا واقعا، وذهب جمهور العلماء إلى أن المتوعدين هم الكفار، وأن الله تعالى أرى نبيه الذي توعدهم في بدر والفتح وغير ذلك[٩٠٧].

والراجح هو القول الأول، لأن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجك من بينهم {فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ}، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذّبة رسلها. {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ} يا محمد من الظفر بهم، وإعلائك عليهم {فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك[٩٠٨].

فذهب جمهور العلماء إلى أن المتوعدين هم الكفار، وأن الله تعالى أرى نبيه الذي توعدهم في بدر والفتح وغير ذلك[٩٠٩].

القرآن

{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣)} [الزخرف :٤٣]

التفسير:

فاستمسك -أيها الرسول- بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك؛ إنك على صراط مستقيم، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} [الزخرف :٤٣]، أي:" فاستمسك -أيها الرسول- بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك"[٩١٠].

عن السدي:" {فاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} بالقرآن"[٩١١].

---

(٩٠٣) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢١.

(٩٠٤) رواه مسلم(٢٢٨٨):١٧٩١/٤.

(٩٠٥) رواه مسلم(٢٥٣١):ص١٩٦١/٤.

(٩٠٦) ذكره السيوطي في الدر المثور: ٣٨٠/٧، وعزاه إلى ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله....

(٩٠٧) المحرر الوجيز: ٥٦/٥.

(٩٠٨) تفسير الطبري :٦٠٩/٢١.

(٩٠٩) المحرر الوجيز: ٥٦/٥.

(٩١٠) التفسير الميسر: ٤٩٢.

قوله تعالى:{إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الزخرف :٤٣]، أي:" إنك على صراط مستقيم، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام"[٩١٢].

عن السدي:" {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} قال: على دين مستقيم"[٩١٣].

قال قتادة:" أي: الإسلام"[٩١٤].

القرآن

{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)} [الزخرف :٤٤]

التفسير:

وإن هذا القرآن لَشرف لك ولقومك من قريش؛ حيث أُنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وسوف تُسألون أنت ومَن معك عن الشكر لله عليه والعمل به.

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف :٤٤]، أي:" وإن هذا القرآن لَشرف لك ولقومك من قريش؛ حيث أُنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه"[٩١٥].

عن قتادة: "{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}، وهو هذا القرآن"[٩١٦].

قال السدي:" شرف لك ولقومك، يعني القرآن"[٩١٧].

عن مجاهد، قوله:"{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}، قال: يقول للرجل: من أنت؟ فيقول: من العرب، فيقال: من أيّ العرب؟ فيقول: من قريش"[٩١٨].

عن معاوية، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكَبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين"[٩١٩].

القرآن

{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)} [الزخرف :٤٥]

التفسير:

واسأل -أيها الرسول- أتباع مَن أرسلنا مِن قبلك من رسلنا وحملة شرائعهم: أجاءت رسلهم بعبادة غير الله؟ فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع; فإن جميع الرسل دَعَوْا إلى ما دعوتَ الناس إليه من عبادة الله وحده، لا شريك له، ونهَوْا عن عبادة ما سوى الله.

قوله تعالى:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف :٤٥]، أي:" واسأل -أيها الرسول- أتباع مَن أرسلنا مِن قبلك من رسلنا وحملة شرائعهم"[٩٢٠].

وفي قوله تعالى:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف :٤٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : يعني: الأنبياء الذين جمعوا له ليلة الإسراء، قاله سعيد بن جبير[٩٢١]، والزهري[٩٢٢].

---

(٩١١) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩١٢) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩١٣) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩١٤) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩١٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩١٦) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩١٧) أخرجه الطبري: ٦١١/٢١.

(٩١٨) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩١٩)معالم التنزيل للبغوي (٢١٥/٧) وصحيح البخاري برقم (٣٥٠٠).

(٩٢٠) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩٢١) انظر: رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وانظر: زاد المسير: ٨٠/٤.

وروي عن سعيد بن جبير، في قوله:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ}، قال: "لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة اسري به»"[٩٢٣].

الثاني : أن المراد: اسأل مؤمني أهل الكتاب من الذين أرسلت إليهم الأنبياء، قاله الحسن[٩٢٤]، ومجاهد[٩٢٥]، وقتادة[٩٢٦]، والضحاك[٩٢٧].

قال قتادة:" يقول: سل أهل التوراة والإنجيل: هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده؟"[٩٢٨]. وفي رواية:" سل أهل الكتاب: أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد؟ أما كانت تأتي بالإخلاص؟"[٩٢٩].

قال مجاهد:"وفي قراءة عبد الله بن مسعود:«وَاسأَلْ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلنا»[٩٣٠].

قوله تعالى:{أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف :٤٥]، أي:" أجاءت رسلهم بعبادة غير الله؟"[٩٣١].

عن السديّ: "{أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}؟ أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله؟"[٩٣٢].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)} [الزخرف :٤٦-٤٧]

التفسير:

ولقد أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، فلما جاءهم بالبينات الواضحات الدالة على صدقه في دعوته، إذا فرعون وملؤه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [الزخرف : ٤٦]، أي:" ولقد أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين من قومك"[٩٣٣].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٩٣٤].

قوله تعالى:{فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزخرف : ٤٦]، أي:" فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين"[٩٣٥].

---

(٩٢٢) انظر: زاد المسير: ٨٠/٤. بدون سند.

(٩٢٣) رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٩٢٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٠/٤. بدون سند.

(٩٢٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٠/٤. بدون سند.

(٩٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢١-٦١٢.

(٩٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١.

(٩٢٨) أخرجه الطبري: ٦١١/٢١-٦١٢.

(٩٢٩) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.

(٩٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢١.

(٩٣١) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩٣٢) أخرجه الطبري: ٦١٣/٢١ .

(٩٣٣) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

(٩٣٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.

وفي قوله تعالى:{ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، وجوه:
أحدها: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[٩٣٦].
الثاني: أن «رب العالمين»: ما وصف من خلقه. قاله قتادة[٩٣٧].
الثالث: أن «رب العالمين»: الجن والإنس، وهذا قول مجاهد[٩٣٨].

القرآن
{وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)} [الزخرف :٤٨]
التفسير:
وما نُري فرعون وملأه من حجة إلا هي أعظم من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوهم موسى عليه، وأخذناهم بصنوف العذاب كالجراد والقُمَّل والضفادع والطوفان، وغير ذلك; لعلهم يرجعون عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته.
قوله تعالى:{وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} [الزخرف :٤٨]، أي:" وما نُري فرعون وملأه من حجة إلا هي أعظم من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوهم موسى عليه"[٩٣٩].
قال الحسن:" كانت اليدُ أكبرَ من العصا"[٩٤٠].
قوله تعالى:{وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف :٤٨]، أي:" وأخذناهم بصنوف العذاب كالجراد والقُمَّل والضفادع والطوفان، وغير ذلك; لعلهم يرجعون عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته"[٩٤١].
عن قتادة، قوله: "{وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، أي: يتوبون، أو يذكرون"[٩٤٢].

القرآن
{وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠)} [الزخرف :٤٩-٥٠]
التفسير:
وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم -وكان الساحر فيهم عظيمًا يُوَقِّرونه ولم يكن السحر صفة ذم- ادع لنا ربك بعهده الذي عهد إليك وما خصَّك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب، فإن كشف عنا العذاب فإننا لمهتدون مؤمنون بما جئتنا به. فلما دعا موسى برفع العذاب عنهم، ورفعناه عنهم إذا هم يغدرون، ويصرُّون على ضلالهم.
قوله تعالى:{وَقَالُوا يَاأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} [الزخرف : ٥٠]، أي:" وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم، ادع لنا ربك بعهده الذي عهد إليك وما خصَّك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب"[٩٤٣].
عن مجاهد، قوله:"{يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ}، أي: لئن آمنا ليكشفن عنا العذاب"[٩٤٤].

---

(٩٣٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.
(٩٣٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٣):ص١٩٣١/٦.
(٩٣٨) تفسير ابن ابي حاتم:١٩٣٢/٦.
(٩٣٩) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٤٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٨٨ -.
(٩٤١) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٤٢) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢١.
(٩٤٣) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٤٤) تفسير مجاهد: ٥٩٤.

عن الحسن في قوله: {وَقَالُوا يَاأَيُّهَ السَّاحِرُ}، قال :" قالوه على جهة الاستهزاء"[٩٤٥].

قوله تعالى:{إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} [الزخرف : ٥٠]، أي:" فإن كشف عنا العذاب فإننا لمهتدون مؤمنون بما جئتنا به"[٩٤٦].

قال قتادة:" قالوا يا موسى: ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك"[٩٤٧].

قوله تعالى:{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} [الزخرف : ٥٠]، أي:" فلما دعا موسى برفع العذاب عنهم، ورفعناه عنهم إذا هم يغدرون، ويصرُّون على ضلالهم"[٩٤٨].

عن قتادة: "{إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ}، أي: يغدرون"[٩٤٩].

القرآن

{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢)} [الزخرف :٥١-٥٢]

التفسير:

ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحًا مفتخرًا بمُلْك «مصر» : أليس لي مُلْك «مصر» وهذه الأنهار تجري مِن تحت قصري ومن بين يديَّ في بساتيني، أفلا تبصرون عظمتي وقوتي، وضعف موسى وفقره؟ بل أنا خير من هذا الذي لا عزَّ معه، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لضعفه وحقارته، ولا يكاد يُبين الكلام لعِيِّ لسانه، وقد حمل فرعونَ على هذا القول الكفرُ والعنادُ والصدُّ عن سبيل الله.

قوله تعالى:{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} [الزخرف : ٥١]، أي:" ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحًا مفتخرًا بمُلْك «مصر» : أليس لي مُلْك «مصر»"[٩٥٠].

عن مجاهد:":{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}، يعني:" الإسكندرية"[٩٥١].

عن الأسود بن يزيد قال: "قلت لعائشة: ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة، قالت: وما تعجب من ذلك هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة"[٩٥٢].

قوله تعالى:{وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف : ٥١]، أي:" وهذه الأنهار تجري مِن تحت قصري ومن بين يديَّ في بساتيني"[٩٥٣].

وفي قوله تعالى:{وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف : ٥١]، وجوه من التفسير:

أحدها : كانت جنات وأنهاراً تجري من تحت قصره[٩٥٤]، قاله قتادة[٩٥٥].

قال قتادة:" كانت لهم جنات وأنهار ماء"[٩٥٦].

الثاني : أن معنى قوله : {وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي}، أي: القواد والجبابرة يسيرون تحت لوائي ، قاله الضحاك[٩٥٧].

---

(٩٤٥) انظر: النكت والعيون: ٢٢٩/٥، وزاد المسير:٨٠/٤. والخبر بدون سند.
(٩٤٦) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٤٧) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢١.
(٩٤٨) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٤٩) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢١.
(٩٥٠) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٥١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٢٩/٥. بدون سند.
(٩٥٢) الدرا لمنثور: ٣٨٣/٧. وعزاه إلى ابن أبي حاتم
(٩٥٣) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٥٤) وحكي الماوردي:" وقيل من تحت سريره". [النكت والعيون: ٢٣٠/٥].
(٩٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١٦/٢١-٦١٧.
(٩٥٦) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢١-٦١٧.

وقال عطاء:" في قبضتي ومُلكي"[٩٥٨].
وقال الحسن:" {وهَذِهِ الأَنْهارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي} بأمري"[٩٥٩].
عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -: "لو كانت الدّنيا تزن عند الله جناح ذباب ما سقي فرعون منها شرابًا"[٩٦٠].
قوله تعالى:{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} [الزخرف : ٥٢]، أي:" بل أنا خير من هذا الذي لا عزَّ معه، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لضعفه وحقارته"[٩٦١].
عن السديّ، قوله: "{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ}، قال: بل أنا خير من هذا"[٩٦٢].
عن قتادة: "{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ}، قال: ضعيف"[٩٦٣].
قال السدي:" المهين: الضعيف"[٩٦٤].
عن السدي:" {أَمْ أنا خَيْرٌ مِن هَذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ}، قال: بل أنا خيرٌ مِن هذا"[٩٦٥].
قوله تعالى:{وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} [الزخرف : ٥٢]، أي:" ولا يكاد يُبين الكلام لعِيٍّ لسانه"[٩٦٦].
عن السديّ: "{وَلا يَكَادُ يُبِينُ}، الكلام"[٩٦٧].
عن قتادة: "{وَلا يَكَادُ يُبِينُ}، أي: عَييّ اللسان"[٩٦٨][٩٦٩].

القرآن

{فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)} [الزخرف :٥٣]

التفسير:

فهلا أُلقِي على موسى -إن كان صادقًا أنه رسول رب العالمين- أسْوِرَة من ذهب، أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إلينا.

---

(٩٥٧) انظر: النكت والعيون: ٥/٢٣٠.
(٩٥٨)تفسير الثعلبي ٨/ ٣٣٩.
(٩٥٩)تفسير الثعلبي ٨/ ٣٣٩، وتفسير البغوي ٧/ ٢١٧.
(٩٦٠)أخرجه الثعلبي: ٨/ ٣٣٩.[ضعيف، وعلته الوليد بن مسلم مدلس ولم يصرح بالتحديث]
(٩٦١) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٦٢) أخرجه الطبري: ٦١٧/٢١. قال ابن كثير:٢٣١/٧:" وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن "أم" هاهنا بمعنى "بل". ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها : "أما أنا خير من هذا الذي هو مهين". قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرؤوا :{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} ؟ على الاستفهام".
(٩٦٣) أخرجه الطبري: ٦١٨/٢١.
(٩٦٤) أخرجه الطبري: ٦١٧/٢١.
(٩٦٥) أخرجه الطبري: ٦١٧/٢١.
(٩٦٦) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٦٧) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢١.
(٩٦٨) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢١.
(٩٦٩)قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله فرعون - لعنه الله - كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى، عليه السلام، بعين كافرة شقية، وقد كان موسى، عليه السلام، من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الأبصار والألباب. وقوله :{مهين} كذب، بل هو المهين الحقير خِلْقةً وخلقا وديناً. وموسى -عليه السلام- هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد وقوله :{وَلا يَكَادُ يُبِينُ} افتراء أيضا، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله، عز وجل، أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في ذلك في قوله :{قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} [طه : ٢٦]، وبتقدير أن يكون قد بقى شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء". [تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧].

قوله تعالى:{فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ} [الزخرف :٥٣]، أي:" فهلا أُلقِي على موسى -إن كان صادقًا أنه رسول رب العالمين- أَسْوِرَة من ذهب"(٩٧٠).

قال مجاهد:" كانوا إذا سوّدوا رجلًا سوّروه بسوار، وطوّقوه بطَوْقٍ من ذهب؛ ليكون ذلك دلالةً لسيادته، وعلامةً لرياسته، فقال فرعون: هلّا ألقى ربُّ موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيّدًا تجب علينا طاعته"(٩٧١).

وقرئ:«أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ»(٩٧٢).

قوله تعالى:{أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} [الزخرف :٥٣]، أي:" أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إلينا"(٩٧٣).

وفي قوله تعالى:{أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} [الزخرف :٥٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : متتابعين ، قاله قتادة(٩٧٤).

الثاني : يقارن بعضهم بعضاً في المعونة ، قاله السدي(٩٧٥).

الثالث : مقترنين، أي: يمشون معاً، قاله مجاهد(٩٧٦).

القرآن

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)} [الزخرف :٥٤]

التفسير:

فاسْتَخَفَّ فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم.

قوله تعالى:{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} [الزخرف :٥٤]، أي:" فاسْتَخَفَّ فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى"(٩٧٧).

عَن عِكْرِمَة، قَالَ: "لم يُخرج فِرْعَوْن من زَاد على الْأَرْبَعين سنة وَمن دون الْعشْرين، فَذَلِك قَوْله: {فاستخف قومه فأطاعوه} يَعْنِي استخف قومه فِي طلب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام"(٩٧٨).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف :٥٤]، أي:" إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم"(٩٧٩).

القرآن

{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦)} [الزخرف :٥٥-٥٦]

التفسير:

---

(٩٧٠) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٩٧١)تفسير الثعلبي ٨/ ٣٣٩، وتفسير البغوي ٧/ ٢١٧.

(٩٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢١.

(٩٧٣) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٩٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢١.

(٩٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢١.

(٩٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٠/٢١-٦٢١.

(٩٧٧) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٩٧٨) الدر المنثور: ٣٨٣/٧، وعزاه إلى ابْن عبد الحكم فِي فتوح مصر.

(٩٧٩) التفسير الميسر: ٤٩٣.

فلما أغضبونا -بعصياننا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات- انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عَجَّلناه لهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر. فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلفًا لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وعظة للآخرين.

قوله تعالى:{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف : ٥٥]، أي:" فلما أغضبونا -بعصياننا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات- انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عَجَّلناه لهم"(٩٨٠).

عن الحسن(٩٨١)، ومجاهد(٩٨٢)، وقتادة(٩٨٣)، وعكرمة(٩٨٤)، ووهب بن منبه(٩٨٥):" {فَلَمَّا آسَفُونَا}، قالوا: "أغضبونا".

قال قتادة:" أغضبوا ربهم"(٩٨٦).

عن السديّ: "{فَلَمَّا آسَفُونَا}، قال: أغضبونا، وهو على قول يعقوب: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ}، قال: يا حَزني على يوسف"(٩٨٧).

وقال مجاهد: "أسفا، جزعا"(٩٨٨).

عن معمر، عن قتادة ، في قوله تعالى: {فلما آسفونا} [الزخرف: ٥٥]، قال: "حدثني سماك بن الفضل ، قال: كنت عند عروة بن محمد جالسا وعنده وهب بن منبه ، فأتي بعامل لعروة فشكي فأكثروا عليه ، فقالوا: فعل وفعل وثبتت عليه البينة ، قال: فلم يملك وهب نفسه فضربه على قرنه بعصا ، فإذا دماؤه تشخب ، وقال: أفي زمن عمر بن عبد العزيز يصنع مثل هذا؟ قال: فاستهانها عروة وكان حليما أيضا ، فاستلقى على قفاه يضحك وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب وهو يغضب ، قال وهب: " قد غضب خالق الأحلام إن الله يقول: {فلما آسفونا انتقمنا منهم} [الزخرف: ٥٥] يقول: أغضبونا"(٩٨٩).

عن طارق بن شهاب قال : "كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة، فقال : تخفيف على المؤمن، وحسرة على الكافر. ثم قرأ :{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}"(٩٩٠).

عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد ما شاء، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك استدراج منه له" ثم تلا {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}"(٩٩١).

قوله تعالى:{فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف : ٥٥]، أي:" فأغرقناهم أجمعين في البحر"(٩٩٢).

---

(٩٨٠) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٩٨١)أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤٢.

(٩٨٢)تفسير مجاهد ص ٥٩٤، وأخرجه الطبري:٦٢٢/٢١، وابن وهب في "تفسير القرآن من الجامع لابن ووهب(٤٥):ص٤٥، والفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٠٧، والفتح ٨/ ٥٦٧ - . وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٩٨٣) تفسير عبدالرزاق(٢٧٧٢):ص١٧٠/٣.

(٩٨٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٩٨٥)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠/ ٢٩٢.

(٩٨٦) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١.

(٩٨٧) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١.

(٩٨٨) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٧٢/١.

(٩٨٩) تفسير عبدالرزاق(٢٨٠٠):ً١٧٩/٣.

(٩٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(٩٩١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩٢٦) "مجمع البحرين"، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٥٤٠) من طريق عبد الله ابن صالح عن حرملة بن عمران به، ورواه أحمد في مسنده (١٤٥/٤) عن رشدين بن سعد، والدولابي في الكنى (١١١/١) عن حجاج بن سليمان كلاهما عن حرملة بن عمران به، وقد حسنه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٩٩٢) التفسير الميسر: ٤٩٣.

قال قتادة:" أغرق الله آل فرعون عدوهم نعما من الله يعرفهم بها لكي ما يشكروا ويعرفوا حقه"[٩٩٣].

عن عمرو بن ميمون الأودي :"لما خرج موسى ببني إسرائيل، بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك. قال فو الله ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا، فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط. فلم يفرغ حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط، ثم سار فلما أتى موسى قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين أمر ربك يا موسى؟ قال: أمامك يشير إلى البحر. فاقتحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر، ثم رجع فقال: أين أمر ربك يا موسى، فو الله ما كذبت ولا كذبت ففعل ذلك ثلاث مرار، ثم أوحى الله إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. يقول مثل الجبل، ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم، فلذلك قال أغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون"[٩٩٤].

قال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- : "وجدت النقمة مع الغفلة، يعني قوله :{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}"[٩٩٥].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ} [الزخرف : ٥٦]، أي:" فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلفًا لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وعظة للآخرين"[٩٩٦].

قال أبو مجلز :"{سَلَفًا} لمثل من عمل بعملهم، :{ومثلا}، أي : عبرة لمن بعدهم"[٩٩٧].

عن مجاهد، قوله: "{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلآخِرِينَ}، قال: قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٩٩٨]، "عبرة لمن بعدهم"[٩٩٩].

عن قتادة: "{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا}، في النار"[١٠٠٠]، {وَمَثَلا لِلآخِرِينَ}، أي عظة للآخرين"[١٠٠١].

عن السديّ: "{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا}، قال: عبرة"[١٠٠٢].

ويُقْرأ: «سُلُفاً» - بضم السين واللام، ويُقرأ: «سُلفاً» - بضم السين وفتح اللام -. فمن قال: «سُلُفاً» - بضمتين - فهو جمع سَلِيف، أي: جميع قد مضى. ومن قرأ: «سُلفاً»، فهو جمع: سُلْفَة أي: فرقة قد مَضت"[١٠٠٣].

القرآن

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧)} [الزخرف :٥٧]

التفسير:

ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلا حين خاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم، وحاجُّوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جَلَبة وضجيج فرحًا وسرورًا، وذلك عندما نزل قوله تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} ، وقال المشركون: رضينا أن تكون

---

(٩٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٧٩):ص١٧١٩/٥.
(٩٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٨):ص١٠٦/١.
(٩٩٥) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.
(٩٩٦) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(٩٩٧) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.
(٩٩٨) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢١.
(٩٩٩) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢١.
(١٠٠٠) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢١.
(١٠٠١) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢١.
(١٠٠٢) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢١.
(١٠٠٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤١٦/٤.

آلهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله قوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} ، فالذي يُلْقى في النار من آلهة المشركين من رضي بعبادتهم إياه.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها : ما رواه ابن عباس قال:«إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: "يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير"، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا، فلئن كنت صادقا، فإن آلهتهم لكما تقولون. قال: فأنزل الله عز وجل: { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّون} [الزخرف: ٥٧] قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون، {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١]، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»"[١٠٠٤].

وقال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دخل المسجد وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، وفي المسجد العاص بن وائل السهمي، والحارث وعدي ابنا قيس، كلهم من قريش من بني سهم فقال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم- : {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء : ٩٨] إلى آيتين. ثم خرج إلى باب الصفا فخاض المشركون في ذلك، فدخل عبد الله ابن الزبعري السهمي، فقال: تخوضون في ذكر الآلهة، فذكروا له ما قال النبي- صلى الله عليه وسلم- لهم ولآلهتهم، فقال عبد الله بن الزبعري يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- بل هي لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم، فقال عبد الله خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد والملائكة تعبد فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون معهم فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لا. فقال عبد الله أليس قد زعمت أنها لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ خصمتك ورب الكعبة. فضجوا من ذلك فأنزل الله- تعالى- « {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء : ١٠١]، يعنى: الملائكة وعزيز وعيسى ومريم، {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠١]، وأنزل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف : ٥٧]"[١٠٠٥].

الثاني : أن قريشاً قالت: إن محمداً يريد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى، فنزلت، قاله مجاهد[١٠٠٦]، وقتادة[١٠٠٧].

قال قتادة:" لما ذُكر عيسى ابن مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: يا محمد ما ذكرت عيسى ابن مريم؟ وقالوا: ما يريد محمد إلا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم، فقال الله عزّ وجلّ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا}"[١٠٠٨].

وقال قتادة:" لما ذكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نحبه كما أحبَّت النصارى عيسى"[١٠٠٩].

(١٠٠٤) أخرجه احمد في المسند(٢٩١٨):ص٥/٨٥-٨٦، والطبراني في المعجم الكبير(١٢٧٤٠):ص١٢/١٥٤، وابن أبي حاتم(١٨٥١٤):ص١٠/٣٢٨٤، وأخرجه مختصرا ابن حبان (٦٨١٧)، وأخرجه بنحوه الطبري في التفسير:٢١/٦٢٥. وأخرجه كذلك الحاكم ٢/٤٤٨، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي!

والحديث رجاله ثقات رجال الصحيح غير عاصم- وهو ابن أبي النجود- فقد روى له أصحاب السنن، وحديثه في الصحيحين مقرون، وهو صدوق حسن الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣٣١):ص٧/ ١٠٤: "رواه أحمد والطبراني ... وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١٠٠٥) التفسير الميسر: ٣/٧٩٩.

(١٠٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٦٢٤.

(١٠٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٦٢٥.

(١٠٠٨) أخرجه الطبري: ٢١/٦٢٥.

(١٠٠٩) أخرجه الطبري: ٢١/٦٢٥.

الثالث : أنه لما ذكر الله خلق عيسى من غير ذكر كآدم أكبرته قريش فنزلت هذه الآية. حكاه الماوردي عن ابن عيسى[١٠١٠].

قال ابن الجوزي:" أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزّبعرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين نزل قوله: {إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... }الآية ...والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مَثَلاً لآلهتهم وشبَّهوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت ذِكْر الأصنام، لأنها عُبِدَتْ مِنْ دون الله، فألزموه عيسى، وضربوه مَثَلاً لأصنامهم، لأنه معبود النصارى، والمراد بقومه: المشركون"[١٠١١].

قوله تعالى:{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف :٥٧]، أي:" ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلا حين خاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم، وحاجُّوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جَلَبة وضجيج فرحًا وسرورًا"[١٠١٢].

عن مجاهد[١٠١٣]، والضحاك[١٠١٤]، والسدي [١٠١٥]، قوله:"{إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}: قالوا: "يضجون".

قال قتادة:" أي: يجزعون ويضجون"[١٠١٦].

وقرأ عليّ -رضي الله عنه-: «يَصُدُّونَ»[١٠١٧].

القرآن

{وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)} [الزخرف :٥٨]

التفسير:

وقال مشركو قومك -أيها الرسول-: أآلهتنا التي نعبدها خير أم عيسى الذي يعبده قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وآلهتنا معه، ما ضربوا لك هذا المثل إلا جدلا بل هم قوم مخاصمون بالباطل.

قوله تعالى:{وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ} [الزخرف :٦٨]، أي:" وقال مشركو قومك -أيها الرسول-: أآلهتنا التي نعبدها خير أم عيسى الذي يعبده قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وآلهتنا معه"[١٠١٨].

وفي قوله تعالى:{وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ} [الزخرف :٦٨]، قولان:

أحدهما : أمْ محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله قتادة[١٠١٩].

عن قتادة :"أن في حرف أبي بن كعب: «وقالوا أآلهتنا خير أم هذا»، يعنون: محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١٠٢٠].

الثاني : أمْ عيسى، قاله السدي[١٠٢١]، وعطاء الخراساني[١٠٢٢].

قال السدي:" فقالوا: يزعم أن كلّ من عبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزير والملائكة هؤلاء قد عُبدوا من دون الله، قال: فأنزل الله براءة عيسى"[١٠٢٣].

(١٠١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٣٣/٥.
(١٠١١) زاد المسير: ٨١/٤.
(١٠١٢) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(١٠١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢١.
(١٠١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢١.
(١٠١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢١.
(١٠١٦) أخرجه الطبري ٦٢٧/٢١.
(١٠١٧) أخرجه الطبري في التفسير: ٦٢٧/٢١.
(١٠١٨) التفسير الميسر: ٤٩٣.
(١٠١٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.
(١٠٢٠) أخرجه الطبري: ٦٢٨/٢١.
(١٠٢١) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.
(١٠٢٢)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٢.

وهي -ولله الحمد- من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأي شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟[١٠٢٤].

قوله تعالى:{مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا} [الزخرف :٥٨]، أي:" ما ضربوا لك هذا المثل إلا جدلا"[١٠٢٥].

قال قتادة:" ما قالوا هذا القول إلا ليجادلوا"[١٠٢٦].

قوله تعالى:{بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف :٥٨]، أي:" بل هم قوم مخاصمون بالباطل"[١٠٢٧].

قال السدي:" خاصموه. فقالوا: تزعم أنّ كلَّ مِن عُبد مِن دون الله في النار! فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى، وعُزير، والملائكة، هؤلاء قد عُبِدوا من دون الله. قال: فأنزل الله براءة عيسى"[١٠٢٨].

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا هذه الآية: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}"[١٠٢٩].

القرآن

{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)} [الزخرف :٥٩]

التفسير:

ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدل بها على قدرتنا.

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ} [الزخرف :٥٩]، أي:" ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة"[١٠٣٠].

قال قتادة:" يعني بذلك: عيسى ابن مريم، ما عدا ذلك عيسى ابن مريم، إن كان إلا عبدا أنعم الله عليه"[١٠٣١].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزخرف :٥٩]، أي:" وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدل بها على قدرتنا"[١٠٣٢].

عن قتادة: "{وجعلناه مثلا لبني إسرائيل}، أي: آية"[١٠٣٣].

عن ابن ثور، عن قتادة: "{مثلا لبني إسرائيل}، أحسبه، قال: آية لبني إسرائيل"[١٠٣٤].

(١٠٢٣) أخرجه الطبري: ٦٢٨/٢١.

(١٠٢٤) تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٦/١.

(١٠٢٥) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(١٠٢٦) الدر المنثور: ٣٨٦/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(١٠٢٧) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(١٠٢٨) أخرجه الطبري: ٦٢٨/٢١.

(١٠٢٩) مسند أحمد(٢٢١٦٤):ص٤٩٣/٣٦، وأخرجه ابن ماجه (٤٨) ، والترمذي (٣٢٥٣) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠١) ، والطبري في "التفسير" ٦٢٩/٢١، والعقيلي في "الضعفاء" ٢٨٦/١، والطبراني (٨٠٦٧) ، والآجري في "الشريعة" ص ٥٤، وابن عدي ١٦١٣/٤، والحاكم ٤٤٧/٢-٤٤٨، والسهمي في "تاريخ جرجان" ص ٧٤، والبيهقي في "الشعب" (٨٤٣٨) ، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" ٩٦/٢-٩٧. قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١٠٣٠) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(١٠٣١) أخرجه الطبري: ٦٢٩/٢١.

(١٠٣٢) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(١٠٣٣) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢١.

(١٠٣٤) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢١.

القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)} [الزخرف :٦٠]

التفسير:

ولو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يَخْلُف بعضهم بعضًا بدلا من بني آدم.

وفي قوله تعالى:{فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} [الزخرف :٦٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : ملائكة يخلف بعضها بعضاً، قاله قتادة[١٠٣٥].

قال قتادة:" لو شاء الله لجعل في الأرض ملائكة يخلف بعضهم بعضا"[١٠٣٦].

قال قتادة:" يخلف بعضهم بعضا، مكان بني آدم"[١٠٣٧].

الثاني : ملائكة يكونون خلفاً منكم، قاله السدي[١٠٣٨].

يقال:" خلف فلان فلانا، أي: قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده"[١٠٣٩].

القرآن

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)} [الزخرف :٦١]

التفسير:

وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قُرْبِ، وقوع الساعة، فلا تشُكُّوا أنها واقعة لا محالة، واتبعون فيما أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويم إلى الجنة، لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف :٦١]، أي:" وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قُرْبِ، وقوع الساعة"[١٠٤٠].

واختلف في قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف :٦١]، على وجوه:

أحدها : أن خروج عيسى علم الساعة لأنه من علامة القيامة وشروط الساعة ، قاله مجاهد[١٠٤١]، وقتادة[١٠٤٢]، والضحاك[١٠٤٣]، والسدي[١٠٤٤].

قال عطاء الخراساني:" يقال: إذا جاء عيسى فهو آن للساعة"[١٠٤٥].

عن مجاهد، قوله: "{وإنه لعلم للساعة}، قال: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة"[١٠٤٦].

قال قتادة:" نزول عيسى ابن مريم علم للساعة: القيامة"[١٠٤٧].

قال الضحاك:" يعني: خروج عيسى ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة"[١٠٤٨].

(١٠٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٠/٢١.

(١٠٣٦) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢١.

(١٠٣٧) اخرجه الطبري: ٦٣٠/٢١.

(١٠٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢١.

(١٠٣٩) المفردات في غريب القرآن: ٢٩٤.

(١٠٤٠) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٤١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٠٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٠٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٠٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٠٤٥)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٣٠):ص٩٢/١.

(١٠٤٦) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٠٤٧) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٠٤٨) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.

روي عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون"[١٠٤٩].

عن عكرمة , قال: قال ابن عباس: "إن كان ما يقول أبو هريرة حقا فهو عيسى يقول الله: {وإنه لعلم للساعة} [الزخرف: ٦١]"[١٠٥٠].

وحكى ابن عيسى عن قوم أنهم قالوا : "إذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم"[١٠٥١].

الثاني: أن القرآن علم الساعة لما فيه من البعث والجزاء ، قاله الحسن[١٠٥٢]، وسعيد بن جبير[١٠٥٣].

الثالث: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى ، قاله ابن إسحاق[١٠٥٤].

والقول الأول أكثر في التفسير[١٠٥٥]، إذ أن الضمير في {وإنه} عائد على عيسى عليه السلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى :{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}، أي : قبل موت عيسى، عليه الصلاة والسلام، ثم {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء : ١٥٩]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : «وإنه لعَلَم للساعة»، أي : أمارة ودليل على وقوع الساعة"[١٠٥٦].

قوله تعالى:{فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} [الزخرف :٦١]، أي:" فلا تشكُّوا في أمر الساعة فإنها آتية لا محالة"[١٠٥٧].

عن السديّ: "{فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا}، قال: تشكون فيها"[١٠٥٨].

قال الحسن:" فلا تشُكُنَّ فيها"[١٠٥٩].

(١٠٤٩) أخرجه أحمد في المسند(٩٢٧٠):ص١٥/١٥٣-١٥٤، فيه سنده قتادة، وهو مدلس وقد عنعن، وذكر ابن أبي حاتم في "المراسيل" (٦٣٣) عن أبيه، عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين أنه قال: لم يسمع قتادة من عبد الرحمن مولى أم برثن. فعلى هذا يكون الإسناد منقطعا،

ومع ذلك فقد صححه الحافظ ابن حجري في "الفتح" ٤٩٣/٦، وقال الحافظ ابن كثير في "نهاية البداية" ١٨٨/١: هذا إسناد جيد قوي!

وأخرجه الحاكم ٥٩٥/٢ عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وصححه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) من طريق هدبة بن خالد، عن همام بن يحيى، به. ورواية أبي داود مختصرة.

(١٠٥٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٨٠):ص١٧٣/٣.

(١٠٥١) النكت والعيون: ٢٣٦/٥.

(١٠٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٣/٢١.

(١٠٥٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٣٦/٥.

(١٠٥٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٣٦/٥.

(١٠٥٥) معاني القرآن: ٤١٧/٤.

(١٠٥٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٧.

(١٠٥٧) صفوة التفاسير: ١٥١/٣.

(١٠٥٨) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢١.

(١٠٥٩)تفسير البغوي ٧/ ٢٢٠.

قوله تعالى:{وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف :٦١]، أي:" وقل لهم يا محمد: ابتعوا هُداي وشرعي، فإن هذا الذي أدعوكم إليه دينٌ قيّم وطريق مستقيم"[١٠٦٠].

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"[١٠٦١].

عن مجاهد في قوله: "{صراط مستقيم}، قال: الحق"[١٠٦٢].

القرآن

{وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢)} [الزخرف :٦٢]

التفسير:

ولا يصدَّنكم الشيطان بوساوسه عن طاعتي فيما آمركم به وأنهاكم عنه، إنه لكم عدو بيِّن العداوة.

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الزخرف :٦٢]، أي:" إنه لكم عدو بيِّن العداوة"[١٠٦٣].

قال مطرف: وجدنا أغش عباد الله لعبيد الله، الشيطان"[١٠٦٤].

قال قتادة:" عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته، أن تعاديه بطاعة الله"[١٠٦٥].

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣)} [الزخرف :٦٣]

التفسير:

ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة قال: قد جئتكم بالنبوة، ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ} [الزخرف :٦٣]، أي:" ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة"[١٠٦٦].

وعن قتادة: "{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ}، أي: بالإنجيل"[١٠٦٧].

قوله تعالى:{قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ} [الزخرف :٦٣]، أي:" قال: قد جئتكم بالنبوة"[١٠٦٨].

عن السديّ: "{قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ}، قال: النبوّة"[١٠٦٩].

قوله تعالى:{وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ} [الزخرف :٦٣]، أي:" ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين"[١٠٧٠].

عن مجاهد، قوله :{وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ}، قال:" يعني به: تبديل اليهود التوراة"[١٠٧١].

(١٠٦٠) صفوة التفاسير: ١٥١/٣.

(١٠٦١) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(١٠٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٨):ص١٢٨٧/٤.

(١٠٦٣) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٩٥٣):ص٣٧١/٢

(١٠٦٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٣٥).:ص٢١٠٢/٧-٢١٠٣.

(١٠٦٦) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٦٧) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢١.

(١٠٦٨) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٦٩) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢١.

(١٠٧٠) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٧١) تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٦٣٤/٢١-٦٣٥.

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الزخرف :٦٣]، أي:" فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته"(١٠٧٢).

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"(١٠٧٣).

قال عطاء:" طاعة الرسول، اتباع الكتاب والسنة"(١٠٧٤).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)} [الزخرف :٦٤]

التفسير:

إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعًا فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئًا، هذا الذي أمرتكم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ} [الزخرف :٦٤]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعًا فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئًا"(١٠٧٥).

عن محمد بن إسحاق:" ومن عهد عِيسَى إليهم حين أخبرهم عَنْ نفسه، وموته: {إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} عَنْ نفسه وعنهم، أنهم عبيد الله، ثُمَّ صمت كَمَا يذكرون، فلم يتكلم بعد ذَلِكَ، وَهُوَ فِي حجر أمه يغذي بما يغذي بِهِ بنو آدم من الطعام والشراب، حَتَّى انتهى إلى أن كَانَ ابْن سبع سنين أوْ ثمان، وقد كذبوا بكل مَا سمعوا مِنْهُ، وَمَا يدعونه بينهم إلا بابن الهنة بما تسمى بِهِ البغي، يقول الله عز وجل: {وَقولهمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} حَتَّى إذا بلغ السبع أو العشر أوْ نحو ذَلِكَ أدخلته الْكِتَاب فيما يزعمون "(١٠٧٦).

قوله تعالى:{هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف :٦٤]، أي:" هذا الذي أمرتكم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه"(١٠٧٧).

عن محمد بن إسحاق:" {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} أي " هَذَا الهدى قَدْ حملتكم عَلَيْهِ وجئتكم بِهِ "(١٠٧٨).

عن مجاهد في قوله: "{صراط مستقيم}، قال: الحق"(١٠٧٩).

القرآن

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥)} [الزخرف :٦٥]

التفسير:

فاختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعًا: منهم مَن يُقِرُّ بأنه عبد الله ورسوله، وهو الحق، ومنهم مَن يزعم أنه ابن الله، ومنهم مَن يقول: إنه الله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، فهلاك وعذاب أليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير ما وصفه الله به.

قوله تعالى:{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ} [الزخرف :٦٥]، أي:" فاختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعًا"(١٠٨٠).

(١٠٧٢) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠)، (٩٨٥٤):ص١١٨٩/٤.

(١٠٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٨٥٣):ص٤٩٦/٨.

(١٠٧٥) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٧٦) أخرجه ابن المنذر(٥٠٦):ص٢١٤/١.

(١٠٧٧) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٧٨) أخرجه ابن المنذر(٥٠٦):ص٢١٤/١.

(١٠٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٨):ص١٢٨٧/٤.

(١٠٨٠) التفسير الميسر: ٤٩٤.

قال قتادة:" فاختلفوا فيه فصاروا أحزابا"[١٠٨١].

واختلف أهل التفسير في المعنيين بالأحزاب، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضاً، قاله مجاهد[١٠٨٢]، والسدي[١٠٨٣].

قال مجاهد:" الأحزاب: أهل الكتاب"[١٠٨٤].

الثاني: أنهم الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت فيه. قاله قتادة[١٠٨٥].

قال قتادة:" هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى"[١٠٨٦].

قال قتادة:" اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع , فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيى من أحيى وأمات من أمات , ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية " , قال: وقال الثلاثة: كذبت , ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه , فقال: هو ابن الله , وهم النسطورية , فقال اثنان: كذبت , ثم قال: أحد الاثنين للآخر: قل فيه قال: هو ثالث ثلاثة الله إله , وهو إله , وأمه إله وهم الإسرائيلية وهم ملوك النصارى , قال الرابع: كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته , وهم المسلمون , فكانت لكل رجل منهم أتباع على ما قال , فاقتتلوا فظهر على المسلمين , وذلك قول الله {ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس} [آل عمران: ٢١]"[١٠٨٧].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: فاختلف الفرق المختلفون في عيسى ابن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود والنصارى، ومن اختلف فيه من النصارى، لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه، وقوله لهم: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}[١٠٨٨].

قوله تعالى:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ} [الزخرف :٦٥]، أي:" فهلاك وعذاب أليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير ما وصفه الله به"[١٠٨٩].

عن السديّ: "{مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ}، قال: من عذاب يوم القيامة"[١٠٩٠].

القرآن

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)} [الزخرف :٦٦]

التفسير:

هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة، وهم لا يشعرون ولا يفطنون؟

قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} [الزخرف :٦٦]، أي:" ل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة"[١٠٩١].

عن مجاهد: {أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة} [الأنعام: ٤٧]، يعني: «فجأة آمنين»"[١٠٩٢].

(١٠٨١) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٧٦٥):ص٣٥٨/٢.

(١٠٨٢) انظر: تفسير مجاهد: ٤٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣١٣٣):ص٢٤٠٩/٧.

(١٠٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١.

(١٠٨٤) انظر: تفسير مجاهد: ٤٥٥.

(١٠٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١.

(١٠٨٦) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢١.

(١٠٨٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٧٦٥):ص٣٥٨/٢، ورواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢٢٤/١-٢٢٥. [باختلاف في الالفاظ].

(١٠٨٨) تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١-٦٣٧.

(١٠٨٩) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠٩٠) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢١.

(١٠٩١) التفسير الميسر: ٤٩٤.

قال قتادة:" قضى الله تبارك وتعالى ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة"[١٠٩٣].

قال قتادة:" قضى الله أنها لا تأتيكم إلا بغتة. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: إن الساعة تهيج بالناس والرجل يُصلِح حوضه، والرجلُ يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعته في السوق، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه"[١٠٩٤].

القرآن

{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)} [الزخرف :٦٧]

التفسير:

الأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة في الدنيا والآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وعقبة ابن أبي معيط قتلا جميعا وذلك أن عقبة كان يجالس النبي- صلى الله عليه وسلم- ويستمع إلى حديثه، فقالت قريش: قد صبأ عقبة وفارقنا. فقال له أمية بن خلف: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تنقل في وجهه، حتى يعلم قومك أنك غير مفارقهم، ففعل عقبة ذلك فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: أما أنا لله علي لئن أخذتك خارجا من الحرم لأهريقن دمك. فقال له: يا بن أبى كبشة، ومن أين تقدر علي خارجا من الحرم، فتكون لك مني السوء. فلما كان يوم بدر أسر، فلما عاينه النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر نذره فأمر علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فضرب عنقه فقال عقبة: يا معشر قريش، ما بالي أقتل من بينكم؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- بتكذيبك الله ورسوله. فقال: من لأولادى. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لهم النار"[١٠٩٥].

قال مجاهد:" فكلّ خُلَّةٍ على معصية الله في الدنيا متعادون"[١٠٩٦].

قال قتادة:" صارت كلّ خُلّة عداوة على أهلها يوم القيامة، إلا خُلّة المتقين. قال: ودُكر لنا: أنّ نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «الأخلّاء أربعة: مؤمنان وكافران، فمات أحد المُؤمِنَين، فسُئل عن خليله، فقال: اللهم، لم أرَ خليلًا آمَرَ بمعروف ولا أنهى عن منكرٍ منه، اللهم، اهده كما هديتني، وأمِثه على ما أمتّني عليه. ومات أحد الكافِرِيْن، فسُئل عن خليله، فقال: اللهم، لم أرَ خليلا آمَرَ بمنكرٍ منه، ولا أنهى عن معروف منه، اللهم، أضلّه كما أضللتني، وأمِثه على ما أمتّني عليه. قال: ثم يُبعثون يوم القيامة، فقال: ليُثنِ بعضكم على بعض. فأما المؤمنان فأثنى كلُّ واحد منهما على صاحبه كأحسن الثناء، وأما الكافران فأثنى كلُّ واحد منهما على صاحبه كأقبح الثناء»"[١٠٩٧].

عن كعب ، قال: "يؤتى بالرئيس في الخير يوم القيامة فيقال: أجب ربك فينطلق به إلى ربه فلا يحجب عنه فيؤمر به إلى الجنة فيرى منزله ومنازل أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويعينونه عليه فيقال هذه منزلة فلان وهذه منزلة فلان فيرى ما أعد الله في الجنة من الكرامة ويرى منزلته أفضل من منازلهم ويكسى من ثياب الجنة ويوضع على رأسه تاج ويعلقه من ريح الجنة ويشرق وجهه حتى يكون مثل القمر ليلة البدر فيخرج فلا يراه أهل ملأ إلا قالوا: اللهم اجعله منهم حتى يأتي أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويعينونه عليه فيقول أبشر يا فلان فإن الله أعد لك في الجنة كذا وأعد لك في الجنة كذا وكذا فلا

(١٠٩٢) تفسير مجاهد: ٣٢١.

(١٠٩٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٥٦/١، والطبري(١٥٤٧٩):ص٢٩٧/١٢.

(١٠٩٤) أخرجه الطبري(١٥٤٧٩)ص: ٢٩٧/١٢.

(١٠٩٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٣-٨٠٢.

(١٠٩٦) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢١.

(١٠٩٧) الدر المنثور: ٧/ ٣٨٨، وعزاه إلى إلى عبد بن حُمَيد.

يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في الجنة من الكرامة حتى يعلو وجوههم من البياض مثل ما علا وجهه فيعرفهم الناس ببياض وجوههم فيقولون هؤلاء أهل الجنة.

ويؤتى بالرئيس في الشر فيقال أجب ربك فينطلق به إلى ربه فيحجب عنه ويؤمر به إلى النار فيرى منزله ومنازل أصحابه فيقال هذه منزلة فلان وهذه منزلة فلان فيرى ما أعد الله فيها من الهوان ويرى منزلته شرا من منازلهم فيسود وجهه وتزرق عيناه ويوضع على رأسه قلنسوة من نار فيخرج فلا يراه أهل ملأ إلا تعوذوا بالله منه فيقول ما أعاذكم الله مني أما تذكر يا فلان كذا وكذا فيذكرهم الشر الذي كانوا يجامعونه ويعينونه عليه فما يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في النار حتى يعلو وجوههم من السواد مثل الذي علا وجهه فيعرفهم الناس بسواد وجوههم فيقولون هؤلاء أهل النار "[١٠٩٨].

عن سعد بن معاذ، قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كان يومُ القيامة انقطعت الأرحام، وقلّت الأسباب، وذهبت الأُخُوّة، إلا الأُخُوّة في الله». وذلك قوله: {الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}"[١٠٩٩].

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو أن رجلين تحابا في الله عز وجل واحد في المشرق وآخر في المغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة يقول: هذا الذي كنت تحبه في"[١١٠٠].

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي"[١١٠١].

عن أبي إسحاق:" أن عليا رضي الله عنه قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا ربّ إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ ويخبرني أني ملاقيك يا ربّ فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليثن أحدكما على صاحبه فيقول: يا ربّ إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول: نعم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب; قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا ربّ إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشرّ، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب"[١١٠٢].

القرآن

{يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)} [الزخرف :٦٨]

التفسير:

يقال لهؤلاء المتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم مِن حظوظ الدنيا.

(١٠٩٨) الدر المنثور: ٣٨٨/٧-٣٨٩، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(١٠٩٩)أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ٣٥٤. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه. قال الألباني في الضعيفة ٧/ ٢٦٤ (٣٢٦٦): «موضوع».

(١١٠٠)مشكاة المصابيح": (٣ / ١٣٩٨, ح ٥٠٢٤) ,"شعب الإيمان"للبيهقي: (٦ / ٤٩٢, ح ٩٠٢٢).

(١١٠١)"مسند الإمام أحمد": (٢ / ٣٣٨) . و"صحيح مسلم مع شرح النووي": (١٦ / ٣٥٩, ح ٣٧ / ٢٥٦٦) , كتاب البر والصلة والأدب, باب فضل الحب في الله."سنن الدارمي": (٢ / ٢٢١, ح ٢٧٦) , كتاب الرقائق, باب المتحابين في الله.

(١١٠٢) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢١.

عن المعتمر بن سليمان التيمي، عن أبيه، قال:" سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد: يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناس كلهم، قال: فيتبعها: {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ}، قال: فييأس الناس منها غير المسلمين"[١١٠٣].

القرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)} [الزخرف :٦٩-٧٠]

التفسير:

الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بما جاءتهم به رسلهم، وكانوا منقادين لله ربِّ العالمين بقلوبهم وجوارحهم، يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرناؤكم المؤمنون تُنَعَّمون وتُسَرُّون.

قوله تعالى:{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} [الزخرف : ٧٠]، أي:" يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرناؤكم المؤمنون تُنَعَّمون وتُسَرُّون"[١١٠٤].

عن قتادة، وابن زيد:"{تُحْبَرُونَ}، أي: تَنْعَمون"[١١٠٥].

وقال السدي:" تكرمون"[١١٠٦].

عن يحيى بن أبي كثير -من طريق الأوزاعي- في قوله: "{أنتم وأزواجكم تحبرون}، قال: السماع"[١١٠٧].

عن يحيى بن أبي كثير ، في قوله تعالى: {أنتم وأزواجكم تحبرون} [الزخرف: ٧٠] قال: قيل يا رسول الله ما الحبر؟ قال: «اللذة والسماع بما شاء الله من ذكره»[١١٠٨].

القرآن

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)} [الزخرف :٧١]

التفسير:

يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوانٍ من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، وفيها لهم ما تشتهي أنفسهم وتلذه أعينهم، وهم ماكثون فيها أبدًا.

قوله تعالى:{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} [الزخرف :٧١]، أي:" يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوانٍ من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب"[١١٠٩].

عن السديّ: "{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ}، قال: القصاع"[١١١٠]، "{وَأَكْوَابٍ}، قال: الأكواب التي ليست لها آذان"[١١١١].

عن مجاهد:" {بأكْوابٍ}، الأكواب: التي ليس لها آذان"[١١١٢].

(١١٠٣) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢١.
(١١٠٤) التفسير الميسر: ٤٩٤.
(١١٠٥) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢١-٦٤٠.
(١١٠٦) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١. وحكاه النحاس في إعراب القرآن عن ابن عباس: ٧٩/٤.
(١١٠٧)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٧٩.
(١١٠٨) تفسير عبدالرزاق(٢٧٨٦):ص١٧٧/٣.
(١١٠٩) التفسير الميسر: ٤٩٤.
(١١١٠) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.
(١١١١) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.
(١١١٢)أخرجه ابن جرير ١٠١/٢٣، في سورة الواقعة، وهناد (٦٩). وانظر: الدر المنثور: ٣٩٠/٧، وزاد نسبته إلى هناد.

عن الضحاك:" الأكواب: جرار ليست لها عرى، وهي بالنبطية كوبا "[١١١٣].
عن قتادة، {وأكْوابٍ}، قال: "هي دون الأباريق، بلغنا: أنها مُدوّرة الرأس"[١١١٤].
قال قتادة: «الكوب الذي دون الإبريق ليس له عروة»[١١١٥].
قال كعب:" «يطاف عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب في كل صحفة لون طعام ليس في الأخرى»"[١١١٦].
قوله تعالى:{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف :٧١]، أي:" وفيها لهم ما تشتهي أنفسهم وتلذه أعينهم"[١١١٧].
عن سعيد، قال:"إن أخسّ أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم، مع كل خادم صحفة من ذهب، لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم، لا يستعين عليهم بشيء من غيره، وذلك في قول الله تبارك وتعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ولهم {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ}"[١١١٨].
قال شعبة:"إنّ أدنى أهل الجنة منزلة، من له قصر فيه سبعون ألف خادم، في يد كل خادم صحفة سوى ما في يد صاحبها، لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم"[١١١٩].
عن عبد الله بن عمرو، قال: "ما أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، كلّ غلام على عمل ما عليه صاحبه"[١١٢٠]. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات، وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له لثلاث مائة خادم ويغدى عليه، ويراح كل يوم بثلاث مائة صحفة "، ولا أعلمه إلا قال: " من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض"[١١٢١].
قوله تعالى:{وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف :٧١]، أي:" وهم ماكثون فيها أبدًا"[١١٢٢].
عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" [١١٢٣].
عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[١١٢٤].
عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " من يدخل الجنة ينعم، لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه "[١١٢٥].
عن ابن سابط: أن رجلا قال: «يا رسول الله إني أحب الخيل، فهل في الجنة خيل؟ فقال:"إن يدخلك الجنة إن شاء، فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت"، فقال

(١١١٣)أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(١١١٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٧٠، وعبد بن حميد -كما في الفتح ٦/ ٣٢٢ - ، وابن جرير ٢٢/ ٢٩٧ في سورة الواقعة. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.
(١١١٥) تفسير عبدالرزاق(٣١٢٤):ص٢٧٦/٣.
(١١١٦) تفسير عبدالرزاق(٢٧٨٨):١٧٧/٣.
(١١١٧) التفسير الميسر: ٤٩٤.
(١١١٨) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١-٦٤١.
(١١١٩) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.
(١١٢٠) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١-٦٤١.
(١١٢١) أخرجه أحمد في المسند(١٠٩٣٢):ص٥٤٤/١٦-٥٤٥.
(١١٢٢) التفسير الميسر: ٤٩٤.
(١١٢٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١١٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(١١٢٥)رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب في دوام نعيم الجنة، (٢١٨١/٤) ، ورقمه: ٢٨٣٦.

أعرابي: يا رسول الله إني أحب الإبل، فهل في الجنة إبل؟ فقال:"يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة إن شاء الله، ففيها ما اشتهت نفسك، ولذت عيناك"»[١١٢٦].

عن أبي ظبية السلفي، قال: "إن السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة، قال: فتقول: ما أمطركم؟ قال: فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم، حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابا"[١١٢٧].

عن علي بن أبي الوليد، قال: "قيل لمجاهد: في الجنة سماع؟ قال: إن فيها لشجرا يقال له العيص، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله"[١١٢٨].

عن سليمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة، يقول:"إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطائر وهو يطير، فيقع متفلقا نضيجا في كفه، فيأكل منه حتى تنتهي نفسه، ثم يطير، ويشتهي الشراب، فيقع الإبريق في يده، ويشرب منه ما يريد، ثم يرجع إلى مكانه"[١١٢٩].

القرآن

{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢)} [الزخرف :٧٢]

التفسير:

وهذه الجنة التي أورثكم الله إياها؛ بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الخيرات والأعمال الصالحات، وجعلها مِن فضله ورحمته جزاء لكم.

قال مجاهد: "يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره، ومنزل الذين من أهل النار، هم يرثون أهل النار، فلهم منزلان في الجنة وأهلان، وذلك أنه منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فَيَبْنِي منزله الذي في الجنة، ويهدم منزله في النار. وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة. ويبني منزله الذي في النار"[١١٣٠].

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمنَ منزله من النار، والمؤمن يرث الكافرَ منزله من الجنة" وذلك قوله تعالى :{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}"[١١٣١].

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة، فيقول :{لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [الزمر : ٥٧] وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول :{وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف : ٤٣]، ليكون له شكرا"[١١٣٢].

عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ينادي مناد: أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وأن لكم أن تشبوا، ولا تهرموا، وأن لكم أن تنعموا، ولا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[١١٣٣]"[١١٣٤].

(١١٢٦) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.
(١١٢٧) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.
(١١٢٨) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.
(١١٢٩) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.
(١١٣٠) أخرجه الطبري: ١٩/!٣.
(١١٣١)رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٧، ورواه أحمد في مسنده (٥١٢/٢) من طريق أبي بكر بن عياش به مختصرا.
(١١٣٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٧.
(١١٣٣) [الأعراف: ٤٣].
(١١٣٤) أخرجه احمد(١١٩٠٥).:ص٤٠٠/١٨

القرآن

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦)} [الزخرف :٧٤-٧٦]

التفسير:

إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكثون، لا يخفف عنهم، وهم فيه آيسون من رحمة الله، وما ظلمْنا هؤلاء المجرمين بالعذاب، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بشركهم وجحودهم أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وترك اتباعهم لرسل ربهم.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [الزخرف : ٧٤]، أي:" إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكثون"(١١٣٥).

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(١١٣٦).

قوله تعالى:{لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف : ٧٥]، أي:" لا يخفف عنهم العذاب، وهم فيه آيسون من رحمة الله"(١١٣٧).

عن قتادة: "{وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، أي: مستسلمون"(١١٣٨). وفي رواية قال:" آيسون"(١١٣٩).

عن السديّ: "{وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}: متغير حالهم"(١١٤٠).

القرآن

{وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)} [الزخرف :٧٧-٧٨]

التفسير:

ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم «مالكًا» خازن جهنم: يا مالك لِيُمِتنا ربك، فنستريح ممَّا نحن فيه، فأجابهم مالكٌ: إنكم ماكثون، لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها، لقد جئناكم بالحق ووضحناه لكم، ولكن أكثركم لما جاء به الرسل من الحق كارهون.

قوله تعالى:{وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} [الزخرف : ٧٧]، أي:" ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم «مالكًا» خازن جهنم: يا مالك لِيُمِتنا ربك، فنستريح ممَّا نحن فيه"(١١٤١).

قال السدي:" مالك: خازن النار"(١١٤٢).

قال مجاهد:" ما كنا ندري ما معنى: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ}، حتى وجدنا في قراءة عبد الله {وَنَادَوْا يَا مَال}"(١١٤٣).

عن صفوان بن يعلى، عن أبيه، قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: " {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}"»(١١٤٤).

(١١٣٥) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(١١٣٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٣٨) اخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(١١٣٩) اخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(١١٤٠) اخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(١١٤١) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٤٢) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(١١٤٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٣٨٥/٦. بدون سند.

(١١٤٤) صحيح البخاري(٤٨١٩):ص١٣٠/٦.

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف : ٧٧]، أي:" فأجابهم مالكٌ: إنكم ماكثون، لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها"[١١٤٥].

قال السدي:" فمكثوا ألف سنة مما تعدّون. قال: فأجابهم بعد ألف عام: {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}"[١١٤٦].

قال قتادة:" «بلغني أنهم ينادون مالكا» : {ليقض علينا ربك} [الزخرف: ٧٧] ، " فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ، ثم يقول: {إنكم ماكثون} [الزخرف: ٧٧] ، " قال: " ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يقول: {اخسئوا فيها ولا تكلمون} قال: «فييئس القوم بعدها ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وإنما هو الزفير والشهيق»"[١١٤٧].

قال عمرو بن دينار:" بلغني: أنّه لما نادى أهلُ النار: {يا مالك ليقض علينا ربك}. مكث عنهم ألف سنة، ثم قال: {إنكم ماكثون}"[١١٤٨].

عن عطاء بن السائب، عن رجل من جيرانه يقال له: الحسن، عن نوف في قوله: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}، قال: يتركهم مئة سنة مما تعدون، ثم يناديهم فيقول: يا أهل النار إنكم ماكثون"[١١٤٩].

قال عبدالله بن عمرو:" فخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم، ثم أجابهم: {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}: قالوا: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}، فخلى عنهم مثلي الدنيا، ثم أجابهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ}، قال: فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة، إن كان إلا الزفيرُ والشهيق"[١١٥٠].

وروي عن عبد الله بن عمرو: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يرد عليهم: {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}، قال: هانت-والله-دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ(١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون : ١٠٦-١٠٧]، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونَ} [المؤمنون : ١٠٨]، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق"»[١١٥١].

قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [الزخرف : ٧٨]، أي:" لقد جئناكم بالحق ووضحناه لكم، ولكن أكثركم لما جاء به الرسل من الحق كارهون"[١١٥٢].

عن السديّ :" {لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ}، قال: الذي جاء به محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١١٥٣].

القرآن

{أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩)} [الزخرف :٧٩]

التفسير:

بل أأَحْكَمَ هؤلاء المشركون أمرًا يكيدون به الحق الذي جئناهم به؟ فإنا مدبِّرون لهم ما يجزيهم من العذاب والنكال.

سبب النزول:

(١١٤٥) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٤٦) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(١١٤٧) تفسير عبدالرزاق(١٩٩١):ص٤٢١/٢.

(١١٤٨)أخرجه أسد بن موسى في الزهد ص ١٥ (٣).

(١١٤٩) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(١١٥٠) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(١١٥١) رواه البغوي في التفسير: ٢٢٢/٧-٢٢٣، وأورده الهيثمي في المجمع: ١٠ / ٣٩٦ ثم قال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

(١١٥٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٥٣) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢١.

قال مقاتل:" وذلك أن نفرا من قريش منهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البختري بن هشام، وأمية بن أبي معيط، وعيينة بن حصن الفزاري، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبي بن خلف، - بعد موت أبي طالب- اجتمعوا في دار الندوة بمكة ليمكروا بالنبي- صلى الله عليه وسلم- سرا عند انقضاء المدة فأتاهم إبليس في صورة شيخ كبير فجلس إليهم، فقالوا له: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ قال عدو الله: أنا رجل من أهل نجد، وقدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، فأردت أن أسمع حديثكم، وأشير عليكم، فإن كرهتم مجلسي خرجت من بينكم. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل مكة فلا بأس عليكم منه. فتكلموا بالمكر بالنبي- صلى الله عليه وسلم- فقال أبو البختري بن هشام- من بني أسد بن عبد العزى-: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- فتجعلوه في بيت وتسدوا عليه بابه، وتجعلوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم تعمدون إلى رجل له فيكم صغو، قد سمع به من حولكم، تحبسونه في بيت، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذي له فيكم أن يقاتلكم عنه ويفسد جماعتكم ويسفك دماءكم. قالوا: صدق والله الشيخ. فقال هشام بن عمرو- من بنى عامر بن لوى-: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء ويليه غيركم. فقال إبليس: بئس الرأي، رأيتم تعمدون إلى رجل قد أفسد عليكم جماعتكم، وتبعه طائفة منكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك بالله أن يميل بهم عليكم. فقال أبو جهل: صدق والله الشيخ. فقال أبو جهل بن هشام: أما أنا فأرى أن تعمدوا إلى كل بطن من قريش فتأخذون من كل بطن منهم رجلا، فتعطون كل رجل منهم سيفا فيضربونه جميعا فلا يدري قومه من يأخذون به، وتؤدي قريش ديته، فقال إبليس: صدق والله الشاب. إن الأمر لكما. قال: فتفرقوا عن قول أبي جهل فنزل جبريل- عليه السلام- فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- بما ائتمروا به وأمره بالخروج فخرج النبي- صلى الله عليه وسلم- من ليلته إلى الغار. وأنزل الله- تعالى- فى شرهم الذي أجمعوا عليه: {أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ}"[١١٥٤].

وفي هذا الأمر، ثلاثة أقوال:

أحدها : المكر برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليقتُلوه أو يُخْرِجوه حين اجتمعوا في دار النّدوة وقد سبق بيان القصة في سورة«الأنفال»[١١٥٥]، والمعنى: أم أحكموا كيدا فإنا محكمون لهم كيدا. وهذا معنى قول مجاهد[١١٥٦]، والأكثرين[١١٥٧].

قال مجاهد:" أم أجمعوا أمرا، فإنا مجمعون، يقول: إن كادوا شرا كدناهم مثله"[١١٥٨].

الثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة[١١٥٩].

قال قتادة:" أم أجمعوا أمرا فإنا مجمعون"[١١٦٠].

القرآن

{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)} [الزخرف :٨٠]

التفسير:

أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنَّا لا نسمع ما يسرونه في أنفسهم، ويتناجون به بينهم؟ بلى نسمع ونعلم، ورسلنا الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كل ما عملوا.

(١١٥٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٨٠٣-٨٠٦.

(١١٥٥) [الأنفال: ٣٠].

(١١٥٦) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٢١/٦٤٦. باختصار.

(١١٥٧) انظر: زاد المسير: ٤/٨٤.

(١١٥٨) تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٢١/٦٤٦. باختصار.

(١١٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٦٤٦.

(١١٦٠) أخرجه الطبري: ٢١/٦٤٦.

سبب النزول:

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت:{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}"[١١٦١].

قوله تعالى:{بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف :٨٠]، أي:" بلى نسمع ونعلم، ورسلنا الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كل ما عملوا"[١١٦٢].

عن السدي :"{بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}، قال: الحفظة"[١١٦٣].

عن قتادة: "{بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}، أي: عندهم"[١١٦٤].

القرآن

{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)} [الزخرف :٨١-٨٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون، فأنا أول العابدين لهذا الولد الذي تزعمونه، ولكن هذا لم يكن ولا يكون، فتقدَّس الله عن الصاحبة والولد. تنزيهًا وتقديسًا لرب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفون من الكذب والافتراء من نسبة المشركين الولد إلى الله، وغير ذلك مما يزعمون من الباطل.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن النضر بن الحارث- من بني عبد الدار بن قصي- قال: إن الملائكة بنات الله. فأنزل الله- عز وجل-:{قُلْ} يا محمد {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ}، يقول: ما كان للرحمن ولد.. "[١١٦٥].

قوله تعالى:{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف : ٨١]، أي:" قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون، فأنا أول العابدين لهذا الولد الذي تزعمونه، ولكن هذا لم يكن ولا يكون"[١١٦٦].

اختلف في تفسير قوله تعالى:{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف : ٨١]، على وجوه:

أحدها : إن كان للرحمن ولد فأنا، أول من يعبد الله ليس له ولد، قاله مجاهد[١١٦٧].

عن مجاهد: "{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ} يقول: إن كان له ولد كما تقولون، {فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} يقول: أنا أول المؤمنين بالله عز وجل، فقولوا ما شئتم"[١١٦٨].

(١١٦١) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١، وقد تقدم نحوه من رواية ابن مسعود في نزول قوله تعالى: {وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢]، أخرجه سفيان الثوري في تفسيره ص ٢٦٥ - ٢٦٦، وأحمد ٦/ ٤١٩، والبخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥)، والترمذي (٣٢٤٩)، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٨)، والطبري: الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦.

(١١٦٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٦٣) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(١١٦٤) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(١١٦٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٥/٣.

(١١٦٦) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢١.

(١١٦٨) تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٦٤٨/٢١.

قال مجاهد:" قل إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحده وكذّبكم"[١١٦٩].
الثاني : معناه: فأنا أول العابدين، ولكن لم يكن ولا ينبغي أن يكون، قاله قتادة[١١٧٠]، والسدي[١١٧١].
قال قتادة:" وهذه كلمة من كلام العرب: {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، أي: إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي"[١١٧٢].
قال السدي:" لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا، ولكن لا ولد له"[١١٧٣].
الثالث : قل ما كان للرحمن ولد، وهذا كلام تام، ثم استأنف فقال : فأنا أول العابدين، أي: الموحدين من أهل مكة، قاله السدي[١١٧٤].
وروي عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سألت ابن محمد، عن قول الله: {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، قال: ما كان"[١١٧٥].
عن عمرو، قال: "سألت زيد بن أسلم، عن قول الله: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، قال: هذا قول العرب معروف، إن كان: ما كان، إن كان هذا الأمر قط، ثم قال: وقوله: و{إن كان}: «ما كان»"[١١٧٦].
وأحسنها قول مجاهد لأن «إن» يبعد أن تكون ههنا بمعنى «ما»، لأن ذلك لا يكاد يستعمل إلا وبعد «إن» «إلا»، وأيضا فإن بعدها ألفا، وأكثر ما يقال إذا أنف الإنسان وغضب وأنكر الشئ عبد فهو عبد كما يقال حذر فهو حذر، وقول مجاهد بيّن أي إن كان للرحمن ولد على زعمكم وقولكم كما قال تعالى {أَيْنَ شُرَكَائِيَ}، فانا أول من خالفكم ووحد الله جل وعز، ومعنى {العابدين}، كمعنى: الموحدين، لأنه لا يقال عابد إلا لموحد[١١٧٧].
قوله تعالى:{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الزخرف : ٨٢]، أي:" فتقدَّس الله عن الصاحبة والولد. تنزيهًا وتقديسًا لرب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفون من الكذب والافتراء من نسبة المشركين الولد إلى الله"[١١٧٨].
عن قتادة، قوله: {رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}، أي: يكذّبون"[١١٧٩].
عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[١١٨٠].
عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[١١٨١].

القرآن
{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣)} [الزخرف :٨٣]
التفسير:
فاترك -أيها الرسول- هؤلاء المفترين على الله يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معًا.

(١١٦٩) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢١.
(١١٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢١.
(١١٧١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٠/٢١.
(١١٧٢) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.
(١١٧٣) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢١.
(١١٧٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٤١/٥. بدون سند.
(١١٧٥) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.
(١١٧٦) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.
(١١٧٧) معاني القرآن: ٣٨٩/٦.
(١١٧٨) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١١٧٩) اخرجه الطبري: ٦٥٢/٢١.
(١١٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.
(١١٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

قوله تعالى:{حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [الزخرف :٨٣]، أي:" حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معًا"(١١٨٢).

عن السديّ: "{حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}، قال: يوم القيامة"(١١٨٣).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)} [الزخرف :٨٤]

التفسير:

وهو الله وحده المعبود بحق في السماء وفي الأرض، وهو الحكيم الذي أحكم خَلْقَه، وأتقن شرعه، العليم بكل شيء من أحوال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف :٨٤]، أي:" وهو الله وحده المعبود بحق في السماء وفي الأرض"(١١٨٤).

عن قتادة، قوله: "{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ}، قال: يُعبد في السماء، ويُعبد في الأرض"(١١٨٥).

وقرئت: «في السَّماءِ اللَّهُ وفِي الأرْضِ اللَّهُ»(١١٨٦).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} [الزخرف :٨٤]، أي:" وهو الحكيم الذي أحكم خَلْقَه، وأتقن شرعه، العليم بكل شيء من أحوال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها"(١١٨٧).

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(١١٨٨)، "{عليم}، أي: عليم بما يخفون"(١١٨٩).

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(١١٩٠).

القرآن

{وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)} [الزخرف :٨٥]

التفسير:

وتكاثرت بركة الله، وكَثُر خيره، وعَظُم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها، وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، وإليه تُرَدُّون -أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الزخرف :٨٥]، أي:" وتكاثرت بركة الله، وكَثُر خيره، وعَظُم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها"(١١٩١).

(١١٨٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١١٨٣) اخرجه الطبري: ٦٥١/٢١.
(١١٨٤) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١١٨٥) اخرجه الطبري: ٦٥٣/٢١.
(١١٨٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٢١/٤.
(١١٨٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١١٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(١١٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(١١٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(١١٩١) التفسير الميسر: ٤٩٥.

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[١١٩٢].

قوله تعالى:{وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [الزخرف :٨٥]، أي:" وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب"[١١٩٣].

عن مجاهد، في قوله: "{إن الله عنده علم الساعة} [لقمان: ٣٤] قال: " جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا جدبة محل، فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت أين ولدت، فأخبرني أين أموت ". فأنزل الله هذه الآية قال مجاهد: «وهن مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو»[١١٩٤].

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف :٨٥]، أي:" وإليه تُرَدُّون -أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلا بما يستحق"[١١٩٥].

قال أبو العالية:" ترجعون إليه بعد الحياة"[١١٩٦].

القرآن

{وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)} [الزخرف :٨٦]

التفسير:

ولا يملك الذين يعبدهم المشركون الشفاعة عنده لأحد إلا مَن شهد بالحق، وأقر بتوحيد الله وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به.

قوله تعالى:{وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} [الزخرف :٨٦]، أي:" ولا يملك الذين يعبدهم المشركون الشفاعة عنده لأحد إلا مَن شهد بالحق، وأقر بتوحيد الله وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم"[١١٩٧].

وقرئ: «تدعون» بالتاء. و«تدّعون»، بالتاء وتشديد الدال[١١٩٨].

قوله تعالى:{وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف :٨٦]، أي:" وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به"[١١٩٩].

عن مجاهد:"{وهم يعلمون}، أي: «علم الحق»[١٢٠٠].

وذكر اهل التفسير في معنى الآية، قولين:

أحدهما: أنه أراد بـ{الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ}: آلهتهم، ثم استثنى عيسى وعزيرَ والملائكة، فقال: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، قاله قتادة[١٢٠١]، وهو قول الاكثرين[١٢٠٢].

قال قتادة:" الملائكة وعيسى ابن مريم ، وعزير ، قال: فإن لهم عند الله الشفاعة "[١٢٠٣].

(١١٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١١٩٣) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٩٤) تفسير مجاهد: ٥٤٣.

(١١٩٥) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٠):ص٣٠٠٣/٩.

(١١٩٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١١٩٨) انظر: الكشاف: ٢٦٨/٤.

(١١٩٩) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١٢٠٠) تفسير مجاهد: ٥٩٦.

(١٢٠١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢١.

(١٢٠٢) انظر: زاد المسير: ٨٦/٤.

(١٢٠٣) تفسير عبدالرزاق(٢٧٩٧):ص١٧٩/٣.

الثاني: أن المراد بـ{الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ}: عيسى وعزيرُ والملائكةُ الذين عبدهم المشركون بالله لا يَمْلِك هؤلاء الشفاعة لأحد {إِلَّا مَنْ شَهِدَ}، أي: إلاَ لِمَنْ شَهِد بِالْحَقِّ وهي كلمة الإخلاص، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنّ الله عزّ وجلّ خلق عيسى وعزير والملائكة، وهذا مذهب قوم، منهم مجاهد(١٢٠٤).

عن مجاهد، قوله: "{وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ}، قال: عيسى، وعُزير، والملائكة"(١٢٠٥).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله: {إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله، ويخلصون له الوحدانية، على علم منهم ويقين بذلك، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، كما قال جلّ ثناؤه: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى} فأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه"(١٢٠٦).

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)} [الزخرف :٨٧]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك مَن خلقهم؟ ليقولُنَّ: الله خلقنا، فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادة الله، ويشركون به غيره؟

قوله تعالى:{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف :٨٧]، أي:" فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادة الله، ويشركون به غيره؟"(١٢٠٧).

عن قتادة، قوله: "{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}، قال: من أين"(١٢٠٨)، {يُؤْفَكُونَ}، اي: يعدلون"(١٢٠٩).

القرآن

{وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)} [الزخرف :٨٨-٨٩]

التفسير:

وقال محمد صلى الله عليه وسلم شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذَّبوه: يا ربِّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم. فأمره الله بالإعراض عنهم وعن أذاهم، وتركهم بسبب كفرهم وعنادهم، ولا يَبْدُر منك -أيها الرسول- إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين، فهم لا يسافهونهم ولا يعاملونهم بمثل أعمالهم السيئة، فسوف يعلمون ما يلقَوْنه من البلاء والنكال. وفي هذا تهديد ووعيد شديد لهؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم.

(١٢٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢١.
(١٢٠٥) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢١.
(١٢٠٦) تفسير الطبري: ٦٥٤/٢١-٦٥٥.
(١٢٠٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١٢٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٩):ص٣٠٧٩/٩.
(١٢٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٢١):ص٣٠٧٩/٩.

قوله تعالى:{وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف : ٨٩]، أي:" وقال محمد صلى الله عليه وسلم شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذَّبوه: يا ربِّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم"(١٢١٠).

عن قتادة، قوله: "{وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ}، قال: هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربه"(١٢١١).

قال مجاهد:" فأبرّ الله عزّ وجلّ قول محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(١٢١٢).

قوله تعالى:{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف : ٨٩]، أي:" فأعرض عنهم -أيها الرسول- ولا يَبْدُر منك إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين"(١٢١٣).

عن قتادة: "{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ}، قال: اصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم"(١٢١٤).

عن قتادة:" قال الله تبارك وتعالى يعزّي نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم :{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُون}"(١٢١٥).

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف : ٨٩]، أي:" فسوف يعلمون ما يلقَوْنه من البلاء والنكال"(١٢١٦).

عن الحسن: "{فسوف يعلمون}، قال: وعيد"(١٢١٧).

وقرئ: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» بالتاء على وجه الخطاب، بمعنى: أمر الله عزّ وجلّ نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يقول ذلك للمشركين، مع قوله: {سَلام}"(١٢١٨).

«آخر تفسير سورة (الزخرف)، والحمد لله وحده»

(١٢١٠) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١٢١١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢١.
(١٢١٢) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢١.
(١٢١٣) انظر: التفسير الميسر:٤٩٥، وصفوة التفاسير: ١٥٥/٣.
(١٢١٤) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.
(١٢١٥) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.
(١٢١٦) التفسير الميسر: ٤٩٥.
(١٢١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٧):ص٣٠٨٢/٩.
(١٢١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢١، والسبعة في القراءات: ٥٨٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الدخان»

سورة «الدخان»: هي «السورة الرابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الرابعة والستون» بحسب ترتيب النزول، وهي السورة «الخامسة» من **«الحواميم»** السبع. نزلت بعد سورة «الزخرف»، وقبل سورة «الجاثية» في مكانها هذا[١٢١٩].

آياتها تسع وخمسون فى عد الكوفة، وسبع فى عد البصرة، وست للباقين. كلماتها ثلاثمائة وست وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وأحد وثلاثون. المختلف فيها من الآى أربع: {حم (١)} [الدخان : ١]، {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ} [الدخان : ٣٤] ، {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣ ، {فِي الْبُطُون} [الدخان : ٤٥]. فواصل آياتها كلها: «من»[١٢٢٠].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[١٢٢١]، وعبد الله بن الزبير[١٢٢٢].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان : ١٥]. ذكره الزمخشري ولم يعزه إلى قائل[١٢٢٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٢٢٤].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[١٢٢٥].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية لا أحفظ خلافا في شيء منها"[١٢٢٦].

(١٢١٩) انظر: الكشاف: ٢٦٩/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(١٢٢٠) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢٤.

(١٢٢١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢٢٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢٢٣) انظر: الكشاف: ٢٦٩/٤.

(١٢٢٤) زاد المسير: ٨٧/٤.

(١٢٢٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(١٢٢٦) المحرر الوجيز: ٦٨/٥.

القرآن

{حم (١)} [الدخان : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله: {حم} [الدخان : ١]، على أقوال:

أحدها : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي(١٢٢٧).

الثالث : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة(١٢٢٨).

الثالث : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد(١٢٢٩).

وهذا كله تكلف لا موجب له، وتعسف لا ملجئ إليه، والحق أن هذه الفاتحة لهذه السورة، وأمثالها من المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة(١٢٣٠).

القرآن

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨)} [الدخان : ٢-٨]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى. إنا أنزلناه في ليلة القدر المباركة كثيرة الخيرات، وهي في رمضان. إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده. فيها يُقضى ويُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة من الملائكة كلُّ أمر محكم من الآجال والأرزاق في تلك السنة، وغير ذلك مما يكون فيها إلى آخرها، لا يبدَّل ولا يغيَّر. هذا الأمر الحكيم أمر مِن عندنا، فجميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه. إنا كنا مرسلين إلى الناس الرسل محمدًا ومن قبله؛ رحمة من ربك -أيها الرسول- بالمرسل إليهم. إنه هو السميع يسمع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة. خالق السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، إن كنتم موقنين بذلك فاعلموا أن رب المخلوقات هو إلهها الحق. لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين، فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.

قوله تعالى:{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} [الدخان : ٢]، أي:" أُقسم بالقرآن البيِّن الواضح، الفارق بين طريق الهدى والضلال، البيِّن في إعجازه، الواضح في أحكامه"(١٢٣١).

قال قتادة:" مبين والله بركته، وهداه ورشده"(١٢٣٢).

قوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان : ٣]، أي:" إنا أنزلناه في ليلة القدر المباركة كثيرة الخيرات، وهي في رمضان، إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده"(١٢٣٣).

واختلف أهل التأويل في تلك الليلة، على قولين:

أحدهما : أنها ليلة النصف من شعبان؛ قاله عكرمة(١٢٣٤).

(١٢٢٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(١٢٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(١٢٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(١٢٣٠) فتح القدير: ٥٥١/٤.

(١٢٣١) صفوة التفاسير: ١٥٨/٣

(١٢٣٢) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢١.

(١٢٣٣) التفسير الميسر: ٤٩٦.

قال عكرمة:" في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم لا ينقص منهم أحد"[١٢٣٥].

عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى"[١٢٣٦].

قال ابن كثير:" ومن قال : إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد النَّجْعَة فإن نص القرآن أنها في رمضان. والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل عن الزهري : أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، وقد أخرج اسمه في الموتى» فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص"[١٢٣٧].

الثاني : أنها ليلة القدر. قاله قتادة[١٢٣٨].

عن قتادة:" {إِنَّا أنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}: ليلة القدر، ونزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، ونزلت التوراة لستّ ليال مضت من رمضان، ونزل الزَّبور لستّ عشرة مضت من رمضان، ونزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان، ونزل الفُرقَان لأربع وعشرين مضت من رمضان"[١٢٣٩].

و الصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} خلْقنا بهذا الكتاب الذي أنزلناه في الليلة المباركة عقوبتنا أن تحلّ بمن كفر منهم، فلم ينب إلى توحيدنا، وإفراد الألوهة لنا[١٢٤٠].

قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، أي:" في ليلة القدر يُفصل ويُبيَّن كلُّ أمرٍ محكم من أرزاق العباد وآجالهم وسائر أحوالهم فلا يُبدَّل ولا يُغيِّر"[١٢٤١].

قال عكرمة:" يقضي في ليلة القدر كل أمر محكم"[١٢٤٢].

وفي تفسير قوله تعالى: {كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، وجوه:

أحدها : الآجال والأرزاق والسعادة والشقاء من السنة إلى السنة، قاله الحسن[١٢٤٣]، وأبو مالك[١٢٤٤].

عن أبي مالك، في قوله: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، قال: "أمر السنة إلى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة، أو نحو هذا"[١٢٤٥].

عن ربيعة بن كلثوم، قال: "كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كلّ رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كلّ رمضان، وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها"[١٢٤٦].

(١٢٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٥٣١):ص٣٢٨٧/١٠.

(١٢٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٣١):ص٣٢٨٧/١٠.

قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٧/٤:" الرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها، فروي عن عكرمة أنه قال: في ليلة القَدْر، وعلى هذا المفسرون".

(١٢٣٦) أخرجه الطبري: ١٠/٢٢، ورواه الطبراني في تفسيره (٦٥/٢٥) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٨٣٩) من طريق الليث عن عقيل به

(١٢٣٧) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(١٢٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٢.

(١٢٣٩) أخرجه الطبري: ٧/٢٢.

(١٢٤٠) تفسير الكبري: ٨/٢٢.

(١٢٤١) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

(١٢٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٢٩):ص٣٢٨٧/١٠.

(١٢٤٣) أخرجه الطبري: ٨/٢٢.

(١٢٤٤) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

(١٢٤٥) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

قال عن عمر مولى غفرة: "يقال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها، وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}، وقال: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، قال: فتجد الرجل ينكح النساء، ويغرس الغرس واسمه في الأموات"[١٢٤٧].

عن محمد بن سوقة، عن عكرمة، قال: سمعته يقول: "يؤذن للناس بالحج ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم، قال محمد، وأظنه قال: "وأسماء آبائهم لا يغادر أحدا ممن كتب تلك الليلة، ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم "، ثم قرأ عكرمة {فيها يفرق كل أمر حكيم}"[١٢٤٨].

الثاني: يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة. قاله قتادة[١٢٤٩].

قال قتادة:" هي ليلة القدر فيها يُقضى ما يكون من السنة إلى السنة"[١٢٥٠].

قال قتادة:" كُنَّا نُحدَّثُ أنه يُفْرق فيها أمر السنة إلى السنة"[١٢٥١].

قال ابو عبدالرحمن:" يدبر أمر السنة في ليلة القدر"[١٢٥٢].

قال هلال بن يساف: "كان يقال: انتظروا القضاء في شهر رمضان"[١٢٥٣].

الثالث : كل ما يقضى من السنة إلى السنة، إلا الشقاوة والسعادة فإنه في أم الكتاب لا يغير ولا يبدل ، قاله مجاهد[١٢٥٤].

قال مجاهد:" يقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدّم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير"[١٢٥٥].

الرابع: كل ما يقضى من السنة إلى السنة إلا الحياة والموت ، قاله مجاهد-أيضا-[١٢٥٦].

قال مجاهد:" في ليلة القدر: يفرق كل أمر يكون في السنة إلى مثلها من السنة الأخرى من المعايش والمصائب كلها إلا الحياة والموت"[١٢٥٧].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الدخان : ٦]، أي:" إنه هو السميع يسمع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة"[١٢٥٨].

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[١٢٥٩].

قوله تعالى:{رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} [الدخان : ٧]، أي:" الذي أنزل القرآن وهو ربُّ السمواتِ والأرض وخالقهما ومالكهما ومن فيهما إن كنتم من أهل الإيمان واليقين"[١٢٦٠].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[١٢٦١].

(١٢٤٦) أخرجه الطبري: ٨/٢٢.

(١٢٤٧) أخرجه الطبري :٩/٢١.

(١٢٤٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٠٢):ص١٨٠/٣.

(١٢٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٢.

(١٢٥٠) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

(١٢٥١) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

(١٢٥٢) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

(١٢٥٣) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

(١٢٥٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٢.

(١٢٥٥) أخرجه الطبري: ١٠/٢٢.

(١٢٥٦) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٧.

(١٢٥٧) تفسير مجاهد: ٥٩٧. أخرجه الطبري: ٩/٢٢، بلفظ:"في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها".

(١٢٥٨) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(١٢٥٩) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(١٢٦٠) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

قوله تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ} [الدخان : ٨]، أي:" لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحيى الأموات ويميت الأحياء"(١٢٦٢).

عن محمد بن إسحاق :"{لا إله إلا هو}، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"(١٢٦٣).

عن محمد بن إسحاق:"{يحيي ويميت}، أي: يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء، من ذلك بآجالهم بقدرته"(١٢٦٤).

قوله تعالى: {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} [الدخان : ٨]، أي:" هو خالقكم وخالق من قبلكم من آبائكم وأجدادكم"(١٢٦٥).

عن محمد إسحاق:" {ربكم ورب آبائكم الأولين}، أي: وخلق آبائكم الأولين"(١٢٦٦). وفي رواية:" وخلق آبائكم الأولين وخلقكم، من آبائكم"(١٢٦٧).

القرآن

{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)} [الدخان : ١٠-١٢]

التفسير:

فانتظر -أيها الرسول- بهؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعمُّ الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجع، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإنا مؤمنون بك. وقد تحقق ذلك، فلم يؤمنوا كما وعدوا.

قوله تعالى:{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان : ١٠]، أي:" فانتظر -أيها الرسول- بهؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح"(١٢٦٨).

عن قتادة: "{فَارْتَقِبْ}، أي: فانتظر"(١٢٦٩).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان : ١٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لما دعا عليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى ، فقال : «اللَّهُمَّ اكفِنِيهم بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ». قاله مجاهد(١٢٧٠).

قال مجاهد:" الجدب وإمساك المطر عن كفار قريش"(١٢٧١).

قال مسروق: "كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود فجاء رجل فقال: سمعت رجلا آنفا عند أبواب كندة , يقول: إنه سيأتي على الناس دخان يأخذ بأنفاس الكفار , ويكون على المؤمنين كهيئة الزكمة فغضب ابن مسعود , وقال: يا أيها الناس من علم منكم شيئا فليقل , ما يعلم ومن لم يعلم فليقل الله أعلم , فإن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} [ص: ٨٦] إن قريشا لما آذوا

(١٢٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٢٦٢) التفسير الميسر: ٤٩٦، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٨٤٦/٩.

(١٢٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٣٤):ص٢٠١٠/٦.

(١٢٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٨٩٨/٦.

(١٢٦٥) تفسير المراغي: ٥٤/١٩.

(١٢٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٤):ص٢٧٥٦/٨.

(١٢٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٧):ص٢٧٥٦/٨.

(١٢٦٨) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(١٢٦٩) أخرجه الطبري: ١٣/٢٢.

(١٢٧٠) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٧.

(١٢٧١) تفسير مجاهد: ٥٩٧.

النبي صلى الله عليه وسلم , وكذبوه دعا عليهم فقال: " اللهم خذهم بسنين كسني يوسف , فأخذتهم سنة أهلكت كل شيء حتى أصابهم جوع شديد وجهد حتى أكلوا الميتة وأكلوا القضب , حتى جعل أحدهم يخيل إليه أنه يرى ما بينه وبين السماء دخانا , فجاء أبو سفيان , فقال: يا محمد إنك بعثت بالرحمة والعافية والخير , وإن قومك قد هلكوا , ثم تلا ابن مسعود {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} [الدخان: ١٠] حتى بلغ {كاشفو العذاب قليلا} [الدخان: ١٥] قال: " فيكشف عذاب الآخرة , ثم قال: {يوم نبطش البطشة الكبرى} [الدخان: ١٦] : هذا يوم بدر , واللزام: القتل يوم بدر وقد مضى هذا كله , وآية الروم قد مضت"[١٢٧٢].

قال ابن مسعود:" خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم"[١٢٧٣].

قال ابن مسعود:" البطشة الكبرى يوم بدر، وقد مضى الدخان"[١٢٧٤].

قال ابن مسعود:" قد مضى الدخان، كان سنين كسني يوسف"[١٢٧٥].

قال إبراهيم:" مضى الدخان لسنين أصابتهم"[١٢٧٦].

قال عوف: "سمعت أبا العالية يقول: إن الدخان قد مضى"[١٢٧٧].

قال الضحاك:" قد مضى شأن الدخان"[١٢٧٨].

قال عاصم: "شهدت جنازة فيها زيد بن عليّ فأنشأ يحدّث يومئذ، فقال: إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة، فيأخذ بأنف المؤمن الزكام، ويأخذ بمسامع الكافر، قال: قلت رحمك الله، إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا، قال: إن الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}، قال: أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخانا، فذلك قوله: {فَارْتَقِبْ}، وكذا قرأ عبد الله إلى قوله {مُؤْمِنُونَ}، قال: {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلا}، قلت لزيد: فعادوا، فأعاد الله عليهم بدرا، فذلك قوله: {وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا}، فذلك يوم بدر، قال: فقبل والله، قال عاصم: فقال رجل يردّ عليه، فقال زيد -رحمة الله عليه-: أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال:«إِنَّكُمْ سَيَجِيئُكُمْ رُوَاةٌ، فَمَا وَافَقَ القُرآن فَخُذُوا بِهِ، ومَا كانَ غيرَ ذلكَ فَدَعُوهُ»"[١٢٧٩].

الثاني : أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغيوم، قاله عبد الرحمن بن الأعرج[١٢٨٠] [١٢٨١].

الثالث : أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، قاله الحسن[١٢٨٢]. ورواه حذيفة اليمان وأبو مالك الأشعري مرفوعا[١٢٨٣].

عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن ربكم أنذركم ثلاثا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال"[١٢٨٤].

(١٢٧٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٠٣):ص١٨١/٣، وانظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٢-١٤، وصحيح البخاري(٤٨٠٩):ص١٢٤/٦.

(١٢٧٣) أخرجه الطبري: ١٥/٢٢.

(١٢٧٤) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(١٢٧٥) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(١٢٧٦) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(١٢٧٧) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(١٢٧٨) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(١٢٧٩) أخرجه الطبري: ١٥/٢٢.

(١٢٨٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٥٣٢):ص٣٢٨٧/١٠.

(١٢٨١)قال ابن كثير:" وهذا القول غريب جدًا بل منكر". [تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٧].

(١٢٨٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٢.

(١٢٨٣) اخرجه الطبري: ١٧/٢٢-١٨.

(١٢٨٤) اخرجه الطبري: ١٨/٢٢.

عن رِبْعِيٍّ بن حَرَاش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أول الآيات الدجال، ونزول عيسى بن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان»، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية:{يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام. وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره"(١٢٨٥).

وفي الصحيحين:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن الصياد : «إني خبأت لك خَبْأً" قال : هو الدُّخ. فقال له : «اخسأ فلن تعدو قدرك». قال : وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}"(١٢٨٦).

وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يُقَرطمون العبارة ؛ ولهذا قال : «هو الدُّخ»، يعني : الدخان. فعندها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية، فقال له : «اخسأ فلن تعدو قدرك»(١٢٨٧).

قال الحسن: "إن الدخان قد بقي من الآيات، فإذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كلّ سمع من مسامعه، ويأخذ المؤمن كزكمة"(١٢٨٨).

عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: "غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت"(١٢٨٩).

الصواب في ذلك ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه، هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم، على ما وصفه ابن مسعود من ذلك إن لم يكن خبر حذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا، وإن كان صحيحا، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول.

وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأقر به، فقال: لا فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي: اسمعه منا فقرءوه علي، ثم ذهبوا، فحدثوا به عني، أو كما قال; فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة، وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية، لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله:{لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُون} ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} أمرا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم.

وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك، لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح"(١٢٩٠).

(١٢٨٥) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢-١٨.

(١٢٨٦)صحيح البخاري برقم (٣٠٥٥) وصحيح مسلم برقم (٢٩٣٠) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

(١٢٨٧) تفسير ابن كثير: ٢٤٨/٧.

(١٢٨٨) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢.

(١٢٨٩) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٧.

(١٢٩٠) تفسير الطبري: ١٨/٢٢-١٩.

قوله تعالى:{يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان : ١١]، أي:" يشمل كفار قريش ويعمهم من كل جانب ويقولون حين يصيبهم الدخان: هذا عذاب أليم"[١٢٩١].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[١٢٩٢]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٢٩٣].

قوله تعالى:{رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} [الدخان : ١٢]، أي:" ويقولون مستغيثين: ربَّنا ارفع عنا العذاب فإننا مؤمنون بمحمد وبالقرآن إن كشفته عنا"[١٢٩٤].

عن قتادة:"{رَبَّنَا اكْشِفْ عَنّا العَذابَ إنّا مُؤْمِنُونَ}، قال: الدُّخان"[١٢٩٥].

عن سليمان بن مهران الأعمش -من طريق وكيع- قال: "قالوا: {رَبَّنا اكْشِفْ عَنّا العَذابَ}، يعني: الجوع. فقيل له: إنْ كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم. فدعا ربّه، فكشف عنهم، فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: {فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ} إلى قوله: {مُنْتَقِمُونَ}"[١٢٩٦].

القرآن

{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤)} [الدخان : ١٣-١٤]

التفسير:

كيف يكون لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول العذاب بهم، وقد جاءهم رسول مبين، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ثم أعرضوا عنه وقالوا: علَّمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول؟

قوله تعالى:{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى} [الدخان : ١٣]، أي:" كيف يكون لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول العذاب بهم"[١٢٩٧].

عن مجاهد: "{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى}، بعد وقوع هذا البلاء"[١٢٩٨]. وفي رواية: يعني: "التوبة بعد وقوع البلاء"[١٢٩٩].

قوله تعالى:{وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ} [الدخان : ١٣]، أي:" والحال أنه قد أتاهم رسولٌ بيّن الرسالة، مؤيدٌ بالبينات الباهرة، والمعجزات القاهرة، ومع هذا لم يؤمنوا به ولم يتعبوه؟"[١٣٠٠].

عن سعيد بن جبير: "{المبين}، يعني: البين"[١٣٠١].

قوله تعالى:{ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ} [الدخان : ١٤]، أي:" ثم أعرضوا عنه وقالوا: علَّمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول؟"[١٣٠٢].

قال مجاهد:" تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام، وقالوا: معلم مجنون"[١٣٠٣].

(١٢٩١) صفوة التفاسير: ١٦٠/٣.
(١٢٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٢٩٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٢٩٤) صفوة التفاسير: ١٦٠/٣.
(١٢٩٥)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.
(١٢٩٦)أخرجه البغوي ٧/ ٢٢٩.
(١٢٩٧) التفسير الميسر: ٤٩٦.
(١٢٩٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٢.
(١٢٩٩) تفسير مجاهد: ٥٩٧.
(١٣٠٠) صفوة التفاسير: ١٦٠/٣.
(١٣٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٢٠):ص٣٤٥/٩.
(١٣٠٢) التفسير الميسر: ٤٩٦.
(١٣٠٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٢.

القرآن

{إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)} [الدخان :١٥]

التفسير:

سنرفع عنكم العذاب قليلا، وسترون أنكم تعودون إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلال والتكذيب، وأننا سنعاقبكم على ذلك.

عن قتادة: "{إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلا}، يعني: الدخان"(١٣٠٤).

عن قتادة: "{إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}، إلى عذاب الله"(١٣٠٥). وفي رواية:" عائدون إلى النار"(١٣٠٦).

القرآن

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦)} [الدخان :١٦]

التفسير:

يوم نعذب جميع الكفار العذاب الأكبر يوم القيامة وهو يوم انتقامنا منهم.

وفي تفسير قوله: {الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى}[الدخان :١٦]، ثلاثة أقوال:

أحدهما : القتل بالسيف يوم بدر، قاله مسروق(١٣٠٧)، ومجاهد(١٣٠٨)، والضحاك(١٣٠٩)، وأبو العالية(١٣١٠)، وعطاء الخراساني(١٣١١).

الثاني : عذاب جهنم يوم القيامة، قاله الحسن(١٣١٢)، وعكرمة(١٣١٣).

قال الحسن:" إنّ يوم البطشة الكُبرى يوم القيامة"(١٣١٤).

قال إبراهيم: "مرّ بي عكرمة، فسألته عن البطشة الكبرى فقال: يوم القيامة; قال: قلت: إن عبد الله بن مسعود كان يقول: يوم بدر، وأخبرني من سأله بعد ذلك، فقال: يوم بدر"(١٣١٥).

القرآن

{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧)} [الدخان :١٧]

التفسير:

ولقد اختبرنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام، فكذبوه فهلكوا، فهكذا نفعل بأعدائك أيها الرسول، إن لم يؤمنوا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ} [الدخان :١٧]، أي:" ولقد اختبرنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون"(١٣١٦).

عن قتادة:" {ولَقَدْ فَتَنّا} قال: ابتلينا"(١٣١٧).

(١٣٠٤) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢.

(١٣٠٥) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢.

(١٣٠٦)تفسير عبدالرزاق(٢٨٠٦):ص١٨٢/٣.

(١٣٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(١٣٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(١٣٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٣١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(١٣١١)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٣.

(١٣١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٣١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٣١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٣١٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٣١٦) التفسير الميسر: ٤٩٦.

قوله تعالى:{وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} [الدخان :١٧]، أي:" وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام"[١٣١٨].

عن قتادة، قوله: "{رَسُولٌ كَرِيمٌ}، قال: موسى عليه السلام"[١٣١٩].

القرآن

{أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)} [الدخان :١٨]

التفسير:

وقال لهم موسى: أن سلِّموا إليَّ عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، إني لكم رسول أمين على وحيه ورسالته.

قوله تعالى:{أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ} [الدخان :١٨]، أي:" وقال لهم موسى: أن سلِّموا إليَّ عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له"[١٣٢٠].

قال مجاهد:" أرسلوا معي بني إسرائيل"[١٣٢١].

عن قتادة: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ}، يعني به: بني إسرائيل، قال لفرعون: علام تحبس هؤلاء القوم، قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا، خلّ سبيلهم"[١٣٢٢].

القرآن

{وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١)} [الدخان :١٩-٢١]

التفسير:

وألا تتكبروا على الله بتكذيب رسله، إني آتيكم ببرهان واضح على صدق رسالتي، وإني استجرت بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجمًا بالحجارة، وإن لم تصدقوني على ما جئتكم به فخلُّوا سبيلي، وكفُّوا عن أذاي.

قوله تعالى:{وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ} [الدخان : ١٩]، أي:" وألا تتكبروا على الله بتكذيب رسله"[١٣٢٣].

قال قتادة:" أي: لا تبغوا على الله"[١٣٢٤].

قوله تعالى:{إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [الدخان : ٢٠]، أي:" إني آتيكم ببرهان واضح على صدق رسالتي"[١٣٢٥].

قال قتادة:" {إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}، أي: بعذر مبين"[١٣٢٦].

قوله تعالى:{وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ} [الدخان : ٢١]، أي:" وإني استجرت بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجمًا بالحجارة"[١٣٢٧].

(١٣١٧)الدر المنثور: ٤٠٩/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.
(١٣١٨) التفسير الميسر: ٤٩٦.
(١٣١٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٢.
(١٣٢٠) التفسير الميسر: ٤٩٦.
(١٣٢١) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٢.
(١٣٢٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٢.
(١٣٢٣) التفسير الميسر: ٤٩٧.
(١٣٢٤) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
(١٣٢٥) التفسير الميسر: ٤٩٧.
(١٣٢٦) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
(١٣٢٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.

واختلف أهل التفسير في معنى «الرجم» هنا على ثلاثة أقوال:
أحدها :يعني: الرجم بالحجارة ، قاله قتادة[١٣٢٨].
الثاني : أن تقتلوني، قاله السدي[١٣٢٩].
الثالث : يعني: رجم القول، قاله أبو صالح[١٣٣٠].
قال أبو صالح:" الرجم: بالقول"[١٣٣١]. وقال: "أن تقولوا هو ساحر"[١٣٣٢]. وفي رواية:" ان يقولوا ساحر أو كاهن أو شاعر"[١٣٣٣].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلّ عليه ظاهر الكلام، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجُمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولا باللسان، وفعلا باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذًى ومكروه، شتما كان ذلك باللسان، أو رجما بالحجارة باليد[١٣٣٤].
قوله تعالى:{وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ} [الدخان : ٢١]، أي:" وإن لم تصدقوني على ما جئتكم به فخلُّوا سبيلي، وكفُّوا عن أذاي"[١٣٣٥].
قال قتادة:" أي: فخلُّوا سبيلي"[١٣٣٦].

القرآن
{فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣)} [الدخان :٢٣]
التفسير:
فأَسْرِ -يا موسى- بعبادي -الذين صَدَّقوك، وآمنوا بك، واتبعوك، دون الذين كذبوك منهم- ليلا إنكم متبعون من فرعون وجنوده فتنجون، ويغرق فرعون وجنوده.
قوله تعالى:{فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا} [الدخان :٢٣]، أي:" فأَسْرِ -يا موسى- بعبادي -الذين صَدَّقوك، وآمنوا بك، واتبعوك، دون الذين كذبوك منهم- ليلا"[١٣٣٧].
قوله تعالى:{إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} [الدخان :٢٣]، أي:" إنكم متبعون من فرعون وجنوده فتنجون، ويغرق فرعون وجنوده"[١٣٣٨].
قال السدي:" ثم إن الله أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فقال: {فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون}، يقول: طريقا كما هو فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط وأمر أن لا ينادي أحد منهم صاحبه وأن يسرجوا بيوتهم حتى الصبح وأن لا ينادي إنسان منهم صاحبه وأن من خرج يلطخ أمام بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى أتوا آباءهم ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلا

(١٣٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢:٢٧.
(١٣٢٩) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥، وحكاه الطبري في التفسير: ٢٧/٢٢. دون نسبة
(١٣٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٢.
(١٣٣١) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
(١٣٣٢) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
(١٣٣٣) رواه النحاس في معاني القرآن: ٤٠٢/٦.
(١٣٣٤) تفسير الطبري: ٢٧/٢٢.
(١٣٣٥) التفسير الميسر: ٤٩٧.
(١٣٣٦) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٢.
(١٣٣٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.
(١٣٣٨) التفسير الميسر: ٤٩٧.

والقبط لا يعلمون وقد دعوا قبل ذلك على القبط فخرج في قومه وألقي على القبط الموت، فمات كل بكر رجل منهم فأصبحوا يدفنونهم، فشغلوا، عن طلبهم حتى طلعت الشمس"[١٣٣٩].

عن السدي: "أن الله أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل، فقال: أسر بعبادي ليلا إنكم متبعون. فخرج موسى وهارون في قومهما، وألقي على القبط الموت، فمات كل بكر رجل، فأصبحوا يدفنونهم، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. فذلك حين يقول الله جل ثناؤه: {فأتبعوهم مشرقين} [الشعراء: ٦٠] فكان موسى على ساقة بني إسرائيل، وكان هارون أمامهم يقدمهم [١٣٤٠] فقال المؤمن لموسى: يا نبي الله، أين أمرت؟ قال: البحر. فأراد أن يقتحم، فمنعه موسى، وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وإنما عدوا ما بين ذلك، سوى الذرية. وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان، ليس فيها ماذِيانة -يعني الأنثى- وذلك حين يقول الله جل ثناؤه: {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} [الشعراء: ٥٣-٥٤] يعني بني إسرائيل. فتقدم هارون فضرب البحر، فأبى البحر أن ينفتح، وقال: من هذا الجبار الذي يضربني؟ حتى أتاه موسى فكناه"أبا خالد" وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم -يقول: كالجبل العظيم-، فدخلت بنو إسرائيل. وكان في البحر اثنا عشر طريقا، في كل طريق سبط -وكانت الطرق انفلقت بجدران - فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا! فلما رأى ذلك موسى، دعا الله، فجعلها لهم قناطر كهيئة الطِّيقان[١٣٤١] فنظر آخرهم إلى أولهم، حتى خرجوا جميعا. ثم دنا فرعون وأصحابه، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا قال: ألا ترون البحر فَرق مني؟ قد انفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم! فذلك حين يقول الله جل ثناؤه: {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ} [الشعراء: ٦٤] يقول: قربنا ثم الآخرين، يعني آل فرعون. فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيله أن تقتحم، فنزل جبريل على ماذيانة، فشامت الحصن ريح الماذيانة، فاقتحم في أثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم"[١٣٤٢].

القرآن

{وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤)} [الدخان :٢٤]

التفسير:

واترك البحر كما هو على حالته التي كان عليها حين سلكته، ساكنًا غير مضطرب، إن فرعون وجنوده مغرقون في البحر.

قال قتادة:" لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له: {وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ}"[١٣٤٣].

قال قتادة:" لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: {وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا} كما هو، {إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ}"[١٣٤٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا} [الدخان :٢٤]، وجوه:

أحدها : طريقاً، أي: الطريق بين الماء. قاله كعب[١٣٤٥]، والحسن[١٣٤٦].

وعن محمد بن كعب القرظي:" طريقا مفتوحا"[١٣٤٧].

(١٣٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٥٠):ص٢٧٦٨/٨.

(١٣٤٠)ساقة الجيش، وساقة الحاج: هم الذين يكونون في مؤخره يسوقونه ويحفظونه من ورائه.

(١٣٤١)الطيقان والأطواق، جمع طاق: وهو عقد البناء حيث كان.

(١٣٤٢) أخرجه الطبري(٩١٠):ص٥٥/٢-٥٦.

(١٣٤٣) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٢.

(١٣٤٤) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٢-٢٩.

(١٣٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.

(١٣٤٦) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥، وتفسير القرطبي: ١٣٧/١٦.

الثاني: طريقا يَبَسا، قاله الحسن[١٣٤٨]، ومجاهد[١٣٤٩]، وقتادة[١٣٥٠]، وعكرمة[١٣٥١]، وابن أبي نجيح[١٣٥٢].
قال عكرمة:" يابسا كهيئته بعد أن ضربه، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يدخل آخرهم"[١٣٥٣].
وفي رواية قال مجاهد:" كهيئته وامضه"[١٣٥٤].
قال قتادة:" كما هو طريقا يابسا"[١٣٥٥].
الثالث : جددا. قاله عكرمة-أيضا-[١٣٥٦].
الرابع: سهلاً، قاله الربيع[١٣٥٧].
الخامس : دَمثا[١٣٥٨]، قاله الضحاك[١٣٥٩].
وروي عن الضحاك ايضا، قال:" سهلا دمثا"[١٣٦٠]. وروي عن الحسن مثله[١٣٦١].
السادس : منفرجاً، قاله مجاهد[١٣٦٢].
قال مجاهد:" طريقا منفرجا"[١٣٦٣].
وقال عطاء الخراساني:" يابسا منفرجا"[١٣٦٤].
السابع: ساكناً، أي: كما جزته، قاله مجاهد-في رواية-[١٣٦٥]، وقتادة[١٣٦٦].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: اتركه على هيئته كما هو على الحال التي كان عليها حين سلكته، وذلك أن الرهو في كلام العرب: السكون[١٣٦٧].

القرآن
{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)} [الدخان :٢٥-٢٧]
التفسير:

(١٣٤٧) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧.
(١٣٤٨) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن الأنباري في كتاب الأضداد.
(١٣٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٥١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٥٢) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥.
(١٣٥٣) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٤٧):ص٣٢٨٨/١٠.
(١٣٥٥) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.
(١٣٥٨)الدمث: المكان اللين ذو رمل. انظر: اللسان، مادة«دمث»:ص ٢/ ١٤٩، والمصباح المنير: ١٩٩.
(١٣٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.
(١٣٦٠) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(١٣٦١) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن عبد الحكم.
(١٣٦٢) نقلا عن: بحر العلوم: ٢٧٠/٣، والنكت والعيون: ٢٥٠/٥، وتفسير القرطبي: ١٣٧/١٦.
(١٣٦٣) أورده السيوطي فب الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٣٦٤)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٣٣):ص:٩٣/١.
(١٣٦٥) رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد، كما في معاني القرآن للنحاس: ٤٠٣/٦.
(١٣٦٦) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن الأنباري في كتاب الأضداد.
(١٣٦٧) تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.

كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة، وعيون من الماء جارية، وزروع ومنازل جميلة، وعيشة كانوا فيها متنعمين مترفين.

قوله تعالى:{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الدخان : ٢٥-٢٦]، أي:" كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة، وعيون من الماء جارية، ومزارع عديدة فيها أنواع المزروعات ومنازل حسنة"[١٣٦٨].

عن قتادة، قوله: "{وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}، أي: حسن"[١٣٦٩]. وروي عن سعيد بن جبير[١٣٧٠]، مثله.

وفي قوله تعالى:{وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الدخان : ٢٦]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنها المنابر، قاله الحسن[١٣٧١]، وسعيد بن جبير[١٣٧٢]، ومجاهد[١٣٧٣].

قال عبد الله بن عمرو:" كان بها ألف منبر"[١٣٧٤].

الثاني : المساكن الحسنة[١٣٧٥]، قاله السدي[١٣٧٦].

قوله تعالى:{وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} [الدخان : ٢٧]، أي:" وعيشة كانوا فيها متنعمين مترفين"[١٣٧٧].

عن قتادة: "{وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ}: ناعمين، قال: إي والله، أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورّطه في البحر"[١٣٧٨].

عن عبد الله بن عمرو، قال : "نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب، وذلّلهُ له، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونًا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله، أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، وقال في قوله تعالى :{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} قال : كانت الجنان بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعًا، ما بين أسوان إلى رشيد، وكان له تسعة خلج : خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعًا، لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها"[١٣٧٩].

القرآن

{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)} [الدخان :٢٨]

التفسير:

مثل ذلك العقاب يعاقب الله مَن كذَّب وبدَّل نعمة الله كفرًا، وأورثنا تلك النعم من بعد فرعون وقومه قومًا آخرين خلفوهم من بني إسرائيل.

(١٣٦٨) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٣٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢٢.

(١٣٧٠) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.

(١٣٧١) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.

(١٣٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢٢.

(١٣٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٢-٣٢.

(١٣٧٤) رواه النحاس في معاني القرآن: ٨٢/٥.

(١٣٧٥) قال الماوردي:" لمقام أهلها فيها". [النكت والعيون: ٢٥١/٥].

(١٣٧٦) نقلا عن: تفسير يحيى بن سلام: ٥٠٥/٢. حكاه بدون سند.

(١٣٧٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٣٧٨) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٢.

(١٣٧٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧-٢٥٣، ورواه النحاس في معاني القرآن: ٨١/٥-٨٢.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ} [الدخان :٢٨]، أي:" مثل ذلك العقاب يعاقب الله مَن كذَّب وبدَّل نعمة الله كفرًا"[١٣٨٠].

قال الحسن:" أي: كذلك كان الخبر"[١٣٨١].

قوله تعالى:{وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ} [الدخان :٢٨]، أي:" وأورثنا تلك النعم من بعد فرعون وقومه قومًا آخرين خلفوهم من بني إسرائيل"[١٣٨٢].

عن قتادة، قوله: "{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ}- يعني: بني إسرائيل"[١٣٨٣] [١٣٨٤]..

قال الحسن:" رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه"[١٣٨٥].

القرآن

{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)} [الدخان :٢٩]

التفسير:

فما بكت السماء والأرض حزنًا على فرعون وقومه، وما كانوا مؤخَّرين عن العقوبة التي حلَّت بهم.

قوله تعالى:{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} [الدخان :٢٩]، أي:" فما بكت السماء والأرض حزنًا على فرعون وقومه"[١٣٨٦].

وفي قوله تعالى:{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} [الدخان :٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : فما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض. وهذا قول الحسن[١٣٨٧].

الثاني : أن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً ؛ قاله مجاهد[١٣٨٨].

وقال مجاهد:" حُدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا"[١٣٨٩]. -قال أبو يحيى-: "فقلت له : أتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد، كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل ؟"[١٣٩٠].

قال مجاهد:" إن العالم إذا مات بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا"[١٣٩١].

عن وهب، قال: "إن الأرض لتحزن على العبد الصالح أربعين صباحا"[١٣٩٢].

(١٣٨٠) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٣٨١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٥/٢.

(١٣٨٢) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٣٨٣) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٢.

(١٣٨٤)قال ابن عطية:" وسماها: وراثة، من حيث كانت أشياء أناس وصلت إلى قوم آخرين من بعد موت الأولين، وهذه حقيقة الميراث في اللغة وربطها الشرع بالنسب وغيره من أسباب الميراث، والآخرون من ملك مصر بعد القبط. وقال قتادة: القوم الآخرون، هم بنو إسرائيل، وهذا ضعيف، لأنه لم يرو أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في شيء من ذلك الزمان ولا ملكوها قط، إلا أن يريد قتادة أنهم ورثوا نوعها في بلاد الشام، وقد ذكر الثعلبي عن الحسن أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون". [المحرر الوجيز: ٧٣/٥].

(١٣٨٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٥/٢.

(١٣٨٦) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٣٨٧) انظر: النكت والعيون: ٢٥٢/٥.

(١٣٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/٢٢.

(١٣٨٩) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٢.

(١٣٩٠) رواه سفيان الثوري كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧، وانظر: الدر المنثور: ٤١٢/٧- وعزاه إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ في "العظمة".

(١٣٩١) الدر المنثور: ٤١٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٣٩٢) الدر المنثور: ٤١٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

الثالث : أنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، قاله سعيد بن جبير[١٣٩٣]، والضحاك[١٣٩٤]، وقتادة[١٣٩٥].

عن سعيد بن جبير، قال:" إن بقاع الأرض التي كان يصعد عمله منها إلى السماء تبكي عليه بعد موته، يعني: المؤمن"[١٣٩٦].

وقال الضحاك:" لا تبكي السماء والأرض على الكافر، وتبكي على المؤمن الصالح معالمُه من الأرض ومقرُّ عمله من السماء"[١٣٩٧].

وقال قتادة:" بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الأرض تبكي عليه إذا مات، وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله"[١٣٩٨].

عن معاوية بن قرة، قال: "إن البقعة التي يصلي عليها المؤمن تبكي عليه إذا مات وبحذائها من السماء ثم قرأ {فما بكت عليهم السماء والأرض}"[١٣٩٩].

وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كالمعروف من بكاء الحيوان. حكاه الماوردي وقال:"ويشبه أن يكون قول مجاهد"[١٤٠٠].

الثاني : أنه حمرة أطرافها، قاله إبراهيم[١٤٠١]، وعطاء[١٤٠٢]، والسدي[١٤٠٣].

قال عطاء:" بكاء السماء حُمرة أطرافها"[١٤٠٤].

عن عبيد المكتب، عن إبراهيم، قال: "ما بكت السماء منذ كانت الدنيا، إلا على اثنين قيل لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه وحيث يصعد عمله. قال: وتدري ما بكاء السماء؟ قال لا. قال: تحمر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل، احمرت السماء وقطرت دما، وإن حسين بن علي يوم قتل احمرت السماء"[١٤٠٥].

وروي عن السديّ قال: "لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها"[١٤٠٦].

وعن محمد بن سيرين. قال:"أخبرونا إن الحمرة التي مع الشفق لم تكن، حتى قتل الحسين -رضي الله عنه-"[١٤٠٧].

وقال سليم القاضي: "مطرنا دما أيام قتل الحسين"[١٤٠٨].

قال أهل العلم:" وذكروا أيضًا في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عَبِيط، وأنه كسفت الشمس، واحمر الأفق، وسقطت حجارة. وفي كل من ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف الشيعة

(١٣٩٣) رواه الفراء في معاني القرآن: ٤١/٣.
(١٣٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦/٢٢.
(١٣٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٦/٢٢.
(١٣٩٦) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٢.
(١٣٩٧) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٢.
(١٣٩٨) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٢.
(١٣٩٩) الدر المنثور: ٤١٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٤٠٠) النكت والعيون: ٢٥٣/٥، وانظر قول مجاهد في: تفسير الطبري: ٣٤/٢٢.
(١٤٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٥٥٢):ص٣٢٨٩/١٠.
(١٤٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٢.
(١٤٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٢.
(١٤٠٤) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٢.
(١٤٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٥٢):ص٣٢٨٩/١٠.
(١٤٠٦) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٢.
(١٤٠٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٣/٨.
(١٤٠٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٣/٨.

وكذبهم، ليعظموا الأمر - ولا شك أنه عظيم - ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من ذلك - قتل الحسين رضي الله عنه - ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع شيء من ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصورًا مظلومًا، ولم يكن شيء من ذلك. وعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس : الشمس خسفت لموت إبراهيم، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته[١٤٠٩]"[١٤١٠].

والمعنى الجيد في الآية: أنها استعارة باهية فصيحة تتضمن تحقير أمرهم، وأنهم لم يتغير عن هلاكهم شيء، وهذا نحو قوله تعالى: {وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ} [إبراهيم: ٤٦] على قراءة من قرأ: «لتزول» بكسر اللام ونصب الفعل وجعل {إِنْ} [إبراهيم: ٤٦] نافية، ومثل هذا المعنى قول النبي عليه السلام: «لا ينتطح فيها عنزان»[١٤١١]، فإنه يتضمن التحقير، لكن هذه الألفاظ هي بحسب ما قيلت فيه، وهو قتل المرأة الكافرة التي كانت تؤذي النبي عليه السلام. وعظم قصة فرعون وقومه يجيء بحسبها جمال الوصف وبهاء العبارة في قوله: فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ ومن نحو هذا أن يعكس قول جرير[١٤١٢]:

لمّا أتى خبرُ الزُّبَير تهدّمت ... سورُ المدينة والجبالُ الْخُشّع

فيقال في تحقير: مات فلان فما خشعت الجبال[١٤١٣].

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان :٢٩]، أي:" وما كانوا مؤخَّرين عن العقوبة التي حلَّت بهم"[١٤١٤].

عن السدي:{مُنْظَرِينَ}" بمنظرين من ان يعذبوا"[١٤١٥].

القرآن

{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠)} [الدخان :٣٠]

التفسير:

ولقد نجَّينا بني إسرائيل من العذاب المُذلِّ لهم بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم.

عن قتادة:"{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ} بقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم"[١٤١٦].

القرآن

(١٤٠٩)رواه البخاري في صحيحه برقم (١٠٤٣) ومسلم في صحيحه برقم (٩١٥).

(١٤١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧.

(١٤١١)حديث عبد الله بن الحارث: أخرجه ابن سعد (٢٧/٢) . وحديث ابن عباس: أخرجه ابن عدى (١٤٥/٦، ترجمة ١٦٤٤ محمد بن الحجاج اللخمى) ، وقال: ضعيف بلا شك وإن أحاديثه تشبه الوضع ولا تشبه حديث الثقات. وأخرجه أيضا: القضاعى (٤٦/٢، رقم ٨٥٦) ، والخطيب (٩٩/١٣).

أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس، والكباش لا العنوز. وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجري فيها خلف ونزاع. النهاية ٧٤/٥.

(١٤١٢)هو لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق. وكان قاتل الزبير بن العوام غدرا رجلا من رهط الفرزدق، فعيره جرير بهذا. وانظر ٣٤٥ والنقائض ٩٦٩ والكتاب ١/ ١٩، ٢٥- والكامل للمبرر ٣١٢ والطبري ١/ ١٤٥ واللسان والتاج (سور) والخزانة ٢/ ١٦٦.

(١٤١٣) المحرر الوجيز: ٧٣/٥.

(١٤١٤) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٤١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٣٥):ص٢٢٥٨/٧.

(١٤١٦) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٢.

{مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} [الدخان :٣١]

التفسير:

من فرعون، إنه كان جبارًا من المشركين، مسرفًا في العلو والتكبر على عباد الله.

قوله تعالى:{مِنْ فِرْعَوْنَ} [الدخان :٣١]، أي:" من العذاب من فرعون"[١٤١٧].

عن ابن إسحاق: "أن اسمه الوليد بن مُصعب بن الريان"[١٤١٨].

قال محمد بن إسحاق:" عن ابن إسحاق قال: لم يكن منهم فرعون أعتى على الله، ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب"[١٤١٩].

عن الحسن، قال: "كان فرعون علجا من همذان"[١٤٢٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ} [الدخان :٣١]، أي:" إنه كان جبارًا من المشركين، مسرفًا في العلو والتكبر على عباد الله"[١٤٢١].

عن الضحاك قال: "من الفتّاكين"[١٤٢٢].

القرآن

{وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢)} [الدخان :٣٢]

التفسير:

ولقد اصطفينا بني إسرائيل على عِلْم منا بهم على عالمي زمانهم.

قال قتادة:" أي: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، ولكلّ زمان عالم"[١٤٢٣].

قال قتادة:" عالم ذلك الزمان"[١٤٢٤].

قال مجاهد:" على من هم بين ظَهْرَانِيهِ"[١٤٢٥].

القرآن

{وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣)} [الدخان :٣٣]

التفسير:

وآتيناهم من المعجزات على يد موسى ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم؛ رخاء وشدة.

قال قتادة:" أنجاهم مِن عدُوِّهم، وأقطعهم البحر، وظلَّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسَّلْوى"[١٤٢٦].

القرآن

{إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥)} [الدخان :٣٤-٣٥]

التفسير:

(١٤١٧) تفسير الطبري: ٣٧/٢٢.

(١٤١٨) أخرجه الطبري(٨٨٨):ص٣٨/٢.

(١٤١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٥):ص٢٩٤٤/٩.

(١٤٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٦):ص٢٩٤٤/٩.

(١٤٢١) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٤٢٢) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٨٧/٤. بدون سند.

(١٤٢٣) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٢.

(١٤٢٤) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٢.

(١٤٢٥) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٢.

(١٤٢٦) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر

إن هؤلاء المشركين مِن قومك -أيها الرسول- ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب.

عن قتادة:"{إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِين}، قد قال مشركو العرب {وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ}، أي: بمبعوثين"(١٤٢٧).

القرآن

{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)} [الدخان :٣٧]

التفسير:

أهؤلاء المشركون خير أم قوم تُبَّع الحِمْيَري والذين مِن قبلهم من الأمم الكافرة بربها؟ أهلكناهم لإجرامهم وكفرهم، ليس هؤلاء المشركون بخير مِن أولئكم فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون.

قوله تعالى:{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الدخان :٣٧]، أي:" أهؤلاء المشركون خير أم قوم تُبَّع الحِمْيَري والذين مِن قبلهم من الأمم الكافرة بربها؟"(١٤٢٨).

عن مجاهد، قوله:"{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ}، قال: الحميريّ"(١٤٢٩).

وروي عن سعيد بن جبير:" أن تُبَّعا كسا البيت، ونهى سعيد عن سبه"(١٤٣٠).

قال قتادة:" ذُكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير، سار بالجيوش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَب كَتَب باسم الذي تسمَّى وملك برّا وبحرا وصحا وريحا. وذُكر لنا أن كعبا كان يقول: نُعِتَ نَعْتَ الرَّجُل الصَّالح ذمّ الله قومَه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبَّعا، فإنه كان رجلا صالحا"(١٤٣١).

عمرو بن جابر الحضرمي - قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا تُبَّعًا ؛ فإنه قد كان أسلم"(١٤٣٢).

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أدري، تُبَّع نبيًّا كان أم غير نبي"(١٤٣٣).

عن تميم بن أبي عبد الرحمن، قال: "قال لي عطاء بن أبي رباح: أتسبون تبعا يا تميم؟ قال: قلت: نعم، قال: «فلا تسبوه , فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى، عن سبه»"(١٤٣٤).

القرآن

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠)} [الدخان :٤٠]

التفسير:

إن يوم القضاء بين الخلق بما قدَّموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين.

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}، يوم يُفْصَل فيه بين الناس بأعمالهم"(١٤٣٥).

(١٤٢٧) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٢.

(١٤٢٨) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٤٢٩) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.

(١٤٣٠) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.

(١٤٣١) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.

(١٤٣٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧. ورواه احمد في المسند (٣٤٠/٥) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف : "فيه ابن لهيعة، وعمرو بن جابر، وهما ضعيفان"

(١٤٣٣) رواه عبدالرزاق كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧، ورواه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢٧٠/٣) من طريق عبد الرزاق بهذا اللفظ.

(١٤٣٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٢٢):ص١٨٦/٣.

وقرئ: «ميقاتهم» بالنصب على أنه الاسم ، أي: إن ميعاد جزائهم في يوم الفصل[١٤٣٦].

القرآن

{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢)} [الدخان :٤١-٤٢]

التفسير:

يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئًا، ولا ينصر بعضهم بعضًا، إلا مَن رحم الله من المؤمنين، فإنه قد يشفع له عند ربه بعد إذن الله له. إن الله هو العزيز في انتقامه مِن أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته.

قوله تعالى:{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ} [الدخان :٤١-٤٢]، أي:" يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئًا، ولا ينصر بعضهم بعضًا، إلا مَن رحم الله من المؤمنين، فإنه قد يشفع له عند ربه بعد إذن الله له"[١٤٣٧].

قال قتادة: "انقطعت الأسباب يومئذ يا ابن آدم، وصار الناس إلى أعمالهم، فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخر ما عليه، ومن أصاب يومئذ شرّا شقي به آخر ما عليه"[١٤٣٨].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الدخان : ٤٢]، أي:" إن الله هو العزيز في انتقامه مِن أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته"[١٤٣٩].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[١٤٤٠]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[١٤٤١].

القرآن

{إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤)} [الدخان :٤٣-٤٤]

التفسير:

إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، ثمرها طعام صاحب الآثام الكثيرة، وأكبر الآثام الشرك بالله.

عن سعيد بن جُبير -من طريق عطاء بن السائب-:" {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعامُ الأَثِيمِ}، قال: الأثيم أبو جهل"[١٤٤٢].

قال قتادة:" لما نزلت هذه الآية[{إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ}] دعا أبو جهل بتمر وزبد، فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٦٤] إلى قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ {٦٧} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ {٦٨} } [الصافات: ٦٧-٦٨] "[١٤٤٣].

قال السدي:" قال أبو جهل لما نزلت: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣]، قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها، فدعا جارية، فقال: ائتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به

(١٤٣٥) أخرجه الطبري: ٤١/٢٢.
(١٤٣٦) انظر: تفسير البيضاوي: ١٠٣/٥.
(١٤٣٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.
(١٤٣٨) أخرجه الطبري: ٤٢/٢٢.
(١٤٣٩) التفسير الميسر: ٤٩٧.
(١٤٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(١٤٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(١٤٤٢)أخرجه الخطيب في تاريخه ٦/ ٢٦٤، ٩/ ٢٣٩. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(١٤٤٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

محمد، فأنزل الله تفسيرها: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصافات : ٦٢ - ٦٣]، قال: لأبي جهل وأصحابه"[١٤٤٤].

عن همام، قال: "كان أبو الدرداء يُقْرئ رجلا: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ}، قال: فجعل الرجل يقول: إن شجرة الزقوم طعام اليتيم; قال: فلما أكثر عليه أبو الدرداء، فرآه لا يفهم، قال: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر"[١٤٤٥].

عن عون بن عبد الله، يرفع الحديث إلى عبد الله بن مسعود:" أنه كان يقرئ رجلا أعجميا هذه الآية: {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم}، فيقول الأعجمي: طعام اليتيم؛ فقال ابن مسعود: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر، قال: نعم، قال: فاقرأ كذلك"[١٤٤٦].

القرآن

{كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦)} [الدخان :٤٥-٤٦]

التفسير:

ثمر شجرة الزقوم كالمَعْدِن المذاب يغلي في بطون المشركين، كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة.

عن سعيد بن جبير-من طريق سالم-:" {كالمُهْل}، قال: كدُرْدِيِّ الزّيت"[١٤٤٧].

وقال عكرمة:" كعكر القطران"[١٤٤٨].

عن سعيد بن جبير:" {كالمُهْل}، قال: أشدُّ ما يكون حرًّا"[١٤٤٩].

عن مجاهد، في قوله: "{كالمُهْل}،قال: القيح والدم أسود كعكر الزيت"[١٤٥٠].

عن الضحاك، في قوله: "{كالمُهْل}،قال: أسود، وهي سوداء وأهلها سود"[١٤٥١].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن ابن مسعود أُهديت له سقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخدّت في الأرض، ثم قُذِف فيها من جزل الحطب، ثم قذفت فيها تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة، فدعا رهطا، فلما دخلوا قال: أترون هذا؟ قالوا نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من الذهب والفضة حين أزبد وانماع"[١٤٥٢].

عن عبد الله بن سفيان الأسديّ، قال: "أذاب عبد الله بن مسعود فضة، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا"[١٤٥٣].

وقرئ:«تَغْلِي»، بالتاء، بمعنى: أن شجرة الزقوم تغلي في بطونهم[١٤٥٤].

القرآن

{خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧)} [الدخان :٤٧]

التفسير:

(١٤٤٤) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(١٤٤٥) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٢.

(١٤٤٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١٧):ص٥٤/٣.

(١٤٤٧) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(١٤٤٨) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢١٢/٢٢.

(١٤٤٩)عزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد، وكذا ابن حجر في الفتح ٨/ ٥٧٠ بلفظ: هو الذي انتهى حره.

(١٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٠):ص٥٩/٧.

(١٤٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩١):ص٥٩/٧.

(١٤٥٢) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(١٤٥٣) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(١٤٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٢.

خذوا هذا الأثيم الفاجر فادفعوه، وسوقوه بعنف إلى وسط الجحيم يوم القيامة.
سبب نزول الآيات:[٤٧-٤٩]:
عن عكرمة قال : "لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل - لعنه الله - فقال : "إن الله تعالى أمرني أن أقول لك :{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى. ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة : ٣٤، ٣٥] قال : فنزع ثوبه من يده، وقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء. ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم. قال : فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وأنزل :{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}"[١٤٥٥].
قال قتادة:" نزلت في أبي جهل: "{خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ}، قال قتادة، قال أبو جهل: ما بين جبليها رجل أعزّ ولا أكرم مني، فقال الله عزّ وجلّ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}"[١٤٥٦].
قال ابن زيد، قوله: "{خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، قال: هذا لأبي جهل"[١٤٥٧].
عن قتادة: " {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} [الدخان : ٤٨]، نزلت في عدوّ الله أبي جهل لقي النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأخذه فهزه، ثم قال: أولى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذق إنك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه قال: أيوعدني محمد، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها. وفيه نزلت: {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، وفيه نزلت: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]، وقال قتادة: نزلت في أبي جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨]"[١٤٥٨].
وفي قوله تعالى:{فَاعْتِلُوهُ} [الدخان :٤٧]، خمسة وجوه:
أحدها : فجروه ، قاله الحسن[١٤٥٩].
الثاني : «ادفعوه»، قاله مجاهد[١٤٦٠].
الثالث : فاقصفوه كما يقصف الحطب ، حكاه الأعمش[١٤٦١].

القرآن
{ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)} [الدخان :٤٨]
التفسير:
ثم صبُّوا فوق رأس هذا الأثيم الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.
قال السدي:" الحميم: الذي قد انتهى حَرُّه"[١٤٦٢].

القرآن
{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)} [الدخان :٤٩]
التفسير:
يقال لهذا الأثيم الشقيِّ -على وجه التهكُّم والتوبيخ-: ذق هذا العذاب الذي تعذَّب به اليوم، إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم.

(١٤٥٥)ذكره ابن كثير:٢٦٠/٧، عن الأموي في مغازيه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤١٨/٧) وهو مرسل.
(١٤٥٦) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.
(١٤٥٧) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.
(١٤٥٨) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٢.
(١٤٥٩) انظر: النكت والعيون: ٢٥٧/٥.
(١٤٦٠) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٨، وتفسير الطبري: ٤٧/٢٢.
(١٤٦١) انظر: النكت والعيون: ٢٥٧/٥.
(١٤٦٢) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

قال قتادة:" لما نزلتْ: {خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ إلى سَواءِ الجَحِيمِ}؛ قال أبو جهل: ما بين جَبليها رجلٌ أعزّ ولا أكرم مني. فقال الله: {ذُقْ إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ}"[١٤٦٣].

عن أبي هريرة قال: "قال كعب: لله ثلاثة أثواب: اتَّزر بالعزّ، وتَسَربل الرحمة، وارتدى الكبرياء تعالى ذكره، فمن تعزّز بغير ما أعزّه الله فذاك الذي يقال: ذق إنك أنت العزيز الكريم، ومن رحم الناس فذاك الذي سربل الله سرباله الذي ينبغي له ومن تكبر فذاك الذي نازع الله رداءه إن الله تعالى ذكره يقول:"لا ينبغي لمن نازعني ردائي أن أدخله الجنة" جلّ وعزّ"[١٤٦٤].

القرآن

{إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)} [الدخان :٥٠]

التفسير:

إن هذا العذاب الذي تعذَّبون به اليوم هو العذاب الذي كنتم تشكُّون فيه في الدنيا، ولا توقنون به.

عن السدي:" {ثم أنتم تمترون}: تشكون"[١٤٦٥].

عن الربيع بن أنس، في قول الله: {ثم أنتم تمترون}، يعني: الشك والريبة في أمر الساعة"[١٤٦٦].

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١)} [الدخان :٥١]

التفسير:

إن الذين اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه في الدنيا في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات والأحزان وغير ذلك.

قال قتادة:" إيْ والله، أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان"[١٤٦٧].

قال الضحّاك: "أمنوا فيه الجوع والسقم والهرم والموت وأمنوا الخروج منه"[١٤٦٨]، و«المَقام» بفتح الميم أجود في العربية لأن المكان، والمُقام: الإقامة وكلٌّ صواب"[١٤٦٩].

القرآن

{فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢)} [الدخان :٥٢]

التفسير:

في جنات وعيون جارية.

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[١٤٧٠].

القرآن

{يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣)} [الدخان :٥٣]

التفسير:

(١٤٦٣)أخرجه عبد الرزاق(٢٨٢٤):ص٨٧/٣، والطبري: ٤٩/٢٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٤٦٤) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.

(١٤٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٢):ص١٢٦٣/٤.

(١٤٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٤):ص١٢٦٣/٤.

(١٤٦٧) أخرجه الطبري: ٥١/٢٢.

(١٤٦٨) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٨٣/٣. بدون سند.

(١٤٦٩) انظر: معاني القرآن: ٤٤/٣.

(١٤٧٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

يَلْبَسون ما رَقَّ من الديباج وما غَلُظَ منه، يقابل بعضهم بعضًا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض، يدور بهم مجلسهم حيث داروا.

قوله تعالى:{يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الدخان :٥٣]، أي:" يَلْبَسون ما رَقَّ من الديباج وما غَلُظَ منه"(١٤٧١).

قال عكرمة:" الإستبرق، الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم استبره"(١٤٧٢).

وروي عن قتادة، "{من سندس وإستبرق} [الكهف: ٣١] قال: «هو غليظ الديباج»"(١٤٧٣).

عن كعب، قال: "لو إن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم"(١٤٧٤).

عن عبد الرحمن بن سابط، قال: "يبعث الله إلى العبد من اهل الجنة بالكسوة فتعجبه، فيقول: لقد رأيت الجنان فما رأيت مثل هذه الكسوة قط! فيقول الرسول الذي جاء بالكسوة: إن ربك يأمر أن تهيئ لهذا العبد مثل هذه الكسوة ما شاء"(١٤٧٥).

قوله تعالى:{مُتَقَابِلِينَ} [الدخان :٥٣]، أي:" يقابل بعضهم بعضًا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض، يدور بهم مجلسهم حيث داروا"(١٤٧٦).

قال مجاهد:" لا يرى بعضهم قفا بعض"(١٤٧٧)، وروي عن وعكرمة(١٤٧٨)، نحوه.

وفي قوله تعالى:{مُتَقَابِلِينَ} [الدخان :٥٣]، وجهان:

القرآن

{كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)} [الدخان :٥٤]

التفسير:

كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات وإلباسهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوَّجناهم بالحسان من النساء واسعات الأعين جميلاتها.

عن قتادة، قوله: "{كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}، قال: بيضاء عيناء"(١٤٧٩).

عن مجاهد: قوله:"{وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}، قال: أنكحناهم حورا. قال: والحُور: اللاتي يحار فيهنّ الطرف بادٍ مُخُّ سوقهنّ من وراء ثيابهنّ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهنّ كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون"(١٤٨٠).

عن أنس - رفعه نوح - قال : "لو أن حوراء بَزَقَت في بحر لُجِّي، لعَذُبَ ذلك الماء لعذوبة ريقها"(١٤٨١).

وفي قراءة عَبْد اللَّه: «وَأَمْدَدْناهُمْ بِعِيسٍ عين»(١٤٨٢)، و«العيس» -عند العرب- جمع: عيساء، وهي البيضاء من الإبل، كما قال الأعشى(١٤٨٣):

(١٤٧١) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(١٤٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٦):ص٢٣٥٩/٧، والطبري: ٥١/٢٢. [مختصرا]

(١٤٧٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣١١١):ص٢٧٣/٣.

(١٤٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٨):ص٢٣٦٠/٧.

(١٤٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٧):ص٢٣٥٩/٧.

(١٤٧٦) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(١٤٧٧) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٢، وابن أبي حاتم(١٢٤٠٤):ص٢٢٦٧/٧.

(١٤٧٨) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٨٣/٣. بدون سند.

(١٤٧٩) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

(١٤٨٠) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

(١٤٨١) رواه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٨٦) من وجه آخر، فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني، عن منصور الواسطي، عن أبي النصر الأبار، عن أنس مرفوعا بنحوه.

وَمَهْمَهٍ نَازِحٍ تَعْوِي الذّئابُ بِهِ ... كَلَّفْتُ أعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابا
يعني بالـ«أعيس»: جملا أبيض"[١٤٨٤].
و«العيساء»: البيضاء. و«الحوراء» كذلك[١٤٨٥].

القرآن
{يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥)} [الدخان :٥٥]
التفسير:
يطلب هؤلاء المتقون في الجنة كل نوع من فواكه الجنة اشتهوه، آمنين من انقطاع ذلك عنهم وفنائه.
قال قتادة:" أمنوا من الموت والأوصاب والشيطان"[١٤٨٦].

القرآن
{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨)} [الدخان :٥٦-٥٨]
التفسير:
لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم؛ تفضلا وإحسانًا منه سبحانه وتعالى، هذا الذي أعطيناه المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده. فإنما سهَّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول; لعلهم يتعظون وينزجرون.
قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الدخان : ٥٧]، أي:" هذا الذي أعطيناه المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده"[١٤٨٧].
قال سعيد بن جبير: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"[١٤٨٨].
قوله تعالى:{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان : ٥٨]، أي:" فإنما سهَّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول; لعلهم يتعظون وينزجرون"[١٤٨٩].
عن قتادة، قوله: "{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ}، أي: هذا القرآن، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}"[١٤٩٠].

القرآن
{فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)} [الدخان :٥٩]
التفسير:

(١٤٨٢) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢، وانظر: معاني القرآن للفراء: ٤٤/٣.
(١٤٨٣)البيت: لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ١٣٦١) والرواية فيه:"قفر مساربه" في موضع"تعوي الذئاب به" والمهمه: الصحراء، ونازح: بعيد. وقفر: خال من النبات والإنس. ومساربه مسالكه. وأعيس: حمل أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة. والرحل: الخشب يشد على الجمل ليركب فوقه. ونعاب: من نعبت الإبل: إذا مدت أعناقها في سيرها. وقيل هو أن يحرك البعير رأسه إذا أسرع (اللسان: نعب).
(١٤٨٤) تفسير الطبري: ٥٣/٢٢.
(١٤٨٥) معاني القرآن: ٤٤/٣.
(١٤٨٦) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٢.
(١٤٨٧) التفسير الميسر: ٤٩٨.
(١٤٨٨)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.
(١٤٨٩) التفسير الميسر: ٤٩٨.
(١٤٩٠) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٢.

فانتظر -أيها الرسول- ما وعدتك من النصر على هؤلاء المشركين بالله، وما يحلُّ بهم من العقاب، إنهم منتظرون موتك وقهرك، سيعلمون لمن تكون النصرة والظَّفَر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، إنها لك -أيها الرسول- ولمن اتبعك من المؤمنين.

قال قتادة:" أي: فانتظر إنهم منتظرون"[١٤٩١].

«آخر تفسير سورة (الدخان)، والحمد لله وحده»

(١٤٩١) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الجاثية»

هي السورة «الخامسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الدخان» وقبل «الأحقاف»، على ما هو معروف من نزول سور الحواميم -التي هي لُباب القرآن، وعرائس آياته- جملة مرتبة متتابعة، وترتيبها بينها السادس[١٤٩٢].

وعدد آياتها سبع وثلاثون في الكوفة، وست في الباقين، وكلماتها أربعمائة وثمانون. وحروفها ألفان ومائة وتسعون. مجموع فواصل آياتها: «من»[١٤٩٣].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[١٤٩٤]، وعبد الله بن الزبير[١٤٩٥]، والحسن[١٤٩٦]، وجابر[١٤٩٧]، وعكرمة[١٤٩٨]، ومجاهد[١٤٩٩]، وقتادة[١٥٠٠].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية : ١٤]. نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهذا القول منسوب الى ابن عباس[١٥٠١]، وقتادة[١٥٠٢].

وروي عن ابن عباس، {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الجاثية : ١٤]: " نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأنزل الله تعالى {قل للذين آمنوا} [الجاثية: ١٤]، يعني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.."[١٥٠٣].

قال ابن ابي زمنين:" هي مكية كلها"[١٥٠٤].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية لا خلاف في ذلك"[١٥٠٥].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالإجماع"[١٥٠٦].

(١٤٩٢) انظر: الكشاف: ٢٨٤/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(١٤٩٣) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢٦.

(١٤٩٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤٩٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤٩٦) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١٤٩٧) حكاه القرطبي في التفسير: ١٥٧/١٦. بدون سند.

(١٤٩٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١٤٩٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.

(١٥٠٠) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.

(١٥٠١) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١٥٠٢) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١٥٠٣) معاني القرآن: ٦٦١-٦٦٢.

(١٥٠٤) تفسير ابن ابي زمنين: ٢٠٩/٤.

(١٥٠٥) المحرر الوجيز: ٧٩/٥.

(١٥٠٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٦/١.

القرآن
{حم (١)} [الجاثية : ١]
التفسير:
{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

القرآن
{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)} [الجاثية :٢]
التفسير:
هذا القرآن منزل من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير أمور خلقه.
قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(١٥٠٧)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(١٥٠٨).
قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(١٥٠٩). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(١٥١٠). ذلك(١٥١٠).
عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(١٥١١).

القرآن
{إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣)} [الجاثية :٣]
التفسير:
إن في السموات السبع، والأرض التي منها خروج الخلق، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع، لأدلة وحججًا للمؤمنين بها.
عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(١٥١٢).

القرآن
{وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)} [الجاثية :٤]
التفسير:
وفي خَلْقكم -أيها الناس- وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تَدِبُّ عليها، حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله وشرعه.
قوله تعالى:{وَفِي خَلْقِكُمْ} [الجاثية :٤]، أي:" وفي خلقكم أيها الناسُ من نطفةٍ ثم من علقة، متقلبة في أطوارٍ مختلفة إلى تمام الخلق"(١٥١٣).
قوله تعالى:{وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ} [الجاثية :٤]، أي:" وفيما ينشره تعالى ويُفرقه من أنواع المخلوقات التي تدب على وجه الأرض"(١٥١٤).
قال السدي:" بَثَّ: خَلَقَ"(١٥١٥).

(١٥٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(١٥٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(١٥٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(١٥١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(١٥١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(١٥١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.
(١٥١٣) صفوة التفاسير: ١٦٩/٣.
(١٥١٤) صفوة التفاسير: ١٦٩/٣.

قوله تعالى:{آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية :٤]، أي:" حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله وشرعه"[١٥١٦].
عن قتادة، قوله: {آيات لقوم يوقنون} [الجاثية: ٤]، قال: مُعْتَبَرًا لِمَن اعْتَبَر"[١٥١٧].
عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[١٥١٨].
وقرئ:«آياتٍ»، خفضا[١٥١٩].

القرآن
{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)} [الجاثية :٥]
التفسير:
وفي اختلاف الليل والنار وتعاقبهما عليكم وما أنزل الله من السماء من مطر، فأحيا به الأرض بعد يُبْسها، فاهتزت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلةٌ وحججٌ لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته.
قوله تعالى:{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الجاثية :٥]، أي:" وفي اختلاف الليل والنار وتعاقبهما عليكم"[١٥٢٠].
وقال عطاء وابن كيسان: أراد اختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر والنور والظلمة، والزيادة والنقصان، يكور أحدهما على الآخر"[١٥٢١].
ويحتمل قوله تعالى:{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الجاثية :٥]، وجهان من التفسير:
قوله تعالى:{وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ} [الجاثية :٥]، أي:" وما أنزل الله من السماء من مطر"[١٥٢٢].
قال عكرمة:" ينزل الله الماء من السماء السابعة فتسع القطرة منه على السحابة مثل البعير"[١٥٢٣].
قال أبو هريرة :"ما نزل قطر إلا بميزان"[١٥٢٤].
قال معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني: "رأيت عبد الله بن عباس، مر به تبيع بن امرأة كعب، فسلم عليه، فسأله ابن عباس: هل سمعت كعبا يقول في السحاب شيئا؟ قال: نعم. سمعته يقول: إن السحاب غربال المطر، لولا السحاب حين ينزل الماء من السماء، لأفسد ما يقع عليه، قال: سمعت كعبا يقول في الأرض: تنبت العام نباتا وعام قابل غيره؟ قال: نعم، سمعته يقول: إن البذر ينزل من السماء. قال ابن عباس: سمعت ذلك من كعب يقوله"[١٥٢٥].
قوله تعالى:{فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الجاثية :٥]، أي:" فأحيا به الأرض بعد يُبْسها، فاهتزت بالنبات والزرع"[١٥٢٦].

(١٥١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣):ص٢٧٥/١.
(١٥١٦) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥١٧)أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٦):ص ١/ ٢١٦ كذا أوردها في تفسير آية سورة البقرة.
(١٥١٨) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(١٥١٩) انظر: تفسير اطبري: ٦٠/٢٢.
(١٥٢٠) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٢١) انظر: تفسير الثعلبي:٣٢/٢ ، و "البحر المحيط" ١/ ٤٦٥.
(١٥٢٢) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٣):ي١٩٤١/٦.
(١٥٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٨):ص٢٧٤/١.
(١٥٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦):ص٢٧٥/١.
(١٥٢٦) التفسير الميسر: ٤٩٩.

قال قتادة:" كما أحيا الله الأرض الميتة بهذا الماء، كذلك [يحيي] الله عز وجل الناس يوم القيامة"[١٥٢٧].

قوله تعالى:{وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} [الجاثية :٥]، أي:" وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم"[١٥٢٨].

وفي قوله تعالى: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} [الجاثية :٥]، وجهان:

أحدهما : ينقل الشمال جنوباً والجنوب شمالاً ، قاله الحسن[١٥٢٩].

الثاني : أن يجعلها تارة رحمة وتارة نقمة ؛ قاله قتادة[١٥٣٠].

قال قتادة:" إذا شَاء [جعلها رَحمةً لواقح للسحاب ونشرًا بين يدي رحمته، وإذا شاء][١٥٣١] جَعلها عذابًا ريحًا عقيمًا لا تُلقح، إنما هي عَذابٌ على من أرسِلتْ عليه"[١٥٣٢].

قوله تعالى:{آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الجاثية :٥]، أي:" أدلةٌ وحججٌ لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته"[١٥٣٣].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"[١٥٣٤].

القرآن

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦)} [الجاثية :٦]

التفسير:

هذه الآيات والحجج نتلوها عليك -أيها الرسول- بالحق، فبأي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟

قوله تعالى:{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} [الجاثية :٦]، أي:" هذه الآيات والحجج نتلوها عليك -أيها الرسول- بالحق"[١٥٣٥].

عن أبي مالك، قوله: "{تلك}، يعني: هذه"[١٥٣٦].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"[١٥٣٧].

عبد الله بن المبارك، في قوله:" {تلك آيات الله}، قال: القرآن"[١٥٣٨].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليك بالحق}، يقول: بالفضل"[١٥٣٩]. وفي رواية:" بالصدق"[١٥٤٠].

القرآن

{وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧)} [الجاثية :٧]

(١٥٢٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٢):ص٢٧٤/١.

(١٥٢٨) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٥٢٩) انظر: التنكت والعيون: ٢٦١/٥.

(١٥٣٠) انظر: تفسير الطبري(٢٤٠٥):ص٢٧٥/٣، و٦١/٢٢.

(١٥٣١)الزيادة بين القوسين من نص الدر المنثور ١: ١٦٤، من نص تفسير قتادة الذي أخرجه الطبري.

(١٥٣٢) أخرجه الطبري(٢٤٠٥):ص٢٧٥/٣.

(١٥٣٣) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٥٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.

(١٥٣٥) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٥٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٣):ص٤٨١/٢.

(١٥٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.

(١٥٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٥):ص٤٨١/٢.

(١٥٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٦):ص٤٨٢/٢.

(١٥٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٧):ص٤٨٢/٢.

التفسير:
هلاك شديد ودمار لكل كذاب كثير الآثام.
سبب نزول الآيات:[٧-١٠]:
روي عن ابن عباس أنه قال: "نزلت في النضر بن كلدة"(١٥٤١).
قال مقاتل:" {أَفَّاكٍ}، يعني: كذاب، {أَثِيمٍ}، يقول: آثم بربه، وكذبه أنه قال إن القرآن أساطير الأولين يعنى حديث رستم واسفندباز، يعني: النضر بن الحارث القرشي من بني عبد الدار"(١٥٤٢).
عن قتادة: {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الجاثية :٧] ، قال: " الكاهن"(١٥٤٣).

القرآن
{يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)} [الجاثية :٨]
التفسير:
يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه، ثم يتمادى في كفره متعاليًا في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما تُلي عليه من آيات الله، فبشر -أيها الرسول- هذا الأفاك الأثيم بعذاب مؤلم موجع في نار جهنم يوم القيامة.
قوله تعالى:{يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا} [الجاثية :٨]، أي:" يسمع آيات القرآن تُقرأ عليه، وهي في غاية الوضوح والبيان، ثم يتمادى في كفره متعاليًا في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما تُلي عليه من آيات الله"(١٥٤٤).
عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"(١٥٤٥).
قوله تعالى:{فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الجاثية :٨]، أي:" فبشر -أيها الرسول- هذا الأفاك الأثيم بعذاب مؤلم موجع في نار جهنم يوم القيامة"(١٥٤٦).
قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(١٥٤٧)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(١٥٤٨).

القرآن
{مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)} [الجاثية :١٠]
التفسير:
مِن أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم، ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا من المال والولد، ولا آلهتُهم التي عبدوها مِن دون الله، ولهم عذاب عظيم مؤلم.
قوله تعالى:{مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ} [الجاثية :١٠]، أي:" مِن أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم"(١٥٤٩).

(١٥٤١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٩٤/٤.
(١٥٤٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٥/٣-٨٣٦.
(١٥٤٣) النكت والعيون: ٢٦١/٥.
(١٥٤٤) صفوة التفسير: ١٦٩/٣.
(١٥٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.
(١٥٤٦) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٥٤٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٥٤٩) التفسير الميسر: ٤٩٩.

عن قتادة: "{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ}، قال قتادة: أمامهم، ألا ترى أنه يقول: {مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ، وهي بين أيديهم"[١٥٥٠].

قوله تعالى:{وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا} [الجاثية :١٠]، أي:" ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا من المال والولد"[١٥٥١].

قال الحسن:" مَا عمِلُوا من الْحَسَنَات، يبطل الله أعْمَالهم فِي الْآخِرَة"[١٥٥٢].

قوله تعالى:{وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} [الجاثية :١٠]، أي:" ولا تنفعهم آلهتُهم التي عبدوها مِن دون الله"[١٥٥٣].

قال السدي: "{أولياء} ، يعني: آلهة"[١٥٥٤].

القرآن

{هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١١)} [الجاثية :١١]

التفسير:

هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- هدى من الضلالة، ودليل على الحق، يهدي إلى طريق مستقيم مَن اتبعه وعمل به، والذين جحدوا بما في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يُصَدِّقوا بها، لهم عذابٌ مؤلم موجع مِن أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ} [الجاثية :١١]، أي:" والذين جحدوا بما في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يُصَدِّقوا بها، لهم عذابٌ مؤلم موجع مِن أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة"[١٥٥٥].

قال قتادة:" الرجز: سوء العذاب، الأليم: الموجع"[١٥٥٦]. وفي رواية:" الرجز هو العذاب الأليم الموجع"[١٥٥٧].

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)} [الجاثية :١٢]

التفسير:

الله سبحانه وتعالى هو الذي سخَّر لكم البحر; لتجري السفن فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون ربكم على تسخيره ذلك لكم، فتعبدوه وحده، وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ } [الجاثية :١٢]، أي:" الله تعالى بقدرته وحكمته هو الذي ذلَّل لكم البحر على ضخامته وعظمه، لتسير السفنُ على سطحه بمشيئته وإرادته، دن أن تغوص في أعماقه"[١٥٥٨].

(١٥٥٠) أخرجه الطبري: ٨٣/١٨.
(١٥٥١) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٥٢) علقه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٢١٠/٤.
(١٥٥٣) صفوة التفاسير: ١٧٠/٣.
(١٥٥٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٣٠/٢.
(١٥٥٥) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٥٦) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢٠.
(١٥٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٩):ص٣١٦١/١٠.
(١٥٥٨) صفوة التفاسير: ١٧٠/٣.

عن مجاهد:" {ولِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ} قال: السفن في البحار"[١٥٥٩].
عن مجاهد: "الفلك: السفينة"[١٥٦٠].
قوله تعالى:{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [الجاثية :١٢]، أي:" ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب"[١٥٦١].
قال مجاهد: "طلب التجارة في السفن"[١٥٦٢].

القرآن
{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)} [الجاثية :١٣]
التفسير:
وسخَّر لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعكم، جميع هذه النعم منة من الله وحده أنعم بها عليكم، وفضل منه تَفضَّل به، فإياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكًا. إنَّ فيما سخره الله لكم لعلامات ودلالات على وحدانية الله لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها.
قوله تعالى:{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية :١٣]، أي:" وسخَّر لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعكم، جميع هذه النعم منة من الله وحده أنعم بها عليكم، وفضل منه تَفضَّل به، فإياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكًا"[١٥٦٣].
عن عكرمة، قال: "لم يفسر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية إلا لندبة القارئ:{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}"[١٥٦٤].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية :١٣]، أي:" إنَّ فيما سخره الله لكم لعلامات ودلالات على وحدانية الله لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها"[١٥٦٥].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"[١٥٦٦].
وفي الخبر: «تَفَكَّرُوا فِي الْخلق وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِق فَإِنَّكُم لَا تقدرون قدره»[١٥٦٧].

القرآن
{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)} [الجاثية :١٤]
التفسير:
قل -أيها الرسول- للذين صدَّقوا بالله واتَّبَعوا رسله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكروه; ليجزي الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وإيذاء المؤمنين.

(١٥٥٩)علَّقه يحيى بن سلام ٢/ ٦٦٤. وعزاه السيوطي إلى ابن جرير، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(١٥٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٢٧):ص٣٠٨/١٥.
(١٥٦١) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٦٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٥/١.
(١٥٦٣) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٣٥):ص٣٢٩١/١٠.
(١٥٦٥) التفسير الميسر: ٤٩٩.
(١٥٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.
(١٥٦٧) رواه أبو الشيخ في العظمة(٩):ص٢١٦/١. حكم الألباني:[ضعيف]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال ابن عباس في رواية عطاء: "يريد عمر بن الخطاب خاصة، وأراد بالذين لا يرجون أيام الله: عبد الله بن أبي وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: المريسيع، فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه. فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك. فبلغ قوله عمر رضي الله عنه فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(١٥٦٨).

الثاني: عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: "لما نزلت هذه الآية {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة : ٢٤٥/ الحديد: ١١]، قال يهودي بالمدينة يقال له: فنحاص-: احتاج رب محمد، قال: فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ربك يقول لك: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه، فلما جاء قال: يا عمر ضع سيفك، قال: صدقت يا رسول الله أشهد أنك أرسلت بالحق، قال: فإن ربك عز وجل يقول: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّه} [الجاثية : ١٤]، قال: لا جرم والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي"(١٥٦٩).

الثالث: وقال القرظي والسدي: "نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسختها آية القتال"(١٥٧٠).

قوله تعالى:{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} [الجاثية :١٤]، أي:" قل -أيها الرسول- للذين صدَّقوا بالله واتَّبَعوا رسله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكروه"(١٥٧١).

عن مجاهد، قوله: "{لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: لا يُبالون نِعم الله، أو نِقم الله"(١٥٧٢).

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية :١٤]، أي:" ليجزي الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وإيذاء المؤمنين"(١٥٧٣).

عن سعيد بن المسيب: "كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية، فقال عمر: ليجزي عمر بما صنع"(١٥٧٤).

عن قتادة في قوله: "{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: نسختها ما في الأنفال: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}، وفي براءة: {قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً}، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"(١٥٧٥).

(١٥٦٨) ذكره الواحدي في اسباب النزول: ٣٩٣ بدون إسناد، ولم أهتد إليه مسندا.

(١٥٦٩) رواه اثعبي في الكشف والبيان: ٣٦٠/٨، والواحدي في اسباب النزول: ٣٩٣-٣٩٤، إسناده ضعيف: محمد بن زياد اليشكري ضعيف، وقد كذبه بعض الأئمة منهم الإمام أحمد وعمرو بن علي، وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث على الثقات [تهذيب التهذيب ٩/ ١٥١] و [المجروحين ٢/ ٢٥٠].

(١٥٧٠) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٦٠/٨. بدون سند.

(١٥٧١) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٥٧٢) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٢.

(١٥٧٣) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٥٧٤) نقلا عن: الكشاف: ٢٨٨/٤. قال الزمخشري:" ومعنى قوله عمر: ليجزي عمر بما صنع: ليجزي بصبره واحتماله. وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية: والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهى".

(١٥٧٥) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: هذا منسوخ، أمر الله بقتالهم في سورة براءة"[١٥٧٦].

عن أبي صالح: "{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: نسختها التي في الحج: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا}"[١٥٧٧].

وقريء«لنجزي»، بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه، وعن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤه :«لِيُجْزَى قَوْمًا» على مذهب ما لم يسمّ فاعله[١٥٧٨].

القرآن

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)} [الجاثية :١٥]

التفسير:

من عمل مِن عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى، ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [الجاثية :١٥]، أي:" ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"[١٥٧٩].

قال أبو العالية:" ترجعون إليه بعد الحياة"[١٥٨٠].

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦)} [الجاثية :١٦]

التفسير:

ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيهما، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة، وفضَّلناهم على عالمي زمانهم.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [الجاثية :١٦]، أي:" ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيهما، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم"[١٥٨١].

عن مجاهد، قال: "الحكم: اللب"[١٥٨٢]

عن عكرمة:" {ولَقَدْ آتَيْنا بَنِي إسْرائِيلَ الكِتابَ والحُكْمَ}، قال: الحكم: اللُّبّ"[١٥٨٣].

قال قتادة: "{والحُكْمَ} يريد: الحكمة، وهي السّنة"[١٥٨٤].

قوله تعالى:{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الجاثية :١٦]، أي:" وفضَّلناهم على عالمي زمانهم"[١٥٨٥].

قال مجاهد: «على من بين ظهرانيهم»[١٥٨٦].

(١٥٧٦) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

(١٥٧٧) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

(١٥٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٢.

(١٥٧٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٥٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٠):ص٣٠٠٣/٩.

(١٥٨١) التفسير الميسر: ١٧١/٣.

(١٥٨٢)أخرجه ابن أبي حاتم(٣٧٤١):ص٦٩٠/٢.

(١٥٨٣)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٠٠ - .وابن أبي حاتم(٧٥٦٧):ص١٣٣٨/٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٥٨٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢١٢ -.

(١٥٨٥) التفسير الميسر: ١٧١/٣.

(١٥٨٦) تفسير مجاهد: ٢٠١.

قال قتادة:" «فضلوا على عالم ذلك الزمان»[١٥٨٧].
قال أبو العالية:" بما أعطوا من الملك والرسل والكتب، على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالما"[١٥٨٨].

القرآن
{وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)} [الجاثية :١٧]
التفسير:
وآتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم، وإنما حَمَلهم على ذلك بَغْيُ بعضهم على بعض؛ طلبًا للرفعة والرئاسة، إن ربك -أيها الرسول- يحكم بين المختلفين من بني إسرائيل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا.
قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ} [الجاثية :١٧]، أي:" وآتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل"[١٥٨٩].
قال السدي:" بيان الحلال والحرام"[١٥٩٠].
قوله تعالى:{فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الجاثية :١٧]، أي:" فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم، وإنما حَمَلهم على ذلك بَغْيُ بعضهم على بعض؛ طلبًا للرفعة والرئاسة"[١٥٩١].
قال الضحاك:" بغياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جحود ما في كتابهم من نبوة وصفته"[١٥٩٢].

القرآن
{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)} [الجاثية :١٨]
التفسير:
ثم جعلناك -أيها الرسول- على منهاج واضح من أمر الدين، فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها، ولا تتبع أهواء الجاهلين بشرع الله الذين لا يعلمون الحق.
سبب النزول:
قال مقاتل:" وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ارجع إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وسادة قومك، فأنزل الله:{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ}.."[١٥٩٣].
قال الكلبي: "إن رؤساء قريش قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بمكة: ارجع إلى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك وأسن، فأنزل الله هذه الآية"[١٥٩٤].

(١٥٨٧) تفسير عبدالرزاق(٤٧):ص٢٦٩/١.
(١٥٨٨) أخرجه الطبري(٨٦٩):ص ٢٤/١.
(١٥٨٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.
(١٥٩٠) النكت والعيون: ٢٦٣/٥.
(١٥٩١) التفسير الميسر: ٥٠٠.
(١٥٩٢) النكت والعيون: ٢٦٣/٥.
(١٥٩٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٣.
(١٥٩٤) التفسير البسيط للواحدي: ١٤٢/٢٠.

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} [الجاثية :١٨]، أي:" ثم جعلناك -أيها الرسول- على منهاج واضح من أمر الدين، فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها"(١٥٩٥).

قال قتادة:" الشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي فاتبعها"(١٥٩٦).

قال الحسن:" الشريعة: الفريضة"(١٥٩٧).

القرآن

{إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)} [الجاثية :١٩]

التفسير:

إن هؤلاء المشركين بربهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك -أيها الرسول- من عقاب الله شيئًا إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين ربَّهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الجاثية :١٩]، أي:" والله ناصر المتقين ربَّهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه"(١٥٩٨).

قال عطاء: "يريد المهاجرين والأنصار"(١٥٩٩).

قال السدي:" أما الولي: فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"(١٦٠٠).

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك(١٦٠١).

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"(١٦٠٢).

القرآن

{هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)} [الجاثية :٢٠]

التفسير:

هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمةٌ لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

قوله تعالى:{هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ} [الجاثية :٢٠]، أي:" هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد"(١٦٠٣).

عن قتادة:" {بصائر من ربكم}، أي: بينة من ربكم"(١٦٠٤).

عن قتادة:"{هذا بصائر من ربكم} أي: بَيِّناتٌ؛ فاعْقِلوه"(١٦٠٥).

(١٥٩٥) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٥٩٦) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٢.

(١٥٩٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢١٢ -.

(١٥٩٨) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٥٩٩) التفسير البسيط للواحدي: ١٤٣/٢٠، ولم أقف عليه.

(١٦٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣٠):ص٢٦٧٢/٨.

(١٦٠١) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(١٦٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(١٦٠٣) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٦٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١٩):ص١٦٤٤/٥.

(١٦٠٥) الدر المنثور: ٦٣٤/٣، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ.

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية :٢٠]، أي: وهو "هدى ورحمةٌ لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم"(١٦٠٦).

عن قتادة:" {وهدى ورحمة} لمن آمَن به، وعمِل به، ثُمَّ مات عليه"(١٦٠٧).

عن الشعبي، {هدى}، قال: "من الضلالة"(١٦٠٨).

عن سعيد بن جبير، "{هدى}، يعني: تبيان"(١٦٠٩).

عن السدي، قوله: "{هدى}، قال: نور"(١٦١٠).

عن أبي العالية في قوله: ورحمة قال: رحمته القرآن"(١٦١١).

القرآن

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)} [الجاثية :٢١]

التفسير:

بل أظنَّ الذين اكتسبوا السيئات، وكذَّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونساويَهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار في الآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن الله أنزل أن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات النعيم، فقال كفار مكة بنو عبد شمس بن عبد مناف بمكة لبني هاشم ولبني عبد المطلب بن عبد مناف للمؤمنين منهم: إنا نعطى في الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فقال الله- تعالى-: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ}، يعني: الذين عملوا الشرك يعني كفار بني عبد شمس {أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ}، من بني هاشم، وبني المطلب، منهم حمزة، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وعمر بن الخطاب"(١٦١٢).

قال الثعلبي:" نزلت هذه الآية في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة، كما فضلنا عليكم في الدنيا"(١٦١٣).

وقال الواحدي:" قال الكلبي: نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، وفي ثلاثة رهط من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم علي شيء وإن كان ما تقولون حقًا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا"(١٦١٤).

عن قتادة:" {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ}، الآية: لعمري لقد تفرّق القوم في الدنيا، وتفرّقوا عند الموت، فتباينوا في المصير"(١٦١٥).

(١٦٠٦) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٦٠٧) الدر المنثور: ٦٣٤/٣، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ.

(١٦٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢١):ص١٦٤٤/٥.

(١٦٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٢):ص١٦٤٤/٥.

(١٦١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٣):ص١٦٤٤/٥.

(١٦١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٤):ص١٦٤٥/٥.

(١٦١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(١٦١٣) تفسير الثعلبي: ٢٠/٢٤، ط. دار التفسير، وذكره البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٤٤، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ١٦٥ بنحوه.

(١٦١٤) التفسير البسيط: ١٤٣/٢٠.

(١٦١٥) أخرجه الطبري :٧٢/٢٢.

عن مجاهد، قوله: "{سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ}، قال: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا والآخرة كافر"[١٦١٦].

عن ليث، قوله: "{سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ}، قال: بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا، والكافر كافرًا حيًا وميتًا"[١٦١٧].

عن محمد بن إسحاق :" وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، إن كان ما ذكر حقا، مكتوبا فيه: من يزرع خيرا يحصد غبطة، ومن يزرع شرا يحصد ندامة. تعملون السيئات، وتجزون الحسنات! أجل، كما لا يجتنى من الشوك العنب "[١٦١٨].

روي عن تميم الداري:" أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلي فافتتح السورة التي تذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية : ٢١]، فلم يزل يرددها حتى أصبح"[١٦١٩].

القرآن

{وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)} [الجاثية :٢٢]

التفسير:

وخَلَق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة; ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت مِن خير أو شر، وهم لا يُظْلمون جزاء أعمالهم.

قوله تعالى:{وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [الجاثية :٢٢]، أي:" وخَلَق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة"[١٦٢٠].

عن أرْطَأة بن المنذر، قال: سمعتُ ضَمرَة بن حبيب، يقول: "إنّ الله كان على عرشه على الماء، وخلق السماوات والأرض بالحق، وخلق القلم، فكتب به ما هو كائِن مِن خلقه، ثم إنّ ذلك الكتاب سَبَّح الله ومَجَّده ألفَ عام، قبل أن يبدأ شيئًا مِن الخلق"[١٦٢١].

قال محمد بن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"[١٦٢٢].

قوله تعالى:{وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الجاثية :٢٢]، أي:" ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت مِن خير أو شر، وهم لا يُظْلمون جزاء أعمالهم"[١٦٢٣].

قال محمد بن إسحاق:" يجزى بكسبه غير مظلوم، ولا معتدى عليه"[١٦٢٤].

القرآن

(١٦١٦) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٢.

(١٦١٧) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٢.

(١٦١٨) السيرة النبوية لابن هشام :١٩٦/١.

(١٦١٩) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ١٤٥.

وأخرج القاسم بن سلام في الفضائل: ١٤٥، بسند ..عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال له رجل من أهل مكة، هذا مقام أخيك تميم الداري. ثم ذكر مثل ذلك أو نحوه".

(١٦٢٠) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٦٢١)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٥/ ٤٤٨ - . وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(١٦٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(١٦٢٣) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٦٢٤) تفسير ابن المنذر(١١٣٨):ص٤٧٤/٢.

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)} [الجاثية :٢٣]

التفسير:

أفرأيت -أيها الرسول- من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون -أيها الناس- فتعلموا أنَّ مَن فَعَل الله به ذلك فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًا مرشدًا؟

سبب النزول:

قال ابن عباس -من طريق سعيد بن جُبير-:" كان الرجلُ مِن العرب يعبد الحَجر، فإذا وجد أحسنَ منه أخذه وألقى الآخر؛ فأنزل الله: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}"[١٦٢٥].

قال سعيد بن جبير:" كانت قريش تعبد العُزّى، وهو حجر أبيض، حينا من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأنزل الله: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}"[١٦٢٦].

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية :٢٣]، أي:" أفرأيت -أيها الرسول- من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله"[١٦٢٧].

وفي قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية :٢٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، قاله الحسن[١٦٢٨]، وقتادة[١٦٢٩].

قال الحسن:" لا يهوى شيئا إلا اتبعه"[١٦٣٠].

قال الحسن:" ذلك المنافق نصب هواه فما هوى من شيء ركبه"[١٦٣١].

قال قتادة:" لا يهوي شيئا إلا ركبه لا يخاف الله"[١٦٣٢].

قال قتادة:" والله لكلما هوي شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه لا يحجزه، عن ذلك ورع ولا تقوى"[١٦٣٣].

الثاني : أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهو به اتخذه إلهاً ، قاله عكرمة[١٦٣٤]، وسعيد بن جبير[١٦٣٥].

قال سعيد بن جبير:" كانت العربُ يعبدون الحجارةَ والذّهبَ والفِضّة، فإذا وجدوا شيئًا أحسنَ مِن الأول رمَوه أو كسروه، وعبدوا الآخر"[١٦٣٦].

والصواب" قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحقّ الذي له الألوهة من كلّ شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره"[١٦٣٧].

(١٦٢٥)أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩١ (٣٦٨٩)، من طريق مطرف، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(١٦٢٦) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٢.

(١٦٢٧) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٦٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٢٠٢):ص٨/٢٧٠٠.

(١٦٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٢.

(١٦٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٠١):ص٨/٢٧٠٠.

(١٦٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٠٢):ص٨/٢٧٠٠.

(١٦٣٢) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٢.

(١٦٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٠٣):ص٨/٢٧٠٠.

(١٦٣٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٥/٥.

(١٦٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٢.

(١٦٣٦)أخرجه سفيان الثوري ص ٢٧٥.

(١٦٣٧) تفسير الطبري: ٧٦/٢٢.

قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[١٦٣٨].

قوله تعالى:{وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية :٢٣]، أي:" وأضلّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه"[١٦٣٩].

قال سعيد بن جبير: "على علمه فيه"[١٦٤٠].

قوله تعالى:{وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} [الجاثية :٢٣]، أي:" وطبع على سمعه فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟"[١٦٤١].

عن قتادة، قال: "حجابا مستورا، وهو أكنة على قلوبهم أن يفقهوه"[١٦٤٢].

وقرئ: «غَشْوَةً»، بمعنى: أنه غشاه شيئا في دفعة واحدة، ومرّة واحدة، بفتح الغين بغير ألف[١٦٤٣].

عن أنس، قال: قال - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاث مُهلكات: شُحٌّ مُطاع، وهوًى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[١٦٤٤].

عن أبي أُمامة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، أنّه قال: «ما عُبِد تحت ظِلِّ السماء أبغضُ إلى الله مِن هوًى»[١٦٤٥].

القرآن

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)} [الجاثية :٢٤]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، لا حياة سواها; تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات، وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم، وما لهؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال.

سبب النزول:

(١٦٣٨)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.

(١٦٣٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٦٤٠) التفسير البسيط: ١٤٨/٢٠، و"تفسير الوسيط" ٤/ ٩٩، للواحدي. قال أبو إسحاق:" أي: على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه".[انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤٣٣]

(١٦٤١) التفسير الميسر: ٥٠٠، وصفوة التفاسير: ١٧٣/٣.

(١٦٤٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٨/١.

(١٦٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٢.

(١٦٤٤)أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٤٩ (٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤٣، من طريق أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكر العبدي، عن قتادة، عن أنس بن مالك به.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢١٩، من طريق الحسن، عن شيبان بن فروخ، عن عيسى بن ميمون، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس به. وأورده الثعلبي ٨/ ٣٦٢.

قال البزار في مسنده ١٣/ ٤٨٦ (٧٢٩٣): «وهذا الحديث لم يروه عن قتادة عن أنس إلا الفضل بن بكر، ولم يحدّث عن الفضل إلا أيوب بن عتبة». وقال أبو نعيم ٢/ ١٦٠: «غريب من حديث أنس، تفرَّد به عن حميد، ورواه محمد بن عرعرة، عن حميد نحوه». وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ٢٣: «أخرجه البزار، والطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي في الشعب، من حديث أنس، بإسناد ضعيف». وأورده الألباني في الصحيحة ٤/ ٤١٢ (١٨٠٢).

(١٦٤٥)أورده الثعلبي ٨/ ٣٦٢. وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ١٠٣ (٧٥٠٢) بلفظ: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم مِن عند الله من هوًى متبع». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٨: «وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث».

عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «كان أهل الجاهلية يقولون: إنّما يُهلِكنا الليل والنهار، وهو الذي يُهلكنا ويُميتنا ويُحيينا. فقال الله في كتابه: {وقالُوا ما هِيَ إلّا حَياتُنا الدُّنْيا نَمُوتُ ونَحْيا وما يُهْلِكُنا إلّا الدَّهْرُ}». قال: فيسبُّون الدهر، فقال الله -تبارك وتعالى-: «يؤذيني ابنُ آدم؛ يسبُّ الدّهر، وأنا الدّهر، بيدي الأمر، أقلّب الليل والنهار»"[١٦٤٦].

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} [الجاثية :٢٤]، أي:" وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، ولا حياة سواها; تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات "[١٦٤٧].

عن قتادة: "{وَقَالُوا مَا هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}، أي: لعمري هذا قول مشركي العرب"[١٦٤٨].

وقرئ: «نحيا»، بضم النون[١٦٤٩].

قوله تعالى:{وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية :٢٤]، أي:" وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر"[١٦٥٠].

وفي قوله تعالى:{وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية :٢٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : وما يهلكنا إلا العمر، قاله قتادة[١٦٥١]. وأنشد قول الشاعر[١٦٥٢]:

لكل أمر أتى يوماً له سبب ... والدهر فيه وفي تصريفه عجب

الثاني : وما يهلكنا إلا الزمان، قاله مجاهد[١٦٥٣].

أي: طول الزمان هو المهلك، لأن الآفات تستوي فيه كمالاتها[١٦٥٤]، فكانوا يزعمون أنّ مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان[١٦٥٥].

الثالث : وما يهلكنا إلا الله، قاله عكرمة[١٦٥٦].

وروي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ؛ يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب ليله ونهاره" [١٦٥٧]. وفي رواية : "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر"[١٦٥٨].

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله استقرضت عبدي فلم يعطني، وسبني عبدي يقول: وادهراه، وأنا الدهر"[١٦٥٩].

(١٦٤٦)أخرجه الدارقطني في العلل الواردة في الحديث ٨/ ٨١، وابن جرير ٢١/ ٩٧، والثعلبي ٨/ ٣٦٤. وأخرج البخاري ٦/ ١٣٣ (٤٨٢٦)، ٩/ ١٤٣ (٧٤٩١)، ومسلم ٤/ ١٧٦٢ (٢٢٤٦) آخره، وأخرج ابن حبان ١٣/ ٢٣ - ٢٤ (٥٧١٥) أوله موقوفًا من كلام سفيان، وآخره مرفوعًا.

قال ابن كثير ٧/ ٢٦٩: «أورده ابن جرير بسياق غريب جِدًّا» وانظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٢.

(١٦٤٧) التفسير الميسر: ٥٠١، وصفوة التفاسير: ١٧٤/٣.

(١٦٤٨) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٢.

(١٦٤٩) انظر: الكشاف: ٢٩١/٤.

(١٦٥٠) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٦٥١) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.

(١٦٥٢) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٦٦/٥.

(١٦٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.

(١٦٥٤) المحرر الوجيز: ٨٧/٥.

(١٦٥٥) الكشاف: ٢٩١/٤.

(١٦٥٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٥.

(١٦٥٧)صحيح البخاري برقم (٤٨٢٦) وصحيح مسلم برقم (٢٢٤٦) وسنن أبي داود برقم (٥٢٧٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٦٨٧).

(١٦٥٨)صحيح مسلم برقم (٢٢٤٦).

والقول الأخير أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الاسماء الحسنى، أخذا من الحديث السابق"[١٦٦٠].

وفي قراءة عبدالله:«وَمَا يُهْلِكُنَا إلا دَهْرٌ يَمُرُّ»[١٦٦١].

قوله تعالى:{وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية :٢٤]، أي:" وما لهؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال"[١٦٦٢].

عن مجاهد:" {وإن هم إلا يظنون} [البقرة: ٧٨] ، يعني: يكذبون"[١٦٦٣].

عن ابي العالية:"{وإن هم إلا يظنون}، يظنون الظنون بغير الحق"[١٦٦٤]. وروي عن قتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك[١٦٦٥].

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)} [الجاثية :٢٥]

التفسير:

إذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات، لم يكن لهم حجة إلا قولهم للرسول محمد صلى الله عليه وسلم: أحْي أنت والمؤمنون معك آباءنا الذين قد هلكوا، إن كنتم صادقين فيما تقولون.

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [الجاثية :٢٥]، أي:" إذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات"[١٦٦٦].

عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"[١٦٦٧].

عن الحسن:" القرآن: آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، يعني المؤمنين"[١٦٦٨].

القرآن

{قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)} [الجاثية :٢٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى يحييكم في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها، ثم يجمعكم جميعا أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إماتتهم، ثم بعثهم يوم القيامة.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الجاثية :٢٦]، أي:" ثم يجمعكم جميعا أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه"[١٦٦٩].

(١٦٥٩) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٢.

(١٦٦٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(١٦٦١) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.

(١٦٦٢) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٦٦٣) تفسير مجاهد: ٢٠٧، وتفسير ابن أبي حاتم(٧٩٦):ص١٥٢/١.

(١٦٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٥):ص١٥٢/١.

(١٦٦٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:ص١٥٢/١.

(١٦٦٦) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٦٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].

(١٦٦٨) تفسير عبدالرزاق(٢٢٦١):ص١١/٣.

(١٦٦٩) التفسير الميسر: ٥٠١.

عن قتادة: "{لا ريب فيه} [البقرة: ٢]، يقول: «لا شك فيه»"[١٦٧٠]. وروي عن مجاهد، والسدي، عطاء والربيع بن انس، مثل ذلك[١٦٧١].

القرآن

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧)} [الجاثية :٢٧]

التفسير:

ولله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خَلْقًا ومُلْكًا وعبودية. ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسبون، يخسر الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الجاثية :٢٧]، أي:" ولله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خَلْقًا ومُلْكًا وعبودية"[١٦٧٢].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[١٦٧٣].

قوله تعالى:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ} [الجاثية :٢٧]، أي:" ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسبون، يخسر الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات"[١٦٧٤].

عن السدي:" {المبطلون} [العنكبوت: ٤٨]: المكذبون"[١٦٧٥].

قال ابن أبي حاتم : "قدم سفيان الثوري المدينة، فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس. فقال له : يا شيخ، أما علمت أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون ؟ قال : فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله، عز وجل"[١٦٧٦].

القرآن

{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)} [الجاثية :٢٨]

التفسير:

وترى -أيها الرسول- يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثمين على رُكَبهم، كل أمة تُدْعى إلى كتاب أعمالها، ويقال لهم: اليوم تُجزون ما كنتم تعملون من خير أو شر.

قوله تعالى:{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً} [الجاثية :٢٨]، أي:" وترى -أيها الرسول- يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثمين على رُكَبهم"[١٦٧٧].

وفي «الجاثية» خمسة وجوه من التفسير:

أحدها : مستوفزة ، قاله مجاهد[١٦٧٨]، وسفيان[١٦٧٩].

(١٦٧٠) تفسير عبدالرزاق(١٦):ص٢٥٩/١، و الطبري(٢٥٧)ص: ٢٨٩/١.

(١٦٧١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٨/١-٢٨٩.

(١٦٧٢) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٦٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٦٧٤) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٦٧٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٣٥/٢.

(١٦٧٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(١٦٧٧) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٦٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٢.

قال مجاهد:" على الركب مستوفِزين"[١٦٨٠].
وقال مجاهد -في رواية ابن أبي نجيح-:" الأمة –ههنا- الواحد"[١٦٨١].
وقال الضحاك:" يقول: على الركب عند الحساب"[١٦٨٢].
وقال السدي: "قياما"[١٦٨٣]. قال الواحدي:" أراد قياما على الركب وذلك لضيق المكان لا يمكنهم أن يجلسوا ولا أن يقوموا أيضا"[١٦٨٤].
الثاني : متميزة على ناحيتها، قاله عكرمة[١٦٨٥].
روي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعا في حديث الصورة: " فيتميز الناس ويجثون، وهي التي يقول الله: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}"[١٦٨٦].
وهذا فيه جمع بين القولين: ولا منافاة، والله أعلم[١٦٨٧].
الثالث : مجتمعة للحساب. وهو معنى قول قتادة.
وروي عن قتادة، والكلبي، في قوله تعالى: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً}، قالا: هاهنا جثوة وهاهنا جثوة"[١٦٨٨].
والقول الأول أعرف وأشهر[١٦٨٩]، وهو من المختار المعروف، ومنه: جثا فلان بين يدي القاضي ينتظر قضاءه"[١٦٩٠].
وقرئ «جاذية»، أي: جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم[١٦٩١].
روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبد الله بن باباه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : "كأني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم"[١٦٩٢]. قال ابن عباس: "يريد نجثوا على ركبنا ننتظر القضاء"[١٦٩٣].
قال سلمان الفارسي: "في القيامة ساعة هي عشر سنين يكون الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم -عليه السلام- لينادي: «لا أسألك اليوم إلا نفسي»"[١٦٩٤].
قوله تعالى:{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا} [الجاثية :٢٨]، أي:" كل أمة تُدْعى إلى كتاب أعمالها"[١٦٩٥].
عن مجاهد:" {تدعى إلى كتابها} يا فلان بن فلان، مِن بني فلان تعال إلى نورك، يا فلان بن فلان مِن بني فلان لا نور لك"[١٦٩٦].

(١٦٧٩) انظر: زاد المسير" ٥/ ٢٥٣ "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٣٣ "البحر المحيط" ٦/ ٢٠٨.
(١٦٨٠) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٢.
(١٦٨١) معاني القرآن للنحاس: ٤٣١/٦.
(١٦٨٢) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٢.
(١٦٨٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٢٨٧/١٤. بدون سند.
(١٦٨٤) التفسير البسيط للواحدي: ٢٨٧/١٤.
(١٦٨٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.
(١٦٨٦) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
(١٦٨٧) تفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.
(١٦٨٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٣٤):ص١٩١/٣.
(١٦٨٩) معاني القرآن: ٤٣٢/٦.
(١٦٩٠) تفسير السمعاني: ١٤٤/٥.
(١٦٩١) انظر: تفسير البيضاوي: ١٠٩/٥.
(١٦٩٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٣٧):ص١٩٣/٣، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٧١/٧، ورواه أبو نعيم في زوائد زهد ابن المبارك برقم (٣٦٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٩٩/٧).
(١٦٩٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٥١/٢٠. بدون سند.
(١٦٩٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٦٦/٨.
(١٦٩٥) التفسير الميسر: ٥٠١.
(١٦٩٦)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٣٩.

قال قتادة:" يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة، وقوم قبل قوم، ورجل قبل رجل. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "يمثل لكل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من حجر، أو وثن أو خشبة، أو دابة، ثم يقال: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فتكون، أو تجعل تلك الأوثان قادة إلى النار حتى تقذفهم فيها، فتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب، فيقول لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله وعزيرا إلا قليلا منهم، فيقال لها: أما عزير فليس منكم ولستم منه، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا، ثم يدعى بالنصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله والمسيح إلا قليلا منهم فيقال: أما عيسى فليس منكم ولستم منه، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا، وتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله وحده، وإنما فارقنا هؤلاء في الدنيا مخافة يومنا هذا، فيؤذن للمؤمنين في السجود، فيسجد المؤمنون، وبين كل مؤمن منافق، فيقسو ظهر المنافق عن السجود، ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخا وصغارا وحسرة وندامة"[١٦٩٧].

عن أبي هريرة، قال: "قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: "هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ " قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم ربهم في صورة، ويضرب جسر على جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فأكون أول من يجيز، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم، اللهم سلم وبها كلاليب كشوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها إلا الله ويخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو"، ثم ذكر الحديث بطوله"[١٦٩٨].

القرآن

{هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)} [الجاثية :٢٩]

التفسير:

هذا كتابنا ينطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، إنَّا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم.

قوله تعلى:{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية :٢٩]، أي:" إنَّا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم"[١٦٩٩].

عن مجاهد:" {نَسْتَنْسِخُ}: نكتب"[١٧٠٠]. وروي عن السدي، مثله[١٧٠١]

قال الضحاك: "نثبت"[١٧٠٢].

قال الحسن: "نحفظ"[١٧٠٣]

القرآن

(١٦٩٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٨٢-٨٣.

(١٦٩٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٨٣.

(١٦٩٩) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٧٠٠)أخرجه عبد بن حميد -كما في عمدة القاري ١٩/ ١٦٦ - . وعلقه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٢٥. وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٥٧٤: «وقد أخرج ابن أبي حاتم معناه عن مجاهد».

(١٧٠١) تفسير الثعلبي: ٢٤/٤٩. ط. دار التفسير، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٧.

(١٧٠٢) تفسير الثعلبي: ٢٤/٤٩. ط. دار التفسير.

(١٧٠٣) تفسير الثعلبي: ٢٤/٤٩. ط. دار التفسير. وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٧. وينظر: عمدة القاري ١٩/ ١٦٦.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)} [الجاثية :٣٠]

التفسير:

فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

قوله تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} [الجاثية :٣٠]، أي:" فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربهم في جنته برحمته"(١٧٠٤).

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"(١٧٠٥).

عن عطاء:" {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ}، يعني: من صدّق نبيه أدخله جنته"(١٧٠٦).

القرآن

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣١)} [الجاثية :٣١]

التفسير:

وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذَّبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، فيقال لهم -تقريعًا وتوبيخًا-: أفلم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم، فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها، وكنتم قومًا مشركين تكسِبون المعاصي ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب؟

قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الجاثية :٣١]، أي:" وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذَّبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، فيقال لهم -تقريعًا وتوبيخًا-: أفلم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم"(١٧٠٧).

عن سعيد بن جبير: "{تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، يعني: القرآن"(١٧٠٨).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"(١٧٠٩).

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢)} [الجاثية :٣٢]

التفسير:

وإذا قيل لكم: إن وعد الله ببعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة؟ وما نتوقع وقوعها إلا توهمًا، وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية.

قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الجاثية :٣٢]، أي:" وإذا قيل لكم: إن وعد الله ببعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها"(١٧١٠).

عن قتادة: "{لا ريب فيه} [البقرة: ٢]، يقول: «لا شك فيه»"(١٧١١). وروي عن مجاهد، والسدي، عطاء والربيع بن انس، مثل ذلك(١٧١٢).

(١٧٠٤) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٧٠٥)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.

(١٧٠٦) التفسير البسيط، و"التفسير الوسيط" ٤/ ٤٠٦ للواحدي: ٢٣/٦٥-٦٦.

(١٧٠٧) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٧٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].

(١٧٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.

(١٧١٠) التفسير الميسر: ٥٠١.

عن الأعمش: "في قراءة عبد الله بن مسعود: «إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وإنَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها»"[١٧١٣]، بنصب"الساعة"، عطفا بها على قوله: {إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ}.

القرآن

{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣)} [الجاثية :٣٣]

التفسير:

وظهر لهؤلاء الذين كانوا يكذِّبون بآيات الله ما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، ونزل بهم من عذاب الله جزاء ما كانوا به يستهزئون.

قوله تعالى:{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الجاثية :٣٣]، أي:" ونزل بهم من عذاب الله جزاء ما كانوا به يستهزئون"[١٧١٤].

عن مجاهد: {وَحَاقَ بِهِمْ}، قال: " حل بهم"[١٧١٥].

وروي عن السدي:" وقع بهم"[١٧١٦].

وقال الربيع: "نزل"[١٧١٧].

قال الضحاك: {فَحَاقَ}: "أي: أحاط"[١٧١٨].

القرآن

{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤)} [الجاثية :٣٤]

التفسير:

وقيل لهؤلاء الكفرة: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا، ومسكنكم نار جهنم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله.

قوله تعالى:{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الجاثية :٣٤]، أي:" وقيل لهؤلاء الكفرة: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا"[١٧١٩].

عن الضحاك:" وقِيلَ اليَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذا}، قال: كما تركتم ذِكري وطاعتي، كذلك أترُكُكم في النار"[١٧٢٠].

عن قتادة:" {اليَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ}، قال: اليوم نترُكُكم كما تركتم"[١٧٢١].

عن كعب الأحبار -من طريق مولى جبلة- قال: "إذا كان يوم القيامة يقوم الملائكة فيشفعون، ثم يقوم الأنبياء فيشفعون، ثم يقوم الشهداء فيشفعون، ثم يقوم المؤمنون فيشفعون، حتى انصرمت الشفاعة كلها، فلم

(١٧١١) تفسير عبدالرزاق(١٦):ص٢٥٩/١، و الطبري(٢٥٧)ص: ٢٨٩/١.

(١٧١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٨/١-٢٨٩.

(١٧١٣)أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ١/ ٣٣٥، وانظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٢، وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٩.

(١٧١٤) التفسيرالميسر: ٥٠٢.

(١٧١٥) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(١٧١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١٥):ص٢٠٠٧/٦.

(١٧١٧)ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١/ ١٣، و"البسيط": ٣٠/٣، والبغوي في "تفسيره" ٣/ ١٣٠.

(١٧١٨)ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١/ ١٣، و"البسيط": ٣٠/٨، والبغوي في "تفسيره" ٣/ ١٣٠، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٨٠.

(١٧١٩) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(١٧٢٠)أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٠٨، وابن المنذر -كما في الفتح ٨/ ٥٧٤ - . وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(١٧٢١) تفسير عبدالرزاق(٢٨٣٨):ص١٩٣/٣.

يبقَ أحد خرجت الرحمة، فتقول: يا ربِّ، أنا الرحمة، فشفِّعني. فيقول: قد شفَّعتك. فتقول: يا ربِّ، فيمن؟ فيقول: في مَن ذكرني في مقامٍ واحد، وخافني فيه أو رجاني أو دعاني دعوة واحدة خافني أو رجاني؛ فأخرجيه. قال: فيخرجون، فلا يبقى في النار أحد يعبأ الله به شيئًا، ثم يعظم أهلها بها، ثم يأمر بالنار، فتقبض عليهم، فلا يدخل فيها روح أبدًا، ولا يخرج منها غمٌّ أبدًا، {وقيل اليَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذا}"[١٧٢٢].

عن يزيد بن أبي مالك -من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي- قال: "إنّ في جهنم لَآبارًا مَن أُلقي فيها ترَدّى سبعين عامًا قبل أن يبلغ القرار. ثم نزع بهذه الآية: فـ {اليَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذا ومَأْواكُمُ النّارُ وما لَكُمْ مِن ناصِرِينَ}"[١٧٢٣].

عن أبي هريرة، قال: "قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: " فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع، فيقول: بلى، أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه "[١٧٢٤].

قوله تعالى:{وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الجاثية :٣٤]، أي:" ومسكنكم نار جهنم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله"[١٧٢٥].

عن سعيد بن جبير، قال: "ثم بين مستقرهم، فقال: مأواهم جهنم"[١٧٢٦].

القرآن

{ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)} [الجاثية :٣٥]

التفسير:

هذا الذي حلَّ بكم مِن عذاب الله ; بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزوًا ولعبًا، وخدعتكم زينة الحياة الدنيا، فاليوم لا يُخرجون من النار، ولا هم يُرَدُّون إلى الدنيا؛ ليتوبوا ويعملوا صالحًا.

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} [الجاثية :٣٥]، أي:" هذا الذي حلَّ بكم مِن عذاب الله ; بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزوًا ولعبًا"[١٧٢٧].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"[١٧٢٨].

عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"[١٧٢٩].

(١٧٢٢)أخرجه الثعلبي ٧/ ٣٣٠.

(١٧٢٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/ ٤١٠ (٤٩).

(١٧٢٤) صحيح مسلم(٢٩٦٨):ص٢٢٧٩/٤.

(١٧٢٥) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(١٧٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٣):ص٣٠٤٩/٩.

(١٧٢٧) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(١٧٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.

قوله تعالى:{وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الجاثية :٣٥]، أي:" وخدعتكم زينة الحياة الدنيا"(١٧٣٠).
عن الربيع بن أنس، قال: "غرهم ما كانوا يفترون"(١٧٣١).
عن سعيد بن جبير، قال: "الغِرَّة في الحياة الدنيا: أن يغتر بها، وتشغله عن الآخرة؛ أن يَمْهَد لها ويعمل لها، كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: {يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي} [الفجر: ٢٤]. والغِرَّة بالله: أن يكون العبد فِي معصية الله، ويتمنى على الله المغفرة"(١٧٣٢).

القرآن
{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦)} [الجاثية :٣٦]
التفسير:
فلله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه، رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما، رب الخلائق أجمعين.
قوله تعالى:{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ} [الجاثية :٣٦]، أي:" فلله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه"(١٧٣٣).
قال كعب:" «الحمد لله»: ثناء على الله"(١٧٣٤).
قال الضحاك:" «الحمد لله»: رداء الرحمن"(١٧٣٥).
قوله تعالى:{رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الجاثية :٣٦]، أي:" رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما، رب الخلائق أجمعين"(١٧٣٦).
واختُلِف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:
أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة(١٧٣٧)، ومجاهد(١٧٣٨).
الثاني: أنّه الإنس ، والجنّ ، وهذا قول سعيد بن جبير(١٧٣٩)، ومجاهد(١٧٤٠).
الثالث : أن «العالم»: الدنيا وما فيها. حكاه الماوردي(١٧٤١).
الرابع: أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم(١٧٤٢)، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء(١٧٤٣): هم الروحانيّون.
الخامس: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق(١٧٤٤).

(١٧٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].
(١٧٣٠) التفسير الميسر: ٥٠٢.
(١٧٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٥١):ص١٣١٨، و(٨٥٤٢):ص١٤٩٢/٥.
(١٧٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٢٨):ص٣١٧١/١٠، وانظر: الدر المنثور:٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(١٧٣٣) التفسير الميسر: ٥٠٢.
(١٧٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٤):ص١٤٧٩/٥.
(١٧٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٥):ص١٤٧٩/٥.
(١٧٣٦) التفسير الميسر: ٥٠٢.
(١٧٣٧) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(١٧٣٨)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(١٧٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١٤٤/١-١٤٥.
(١٧٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١٤٥/١.
(١٧٤١) انظر: النكت والعيون: ٥٥/١.
(١٧٤٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٢١٣/١.
(١٧٤٣) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(١٧٤٤) تفسير الثعلبي:١١٢/١.

السادس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[١٧٤٥].

والظاهر أن{ العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع لا واحدَ له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم[١٧٤٦]. والله أعلم.

القرآن

{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)} [الجاثية :٣٧]

التفسير:

وله وحده سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسُّلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه.

قوله تعالى:{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الجاثية :٣٧]، أي:" وله وحده سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسُّلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض"[١٧٤٧].

قال مجاهد : يعني: "السلطان"[١٧٤٨].

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تبارك وتعالى: «العظمة إزاري[١٧٤٩]، والكبرياء ردائي[١٧٥٠]، فمن نازعني واحدة منهما قذفته في جهنم»[١٧٥١].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجاثية :٣٧]، أي:" وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه"[١٧٥٢].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[١٧٥٣]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[١٧٥٤].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[١٧٥٥]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[١٧٥٦]. ذلك[١٧٥٦].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[١٧٥٧].

«آخر تفسير سورة (الجاثية)، والحمد لله وحده»

(١٧٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.
(١٧٤٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.
(١٧٤٧) التفسير الميسر: ٥٠٢.
(١٧٤٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧. بدون سند.
(١٧٤٩)الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.
(١٧٥٠)الرداء: ما يوضع على أعالي البدن من الثياب.
(١٧٥١) مسند ابي داود الطيالسي(٢٥٠٩):ص١٤٠/٤، ومصنف ابن ابي شيبة(٢٦٥٧٩):ص٣٢٩/٥.
(١٧٥٢) التفسيرالميسر: ٥٠٢.
(١٧٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(١٧٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(١٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(١٧٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(١٧٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الأحقاف»

سورة «الأحقاف» هي السورة «السادسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجاثية»، وقبل «سورة الذاريات»، وهي السورة السابعة من الحواميم السبع[١٧٥٨].

وعدد آياتها خمس وثلاثون فى الكوفيين، وأربع فى الباقين، وكلماتها ثلاثمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وخمسمائة وخمس وتسعون، المختلف فيها آية واحدة: {حم (١)} [الأحقاف : ١]. فواصل آياتها «من»[١٧٥٩].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[١٧٦٠]، وعبد الله بن الزبير[١٧٦١]، والحسن[١٧٦٢]،وعكرمة[١٧٦٣]، ومجاهد[١٧٦٤]، وقتادة[١٧٦٥]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٧٦٦].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِه} [الأحقاف : ١٠][١٧٦٧]. نزلت بالمدينة. وهذا القول منسوب الى ابن عباس[١٧٦٨]، وقتادة[١٧٦٩].

الثالث: أنها مكية إلا آيتين: قوله{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِه} [الأحقاف : ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٣٥]. قاله مقاتل[١٧٧٠].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية لم يختلف منها إلا في آيتين، وهي قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف: ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وضعتا في سورة مكية"[١٧٧١].

(١٧٥٨) انظر: التحرير والتنوير: ٦/٢٦.

(١٧٥٩) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢٨.

(١٧٦٠) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٧٦١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٧٦٢) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٧٦٣) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٧٦٤) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٧٦٥) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٧٦٦) انظر: زاد المسير: ١٠٢/٤.

(١٧٦٧) قال في الاتقان:٦٥/١:" أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام، وله طرق أخرى لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال أنزلت هذه الآية بمكة إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة وإنما كانت خصومة خاصم بها محمدا صلى الله عليه وسلم. وأخرج عن الشعبي قال ليس بعبد الله بن سلام وهذه الآية مكية".

والظاهر-والله أعلم- أنّ الآية مدنيّة نزلت في عبد الله بن سلام عند ما أسلم بعد مقدم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينة، وعلى هذا أكثر العلماء، وفي مقدمتهم الإمام الطبري حيث قال:- بعد كلام- غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام. وعليه أكثر أهل التأويل وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به". [تفسير الطبري: ٢٦/ ١٢].

(١٧٦٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٧٦٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٧٧٠) حكاه عنه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. ولم اقف عليه في تفسير مقاتل.

(١٧٧١) المحرر الوجيز: ٩١/٥.

الرابع: انها مكية إلا قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥]، الآيات الأربع وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٣٥]. ذكره السيوطي، وقال:"حكاه في جمال القراء"[١٧٧٢].

قلت: وهذا خطأ في النقل، فإنّ السخاوي لم ينص على استثناء قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ} .. الآيات وتابع السيوطي في ذلك الألوسي[١٧٧٣]، فنسب هذا الاستثناء إلى «جمال القراء» فليتأمل.

قال القرطبي:" سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم"[١٧٧٤].

(١٧٧٢) انظر: الاتقان: ٦٥/١.
(١٧٧٣)في تفسيره ١٦/ ٤.
(١٧٧٤) تفسير القرطبي: ١٧٨/١٦.

القرآن

{حم (١)} [الأحقاف : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

فإن فواتح السور من المتشابه الذي يجب أن يوكل علمه إلى من أنزله[١٧٧٥].

القرآن

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)} [الأحقاف :٢]

التفسير:

هذا القرآن تنزيل من الله العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[١٧٧٦]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[١٧٧٧].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[١٧٧٨]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[١٧٧٩].

ذلك[١٧٧٩].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[١٧٨٠].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)} [الأحقاف :٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: أرأيتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟ ائتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقيَّة من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأحقاف :٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: أرأيتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله"[١٧٨١].

قال قتادة:" يعني: الأصنام"[١٧٨٢].

قوله تعالى:{أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} [الأحقاف :٤]، أي:" أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض"[١٧٨٣].

قال قتادة:" لا شيء والله خلقوا منها"[١٧٨٤].

عن السدي:"{ مِنَ الْأَرْضِ}، يعني: في الأرض"[١٧٨٥].

(١٧٧٥) فتح القدير: ١٦/٥.

(١٧٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(١٧٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(١٧٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(١٧٧٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١٧٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(١٧٨١) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(١٧٨٢) الدر المنثور: ٢٣٠/٧، عزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(١٧٨٣) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(١٧٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠١٤):ص٣١٨٦/١٠.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [الأحقاف :٤]، أي:" أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟"[١٧٨٦].

قال قتادة:" لا والله، ما لهم فيهما من شرك"[١٧٨٧].

قوله تعالى:{ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ} [الأحقاف :٤]، أي:" هاتوا كتاباً من الكتب المنزلة من عند الله قبل هذا القرآن يأمركم بعبادة هذه الأصنام؟ أو بقية من علمٍ من علوم الأولين شاهدة بذلك"[١٧٨٨].

وفي قوله تعالى:{أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ} [الأحقاف :٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أو علم تأثرونه عن غيركم ، قاله مجاهد[١٧٨٩].

الثاني «أثارة شيء يستخرجه فيثيره»، قاله الحسن[١٧٩٠].

قال الحسن:" أثارة شيء يستخرجونه فِطْرة"[١٧٩١].

الثالث : أو خاصة من علم أوتيتموه، وأوثرتم به على غيركم، قاله قتادة[١٧٩٢].

وكل هذه الأقوال متقاربة[١٧٩٣].

القرآن

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)} [الأحقاف : ٥ - ٦]

التفسير:

لا أحد أضلُّ وأجهل ممن يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب دعاءه أبدًا؛ لأنها من الأموات أو الأحجار والأشجار ونحوها، وهي غافلة عن دعاء مَن يعبدها، عاجزة عن نفعه أو ضره. وإذا حُشر الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، تلعنهم وتتبرأ منهم، وتنكر علمها بعبادتهم إياها.

قوله تعالى:{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً} [الأحقاف :٦]، أي:" وإذا حُشر الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء"[١٧٩٤].

عن الحسن: "{وإذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا لَهُمْ أعْداءً}، إنّ الله يجمع يوم القيامة بين كل عابدٍ ومعبود، فيُوقَفون بين يديه، ويحشرها الله بأعيانها، فيُنطقها، فتُخاصِم مَن كان يعبدها"[١٧٩٥].

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)} [الأحقاف :٧]

التفسير:

(١٧٨٥) علقه يحيى بن سلام: ٧٩٥/٢.

(١٧٨٦) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(١٧٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠١٤):ص٣١٨٦/١٠.

(١٧٨٨) صفوة التفاسير: ١٧٩/٣.

(١٧٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٢.

(١٧٩٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٨٣٩):ص١٩٤/٣، وتفسير الطبري: ٩٣/٢٢.

(١٧٩١) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٢.

(١٧٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٢.

(١٧٩٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(١٧٩٤) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(١٧٩٥)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٢٢ -.

وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر.

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [الأحقاف :٧]، أي:" وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات"(١٧٩٦).

عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"(١٧٩٧).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"(١٧٩٨).

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)} [الأحقاف :٨]

التفسير:

بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئًا، إن عاقبني على ذلك. هو سبحانه أعلم من كل شيء سواه بما تقولون في هذا القرآن، كفى بالله شاهدًا عليَّ وعليكم، وهو الغفور لمن تاب إليه، الرحيم بعباده المؤمنين.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} [الأحقاف :٨]، أي:" بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن؟"(١٧٩٩).

عن وهب بن منبه، قال: "الكذب هو الفرية، وإن رأس الفرية الكذب على الله، ثم هو ما بين ذلك حتى يأتي ... كذب وما بين الكفر بالله كفر يأتي كفر النعم"(١٨٠٠).

قوله تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ} [الأحقاف :٨]، أي:" هو سبحانه أعلم من كل شيء سواه بما تقولون في هذا القرآن"(١٨٠١).

عن مجاهد، قوله: "{إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}، قال: تقولون"(١٨٠٢).

قوله تعالى:{كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الأحقاف :٨]، أي:" كفى بالله شاهدًا عليَّ وعليكم، وهو الغفور لمن تاب إليه، الرحيم بعباده المؤمنين"(١٨٠٣).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"(١٨٠٤).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(١٨٠٥).

القرآن

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)} [الأحقاف :٩]

(١٧٩٦) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٧٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].

(١٧٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.

(١٧٩٩) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٩):ص١٩٥٣/٦.

(١٨٠١) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨٠٢) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٢.

(١٨٠٣) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨٠٤) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

(١٨٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنتُ أول رسل الله إلى خلقه، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا، ما أتبع فيما آمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه إليَّ، وما أنا إلا نذير بيِّن الإنذار.

سبب النزول:

قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: "لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}، يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أو لا؟ ثم قال: «إنما هو شيء رأيته في منامي ما أتبع إلا ما يوحى إلي»"[١٨٠٦].[ضعيف]

قال مقاتل: "وأنزل في قول كفار مكة: أما وجد الله رسولًا غيرك: {قُلْ ما كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ}"[١٨٠٧].

قوله تعالى:{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف :٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنتُ أول رسل الله إلى خلقه"[١٨٠٨].

قال مجاهد:" ما كنت أوّلهم"[١٨٠٩].

قال قتادة:" أي: قد كانت قبلي رسل"[١٨١٠]. وفي رواية:" أي: إن الرسل قد كانت قبلي"[١٨١١].

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف :٩]، أي:" وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا"[١٨١٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف :٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا لا في الآخرة ، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي، أو أُقتل كما قتل الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم، إنكم مصدقون أو مكذبون، أو معذبون أو مؤخرون. قاله الحسن[١٨١٣].

روي الطبري بسنده عن الحسن، قال:" أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم، أمتي المكذّبة، أم أمتي المصدّقة، أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا، أم مخسوف بها خسفا، ثم أوحي إليه: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}، يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يُقتل، ثم أنزل الله عزّ وجلّ: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}، يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان، ثم قال له في أمته: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، فأخبره الله ما يصنع به، وما يصنع بأمته"[١٨١٤].

(١٨٠٦) أسباب النزول للواحدي:٣٨٠، والإسناد واه بمرة، بغض النظر عمن أخرجه، فالكلبي لم يسمع أبا صالح وأبا صالح لم يسمع ابن عباس.

(١٨٠٧)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ١٦ - ١٧.

(١٨٠٨) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨٠٩) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٢.

(١٨١٠) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٢-٩٩.

(١٨١١) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٢.

(١٨١٢) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٢-١٠١.

(١٨١٤) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٢-١٠١.

الثاني : معناه: وما أدري ما تؤمرون وما تنهون عنه. قاله الضحاك[١٨١٥].
الثالث : لا أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وإلام نصير هنالك. وهذا قبل نزول: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح : ٢]. فلما نزل عليه ذلك عام الحديبية علم ما يفعل به في الآخرة وقال لأصحابه : {لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعِهَا}، فلما تلاها قال رجل من القوم : هنيئاً يا رسول الله ، قد بين الله ما يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فأنزل الله تعالى: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا} [الفتح : ٥]، فبين الله ما يفعل به وبهم. قاله الحسن[١٨١٦]، وعكرمة[١٨١٧]، وقتادة[١٨١٨].

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهُذَليّ، وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب، لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خرج من الله عزّ وجلّ خطابا للمشركين وخبرا عنهم، وتوبيخا لهم، واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عليهم.

فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن هذه الآية أيضًا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم، وتوبيخ لهم، أو خبر عنهم. وإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عزّ وجلّ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرّة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أيّ حال تصير غدا في القيامة، إلى خفض ودعة، أم إلى شدّة وعذاب; وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك، وتصديقنا بما تدعونا إليه، رغبة في نعمة، وكرامة نصيبها، أو رهبة من عقوبة، وعذاب نهرب منه، ولكن ذلك كما قال الحسن، ثم بين الله لنبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ما هو فاعل به، وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم"[١٨١٩].

قوله تعالى:{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الأحقاف :٩]، أي:" ما أتبع فيما آمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه إليَّ، وما أنا إلا نذير بيِّن الإنذار"[١٨٢٠].

عن سعيد بن جبير: "{المبين}، يعني: البين"[١٨٢١].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)} [الأحقاف :١٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام على مثل هذا القرآن، وهو ما في التوراة من التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فصدَّق وعمل بما جاء في القرآن، وجحدتم ذلك استكبارًا، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يوفِّق إلى الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله.

(١٨١٥) انظر: الكشف والبيان: ٨/٩، والنكت والعيون: ٢٧٣/٥. والخبر بدون سند. والخبر عند الماوردي بلفظ:" قل لا أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به".
(١٨١٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.
(١٨١٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.
(١٨١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٢.
(١٨١٩) تفسير الطبري: ١٠١/٢٢-١٠٢.
(١٨٢٠) التفسير الميسر: ٥٠٣.
(١٨٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٢٠):ص٣٤٥/٩.

سبب النزول:

عن عوف بن مالك، قال: "انطلق النبي صلى الله عليه وسلم يوما وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة، يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا معشر اليهود أروني اثني[١٨٢٢] عشر رجلا يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب، الذي غضب عليه " قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: " أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم ". ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال: فأقبل. فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله، الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شرا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كذبتم لن يقبل قولكم، أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن أكذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم ". قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عز وجل فيه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}"[١٨٢٣].

قال الحسن:"بلغني أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال: يا رسول الله، قد علمت اليهود أني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم، وإني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبًا عندهم في التوراة، فأرسل إلى فلان وفلان، ومن سماه من اليهود، وأخبئني في بيتك، وسلهم عني، وعن أبي، فإنهم سيحدثونك أني أعلمهم، وأن أبي من أعلمهم، وإني سأخرج إليهم، فأشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ، قال: ففعل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فخبأه في بيته وأرسل إلى اليهود، فدخلوا عليه، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "ما عبد الله بن سلام فيكم"؟ قالوا: أعلمنا نفسا. وأعلمنا أبا. فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "أرأيْتُمْ إنْ أسْلَمَ تُسْلِمُونَ"؟ قالوا: لا يسلم، ثلاث مرار، فدعاه فخرج، ثم قال: أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة، وأنك بُعِثْتَ بالهدى ودين الحقّ، فقالت اليهود: ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام، قال: فخرجوا كفارا، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}"[١٨٢٤].

عن عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله: "أنزل فيّ: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... إلى قوله: {فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}"[١٨٢٥].

وروي عن عامر بن سعد بن أبي وقَاص، عن أبيه، قال: "ما سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام; قال: وفيه نزلت: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ}"[١٨٢٦].

قوله تعالى:{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف :١٠]، أي:" وقد شهد رجل من علماء بني إسرائيل على صدق القرآن، فآمن به واستكبرتم أنتم عن الإيمان، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟"[١٨٢٧].

(١٨٢٢) قال المحقق:" قوله: "أروني اثني" تحرف في (م) و (ظ٢) و (ق) إلى: انبانا اثنا، والتصويب من "جامع المسانيد" و"مجمع الزوائد" ١٠٥/٧ ومصادر التخريج".

(١٨٢٣) أخرجه أحمد في المسند(٢٣٩٨٤):ص٤٠٩/٣٩، والطبري في "التفسير"١٠٧/٢٢، وابن حبان (٧١٦٢) ، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٨٣) ، وفي "الشاميين" (٩٤٨) ، والحاكم ٤١٥/٣-٤١٦.

(١٨٢٤) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٢.

(١٨٢٥) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٢.

(١٨٢٦) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٢.

واختلف في قوله تعالى:{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} [الأحقاف :١٠]، على أقوال:
أحدها : أنه عبد الله بن سلام شهد على اليهود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مذكور في التوراة ، قاله الحسن[١٨٢٨]، وعكرمة[١٨٢٩]، والضحاك[١٨٣٠]، وقتادة[١٨٣١]، ومجاهد[١٨٣٢]، ويوسف بن عبد الله بن سلام[١٨٣٣]، والسُّدَّي[١٨٣٤]، ومالك بن أنس[١٨٣٥]، وابن سيرين[١٨٣٦]. وهو قول الأكثرين[١٨٣٧].
قال قتادة:" كنا نحدّث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام، وكان من أحبار اليهود"[١٨٣٨].
قال الضحاك:" الشاهد: عبد الله بن سلام، وكان من الأحبار من علماء بني إسرائيل، وبعث رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى اليهود، فأتوه، فسألهم فقال: "أتَعْلَمُون أنّي رسُولُ الله تجدُونَنِي مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ في التَوْراة"؟ قالوا: لا نعلم ما تقول، وإنا بما جئت به كافرون، فقال: "أيَّ رجل عَبْدُ الله بْنُ سَلام عنْدَكُمْ"؟ قالوا: عالمنا وخيرنا، قال: "أتَرْضوْن بهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"؟ قالوا: نعم، فأرسل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى عبد الله بن سلام، فجاءه فقال: "ما شَهادَتُكَ يا ابْنَ سَلام"؟ قال: أشهد أنك رسول الله، وأن كتابك جاء من عند الله، فآمن وكفروا، يقول الله تبارك وتعالى: {فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُم}"[١٨٣٩].
الثاني : أنه يامين[١٨٤٠] بن يامين، قال لما أسلم عبد الله بن سلام : «أنا شاهد مثل شهادته ومؤمن كإيمانه». قاله السدي[١٨٤١].
الثالث : أن موسى مثل محمد -صلى الله عليه وسلم- يشهد بنبوته، والتوراة مثل القرآن يشهد بصحته ، قاله مسروق[١٨٤٢]، والشعبي[١٨٤٣].
والمعنى على هذا القول:": وشَهد موسى على التوراة التي هي مِثل القرآن أنها من عند الله، كما شهد محمد على القرآن أنه كلام الله، «فآمن» مَنْ آمن بموسى والتوراة «واستَكْبرتُم» أنتم يا معشر العرب أن تؤمِنوا بمحمد والقرآن"[١٨٤٤].
وقد أنكر الشعبي ومسروق وجماعة آخرين أن يكون الشاهد المذكور في هذه الآية هو عبد الله بن سلام، قالوا لأن إسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة؟

(١٨٢٧) انظر: صفوة التفاسير: ١٨٠/٣، والتفسير الميسر: ٥٠٣..
(١٨٢٨) انظر: تفسير الطبري:١٠٦/٢٢.
(١٨٢٩) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٥، وتفسير السمعاني:١٥١/٥.
(١٨٣٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢٢-١٠٦.
(١٨٣١) انظر: تفسير الطبري ١٠٥/٢٢.
(١٨٣٢) انظر: تفسير الطبري ١٠٥/٢٢.
(١٨٣٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٢.
(١٨٣٤) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٢٧٨/٧.
(١٨٣٥) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٢٧٨/٧.
(١٨٣٦) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ١٥١/٥.
(١٨٣٧) حكاه عن الأكثرين، الرازي في مفاتيح الغيب: ١٠/٢٨.
(١٨٣٨) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٢.
(١٨٣٩) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٢-١٠٦.
(١٨٤٠) وفي بعض المصادر« آمين بن يامين».
(١٨٤١) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٥.
(١٨٤٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٢/٢٢.
(١٨٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٢.
(١٨٤٤) زاد المسير: ١٠٥/٤.

وأجاب الكلبي: بأن السورة مكية إلا هذه الآية فإنها مدنية وكانت الآية تنزل فيؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا فهذا الآية نزلت بالمدينة وإن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين[١٨٤٥]، والآية في محاجة المشركين، ووجه الحجة أنهم كانوا يراجعون اليهود في أشياء.. ولا يبعد أن تكون السورة في محاجة اليهود"[١٨٤٦].

قال مسروق:" والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما أنزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بها قومه، قال: فنزلت: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}، قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم"[١٨٤٧].

وقال مسروق:"فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة، التوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١٨٤٨].

قال الشعبيّ: "إن ناسا يزعمون أن الشاهد على مثله: عبد الله بن سلام، وأنا أعلم بذلك، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، وقد أخبرني مسروق أن «آل حم» إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لقومه، فقال: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، يعني: الفرقان {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ}، فمثل التوراة: الفرقان، التوراة شهد عليها موسى، ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم"[١٨٤٩].

الرابع : هو من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة ، قاله الشعبي[١٨٥٠].

والظاهر أن هذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام وغيره، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام. وهذه كقوله :{وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [القصص : ٥٣]، وقال :{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا} [الإسراء : ١٠٧، ١٠٨]"[١٨٥١].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١)} [الأحقاف :١١]

التفسير:

وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمدًا على ما جاء به خيرًا ما سبقتمونا إلى التصديق به، وإذ لم يهتدوا بالقرآن ولم ينتفعوا بما فيه من الحق فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} [الأحقاف :١١]، أي:" وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمدًا على ما جاء به خيرًا ما سبقتمونا إلى التصديق به"[١٨٥٢].

(١٨٤٥) مفاتيح الغيب: ١١/٢٨.
(١٨٤٦) تفسير القرطبي: ١٨٨/١٦.
(١٨٤٧) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٢.
(١٨٤٨) أخرجه الطبري: ١:٢٢-٢.
(١٨٤٩) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٢.
(١٨٥٠) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٥.، وتفسير القرطبي: ١٨٨/١٦.
(١٨٥١) تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٧.
(١٨٥٢) التفسير الميسر: ٥٠٣.

قال قتادة:" قال ذاك أناس من المشركين: نحن أعزّ، ونحن، ونحن، فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان، فإن الله يختصّ برحمته من يشاء"[١٨٥٣].

وعن قتادة:" قال قوم من المشركين: نحن ونحن يفتخرون لو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان يعنون عمارا وبلالا وصهيبا وضروبهم فأنزل الله جل وعز: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاء} [البقرة : ١٠٥]"[١٨٥٤].

وقال قتادة:" قد قال ذلك قائلون من الناس، كانوا أعزّ منهم في الجاهلية، قالوا: والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان، يختص الله برحمته من يشاء، ويكرم الله برحمته من يشاء، تبارك وتعالى"[١٨٥٥].

قال الحسن:" كانت غفار وأسلم أهل سلة – يعني: أهل سرقة في الجاهلية - قال: «فلما أسلموا قالت قريش: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}»"[١٨٥٦].

وقال مسروق: "هم أهل الكتاب"[١٨٥٧].

القرآن

{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)} [الأحقاف :١٢]

التفسير:

ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إمامًا لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي؛ لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وبشرى للذين أطاعوا الله، فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا.

قوله تعالى:{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً} [الأحقاف :١٢]، أي:" ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إمامًا لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها"[١٨٥٨].

عن إبراهيم، قوله: {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى}، قال:" ومن قبله جاء بالكتاب إلى موسى"[١٨٥٩].

قوله تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا} [الأحقاف :١٢]، أي:" وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي"[١٨٦٠].

قال مجاهد:" نزل القرآن بلسان قريش وبه كلامهم"[١٨٦١].

عن ابن بريدة في قوله -جل ذكره-: "{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} قال: بلسان جرهم"[١٨٦٢].

وفي قراءة عَبْد اللَّه: «مصدق لما بين يديه لسانا عربيا»[١٨٦٣].

القرآن

(١٨٥٣) أخرجه الطبري: ٢٢/١٠٨-١٠٩.

(١٨٥٤) رواه النحاس في إعراب القرآن: ٤/١٠٧.

(١٨٥٥) أخرجه الطبري: ٢٢/١٠٩.

(١٨٥٦) اخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٤٦):ص٣/١٩٦.

(١٨٥٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٦/٤٤٥.

(١٨٥٨) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨٥٩) أخرجه الطبري(١٨٠٧٢):ص١٥/٢٧٧، وابن أبي حاتم(١٠٧٦٦):ص٦/٢٠١٥.

(١٨٦٠) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٨٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٤٨):ص٩/٢٨١٨.

(١٨٦٢) تفسير إسحاق البستي(٧٥٢):ص١/٥٤٢.

(١٨٦٣) معاني القرآن: ٣/٥١.

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣)} [الأحقاف :١٣]

التفسير:

إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الأحقاف :١٣]، أي:" إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به"(١٨٦٤).

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الأحقاف :١٣]، وجوه من التفسير:

أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله مجاهد(١٨٦٥)، وعكرمة(١٨٦٦).

قال مجاهد:" أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به"(١٨٦٧).

قال السدي:" تموا على ذلك"(١٨٦٨). وفي رواية:" استقاموا على ألا يشركوا"(١٨٦٩).

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قرأ: "{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال:«قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام»"(١٨٧٠).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هم أمتي ورب الكعبة استقاموا ولم يشركوا كما فعلت اليهود والنصارى»(١٨٧١).

الثاني : استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله قتادة(١٨٧٢).

قال قتادة:" وكان الحسن إذا تلاها، قال: اللهمَّ فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة"(١٨٧٣).

الثالث : استقاموا على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية(١٨٧٤)، والسدي(١٨٧٥).

عن عبد الله بن سفيان الثقفي ، عن أبيه :" أن رجلا قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال : "قل آمنت بالله ، ثم استقم" قلت : فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه"(١٨٧٦).

قوله تعالى:{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} [الأحقاف :١٣]، أي:" فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله"(١٨٧٧).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}، يعني: في الآخرة"(١٨٧٨).

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف :١٣]، أي:" ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا"(١٨٧٩).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، يعني: لا يحزنون للموت"(١٨٨٠).

(١٨٦٤) التفسير الميسر: ٥٠٣.
(١٨٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢١.
(١٨٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٨٦٧) اخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١-٤٦٥.
(١٨٦٨) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٨٦٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٧٦):ص١٢٠/١.
(١٨٧٠) اخرجه الطبري: ٤٦٣/٢١-٤٦٤.
(١٨٧١) نقلا عن: تفسير التستري:١٣٧، وتفسير القرطبي: ١٣٧.
(١٨٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٨٧٣) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٨٧٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.
(١٨٧٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.
(١٨٧٦)رواه احمد في المسند (٣٨٤/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٨٩).
(١٨٧٧) التفسير الميسر: ٥٠٣.
(١٨٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٢٥):ص٩٣/١.
(١٨٧٩) التفسير الميسر: ٥٠٣.

القرآن

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)} [الأحقاف :١٤]

التفسير:

أولئك أهل الجنة ماكثين فيها أبدًا برحمة الله تعالى لهم، وبما قدَّموا من عمل صالح في دنياهم.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} [الأحقاف :١٤]، أي:" أولئك المؤمنون المستقيمون في دينهم، هم أهل الجنة ماكثين فيها أبداً"(١٨٨١).

عن سعيد بن جبير:" {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، يعني: لا يموتون""(١٨٨٢).

القرآن

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)} [الأحقاف :١٥]

التفسير:

ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برًّا بهما في حياتهما وبعد مماتهما، فقد حملته أمه جنينًا في بطنها على مشقة وتعب، وولدته على مشقة وتعب أيضًا، ومدة حمله وفطامه ثلاثون شهرًا. حتى إذا بلغ هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ أربعين سنة دعا ربه قائلا: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ، واجعلني أعمل صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

في سبب نزول الآيتين:[١٥-١٦]، قولان:

أحدهما: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص. وقد مضت القصة في سورة«العنكبوت»(١٨٨٣)، قاله الضحاك(١٨٨٤)، والسدي(١٨٨٥).

قال الواحدي في سبب نزول قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} [العنكبوت : ٨]:" قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان(١٨٨٦)، والأحقاف(١٨٨٧)"(١٨٨٨).

(١٨٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٢٥):ص٩٣/١.

(١٨٨١) صفوة التفاسير: ١٨١/٣.

(١٨٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٣٩٦٢):ص٧٣١/٣.

(١٨٨٣) عند قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت : ٨].

(١٨٨٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩، والبغوي في التفسير: ١٩٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١٩٤/١٦. بدون سند.

(١٨٨٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩، والبغوي في التفسير: ١٩٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١٩٤/١٦. بدون سند.

(١٨٨٦)[سورة لقمان: الآية ١٤].

(١٨٨٧) [سورة الأحقاف: الآية ١٥].

(١٨٨٨) أسباب النزول: ٣٤٠.

قال السمعاني:" ويقال: نزلت في أخيه عمير بن أبي وقاص، ومعنى الآية على هذا: هو الوصية بالإحسان إليهما دون الموافقة في الشرك"[١٨٨٩].

الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال لربه: {إني تبت إليك وإني من المسلمين}. قاله علي[١٨٩٠]، وابن عباس[١٨٩١].

عن علي -رضي الله عنه- في قوله: {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا}، نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله من المهاجرين أسلم أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده[وكان أبو بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونبئ النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ودعا ربه ف قال رب أوزعني، ألهمني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، بالهداية والإيمان، وأن أعمل صالحا ترضاه][١٨٩٢]"[١٨٩٣].

أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهم- : "نزلت في أبي بكر الصديق : {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥]، إلى قوله: {وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف : ١٦]"[١٨٩٤].

قال ابن عباس: "وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضا فقال: {وأصلح لي في ذريتي}، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبو قحافة النبي صلى الله عليه وسلم وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة"[١٨٩٥].

وقال الحسن: "هي مرسلة نزلت على العموم"[١٨٩٦]. أي: إنها عامة وعلى سبيل التمثيل والموعظة.

قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف :١٥]، أي:" ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برًّا بهما في حياتهما وبعد مماتهما"[١٨٩٧].

عن السدي:" {بوالديه حسنا}، يعني: برا"[١٨٩٨].

وقرئ: «حُسنا» بضمّ الحاء[١٨٩٩].

قوله تعالى:{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} [الأحقاف :١٥]، أي:" حملته أمه جنينًا في بطنها على مشقة وتعب، وولدته على مشقة وتعب أيضًا"[١٩٠٠].

قال قتادة:" حملته مشقة، ووضعته مشقة"[١٩٠١].

عن قتادة والحسن قالا:" قالا حملته في مشقة، ووضعته في مشقة"[١٩٠٢].

(١٨٨٩) تفسير السمعاني: ١٥٥/٥.
(١٨٩٠) انظر: الكشف والبيان: ١٢/٩.
(١٨٩١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٣٨/٣٠.
(١٨٩٢) هذه الزيادة في تفسير البغوي: ١٩٥/٤.
(١٨٩٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩.
(١٨٩٤) تاريخ دمشق: ٣٣٨/٣٠.
(١٨٩٥) نقلا عن: تفسير البغوي: ٢٥٨/٧. بدون سند.
(١٨٩٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٤/١٦.
(١٨٩٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.
(١٨٩٨)علقه يحيى بن سلام ٢/ ٦١٧.
(١٨٩٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢٢.
(١٩٠٠) التفسير الميسر: ٥٠٤.
(١٩٠١) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٢.

عن مجاهد، قوله: "{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا}، قال: مشقة عليها"[١٩٠٣].

قوله تعالى:{وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف :١٥]، أي:" ومدة حمله وفطامه ثلاثون شهرًا"[١٩٠٤].

قال محمد بن إسحاق:" حمله تسعة أشهر، وفصاله من اللبن لأحد وعشرين شهرا"[١٩٠٥].

روي عن بعجة بن عبد الله الجهني، قال: "تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان فذكر ذلك له، فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت: ما يبكيك؟ فو الله ما التبس بي أحد من خلق الله غيره قط، فيقضي الله في ما يشاء، فلما أتى بها عثمان أمر برجمها، فبلغ ذلك عليا فأتاه، فقال له: ما تصنع؟ قال: ولدت تماما لستة أشهر، وهل يكون ذلك؟ فقال له: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى قال: أما سمعت الله يقول: {وحمله وفصاله ثلاثون شهرا}، وقال: حولين كاملين فلم تجده بقي إلا ستة أشهر، قال: فقال عثمان والله ما فطنت لهذا، علي بالمرأة. فوجدوها قد فرغ منها، قال: فقال بعجة: فو الله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه. فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشك فيه، قال: وأبلاه الله بهذه الفرحة الأكلة، فما زالت تأكله حتى مات"[١٩٠٦].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف :١٥]، أي:" حتى إذا بلغ هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ أربعين سنة"[١٩٠٧].

واختلف أهل العلم في معنى «الأشدُّ»، على عشرة أقوال:

أحدها : معناه: بلوغ الحلم ، قاله الشعبي[١٩٠٨]، وربيعة[١٩٠٩]، وزيد بن أسلم[١٩١٠]، ومالك[١٩١١].

قال الشعبي:" الأشد: الحلم. إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات"[١٩١٢].

الثاني : ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير[١٩١٣].

الثالث : عشرون سنة ، قاله الضحاك[١٩١٤].

الرابع : خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة[١٩١٥].

الخامس : ثلاثون سنة ، قاله السدي[١٩١٦].

السادس : ثلاث وثلاثون سنة . قاله الحسن[١٩١٧]، ومجاهد[١٩١٨]، وقتادة[١٩١٩].

السابع: أربعون سنة. قاله الحسن[١٩٢٠]. ويروى عن جماعة[١٩٢١].

(١٩٠٢) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٢.

(١٩٠٣) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٢.

(١٩٠٤) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٠٥)تفسير الثعلبي: ٩/ ١٢.

(١٩٠٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٦٦):ص٣٢٩٣/١٠-٣٢٩٤.

(١٩٠٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٠٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢٢، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.

(١٩٠٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٦):ص٢١١٩/٧، و(١٦٧٤١):ص٢٩٥١/٩.

(١٩١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٧):ص٢١١٩/٧، و(١٦٧٤٢):ص٢٩٥١/٩.

(١٩١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١١٩/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٩١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.

(١٩١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٠):ص٢١١٩/٧.

(١٩١٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦١):ص٢٣/١٦.

(١٩١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٥):ص٢١١٩/٧.

(١٩١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٩):ص٢١٩/٧.

(١٩١٧) انظر: النكت والعيون:٢١/٣.

(١٩١٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٥٧)-(١٨٩٦٠):ص٢٢/١٦.

(١٩١٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٢، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١١٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٩٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٤):ص٢١١٨/٧.

العاشر: وهو ما بين ثلاث وثلاثين إلى تسع وثلاثين"[١٩٢٢].

والأولى في تحقيق بلوغ «الأشد»: أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء : ٦]، فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد[١٩٢٣].

قال أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال :" قلت لمسروق : متى يؤخذ الرجل بذنوبه ؟ قال : إذا بَلَغْتَ الأربعين، فَخُذْ حذرك"[١٩٢٤].

عن قتادة: "{وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}: وقد مضى من سيئ عمله"[١٩٢٥].

عن عثمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله حسابه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحبّه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله حسناته ومحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفّعه الله في أهل بيته، وكتب في السماء : أسير الله في أرضه"[١٩٢٦].

وروي عن أنس بن مالك-بسند ضعيف جدا-[١٩٢٧] قال: "إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلايا، من الجنون، والبَرَص، والجُذام، وإذا بلغ الخمسين ليَّن الله عَزَّ وَجَلَّ عليه حسابه، وإذا بلغ الستين، رزقه الله إنابة يحبُّه عليها، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين تقبَّل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تَأخر، وسُمِّيَ أسيرَ الله في الأرض، وشُفِّع في أهله"[١٩٢٨].

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ} [الأحقاف :١٥]، أي:" دعا ربه قائلا: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ"[١٩٢٩].

قوله تعالى:{وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف :١٥]، أي:" واجعلني أعمل صالحًا ترضاه"[١٩٣٠].

عن الضحاك: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}:" شكر ما أنعم به عليه"[١٩٣١].

قوله تعالى:{وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} [الأحقاف :١٥]، أي:" واجعل ذريتي ونسلي صالحين"[١٩٣٢].

عن مالك بن مغول، قال: شكا أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال طلحة -رضي الله، عنه-: استعن عليه بهذه الآية :{رَبِّ أوزعني أن أشكر نعمتك}، الآية"[١٩٣٣].

(١٩٢١) أحكام القرآن:٤٦/٣.

(١٩٢٢) معاني القرآن:١٣٥/٤.

(١٩٢٣) فتح القدير:٣٠٢/٢.

(١٩٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٦٩):ص٣٢٩٤/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٠/٧.

(١٩٢٥) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٢.

(١٩٢٦) رواه أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثيرك ٢٨١/٧، قال الهيثمي في المجمع (٢٠٥/١٠) : "رواه أبو يعلى في الكبير وفيه عزرة بن قيس الأزدي، وهو ضعيف".

(١٩٢٧)أوجه ضعف هذا الإسناد أن الفرج بن فضالة ضعيف، قال البخاري في الصغير ١٩٩: "منكر الحديث، تركه ابن مهدي أخيراً"، وقال في الضعفاء ٢٩: "منكر الحديث"، وقال في الصغير أيضاً ١٩٢: "كان عبد الرحمن لا يحدث عن فرج بن فضالة، ويقول: حدث عن يحيى بن سعيد أحاديث منكرة".

(١٩٢٨) المسند(٥٦٢٦):ص١٤٥/٥-١٥٠.

(١٩٢٩) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٣٠) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٣١) النكت والعيون: ٢٠١/٤.

(١٩٣٢) صفوة التفاسير: ١٨٢/٣.

(١٩٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٧٠):ص٣٢٩٤/١٠.

عن قتادة: "{رب أوزعني أن أشكر}، ألهمني أن أشكر نعمتك"[١٩٣٤]. وروي عن السدي مثله[١٩٣٥].

قوله تعالى:{إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف :١٥]، أي:" إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك "[١٩٣٦].

قال عطاء: "إني رجعت إلى كل ما تحب[١٩٣٧] وأسلمت لك بقلبي ولساني"[١٩٣٨].

عن ابن مسعود، -رضي الله عنه-:«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد : "اللهم، ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبُل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها قابليها، وأتممها علينا»"[١٩٣٩].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦)} [الأحقاف :١٦]

التفسير:

أولئك الذين نتقبل منهم أحسن ما عملوا من صالحات الأعمال، ونصفح عن سيئاتهم، في جملة أصحاب الجنة، هذا الوعد الذي وعدناهم به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} [الأحقاف :١٦]، أي:" أولئك الذين نتقبل منهم أحسن ما عملوا من صالحات الأعمال"[١٩٤٠].

عن زيد بن أسلم-ويحكيه مرفوعا: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا}:" أنهم إذا أسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم"[١٩٤١].

قوله تعالى:{وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ} [الأحقاف :١٦]، أي:" ونصفح عن سيئاتهم، في جملة أصحاب الجنة"[١٩٤٢].

عن أشعث بن سوار، قال: "قلت للحسن البصري: {من يعمل سوءا يجز به}. قال: لا يجزى -والله- يوم القيامة مؤمن بسوء عمله. ثم قرأ: {أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون} [الأحقاف: ١٦]"[١٩٤٣].

عن مجاهد، قال: "دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما، فقال له: إني أوصيك بوصية أن تحفظها: إن لله في الليل حقا لا يقبله بالنهار، وبالنهار حقا لا يقبله بالليل، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدّي الفريضة، إنه إنما ثُقلت موازين من ثُقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ في الدنيا، وثُقل ذلك عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحقّ أن يثقل، وخفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة، لاتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف. ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم،

(١٩٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٠٧):ص٢٨٥٨/٩.

(١٩٣٥) انظر: ابن أبي حاتم:ص٢٨٥٨/٩.

(١٩٣٦) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٣٧)التفسير البسيط للواحدي: ١٨١/٢٠، وذكر ذلك الماوردي في هذه الجملة عن ابن عباس بلفظ: "رجعت عن الأمر الذي كنت عليه": ٥/ ٢٧٨، وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" بنص عبارة الواحدي ولم ينسبه ٧/ ٣٧٨، وكذلك ذكره الأخير في "الوسيط" عن عطاء عن ابن عباس. انظر: ٤/ ١٠٨.

(١٩٣٨) التفسير البسيط للواحدي: ١٨١/٢٠.

(١٩٣٩)سنن أبي داود برقم (٩٦٩).

(١٩٤٠) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٤١) النكت والعيون: ٢٧٩/٥.

(١٩٤٢) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٤٣)أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (ت: إسماعيل إبراهيم عوض) ١/ ٤١٠ (٥٩١).

فيقول قائل: أين يبلغ عملي من عمل هؤلاء، وذلك أن الله عزّ وجلّ تجاوز عن أسوأ أعمالهم فلم يبده، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم حتى يقول قائل: أنا خير عملا من هؤلاء، وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أن الله عزّ وجلّ أنزل أية الشدّة عند آية الرخاء، وآية الرخاء عند آية الشدّة، ليكون المؤمن راغبا راهبا، لئلا يُلقي بيده إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحقّ"[١٩٤٤].

عن يوسف بن ، عن محمد بن حاطب قال : "ونزل في داري حيث ظهر علي على أهل البصرة، فقال لي يوما : لقد شهدتُ أمير المؤمنين عليا، وعنده عمارا وصعصعة والأشتر ومحمد بن أبي بكر، فذكروا عثمان فنالوا منه، وكان علي، رضي الله عنه، على السرير، ومعه عود في يده، فقال قائل منهم : إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه، فقال علي : كان عثمان من الذين قال الله :{أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} قال : والله عثمان وأصحاب عثمان - قالها ثلاثا - قال يوسف : فقلت لمحمد بن حاطب: آلله لسمعت هذا من عليّ ؟ قال : آلله لسمعت هذا من علي، رضي الله عنه"[١٩٤٥].

وقرئ: «يُتَقَبَّلُ» وَ«يُتَجَاوَزُ» بضم الياء منهما، على ما لم يسمّ فاعله، ورفع «أحْسَن»[١٩٤٦].

قوله تعالى:{وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف :١٦]، أي:" هذا الوعد الذي وعدناهم به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه"[١٩٤٧].

عن عاصم، في قول الله تعالى: {من يعمل سوءا يجز به} [النساء: ١٢٣]، قال: "قال الحسن: ذاك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد الله كرامته فإنه يتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة: {وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}"[١٩٤٨].

القرآن

{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧)} [الأحقاف :١٧]

التفسير:

والذي قال لوالديه إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث: قبحًا لكما أتعِداناني أن أُخْرج من قبري حيًا، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهلكوا فلم يُبعث منهم أحد؟ ووالداه يسألان الله هدايته قائلين له: ويلك، آمن وصدِّق واعمل صالحًا، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه، فيقول لهما: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطَّره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: أن قوله: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا} [الأحقاف: ١٧]، نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر. قاله مروان بن الحكم[١٩٤٩]،أبو العالية[١٩٥٠]، ومجاهد[١٩٥١]، وقتادة[١٩٥٢]، والسدي[١٩٥٣].

(١٩٤٤) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٢.

(١٩٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٧١):ص٣٢٩٥/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٧.

(١٩٤٦) انظر: تفسير الطبري: ١١٧/٢٢.

(١٩٤٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٤٨)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٨٥ (٣٦٧٩٨)، والطبري(١٠٥١٦):ص٢٣٨/٩.

(١٩٤٩) انظر: صحيح البخاري(٤٨٢٧):ص١٣٣/٦

(١٩٥٠) حكه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(١٩٥١) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(١٩٥٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٨٥٩):ص٢٠٠/٣.

(١٩٥٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٥٧٢):ص٣٢٩٥/١٠-٣٢٩٦.

قال مقاتل:" هو عبد الرحمن بن أبي بكر وأمه رومان بنت عمرو بن عامر الكندي، دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، فقال لوالديه: {أُفٍّ لَّكُمَا}"[١٩٥٤].

قال ابن عطية:" وذلك أنه كان أكبر ولد أبي بكر وشهد بدرا وأحدا مع الكفار، وقال لأبيه في الحرب[١٩٥٥]:

لَمْ يَبْقَ غيرُ شِكَّةٍ ويَعْبوبْ ... وصارمٌ يَقتلُ ضُلاَّلَ الشِّيب

ودعاه إلى المبارزة، فكان بمكة على نحو هذه الخلق، فقيل: إن هذه الآية نزلت فيه"[١٩٥٦].

قال السدي:" نزلت هذه الآية: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا} [الأحقاف: ١٧]، في عبد الرحمن بن أبي بكر، قال لوالديه وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم فكان يأمرانه بالإسلام ويرد عليهما ويكذبهما، فيقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني: مشايخ قريش ممن قد مات. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية : {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} [الأحقاف : ١٩]"[١٩٥٧].

وقال السدي : "فلقد رأيت عبد الرحمن بن أبي بكر بالمدينة، وما بالمدينة أعْبَدُ منه، ولقد استجاب الله فيه دعوة أبي بكر رضي الله عنه"[١٩٥٨].

واعترض الزجاج على هذا القول، فقال:" أما قوله: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا} [الأحقاف : ١٧]، فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه، وهذا يبطله قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [الأحقاف : ١٨]، فأعلم الله أن هؤلاء قد حقتْ عَلَيْهِم كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن، ومن أفاضل المُؤْمِنِين وسَرَوَاتِهم. والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق"[١٩٥٩].

وقال الفراء:" ذُكِرَ أَنَّهُ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر قَالَ هَذَا القول قبل أن يسلم: {أُفٍّ لَّكُمَا} [الأحقاف : ١٧].. وقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، لم تنزل فى عبد الرحمن بْن أَبِي بَكْر، ولكن عَبْد الرَّحْمَن قَالَ: ابعثوا لي جُدْعان بْن عَمْرو، وعثمان بْن عَمْرو- وهما من أجداده- حَتَّى أسألهما عما يقول محمد صلّى الله عليه- أحق أم باطل؟ فأنزل اللَّه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}[الأحقاف : ١٨]، يعنى: جدعان، وعثمان"[١٩٦٠].

قال الثعلبي:" فأما ابن أبي بكر، فقد أجاب الله تعالى فيه دعاء أبيه بقوله: {وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} [الأحقاف : ١٥]، فأسلم وحسن إسلامه"[١٩٦١].

قال مكي:" قوله: {والذي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ} إلى قوله: {نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الآيات ١٦ - ٢٤]، هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه عند بعض العلماء، ورد ذلك بعضهم قال:

(١٩٥٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(١٩٥٥) انظر: سيرة ابن هشام: ٦٣٨/١. قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يبق غير شكة ويعبوب ... وصارم يقتل ضلال الشيب

الشكة: السلاح. واليعبوب: الفرس الكثير الجرى. والصارم: السيف القاطع.

قال ابن كثير:" يعني لم يبق إلا عدة الحرب، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره". [البداية والنهاية: ٢٩٢/٣]

(١٩٥٦) المحرر الوجيز: ٩٩/٥.

(١٩٥٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٥٧٢):ص٣٢٩٥/١٠-٣٢٩٦.

(١٩٥٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٨٠/٥.

(١٩٥٩) معاني القرآن: ٤٤٣٠٤٤٤/٤.

(١٩٦٠) معاني القرآن: ٥٣/٣-٥٤.

(١٩٦١) الكشف والبيان: ١٣/٩.

هذا يبطله قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، فقد حقت عليه وعلى أمثاله كلمة العذاب بهذه الآية، وأن عبد الرحمن من أفاضيل المؤمنين"[١٩٦٢].

قال الواحدي:" الأكثرون على أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر"[١٩٦٣].

قال ابن عطية:" الأصوب أن تكون عامة في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عبد الرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ}، وكان عبد الرحمن رحمه الله من أفضل الصحابة ومن الأبطال، وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره"[١٩٦٤].

قال السمعاني:" زعم جماعة من أهل التفسير أن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ووالديه أبو بكر وأمه أم رومان..وأنكر كثيرمن أهل التفسير هذا القول، وروي عن عائشة أنها كانت تنكر أن المراد بالآية أخوها، وكذلك ذكر الزجاج في كتاب المعاني وغيره"[١٩٦٥].

قال الحافظ ابن كثير:"ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه"[١٩٦٦].

عن يوسف بن ماهك، قال: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي} [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري»"[١٩٦٧].

روي عن محمد بن زياد قال : "لما بايع معاوية لابنه، قال مروان : سُنَّة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سُنَّة هرقل وقيصر. فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه :{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا} الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت : كذب مروان! والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروانُ في صلبه، فمروان فَضَضٌ[١٩٦٨] من لعنة الله"[١٩٦٩].

وروي عن إسماعيل بن أبي خالد، قال:" أخبرني عبد الله بن الميني قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان، فقال: إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟![١٩٧٠] إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده. فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه: أف لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أباك. قال: وسمعتهما عائشة، فقالت: يا مروان، أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبت، ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان. ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف"[١٩٧١]. وفي رواية:" فقال مروان: هذا الذي يقول الله تعالى فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي} [الأحقاف :

(١٩٦٢) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٥/١١.
(١٩٦٣) التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠.
(١٩٦٤) المحرر الوجيز: ٩٩/٥.
(١٩٦٥) تفسير السمعاني: ١٥٥/٥.
(١٩٦٦) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.
(١٩٦٧) صحيح البخاري(٤٨٢٧):ص١٣٣/٦
(١٩٦٨)في الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض. وفي الحديث: أنت فضض من لعنة الله، يعنى: ما انفض من نطفة الرجل وتردد في صلبه.
(١٩٦٩) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٩١).
(١٩٧٠) أي: اتبعتم طريقته في إسناد الملك لأولاد المالكين وخالفتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده إذ إنهم لم يفعلوا ذلك.
(١٩٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٧٢):ص٣٢٩٥/١٠

١٧]...الآية، فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك فغضبت، وقالت: والله ما هي به، ولو شئت لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه[١٩٧٢]، فأنت [نضض][١٩٧٣] من لعنة الله"[١٩٧٤].

الثاني: أنها نزلت في عبدالله بن أبي بكر، وكان يدعوه أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله تعالى. قاله ابن عباس[١٩٧٥]، وأبو العالية[١٩٧٦]، ومجاهد[١٩٧٧]، والسدي[١٩٧٨]، وابن جريج[١٩٧٩].

قال مجاهد:" ونزلت في عبد الله بن أبي بكر بطولها"[١٩٨٠].

وروى العَوْفي، عن ابن عباس: ": أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق"[١٩٨١], ولم يذكر اسمه".

قال ابن كثير:" وفي صحة هذا نظر، والله أعلم"[١٩٨٢].

الثالث: أن هذه الآية مرسلة عامة، وهي نعت عبد كافر فاجر عاق لوالديه، المكذب بالبعث. قاله الحسن[١٩٨٣]، وقتادة[١٩٨٤].

وروى سعيد عن قتادة قال: "هذا عبد سوء نعته الله جل وعز قال لوالديه: {أَتَعِدَانِنِي أَنْ} أبعث"[١٩٨٥].

قال الحافظ ابن كثير:" لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال :{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا} - وهذا عام في كل من قال هذا"[١٩٨٦].

قال ابن عطية:" {الَّذِي}، يعنى: به الجنس على حد العموم الذي في الآية التي قبلها في قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ} [الأحقاف: ١٥]، هذا قول الحسن وجماعة، ويشبه أن لها سببا من رجل قال ذلك لأبويه. فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق"[١٩٨٧].

قوله تعالى:{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا} [الأحقاف :١٧]، أي:" والذي قال لوالديه إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث: قبحًا لكما على هذه الدعوة"[١٩٨٨].

قال قتادة:" ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا، فقال: {والذي قال لوالديه أف لكما} إلى قوله: {أساطير الأولين}"[١٩٨٩].

(١٩٧٢) قال مكي:" تعني الحكم - طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم".[الهداية غلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٦/١١]

(١٩٧٣) في الكشف والبيان مكتوب«نضض»!، قال المحقق: كذا في المخطوط.

(١٩٧٤) الكشف والبيان: ١٣/٩.

(١٩٧٥) انظر: الكشف والبيان: ١٣/٩، وتفسير البغوي: ٢٥٨/٧، بدون ذكر سند.

(١٩٧٦) انظر: الكشف والبيان: ١٣/٩. حكاه عنه بدون ذكر سند.

(١٩٧٧) رواه ابن جريج عن مجاهد، كما في تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧، وانظر: الكشف والبيان: ١٣/٩، والنكت والعيون: ٢٨٠/٥، وتفسير البغوي: ٢٥٨/٧، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء: ١٠٩٥/٢. حكي عنه بدون سند.

(١٩٧٨) انظر: تفسير البغوي: ٢٥٨/٧. حكاه بدون سند.

(١٩٧٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(١٩٨٠) انظر:غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القرآء: ١٠٩٥/٢. بدون سند.

(١٩٨١) نقلاعن : تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٥/١١.

(١٩٨٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(١٩٨٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣/٩.، والواحدي في التفسير البسيط: ١٨٥/٢٠، وابن كثير: في التفسير: ٢٨٤/٧. بدون سند.

(١٩٨٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣/٩.، والواحدي في التفسير البسيط: ١٨٥/٢٠، وابن كثير: في التفسير: ٢٨٤/٧. بدون سند.

(١٩٨٥) معاني القرآن للنحاس: ٤٥٠/٦.

(١٩٨٦) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(١٩٨٧) المحرر الوجيز: ٩٨/٥.

(١٩٨٨) التفسير الميسر: ٥٠٤، وصفوة التفاسير: ١٨٢/٣.

(١٩٨٩) أخرجه الطبري: ١٨/٢٢!.

عن أبي مالك غزوان الغفاري، في قوله: {أف}: يعني: "الرديء من الكلام"[١٩٩٠].

و«الأف»: الوسخ الذي حول الظفر، وقيل: الأفّ وسخ الأذن، يقال ذلك عند استقذار الشيء، ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضجر منه، ويتأذى به[١٩٩١].

قوله تعالى:{أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي} [الأحقاف :١٧]، أي: "أتعِداننني أن أُخْرج من قبري حيًا، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهلكوا فلم يُبعث منهم أحد؟"[١٩٩٢].

قال قتادة: يعني: "البعث بعد الموت"[١٩٩٣].

قال السدي:" نزلت هذه الآية: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا}[الأحقاف: ١٧]، في عبد الرحمن بن أبي بكر، قال لوالديه وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم فكان يأمرانه بالإسلام ويرد عليهما ويكذبهما، فيقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني: مشايخ قريش ممن قد مات. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا}[الأحقاف : ١٩]"[١٩٩٤].

قوله تعالى:{وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف :١٧]، أي:" ووالداه يسألان الله هدايته قائلين له: ويلك، آمن وصدِّق واعمل صالحًا، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه، فيقول لهما: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطَّره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم"[١٩٩٥].

عن السدي، قوله: {إن هذا إلا أساطير الأولين}: أساجيع الأولين"[١٩٩٦].

عن قتادة، قوله: "{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"[١٩٩٧]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[١٩٩٨].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨)} [الأحقاف :١٨]

التفسير:

أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلَّت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت مِن قبلهم مِنَ الجن والإنس على الكفر والتكذيب، إنهم كانوا خاسرين ببيعهم الهدى بالضلال، والنعيم بالعذاب.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأحقاف :١٨]، أي:" أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلَّت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت مِن قبلهم مِنَ الجن والإنس على الكفر والتكذيب"[١٩٩٩].

(١٩٩٠) الدر المنثور: ٦٣٨/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٩٩١) انظر: اللسان، مادة«أفف».

(١٩٩٢) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٩٣)أخرجه عبد الرزاق(٢٨٥١):ص ٢/ ١٩٨، والطبري:١١٨/٢٢، ومن طريق سعيد أيضا. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٩٩٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٧٣):ص٣٢٩٥/١٠-٣٢٩٦، -وكما في فتح الباري ٨/ ٥٧٧ - . وقال ابن حجر: «لكن نفى عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسنادا وأولى بالقبول». وجاء في تفسير البغوي ٧/ ٢٥٨ عن السدي: نزلت في عبد الله.

(١٩٩٥) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٩٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٠):ص٢٩١٦/٩.

(١٩٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥١):ص٢٩١٦/٩.

(١٩٩٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.

(١٩٩٩) التفسير الميسر: ٥٠٤.

عن قتادة، عن الحسن، قال: "الجنّ لا يموتون، قال قتادة: فقلت: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ} ... الآية"[٢٠٠٠].

القرآن

{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)} [الأحقاف :١٩]

التفسير:

ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيمة; بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وَفْق مرتبته؛ وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يُظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا بنقص من حسناتهم.

قوله تعالى:{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} [الأحقاف :١٩]، أي:" ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيمة; بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وَفْق مرتبته"[٢٠٠١].

عن سعيد بن جبير: قوله: "{درجات}، يعني: فضائل ورحمة"[٢٠٠٢].

قال السدي:" ثم أسلم بعد، فحسن إسلامه [أي: عبد الرحمن بن أبي بكر]، فنزلت توبته في هذه الآية: {ولكل درجات مما عملوا}"[٢٠٠٣].

عن يحيى بن الضريس، قال: سمعت يعقوب، قال: "قال ابن أبي ليلى: لهم ثواب، يعني: للجن فوجدنا تصديق قوله في كتاب الله: {ولكل درجات مما عملوا}"[٢٠٠٤].

القرآن

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)} [الأحقاف :٢٠]

التفسير:

ويوم يعرض الذين كفروا على النار للعذاب، فيقال لهم توبيخًا: لقد أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فاليوم -أيها الكفار- تُجْزَون عذاب الخزي والهوان في النار؛ بما كنتم تتكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} [الأحقاف :٢٠]، أي:" ويوم يعرض الذين كفروا على النار للعذاب"[٢٠٠٥].

عن الحسن: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} : " دخولهم"[٢٠٠٦].

قوله تعالى:{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا} [الأحقاف :٢٠]، أي:" فيقال لهم توبيخًا: لقد أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها"[٢٠٠٧].

عن أبي مجلز لاحق بن حميد، قال: "ليطلبن ناس حسنات عملوها، فيقال لهم: {أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها} الآية"[٢٠٠٨].

(٢٠٠٠) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٢.

(٢٠٠١) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٢٠٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٤):ص١٣٨٩/٤.

(٢٠٠٣)أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٧٣):ص٣٢٩٥/١٠-٣٢٩٦، -وكما في فتح الباري ٨/ ٥٧٧ - . وتقدم بتمامه في الآية قبل السابقة.

(٢٠٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٥):ص١٣٨٩/٤.

(٢٠٠٥) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٢٠٠٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٢٧/٤.

(٢٠٠٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٢٠٠٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

قال قتادة:" تعلمون أن أقواما يسترطون حسناتهم في الدنيا، استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله. قال: وذكر لنا: أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت لكنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي. وذكر لنا: أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة. فاغرورقت عينا عمر، فقال: لئن كان حظنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا"[٢٠٠٩].

عن هشام بن عروة، في قوله تعالى: {أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا} [الأحقاف: ٢٠] أن عمر بن الخطاب قال: «لو شئت أن أذهب طيباتي في حياتي الدنيا , لأمرت بجدي سمين فطبخ باللبن»"[٢٠١٠].

وفي رواية عن قتادة:" تعلمون والله أن أقواما يشترطون حسناتهم استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوّة إلا بالله. ذُكر أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي. وذُكر لنا أنه لما قدم الشأم، صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحطام، وذهبوا- قال أبو جعفر فيما أرى أنا- بالجنة، لقد باينونا بونا بعيدا. وذُكر لنا "أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم دخل على أهل الصفة مكانا يجتمع - فيه فقراء المسلمين، وهم يرقّعون ثيابهم بالأدَم، ما يجدون لها رقاعا، قال: أنتم اليوم خير، أو يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أُخرى، ويغدى عليه بحفنة، ويُراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة. قالوا: نحن يومئذ خير، قال: " بل أنتم اليوم خير"[٢٠١١].

عن أبي هريرة، قال: "إنما كان طعامنا مع النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم الأسودين: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه، ولا ندري ما هي"[٢٠١٢].

وقرأ أبو جعفر: «أَذْهَبْتُمْ» بالاستفهام، والعرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فيه، فتقول: أذهبت ففعلت كذا وكذا، وذهبت ففعلت وفعلت[٢٠١٣].

قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأحقاف :٢٠]، أي:" فاليوم -أيها الكفار- تُجْزَون عذاب الخزي والهوان في النار"[٢٠١٤].

عن مجاهد: "{عَذَابَ الْهُونِ}، قال: الهوان"[٢٠١٥].

القرآن

{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)} [الأحقاف :٢١]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- نبيَّ الله هودًا أخا عاد في النَّسب لا في الدين، حين أنذر قومه أن يحل بهم عقاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ «الأحقاف»، وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل بإنذار قومها قبل هود وبعده: بأن لا تشركوا مع الله شيئًا في عبادتكم له، إني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يَعْظُم هوله، وهو يوم القيامة.

(٢٠٠٩)أخرجه الطبري ١٢٠/٢٢بنحوه، وكذلك عبدالرزاق في التفسير(٢٨٥٢):ص١٩٨/٣-كما سيأتي-. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٠١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٥٢):ص١٩٨/٣.

(٢٠١١) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٢-١٢١.

(٢٠١٢) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٢.

(٢٠١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢٢.

(٢٠١٤) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٢٠١٥) أخرجه الطبري: ١٢٢/٢٢.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ} [الأحقاف :٢١]، أي:" واذكر -أيها الرسول- نبيَّ الله هودًا أخا عاد في النَّسب لا في الدين، حين أنذر قومه أن يحل بهم عقاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ«الأحقاف»، وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية"(٢٠١٦).

واختلف أهل التفسير في الموضع الذي به هذه الأحقاف، على أقوال:

أحدها : أن «الأحقاف»: رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشِّحْر، قاله قتادة(٢٠١٧).

قال قتادة:" ذُكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشِّحْر"(٢٠١٨).

وقال قتادة:" بلغَنَا أنهم كانوا على أرض يقال لها: الشحر، مشرفين على البحر، وكانوا أهل رمل"(٢٠١٩).

وقال قتادة:" كان مساكن عاد بالشِّحْر"(٢٠٢٠).

قال السدي:" إن عادا كانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف: هي الرمال، فأتاهم فوعظهم، وذكرهم بما قص الله في القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب"(٢٠٢١).

الثاني : أن «الأحقاف»: الأرض . قاله مجاهد(٢٠٢٢).

وروي عن مجاهد:"{ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقَاف}، حِشاف من حِسْمَى"(٢٠٢٣).

وروي عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "{إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ}، قال: حشاف أو كلمة تشبهها، قال أبو موسى: يقولون مستحشف"(٢٠٢٤).

الثالث : أنه جبل. قاله الضحاك(٢٠٢٥).

قال الضحاك:" جبل يسمى: الأحقاف"(٢٠٢٦).

وقال عكرمة : "الأحقاف : الجبل والغار"(٢٠٢٧).

الرابع : هو ما بين عمان وحضرموت ، قاله ابن إسحاق(٢٠٢٨).

قال ابن إسحاق:" كانت منازل عاد وجماعتهم، حيث بعث الله إليهم هودا الأحقاف: الرمل فيما بين عُمان إلى حَضْرَمَوْتَ، فاليمن كله، وكانوا مع ذلك قد فشَوْا في الأرض كلها، قهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله"(٢٠٢٩).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة.. وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشأم. وجائز

(٢٠١٦) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٢.
(٢٠١٨) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.
(٢٠١٩) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.
(٢٠٢٠) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.
(٢٠٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٤٤):ص١٥٠٨/٥.
(٢٠٢٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٢.
(٢٠٢٣) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.
(٢٠٢٤) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٢.
(٢٠٢٥) أخرجه الطبر]: ١٢٣/٢٢.
(٢٠٢٦) أخرجه الطبر]: ١٢٣/٢٢.
(٢٠٢٧) حكاه عنه ابن كثير: في التفسير: ٢٨٥/٧.
(٢٠٢٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٢.
(٢٠٢٩) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٢.

أن يكون واديا بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة[٢٠٣٠].

قوله تعالى:{وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} [الأحقاف :٢١]، أي:" وقد مضت الرسل بإنذار قومها قبل هود وبعده: بأن لا تشركوا مع الله شيئًا في عبادتكم له"[٢٠٣١].

قال مجاهد:" جاءت قبلهم الرسل النذر بتوحيد الله، وأتى الرسل بعدهم بتوحيد الله"[٢٠٣٢].

عن الضحاك:"{وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألا تَعْبُدُوا إلا اللَّهَ}، قال: لن يبعث الله رسولا إلا بأن يعبد الله"[٢٠٣٣].

وفِي قراءة عَبْد اللَّه: «وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ»[٢٠٣٤].

قوله تعالى:{إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف :٢١]، أي:" إني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يَعْظُم هوله، وهو يوم القيامة"[٢٠٣٥].

عن سعيد بن جبير: "{عظيم}، يعني: وافرا"[٢٠٣٦].

القرآن

{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢)} [الأحقاف :٢٢]

التفسير:

قالوا: أجئتنا بدعوتك؛ لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فأتنا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من أهل الصدق في قولك ووعدك.

قوله تعالى:{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا} [الأحقاف :٢٢]، أي:" قالوا: أجئتنا بدعوتك؛ لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟"[٢٠٣٧].

قال الضحاك:" لتزيلنا عن عبادتها بالإفك"[٢٠٣٨].

القرآن

{قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣)} [الأحقاف :٢٣]

التفسير:

قال هود عليه السلام: إنما العلم بوقت مجيء ما وُعدتم به من العذاب عند الله، وإنما أنا رسول الله إليكم، أبلغكم عنه ما أرسلني به، ولكني أراكم قومًا تجهلون في استعجالكم العذاب، وجرأتكم على الله.

قال السدي:" فأتاهم- يعني-: هودا، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في كتابه فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم: {إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ}"[٢٠٣٩].

القرآن

(٢٠٣٠) تفسير الطبري: ١٢٤/٢٢-١٢٥.
(٢٠٣١) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٣٢) تفسير إسحاق البستي(٨٧٢):ص٣٤٩/٢.
(٢٠٣٣) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٢.
(٢٠٣٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٤/٣، وتفسير الطبري: ١٢٥/٢٢.
(٢٠٣٥) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٥):ص٢٧٩٦/٩.
(٢٠٣٧) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٣٨) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٦.
(٢٠٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٩):ص١٥٠٩/٥.

{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)} [الأحقاف :٢٤]

التفسير:

فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضًا في السماء متجهًا إلى أوديتهم قالوا: هذا سحاب ممطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} [الأحقاف :٢٤]، أي:" فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضًا في السماء متجهًا إلى أوديتهم، قالوا: هذا سحاب ممطر لنا"[٢٠٤٠].

قال قتادة:" وذُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا، فلما رأوا العذاب مقبلا: {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}. وذُكر لنا أنهم قالوا: كذب هود كذب هود; فلما خرج نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم الله فشامه، قال: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيم}"[٢٠٤١].

قال ابن إسحاق:" ساق الله السحابة السوداء التي اختار قَيْلُ ابن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث، فلما رأوها استبشروا: {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}، يقول الله عزّ وجلّ: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}"[٢٠٤٢].

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأحقاف :٢٤]، أي:" فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجع"[٢٠٤٣].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٠٤٤]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٠٤٥].

قال عمرو بن ميمون: "لما رأى قوم عاد العارض، {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}، قال الله: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا(٢٥)}، فإن كانت الريح لتدفع الراعي وغنمه بين السماء والأرض ثم تقلبها عليهم"[٢٠٤٦].

قال عمرو بن ميمون: "كان هود جلدا في قومه، وإنه كان قاعدا في قومه، فجاء سحاب مكفهرّ، {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا فَقَالَ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}، قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط، وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه"[٢٠٤٧].

قال عمرو بن ميمون: لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة"[٢٠٤٨].

قالت عائشة-رضي الله عنها-: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيلة تغير وجهه ودخل وخرج , وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه فذكرت ذلك له , فقال: " ما أمنت أن تكون كما قال الله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ} [الأحقاف: ٢٤] إلى قوله: {رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأحقاف: ٢٤]"[٢٠٤٩].

(٢٠٤٠) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٤١) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢٢.
(٢٠٤٢) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢٢-١٢٨.
(٢٠٤٣) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٠٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٠٤٦) أخرجه سفيان الثوري في التفسير(٨٩٥: ٥):ص٢٧٧.
(٢٠٤٧) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٢.
(٢٠٤٨) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٢.
(٢٠٤٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٤٣٩):ص٢٥٤/٢.

وعن عائشة-رضي الله عنها- قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال : "اللهم، إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به". قالت : وإذا تَخَيَّلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال : "لعله يا عائشة كما قال قوم عاد :{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}"[٢٠٥٠].

وقرأ عبدالله: «قُل بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُم»[٢٠٥١].

القرآن

{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)} [الأحقاف :٢٥]

التفسير:

تدمِّر كل شيء تمر به مما أُرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشيئته، فأصبحوا لا يُرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها، مثل هذا الجزاء نجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرمهم وطغيانهم.

قوله تعالى:{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [الأحقاف :٢٥]، أي:" تدمِّر كل شيء تمر به مما أُرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشيئته"[٢٠٥٢].

قال عمرو بن ميمون:" فإن كانت الريح لتدفع الراعي وغنمه بين السماء والأرض ثم تقلبها عليهم"[٢٠٥٣].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} [الأحقاف :٢٥]، أي:" فأصبحوا لا يُرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها"[٢٠٥٤].

عن أبي عمرو: "{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} والحسن وأبو عبد الرحمن السلمي: {فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ}"[٢٠٥٥].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قرأ: «لا تَرَى إلا مساكنهم»[٢٠٥٦]، وأجودها في العربية والقراءة:{لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ}، وتفسيه: لا يُرَى شيءٌ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ لأَنَّهُمْ قد أُهْلِكُوا[٢٠٥٧].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الأحقاف :٢٥]، أي:" مثل هذا الجزاء نجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرمهم وطغيانهم"[٢٠٥٨].

عن السدي:" {المجرمون}: وهم المشركون"[٢٠٥٩].

عن الحارث البكري، قال : "خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمررت بالرَبْذَة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت لي : يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة، فهل أنت مبلغي إليه ؟ قال : فحملتها فأتيت بها المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وإذا بلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت : ما

(٢٠٥٠)صحيح مسلم برقم (٨٩٩).
(٢٠٥١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٥/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٤٥/٤.
(٢٠٥٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٥٣) تفسير سفيان الثوري(٨٩٥: ٥):ص٢٧٧.
(٢٠٥٤) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٥٥) تفسير إسحاق البستي(٨٧٤):ص٣٤٩/٢.
(٢٠٥٦) رواه عنه الفراء في معاني القرآن: ٥٥/٣.
(٢٠٥٧) معاني القرآن: ٤٤٦/٤.
(٢٠٥٨) التفسير الميسر: ٥٠٥.
(٢٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٤):ص١٦٦٢/٥.

شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها. قال : فجلست، فدخل منزله - أو قال : رحله - فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت فسلمت، فقال : "هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم، وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع، بها فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب : فأذن لها فدخلت، فقلت : يا رسول الله، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزا فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت، وقالت : يا رسول الله، فإلى أين يضطر مضطرك ؟ قال : قلت : إن مثلي ما قال الأول : "مِعْزَى حَمَلَت حَتْفَها"، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قال : "هيه، وما وافد عاد ؟" - وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه- قلت : إن عادًا قحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له : قَيل، فمر بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما "الجرادتان" - فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مَهْرة فقال : اللهم، إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه. فمرت به سحابات سود، فنودي منها : "اختر"، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها : "خذها رمادًا رمددًا، لا تبقي من عاد أحدا". قال : فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا كقدر ما يجري في خاتمي هذا، حتى هلكوا - قال أبو وائل : وصدق - وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا : "لا تكن كوافد عاد"[٢٠٦٠] [٢٠٦١].

القرآن

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦)} [الأحقاف :٢٦]

التفسير:

ولقد يسَّرنا لعاد أسباب التمكين في الدنيا على نحوٍ لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش، وجعلنا لهم سمعًا يسمعون به، وأبصارًا يبصرون بها، وأفئدة يعقلون بها، فاستعملوها فيما يسخط الله عليهم، فلم تغن عنهم شيئًا إذ كانوا يكذِّبون بحجج الله، ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} [الأحقاف :٢٦]، أي:" ولقد يسَّرنا لعاد أسباب التمكين في الدنيا على نحوٍ لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش"[٢٠٦٢].

قال الحسن:" معناه: في الذي ما مكناكم فيه"[٢٠٦٣].

قال قتادة:" أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم"[٢٠٦٤].

قوله تعالى:{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف :٢٦]، أي:" ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه"[٢٠٦٥].

عن مجاهد: {وَحَاقَ بِهِمْ}، قال: " حل بهم"[٢٠٦٦].

وروي عن السدي:" وقع بهم"[٢٠٦٧].

وقال الربيع: "نزل"[٢٠٦٨].

(٢٠٦٠)المسند (٤٨٢/٣).

(٢٠٦١)قال ابن كثير:" غريب جدًا من غرائب الحديث وأفراده". [تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧].

(٢٠٦٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢٠٦٣)عزاه السيوطي إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٢٠٦٤) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٢.

(٢٠٦٥) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢٠٦٦) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٢٠٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١٥):ص٢٠٠٧/٦.

(٢٠٦٨)ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١/ ١٣، و"البسيط": ٣٠/٣، والبغوي في "تفسيره" ٣/

قال الضحاك: {فَحَاقَ}: "أي: أحاط"[٢٠٦٩].

القرآن

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)} [الأحقاف :٢٧]

التفسير:

ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل «مكة» من القرى كعاد وثمود، فجعلناها خاوية على عروشها، وبيَّنَّا لهم أنواع الحجج والدلالات؛ لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته.

قوله تعالى:{ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأحقاف :٢٧]، أي:" وبيَّنَّا لهم أنواع الحجج والدلالات لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته"[٢٠٧٠].

عن الحسن:" {لعلهم يرجعون}: لعلهم يتوبون"[٢٠٧١].

القرآن

{فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)} [الأحقاف :٢٨]

التفسير:

فهلا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية آلهتُهم التي اتخذوا عبادتها قربانًا يتقربون بها إلى ربهم; لتشفع لهم عنده، بل ضلَّت عنهم آلهتهم، فلم يجيبوهم، ولا دافعوا عنهم، وذلك كذبهم وما كانوا يَفْتَرون في اتخاذهم إياهم آلهة.

قوله تعالى:{وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأحقاف :٢٨]، أي:" وذلك كذبهم وما كانوا يَفْتَرون في اتخاذهم إياهم آلهة"[٢٠٧٢].

عن قتادة، قوله: "{ما كانوا يفترون}، أي: يشركون"[٢٠٧٣].

القرآن

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩)} [الأحقاف :٢٩]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا; لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعَوه وأثَّر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومحذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به.

قوله تعالى:{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} [الأحقاف :٢٩]، أي:" واذكر -أيها الرسول- حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن"[٢٠٧٤].

.١٣٠

(٢٠٦٩)ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١/ ١٣، و"البسيط": ٣٠/٨، والبغوي في "تفسيره" ٣/ ١٣٠، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٨٠.

(٢٠٧٠) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢٠٧١)أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٧):ص ٥/ ١٦٠٦.

(٢٠٧٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢٠٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٩٤):ص٢٠١٩/٦.

(٢٠٧٤) التفسير الميسر: ٥٠٦.

قال سعيد بن جبير:" لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، حرست السماء ، فقالت الشياطين: ما حرست إلا لأمر حدث في الأرض ، فبعث سرايا في الأرض ، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم ، قائما يصلي بأصحابه صلاة الفجر بنخلة وهو يقرأ: " فاستمعوه حتى إذا فرغ ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا: {يا قومنا إنا سمعنا كتابا. . . . .} [الأحقاف: ٣٠] الآية كلها"[٢٠٧٥].

قال سعيد بن جبير:"كانت الجن تستمع، فلما رُجِموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض، فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم خارجا من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم"[٢٠٧٦].

وقرئ: «صرفنا»، بالتشديد، لأنهم جماعة[٢٠٧٧].

قال مجاهد:" لقيهم بنخلة ليلتئذ"[٢٠٧٨]. وفي رواية: «لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلتئذ بنخلة»[٢٠٧٩].

وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم من أهل نينوى ، قاله قتادة[٢٠٨٠]، وعمر بن عبدالعزيز[٢٠٨١].

قال عمر بن عبد العزيز:" أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى، وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين"[٢٠٨٢].

الثاني : أنهم من جزيرة الموصل ، قاله عكرمة[٢٠٨٣].

الثالث : من أهل نجران ، قاله مجاهد[٢٠٨٤].

واختلف في عددهم على أقوال :

أحدها : أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل ، قاله عكرمة[٢٠٨٥].

قال عكرمة:" هم اثنا عشر ألفا جاءوا من جزيرة الموصل، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لابن مسعود كاد أن يذهب، فذكر قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فلم يبرح، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة»[٢٠٨٦].

الثاني : أنهم كانوا تسعة نفر، أحدهم: زَوْبعة، قاله زِرّ بن حُبَيش الأسدي الكوفي[٢٠٨٧].

الثالث : أنهم كانوا سبعة نفر، ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم حي وحسي ومسي، وشاصر وناصر، والأرد وإبيان والأحقم، قاله مجاهد[٢٠٨٨].

واختلف في علم النبي -صلى الله عليه وسلم- على قولين :

أحدهما : أنه ما شعر بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أوحى الله إليه فيهم وأخبره عنهم ، قاله الحسن[٢٠٨٩].

(٢٠٧٥) تفسير عبد الرزاق(٢٨٥٧):ص١٩٩/٣، وتفسير الطبري: ١٣٤/٢٢.
(٢٠٧٦) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٢.
(٢٠٧٧) انظر: الكشاف: ٣١١/٤.
(٢٠٧٨) اخرجه الطبري: ١٣٩/٢٢.
(٢٠٧٩) تفسير مجاهد: ٦٠٣.
(٢٠٨٠) انظر: تفسير الطبري: ١٣٦/٢٢.
(٢٠٨١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٥٧٩):ص٣٢٩٦/١٠.
(٢٠٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٧٩):ص٣٢٩٦/١٠.
(٢٠٨٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٥.
(٢٠٨٤) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٥.
(٢٠٨٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٥٧٨):ص٣٢٩٦/١٠.
(٢٠٨٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٥٧٨):ص٣٢٩٦/١٠.
(٢٠٨٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٢.
(٢٠٨٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٥٨٠):ص٣٢٩٧/١٠.

قال الحسن:" ما شعر بهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى جاءوا، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه فيهم، وأخبر عنهم"[٢٠٩٠].

الثاني : أن الله قد كان أعلمه بهم قبل مجيئهم، إذ أمر نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يقرأ عليهم القرآن، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم، وأمره بقراءة القرآن عليهم.

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم صرفُوا إليه من نِينَوَى، قال: فإن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ، فأيكم يتبعني"؟ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه[٢٠٩١]، فاتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم شعبا يقال له شعب الحجون. قال: وخطّ نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على عبد الله خطا ليثبته به، قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها، وسمعت لغطا شديدا، حتى خفت على نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ثم تلا القرآن; فلما رجع نبيّ الله قلت: يا نبيّ الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم، ففُضي بينهم بالحقّ. ودُكر لنا أن ابن مسعود لما قَدِم الكوفة رأى شيوخا شُمطا من الزُّط، فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما أريت للذين قرأ عليهم النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم الإسلام من الجنّ شبها أدنى من هؤلاء"[٢٠٩٢].

وفي رواية عن قتادة: "أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ، فخطَّ النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على ابن مسعود خطا، ثم قال له: لا تخرج منه ثم ذهب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الجنّ، فقرأ عليهم القرآن، ثم رجع إلى ابن مسعود فقال: وهل رأيت شيئا؟ قال: سمعت لغَطا شديدا، قال: إن الجنّ تدارأت في قتيل قُتل بينها، ففُضِي بينهم بالحقّ، وسألوه الزاد، فقال: وكل عظم لكم عرق، وكلّ روث لكم خُضْرة. قالوا: يا رسول الله تقدّرها الناس علينا، فنهى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يستنجي بأحدهما; فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزُّطّ، وهم قوم طوال سود، فأفزعوه، فقال: أظْهَرُوا؟ فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزُّطّ، فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرِفوا إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢٠٩٣].

عن عبد الله بن عمرو بن غَيلان الثقفيّ، أنه قال لابن مسعود: " حُدثت أنك كنت مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ليلة وفد الجنّ، قال: أجَل، قال: فكيف كان؟ فذكر الحديث كله. ودُكِر أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم خطّ عليه خطا وقال: ولا تبرح منها، فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فدُعِر ثلاث مرّات، حتى إذا كان قريبا من الصبح، أتاني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: أنِمْتَ؟ قلت: لا والله، ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول: واجلسوا، قال: ولو خرجتَ لم آمن أن يختطفك بعضهم، ثم قال: وهل رأيت شيئا؟ قال: نعم رأيت رجالا سودا مستشعري ثياب بيض، قال: أولئك جنّ نصيبين، سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكلّ عظم حائل أو بعرة أو روثة، فقلت: يا رسول الله، وما يغني ذلك عنهم؟ قال: إِنَّهُمْ لَنْ يَجِدوُا عَظْما إلا وَجَدُوا عَلَيْهِ لَحْمَه يَوْمَ أُكِل، وَلا رَوْثَةٌ إلا وَجَدُوا فِيها حَبَّها يَوْمَ أُكِلَتْ، فَلا يَسْتَنْقِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاءِ بعَظْمٍ وَلا بَعْرَةٍ وَلا رَوْثَةٍ"[٢٠٩٤].

قوله تعالى:{فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا} [الأحقاف :٢٩]، أي:" فلما حضروا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا; لنستمع القرآن"[٢٠٩٥].

(٢٠٨٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٥.

(٢٠٩٠) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٢.

(٢٠٩١)في ابن كثير " لذو ندبة "، وكأن الرجل يتعجب من نشاط رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسراعه لما ندب أصحابه إليه فأحجموا. ولعله مأخوذ من قولهم " رجل ندب " أي خفيف سريع في الحاجة.

(٢٠٩٢) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٢-١٣٧.

(٢٠٩٣) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٢.

(٢٠٩٤) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٢-١٣٨.

(٢٠٩٥) التفسير الميسر: ٥٠٦.

عن زر قال: أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة وهو يقرأ القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا، قالوا: صه. قال: وكانوا سبعة أحدهم زوبعة"[٢٠٩٦].

قال قتادة:" قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا"[٢٠٩٧].

قوله تعالى:{فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف :٢٩]، أي:" فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعَوه وأثَّر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومحذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به"[٢٠٩٨].

قال مجاهد:" ليس في الجن رسل، إنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجن، وقرأ: {فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} "[٢٠٩٩].

وقرأ حبيب بن عبد الله بن الزبير وأبو مجلز: «قضى» على بناء الفعل للفاعل، أي: قضى محمد القراءة[٢١٠٠].

قال قتادة: "ما أسرع ما عقل القوم"[٢١٠١].

قال ابن عمر وجابر بن عبد الله:" قرأ عليهم سورة الرحمن، فكان إذا قال: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من آلائك نكذب، ربنا لك الحمد، ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجن"[٢١٠٢].

القرآن

{قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)} [الأحقاف :٣٠]

التفسير:

قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى، مصدقًا لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} [الأحقاف :٣٠]، أي:" قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابًا مجيداً منزَّلاً على رسولٍ من بعد موسى"[٢١٠٣].

قال عطاء: " كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى}"[٢١٠٤].

قوله تعالى:{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأحقاف :٣٠]، أي:" مصدقًا لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله"[٢١٠٥].

قال مجاهد:" يعني: «لما قبله من كتاب أو رسول»[٢١٠٦].

قوله تعالى:{يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأحقاف :٣٠]، أي:" يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم"[٢١٠٧].

(٢٠٩٦) تفسير إسحاق البستي(٨٧٩):ص٣٥١/٢، وتفسير الطبري: ١٣٩/٢٢.

(٢٠٩٧) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٢.

(٢٠٩٨) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢٠٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٣):ص١٣٨٩/٤.

(٢١٠٠) انظر: المحرر الوجيز: ١٠٥/٥.

(٢١٠١) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٢.

(٢١٠٢) نقلا عن تفسير المحرر الوجيز: ١٠٥/٥.

(٢١٠٣) صفوة التفاسير: ١٨٦/٣.

(٢١٠٤) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤١/٢٤. ط. دار التفسير، والزمخشري في "الكشاف": ٣١٢/٤، والقرطبي في " الجامع لأحكام القرآن": ٢١٧/١٦، والبغوي في "معالم التنزيل": ٢٦٩/٧، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٣٩٠/٧.

(٢١٠٥) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢١٠٦) تفسير مجاهد: ٢٤٨.

عن قتادة أنه قرأ:" {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ}، فقال: ما أسرع ما عقل القوم، ذُكر لنا أنهم صُرِفوا إليه من نينوى"[٢١٠٨].

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"[٢١٠٩].

عن مجاهد في قوله: "{صراط مستقيم}، قال: الحق"[٢١١٠].

عن عاصم الأحول، عن أبي العالية :"الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح"[٢١١١].

القرآن

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)} [الأحقاف :٣١]

التفسير:

يا قومنا أجيبوا رسول الله محمدًا إلى ما يدعوكم إليه، وصدِّقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم وينقذكم من عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [الأحقاف :٣١]، أي:" يا قومنا أجيبوا رسول الله محمدًا إلى ما يدعوكم إليه، وصدِّقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم"[٢١١٢].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٢١١٣].

قوله تعالى:{وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف :٣١]، أي:" وينقذكم من عذاب مؤلم موجع"[٢١١٤].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢١١٥]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢١١٦].

عن ليث، قال: "الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم"[٢١١٧].

عن الضحاك، قال: "الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون"[٢١١٨].

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)} [الأحقاف :٣٣]

التفسير:

(٢١٠٧) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢١٠٨) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٢.

(٢١٠٩) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٢١١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٨):ص١٢٨٧/٤.

(٢١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٧):ص١٢٨٧/٤.

(٢١١٢) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢١١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٢١١٤) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢١١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٢١١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٢١١٧) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٣/٢٤. ط. دار التفسير.

(٢١١٨) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٤/٢٤، ط. دار التفسير،[ضعيف]، و أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" ٥/ ١٦٩٦ من طريق سفيان، به، بمثله، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٣/ ٣٦٠ لابن المنذر، وذكره: البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٧٠، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ٢١٨، والخازن في "تفسيره" ٤/ ١٣١.

أغَفَلوا ولم يعلموا أنَّ الله الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق، ولم يعجز عن خلقهن، قادر على إحياء الموتى الذين خلقهم أوّلا؟ بلى، ذلك أمر يسير على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء، إنه على كل شيء قدير.

سبب النزول:

قال مقاتل:" {أولم يروا} نزلت في أبي بن خلف الجمحي، عمد فأخذ عظما حائلا نخرا، فأتى به النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد، أتعدنا إذا بليت عظامنا، وكنا رفاتا أن الله يبعثنا خلقا جديدا. وجعل يفت العظم ويذريه في الريح، ويقول: يا محمد، من يحيي هذا؟! قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يحيي الله هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك في الآخرة، ويدخلك النار». فأنزل الله تعالى يعظه ليعتبر في خلق الله فيوحده: {أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض} "[٢١١٩].

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"[٢١٢٠].

عن الأعرج وأبي عمرو: "{وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ} وزعم أنها في مصحف ابن عياش معجمًا على الباء {بقادر}. وكان ابن أبي إسحاق وعاصم الجحدري يقولان: {يقدر}"[٢١٢١].

القرآن

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤)} [الأحقاف :٣٤]

التفسير:

ويوم القيامة يُعْرَض الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟ فيجيبون قائلين: بلى وربنا هو الحق، فيقال لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون عذاب النار وتنكرونه في الدنيا.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ} [الأحقاف :٣٤]، أي:" ويوم القيامة يُعْرَض الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟"[٢١٢٢].

عن الحسن:" {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ}: عرضهم"[٢١٢٣].

القرآن

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)} [الأحقاف :٣٥]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على ما أصابك مِن أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك -وهم، على المشهور: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنت منهم- ولا تستعجل لقومك العذاب; فحين يقع ويرونه كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، هذا بلاغ لهم ولغيرهم. ولا يُهْلَكُ بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته.

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف :٣٥]، أي:" فاصبر -أيها الرسول- على ما أصابك مِن أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك"[٢١٢٤].

(٢١١٩)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٣٠.

(٢١٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٢١٢١) تفسير إسحاق البستي(٨٨٢):ص٣٥٣/٢.

(٢١٢٢) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢١٢٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٢٧/٤.

واختلف في قوله تعالى:{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف :٣٥]، على أقوال:
أحدها : أن أولي العزم من الرسل الذين أمروا بالقتال من الأنبياء، قاله السدي[٢١٢٥].
الثاني : أنهم العرب من الأنبياء. قاله مجاهد[٢١٢٦]، والشعبي[٢١٢٧].
الثالث : من لم تصبه فتنة من الأنبياء. قاله الحسن[٢١٢٨].
الرابع : ذوو الجد والصبر. قاله الضحاك[٢١٢٩].
الخامس: الرأي والصواب. قاله القرظي[٢١٣٠].
السادس: أنهم أولوا الصبر الذين صبروا على أذى قومهم فلم يجزعوا.
قال سعيد بن جبير:" سماه الله من شدته العزم"[٢١٣١].
عن عائشة-رضي الله عنها- قالت:"ظل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صائما ثم طواه، ثم ظل صائما ثم طواه، ثم ظل صائما قال: «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}، وإني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله"[٢١٣٢].
وفي «أولي العزم من الرسل»، أقوال:
أحدها : أن أولي العزم منهم: نوح وهود وإبراهيم، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم ، قاله أبو العالية[٢١٣٣].
قال ابو العالية:" وكانوا ثلاثة ورسول الله صلى الله عليه وسلم رابعهم، قال نوح: {يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ} [يونس : ٧١] ،إلى آخرها فأظهر لهم المفارقة وقال هود حين قالوا: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(٥٤) مِنْ دُونِهِ} [هود : ٥٤-٥٥]، فأظهر لهم المفارقة قال لإبراهيم {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ} [الممتحنة : ٤]، إلى آخر الآية فأظهر لهم المفارقة قال يا محمد: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأنعام : ٥٦]، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة"[٢١٣٤].
قال قتادة:" كنا نحدث أن إبراهيم كان منهم"[٢١٣٥].
الثاني : أنهم: أربعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، قاله قتادة[٢١٣٦] .
وروي مالك بن أنس، عن الحسن بن زيد في هذه الآية: {كما صبر أولوا العزم من الرسل}، أنهم أربعة، ولم يحفظ أسماءهم"[٢١٣٧].
الثالث : أنهم: أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى. قاله الحسن البصري[٢١٣٨].

(٢١٢٤) التفسير الميسر: ٥٠٦.
(٢١٢٥) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤.
(٢١٢٦) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤. والخبر بدون سند.
(٢١٢٧) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤. والخبر بدون سند.
(٢١٢٨) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤. والخبر بدون سند.
(٢١٢٩) تفسير الثعلبي: ١٤٧/٢٤، وذكره البغوي في "تفسيره" /٧ ٢٧١، والخازن في "تفسيره" ٤/ ١٣٢.
(٢١٣٠)تفسير الثعلبي: ١٤٧/٢٤.
(٢١٣١) اخرجه الطبري: ١٤٦/٢٢.
(٢١٣٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٨٣):ص٣٢٩٧/١٠.
(٢١٣٣) الدر المنثور: ٤٥٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وأبوي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر.
(٢١٣٤) .
(٢١٣٥) اخرجه الطبري: ١٤٥/٢٢.
(٢١٣٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٨٦٢):ص٢٠١/٣.
(٢١٣٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٨٥):ص٨٢/١.
(٢١٣٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦/٩. بدون سند.

قال الحسن:" فقال: إبراهيم فعزمه قيل له: أسلم، قال: {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة : ١٣١]. ثم ابتلي في ماله، وولده، ووطنه، ونفسه، فوجد صادقا وافيا في جميع ما أبتلي به، وأما موسى، فعزمه قوله حين قال له قومه: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء : ٦١]، قال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء : ٦٢]، وأما داود، فعزمه أنه أخطأ خطيئة، فنبه عليها، فبلي أربعين سنة على خطيئته حتى نبتت من دموعه شجرة، وقعد تحت ظلها، وأما عيسى فعزمه أنه لم يضع في الدنيا لبنة على لبنة، وقال: إنها معبر فاعبروها، ولا تعمروها. فكان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٣٥]، أي: كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتما لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى -عليه السلام-"[٢١٣٩].

الرابع: أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-. قاله مجاهد[٢١٤٠]، وقتادة[٢١٤١]، وعطاء الخُراسانيّ[٢١٤٢].

الخامس : أنهم: نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى ، قاله قتادة –أيضا-[٢١٤٣].

السادس : أنهم: إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد -صلوات الله عليهم أجمعين-، قاله السدي[٢١٤٤].

وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم، قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سُورَتَي "الأحزاب"[٢١٤٥] و "الشورى"[٢١٤٦]، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرّسُل، وتكون {مِنَ} في قوله :{مِنَ الرُّسُلِ} لبيان الجنس"[٢١٤٧].

ولا محالة أن لكل نبي ورسول عزما وصبرا[٢١٤٨].

عن الأحوص بن حكيم بن كعب الحبر، قال: "في جنة عدن مدينة من لؤلؤ بيضاء، تكل عنها الأبصار، لم يرها نبي مرسل ولا ملك مقرب، أعدها الله سبحانه وتعالى لأولي العزم من الرسل والشهداء والمجاهدين، لأنهم فضلوا الناس عقلا وحلما وإنابة ولبا"[٢١٤٩].

قوله تعالى:{بَلَاغٌ} [الأحقاف :٣٥]، أي:" هذا بلاغ وإنذار"[٢١٥٠].

عن الحسن: "أن هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية، إن فكَّروا واعتبروا فتذكروا"[٢١٥١].

وقرأ أبو مجلز: «بلغ»، على الأمر[٢١٥٢].

(٢١٣٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦/٩. بدون سند.

(٢١٤٠) انظر: زاد المسير: ١١٤/٤. حكاه بدون سند.

(٢١٤١) انظر: زاد المسير: ١١٤/٤. حكاه بدون سند.

(٢١٤٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٢.

(٢١٤٣) الدر المنثور: ٤٥٤/٧. وعزاه إلى ابن عساكر.

(٢١٤٤) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤.

(٢١٤٥) قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧].

(٢١٤٦) قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى : ١٣].

(٢١٤٧) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

(٢١٤٨) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(٢١٤٩) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦/٩.

(٢١٥٠) صفوة التفاسير: ١٨٧/٣.

(٢١٥١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٩/٥. وحكاه الطبري: ١٤٦/٢٢. دون نسبته إلى أحد.

(٢١٥٢) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٥٥/٦.

قوله تعالى:{فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف :٣٥]، أي:" ولا يُهْلَكُ بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته"[٢١٥٣].

قال قتادة:" تعلموا ما يهلك على الله إلا هالك ولى الإسلام ظهرَه أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله. ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يقول: "أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِي هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ عَملها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا. وَأَيُّمَا عَبْدٍ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ كَانَ يَتْبَعُهَا، وَيَمْحُوهَا اللَّهُ وَلا يَهْلِكُ إلا هَالِك"[٢١٥٤].

عن هارون، عن عمرو، عن الحسن البصري: "{فهل يهلك إلا القوم الفاسقون}. وبعض الناس يقول: (يهلك)، و {يهلك} أحب إلينا؛ لأنه هلاك الآخرة"[٢١٥٥].

«آخر تفسير سورة (الأحقاف)، والحمد لله وحده»

(٢١٥٣) التفسير الميسر: ٥٠٦.
(٢١٥٤) أخرجه الطبري: ١٤٦/٢٢-١٤٧.
(٢١٥٥)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٥٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «محمد»

سورة «محمد» هي السورة «السابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والتسعون» بحسب نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة الحديد»، وقبل «سورة الرعد».

وعدد آياتها أربعون في البصرة، وثمان في الكوفة وتسع وثلاثون عند الباقين. وكلماتها خمسمائة وتسع وثلاثون. وحروفها ألفان وثلثمائة وتسع وأربعون. المختلف فيها آيتان: {أَوْزَارَهَا } [محمد : ٤]، {لِلشَّارِبِينَ } [محمد : ١٥]. فواصل آياتها: «ما»[٢١٥٦].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس[٢١٥٧]، وعبد الله بن الزبير[٢١٥٨]، ومجاهد[٢١٥٩]، ومقاتل[٢١٦٠]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٢١٦١].

الثاني: أنها مدنية إلّا آية منها نزلت عليه بعد حجّه حين خرج من مكّة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} [محمد : ١٣]. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس[٢١٦٢]، وقتادة[٢١٦٣].

قال ابن عاشور:" ولعله وهم ناشىء عما روي عن ابن عباس أن قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} [محمد : ١٣]، الآية نزلت في طريق مكة قبل الوصول إلى حراء، أي في الهجرة. قيل: نزلت هذه السورة بعد يوم بدر وقيل نزلت في غزوة أحد"[٢١٦٤].

الثالث: أنها مكية. قاله الضحاك[٢١٦٥]، وسعيد بن جبير[٢١٦٦]، والسدي[٢١٦٧].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[٢١٦٨].

قال ابن عطية:" هذه السورة مدنية بإجماع، غير أن بعض الناس قال في قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ} [محمد: ١٣] إنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي فيها عام الفتح أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني، لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها"[٢١٦٩].

(٢١٥٦) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٠.

(٢١٥٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن ضريس، والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢١٥٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢١٥٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٢١٦٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١/٤.

(٢١٦١) انظر: زاد المسير: ١١٥/٤.

(٢١٦٢) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٢١٦٣) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٢١٦٤) التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.

(٢١٦٥) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٢١٦٦) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٣١٤/٤.

(٢١٦٧) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٢١٦٨)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٠/١.

(٢١٦٩) المحرر الوجيز: ١٠٩/٥.

القرآن

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١)} [محمد : ١]

التفسير:

الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، أذْهَبَ الله أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهم بسببها.

سبب نزول الآيتين:[١-٢]:

عن ابن عباس، في قوله: " {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّه} [محمد : ١]، قال: نزلت في أهل مكة، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} [محمد : ٢]، قال: الأنصار"(٢١٧٠).

قال مقاتل:" نزلت في اثنى عشر رجلا من قريش وهم المطعمون من كفار مكة في مسيرهم إلى قتال النبي- صلى الله عليه وسلم- ببدر منهم أبو جهل، والحارث ابنا هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية وأبي ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} [محمد : ٢]: نزلت في بني هاشم وبنى المطلب"(٢١٧١).

قوله تعالى:{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ١]، أي:" الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه"(٢١٧٢).

عن قتادة، {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}، قال: "الذين قتلوا يوم أحد"(٢١٧٣).

عن السدي: "{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥] ،" يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"(٢١٧٤).

قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"(٢١٧٥).

قوله تعالى:{أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ١]، أي:" أذْهَبَ الله أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهم بسببها"(٢١٧٦).

قال الضحّاك: "أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وجعل الديرة عليهم"(٢١٧٧).

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)} [محمد : ٢]

التفسير:

والذين صدَّقوا الله واتَّبَعوا شرعه وصدَّقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق الذي لا شك فيه من ربهم، عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها، وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد : ٢]، أي:" إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، ، وصدَّقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الثابت المؤكد المقطوع بأنه كلام الله ووحيهُ المنزَّل من عند الله"(٢١٧٨).

(٢١٧٠) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.

(٢١٧١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣/٤.

(٢١٧٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢١٧٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٧٣)ص٢٠٤/٣.

(٢١٧٤) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(٢١٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.

(٢١٧٦) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢١٧٧) تفسير الثعلبي: ٢٨/٩.

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٢١٧٩].

قوله تعالى:{كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} [محمد : ٢]، أي:" عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها، وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة"[٢١٨٠].

عن قتادة: {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}، قال:" أصلح حالهم"[٢١٨١].

وقال مجاهد:" شأنهم"[٢١٨٢]. وفي رواية:" أمرهم"[٢١٨٣].

وفي حديث تشميت العاطس : "يهديكم الله ويصلح بالكم"[٢١٨٤].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣)} [محمد : ٣]

التفسير:

ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتَّبَعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتَّبَعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى، كما بيَّن الله تعالى فِعْله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم، فيلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد : ٣]، أي:" ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتَّبَعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتَّبَعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى "[٢١٨٥].

قال مجاهد:" الباطل: الشيطان"[٢١٨٦].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} [محمد : ٣]، أي: "كما بيَّن الله تعالى فِعْله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم، فيلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه"[٢١٨٧].

قال عطاء: يريد: "فمصير الذين كفروا إلى النار، ومصير الذين آمنوا إلى الجنة"[٢١٨٨].

القرآن

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)} [محمد : ٤-٦]

(٢١٧٨)التفسير الميسر: ٢٢٤.

(٢١٧٩)علَّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.

(٢١٨٠) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢١٨١) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.

(٢١٨٢) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.

(٢١٨٣)أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢، والحاكم ٢/ ٤٥٧. وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٢١٨٤)رواه أبو داود في السنن برقم (٥٠٣٨) والترمذي في السنن برقم (٢٧٣٩) وابن ماجه في السنن برقم (٣٧١٥) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح".

(٢١٨٥) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢١٨٦) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٢.

(٢١٨٧) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢١٨٨) التفسير البسيط للواحدي: ٢١٤/٢٠، ولم أقف عليه.

التفسير:

فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل، وكسرتم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى: فإما أن تَمُنُّوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، واستمِرُّوا على ذلك حتى تنتهي الحرب. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال، ولكن جعل عقوبتهم على أيديكم، فشرع الجهاد؛ ليختبركم بهم، ولينصر بكم دينه. والذين قُتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبْطِل الله ثواب أعمالهم، سيوفقهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويُصْلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة، ويدخلهم الجنة، عرَّفهم بها ونعتها لهم، ووفقهم للقيام بما أمرهم به -ومن جملته الشهادة في سبيله-، ثم عرَّفهم إذا دخلوا الجنة منازلهم بها.

قوله تعالى:{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} [محمد : ٤]، أي:" فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق"(٢١٨٩).

عن السدي:{فَضَرْبَ الرِّقَابِ}: " أنه قتلهم بالسلاح واليدين"(٢١٩٠).

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد : ٤]، أي:" حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل، وكسرتم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى، فإما أن تَمُنُّوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره"(٢١٩١).

قال سعيد بن جبير:" في قوله {حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق} قال: لا تأسروهم ولا تفادوهم حتى تثخنوهم بالسيف "(٢١٩٢).

واختلف في حكم قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد : ٤]، على قولين:

أحدهما: أنه منسوخ بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم} [التوبة : ٥]، وقوله: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُم} [الأنفال : ٥٧]. وهذا مذهب الضحاك(٢١٩٣)، والسدي(٢١٩٤).

قال السدي:" نسخها: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم} [التوبة : ٥]"(٢١٩٥).

وقال قتادة:" نسخها قوله: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُم} [الأنفال : ٥٧]"(٢١٩٦).

وقال قتادة:" كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم، فإذا أسروا منهم أسيرا، فليس لهم إلا أن يُفادوه، أو يمنوا عليه، ثم يرسلوه، فنسخ ذلك بعد قوله: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ}، أي: عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذّكرون"(٢١٩٧).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}: هذا منسوخ، نسخه قوله: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}، فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولاذمة بعد براءة"(٢١٩٨).

(٢١٨٩) التفسير الميسر: ٥٠٧.
(٢١٩٠) النكت والعيون: ٢٩٣/٥.
(٢١٩١) التفسير الميسر: ٥٠٧.
(٢١٩٢) الدر المنثور: ٤٥٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٢١٩٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٥/٢٢.
(٢١٩٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٢.
(٢١٩٥) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.
(٢١٩٦) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.
(٢١٩٧) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.
(٢١٩٨) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢.

عن عبد الكريم الجزري، قال: "كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أُسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر: اقتلوه، لقتلُ رجل من المشركين، أحبّ إليّ من كذا وكذا"[٢١٩٩].

الثاني: أنها محكمة، وأن حكم المن والفداء باق لم ينسخ، به قال الحسن[٢٢٠٠]، وعطاء[٢٢٠١]، وأحمد[٢٢٠٢]،وابن سيرين[٢٢٠٣]. والاكثرين[٢٢٠٤].

قال الحسن: "أتى الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلا يقتله، فقال ابن عمر: ليس بهذا أُمرنا، قال الله عزّ وجلّ: {حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}، قال: [٢٢٠٥] البكاء بين يديه، فقال الحسن: لو كان هذا وأصحابه لابتدروا إليهم"[٢٢٠٦].

عن ابن جريج:" عن عطاء:" أنه كان يكره قتل المشرك صبرا، قال: ويتلو هذه الآية {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}"[٢٢٠٧].

قال الحسن:" لا تقتل الأسارى إلا في الحرب يهيب بهم العدوّ"[٢٢٠٨].

عن معمر، عن رجل من أهل الشأم ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز، وهو من بني أسد، قال: "ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جيء بأسارى من الترك، فأمر بهم أن يُسترقوا، فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المومنين، لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم، فقال عمر: فدونك فاقتله، فقام إليه فقتله"[٢٢٠٩].

والصواب من القول أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بيَّنا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المنّ والفداء والقتل إلى الرسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكورا في هذه الآية، لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} ... الآية، بل ذلك كذلك، لأن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرا في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضا، ويفادي ببعض، ويمنّ على بعض، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي مُعَيْطٍ وقد أتي به أسيرا، وقتل بني قُرَيظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سلما، وهو على فدائهم، والمنّ عليهم قادر، وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أُسروا ببدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفيّ، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتا من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم، إلى أن قبضه إليه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم دائما ذلك فيهم، وإنما ذكر جلّ ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى، فخصّ ذكرهما فيها، لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكرّرا، فأعلم نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ما له فيهم مع القتل[٢٢١٠].

(٢١٩٩) اخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢-١٥٥.
(٢٢٠٠) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٧٨/٧.
(٢٢٠١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٢-١٥٦، وتفسير البغوي: ٢٧٨/٧.
(٢٢٠٢) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٧٨/٧، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٨٣/٢.
(٢٢٠٣) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٨٣/٢.
(٢٢٠٤) انظر:تفسير البغوي: ٢٧٨/٧، وتفسير ابن كثير: ٣٠٧/٧.
(٢٢٠٥) قال المحقق:" لعله سقط من الأصل هنا كلمة أو نحوها، مثل اشتد أو علا، أو ارتفع أي ارتفع: بكاء الأسرى بين يدي الحجاج".
(٢٢٠٦) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢.
(٢٢٠٧) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢-١٥٦.
(٢٢٠٨) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٢.
(٢٢٠٩) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٢.
(٢٢١٠) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٢-١٥٧.

قوله تعالى:{حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، أي:" واستمِرُّوا على ذلك حتى تنتهي الحرب بوضع آلاتها وأثقالها"[٢٢١١].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : حتى لا يكون شرك. قاله قتادة[٢٢١٢].

وعن قتادة: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}، قال:" حتى لا يكون شرك , والحرب من كان يقاتله سمي هو حربا"[٢٢١٣].

الثاني : حتى ينزل عيسى ابن مريم ، قاله مجاهد[٢٢١٤]، وسعيد بن جبير[٢٢١٥].

قال مجاهد:" حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كلّ يهودي ونصرانيّ وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جرابا، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما إذا وضعها"[٢٢١٦].

وكأن مجاهد أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال»[٢٢١٧][٢٢١٨].

عن جُبَير بن نُفيَر ؛ أن سلمة بن نُفيَل أخبرهم : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني سَيَّبْتُ الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، وقلت : "لا قتال" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يُزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم : ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. ألا إن عُقْرَ دار المؤمنين الشام، والخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[٢٢١٩].

عن النواس بن سمعان قال : "لما فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتْح فقالوا : يا رسول الله، سيبت الخيل، ووضعت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قالوا : لا قتال، قال : "كذبوا، الآن، جاء القتال، لا يزال الله يُرَقِّع قلوب قوم يقاتلونهم، فيرزقهم منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وعُقْر دار المسلمين بالشام"[٢٢٢٠].

قوله تعالى:{ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} [محمد : ٤]، أي:" ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال، ولكنَّه أمركم بجهادهم ليختبر بعضكم ببعض "[٢٢٢١].

عن قتادة: "{وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ}، إي والله بجنوده الكثيرة كلّ خلقه له جند، ولو سلط أضعف خلقه لكان جندا"[٢٢٢٢].

(٢٢١١) التفسير الميسر: ٥٠٧، وصفوة التفاسير: ١٩٢/٣

(٢٢١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٢.

(٢٢١٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٧٢):ص٢٠٣/٣، والطبري: ١٥٨/٢٢[باختصار].

(٢٢١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٢.

(٢٢١٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٦٣/٦. بدون سند.

(٢٢١٦) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٢.

(٢٢١٧)رواه أبو داود في السنن برقم (٢٤٨٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢٢١٨) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧.

(٢٢١٩)المسند (١٠٤/٤) وسنن النسائي (٢١٤/٦).

(٢٢٢٠) رواه أبو القاسم البغوي والحافظ أبو يعلى الموصلي، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٦١٧) "موارد" من طريق أبي يعلى عن داود بن رشيد به، ورواه النسائي في السنن (٢١٤/٦) من طريق إبراهيم بن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل مرفوعا بنحوه.

(٢٢٢١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٢٢) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢٢.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٤]، أي:" والذين قُتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبْطِل الله ثواب أعمالهم"[٢٢٢٣].

قال قتادة: «الذين قتلوا يوم أحد»[٢٢٢٤].

عن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه : يُكَفر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويزوج من الحور العين، ويؤمن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويحلى حُلَّة الإيمان"[٢٢٢٥].

عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن للشهيد عند الله ست خصال : أن يغفر له في أول دَفْعَة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حُلَّة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويَأمَن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّع في سبعين إنسانا من أقاربه"[٢٢٢٦].

وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"[٢٢٢٧].

عن عبد الله بن عَمْرو، وعن أبي قتادة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يُغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن"[٢٢٢٨].

قوله تعالى:{سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} [محمد : ٥]، أي:" سيوفقهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويُصْلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة"[٢٢٢٩].

عن الضحاك: {وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}، أي:"شأنهم"[٢٢٣٠].

والبال» -في اللغة-: "يعبر عنه بالأمر والشأن والحال"[٢٢٣١].

قوله تعالى:{وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} [محمد : ٦]، أي:" ويدخلهم الجنة، عرَّفهم بها ونعتها لهم، ثم عرَّفهم إذا دخلوا الجنة منازلهم بها"[٢٢٣٢].

عن قتادة، قوله: {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}، قال: أي منازلهم فيها"[٢٢٣٣].

قال مجاهد:" يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا"[٢٢٣٤].

وقال سلمة بن كهيل:"عرفهم طرقها"[٢٢٣٥].

قال الحسن : "وصف الجنة لهم في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها"[٢٢٣٦].

(٢٢٢٣) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٢٤) تفسير عبدالرزاق(٢٨٧٣):ص٢٠٤/٣.

(٢٢٢٥)المسند (٢٠٠/٤) قال الهيثمي في المجمع (٢٩٣/٥) : "فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبانن وثقه أبو حاتم وجماعة وضعفه جماعة".

(٢٢٢٦)المسند (١٣١/٤) وسنن الترمذي برقم (١٦٦٣) وسنن ابن ماجه برقم (٢٧٩٩).

(٢٢٢٧)سنن أبي داود برقم (٢٥٢٢).

(٢٢٢٨)صحيح مسلم برقم (١٨٨٦).

(٢٢٢٩) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٣٠) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ١١٨/٤. بدون سند.

(٢٢٣١) إعراب القرآن: ١١٨/٤.

(٢٢٣٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.[بتصرف]

(٢٢٣٣) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٢٢٣٤) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٢٢٣٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٦٦/٦.

(٢٢٣٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٥.

عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: "إذا نجَّى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتصّ بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا، ثم يُؤذن لهم بالدخول في الجنة، قال: فما كان المؤمن بأدلَّ بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها"[٢٢٣٧].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)} [محمد : ٧]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [محمد : ٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٢٣٨].

عن الزهري قال: "إذا قال الله: يا أيها الذين آمنوا إفعلوا، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- منهم"[٢٢٣٩].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[٢٢٤٠].

قوله تعالى:{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد : ٧]، أي:" إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم"[٢٢٤١].

قال قتادة:" لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله، وينصر من نصره"[٢٢٤٢].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)} [محمد : ٨-٩]

التفسير:

والذين كفروا فهلاكًا لهم، وأذهب الله ثواب أعمالهم؛ ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوا به، فأبطل أعمالهم; لأنها كانت في طاعة الشيطان.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ} [محمد : ٨]، أي:" والذين كفروا فهلاكًا لهم"[٢٢٤٣].

عن قتادة في قوله: "{فَتَعْسًا لَهُمْ}، قال: هي عامة للكفار"[٢٢٤٤].

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ} [محمد : ٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: خزياً لهم ، قاله السدي[٢٢٤٥].

الثاني : شتماً لهم من الله ، قاله الحسن[٢٢٤٦].

عن الحسن:" أن التعس شتم من الله لهم، وهي كلمة عربية"[٢٢٤٧].

(٢٢٣٧) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٢٢٣٨) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٦):ص١٦٦٩/٥.

(٢٢٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.

(٢٢٤١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٤٢) أخرجه الطبري" ١٦١:٢٢.

(٢٢٤٣) التفسيرالميسر: ٥٠٧.

(٢٢٤٤) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٢.

(٢٢٤٥) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٥.

(٢٢٤٦) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢٣٨/٤، والنكت والعيون: ٢٩٥/٥.

الثالث : سقوطا لهم. قاله أبو العالية[٢٢٤٨].
الرابع : خيبة لهم ، قاله الضحاك،[٢٢٤٩].
الخامس: رغماً لهم، قاله الضحاك-أيضا-[٢٢٥٠].
والمعنى:" عثارا وهلاكا فيه، وهي لفظة تقال للعاثر إذا أريد به الشر، ومنه قول الشاعر[٢٢٥١]:
يا سيدي إن عثرت خذ بيدي ... ولا تقل: لا، ولا تقل تعسا
وقال الأعشى[٢٢٥٢]:
بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا"[٢٢٥٣].
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تَعِس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القَطِيفة - وفي رواية : تعس عبد الخميصة - تعس وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انتقش"[٢٢٥٤]. أي : فلا شفاه الله[٢٢٥٥].
قوله تعالى:{وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٨]، أي:" وأذهب الله ثواب أعمالهم"[٢٢٥٦].
عن قتادة، في قوله تعالى: {فتعسا لهم وأضل أعمالهم}، قال: «هي عامة للكفار»[٢٢٥٧].
قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [محمد : ٩]، أي:" ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوا به"[٢٢٥٨].
قال عمرو بن ميمون: "كرهوا الفرائض التي أنزل الله من الصلاة والزكاة"[٢٢٥٩].

القرآن
{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)} [محمد : ١٠]
التفسير:
أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟ دمَّر الله عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم.
قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [محمد : ١٠]، أي:" أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟"[٢٢٦٠].

(٢٢٤٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢٣٨/٤، والنكت والعيون: ٢٩٥/٥.
(٢٢٤٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١/٩. بدون سند.
(٢٢٤٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١/٩. بدون سند.
(٢٢٥٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٩٥/٥. بدون سند.
(٢٢٥١) .
(٢٢٥٢)انظر: "ديوان الأعشى" ص ١٠٥، و"تهذيب اللغة" (تعس) ٢/ ٧٩، "اللسان" (تعس) ٦/ ٣٢، والكشاف ٣/ ٤٥٤، وقال في مشاهد الإنصاف: يقال للعاثر لعا لك، دعاء له بالانتعاش وتعسًا لك دعاء عليه بالسقوط، يريد أنها لا تعثر ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها. انظر: "مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف" ص ٧٦.
(٢٢٥٣) المحرر الوجيز: ١١٢/٥.
(٢٢٥٤)صحيح البخاري برقم (٦٥٣٥).
(٢٢٥٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٠/٧.
(٢٢٥٦) التفسير الميسر: ٥٠٧.
(٢٢٥٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٧٦):ص٢٠٦/٣.
(٢٢٥٨) التفسير الميسر: ٥٠٧.
(٢٢٥٩) التفسير البسيط للواحدي: ٢٢٩/٢٠، و أورد ذلك السيوطي في "الدر المنثور" عن عمرو بن ميمون وعزاه لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر. انظر: "الدر المنثور" ٧/ ٤٦٢.
(٢٢٦٠) التفسير الميسر: ٥٠٧.

قال الحسن: " فينظروا كيف عذب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"[٢٢٦١].

عن مالك بن دينار، قال : "أوحى الله تعالى إلى موسى ، عليه السلام ، أن يا موسى ، اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سِحْ في الأرض، واطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان وتكسر العصا"[٢٢٦٢].

قوله تعالى:{دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} [محمد : ١٠]، أي:" دمَّر الله عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم"[٢٢٦٣].

قال مجاهد:" يقول: للكافرين مثل ما دمرت به القرون الأولى عند أمر الله لهم"[٢٢٦٤].

قال مجاهد:" وعيد من الله لهم"[٢٢٦٥].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١)} [محمد : ١١]

التفسير:

ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر; بسبب أن الله وليُّ المؤمنين ونصيرهم، وأن الكافرين لا وليَّ لهم ولا نصير.

سبب النزول:

قال قتادة: "نزلت هذه الآية يوم أحد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد اثخن في المسلمين بالقتل والجراح فصاح المشركون يوم بيوم بدر لنا العزى ولا عزى لكم فانزل الله جل وعز: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٤]، إلى قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقتلانا أحياء يرزقون في الجنة وقتلاكم في النار"[٢٢٦٦].

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} [محمد : ١١]، أي:" ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر; بسبب أن الله وليُّ المؤمنين ونصيرهم"[٢٢٦٧].

عن مجاهد، قوله: "{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا}، قال: وليهم"[٢٢٦٨]. وفي رواية:" وليّهم الله"[٢٢٦٩].

وفي قراءة عبدالله: «ذَلِكَ بأن اللَّه وليّ الَّذِينَ آمنوا»[٢٢٧٠].

روي عن البراء -رضي الله عنه-، قال: "لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله، وقال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلي النبي صلى الله عليه

(٢٢٦١)أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٥٣): ص٧/ ٢٢١٠.

(٢٢٦٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر والاعتبار"، كما في تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥، والدر المنثور:٦١/٦.

(٢٢٦٣) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٦٤) تفسير مجاهد: ٦٠٥.

(٢٢٦٥) أخرجه الطبري: ١٦٣/٢٢.

(٢٢٦٦) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٧٠/٦. وانظر: سيرة ابن إسحاق:٣٣٣. والخبر رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٠٤٣). باختلاف في الألفاظ وليس فيه عبارة:" فأنزل الله...".

(٢٢٦٧) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢٢٦٨) اخرجه الطبري:١٦٣/٢٢.

(٢٢٦٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢٢٧٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٩/٣.

وسلم أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلا، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: " قولوا: الله أعلى وأجل " قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني"[٢٢٧١].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢)} [محمد : ١٢]

التفسير:

إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار تَكْرِمَةً لهم، ومثل الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا همَّ لها إلا في الاعتلاف دون غيره، ونار جهنم مسكن لهم ومأوى.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [محمد : ١٢]، أي:" إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار تَكْرِمَةً لهم"[٢٢٧٢].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٢٢٧٣].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٢٢٧٤].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٢٢٧٥].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٢٢٧٦].

القرآن

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)} [محمد : ١٣]

التفسير:

وكثير من أهل قرى كانوا أشد بأسًا من أهل قريتك -أيها الرسول، وهي «مكة» - التي أخرجتك، دمَّرناهم بأنواع من العذاب، فلم يكن لهم نصير ينصرهم من عذاب الله.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال: التفت إلى مكة، فقال: أَنْتِ أَحَبُّ بِلادِ الله إلى الله، وأَنْتِ أَحَبُّ بِلادِ الله إليَّ، فَلَوْ أَنَّ المُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ

(٢٢٧١) صحيح البخاري(٤٠٤٣):ص٥/٩٤.
(٢٢٧٢) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٢٧٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٢٢٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٩/٢٧٩٦.
(٢٢٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص٦/١٩٢٩.
(٢٢٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٣/٨٤٥.

مِنْكِ، فَأعْتَى الأعْداءِ مَنْ عَتا على الله في حَرَمِهِ، أوْ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ، أوْ قَتَلَ بذُحُول الجاهِلِيَّةِ"، فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ}"[٢٢٧٧].

قوله تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ} [محمد : ١٣]، أي:" وكثير من أهل قرى كانوا أشد بأسًا من أهل قريتك -أيها الرسول، وهي «مكة» - التي أخرجتك"[٢٢٧٨].

عن قتادة، قوله: "{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ}، قال: هي مكة"[٢٢٧٩]. وفي رواية:" قريته مكة"[٢٢٨٠].

القرآن

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)} [محمد : ١٤]

التفسير:

أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته، كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله، واتبع ما دعته إليه نفسه من معصية الله وعبادة غيره مِن غير حجة ولا برهان؟ لا يستوون.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [محمد : ١٤]، أي:" أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته"[٢٢٨١].

قال قتادة:" هو محمد - صلى الله عليه وسلم"[٢٢٨٢].

قوله تعالى:{كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} [محمد : ١٤]، أي:" كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله"[٢٢٨٣].

قال قتادة:" هم المشركون"[٢٢٨٤].

قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد : ١٤]، أي:" واتبع ما دعته إليه نفسه من معصية الله وعبادة غيره مِن غير حجة ولا برهان؟"[٢٢٨٥].

عن طاووس بن كيسان، قال: "ما ذكر الله هَوًى في القرآن إلا ذمّه"[٢٢٨٦].

قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[٢٢٨٧].

القرآن

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)} [محمد : ١٥]

التفسير:

صفة الجنة التي وعدها الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغيِّر، وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفِّي من مما يخالطه من الشوائب، ولهؤلاء المتقين

(٢٢٧٧) اخرجه الطبري:١٦٥/٢٢، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٤٦٣ أيضا لعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢٢٧٨) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٢٧٩) أخرجه الطبري:١٦٥/٢٢.

(٢٢٨٠) أخرجه الطبري:١٦٥/٢٢.

(٢٢٨١) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٢٨٢) الدر المنثور : ٤٦٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢٢٨٣) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٢٨٤) الدر المنثور : ٤٦٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢٢٨٥) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٢٨٦) الدر المنثور: ٤٦٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢٢٨٧)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.

في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، وأعظم من ذلك السَّتر والتجاوزُ عن ذنوبهم، هل مَن هو في هذه الجنة كمَن هو ماكث في النار لا يخرج منها، وسُقوا ماء تناهى في شدة حره فقطَّع أمعاءهم؟

قوله تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} [محمد : ١٥]، أي:" صفة الجنة التي وعدها الله المتقين"[٢٢٨٨].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٢٢٨٩].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٢٢٩٠].

وقرأ علي بن أبي طالب: «مثال الجنة»[٢٢٩١].

قوله تعالى:{فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} [محمد : ١٥]، أي:" فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغيِّر"[٢٢٩٢].

قال قتادة:" من ماء غير منتن"[٢٢٩٣]. وروي عن الضحاك، وعطاء الخراساني مثله[٢٢٩٤].

قال ابن عباس:" يقول: غير متغير"[٢٢٩٥]. وروي عن الحسن وقتادة مثله[٢٢٩٦].

وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم :{غَيْرِ آسِنٍ} يعني : "الصافي الذي لا كَدَر فيه"[٢٢٩٧].

عن سعد بن طريف، قال: "سألت أبا إسحاق عن :{مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}، قال: سألت عنها الحارث، فحدثني: أن الماء الذي غير آسن تسنيم، قال: بلغني أنه لا تمسه يد، وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل فى فيه"[٢٢٩٨].

قَرَأ ابْن كثير وَحده: {غير آسن} بِهَمْزَة مَقْصُورَة، وقرأ الباقون:«غير ءاسن»، ممدودا[٢٢٩٩].

قوله تعالى:{وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} [محمد : ١٥]، أي:" وأنهار من لبن لم يصر فيه حموضة كألبان الدنيا ولا ما يكره من الطعوم"[٢٣٠٠].

عن عكرمة، قوله: "{مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ}، قال: لم يحلب"[٢٣٠١].

وفي حديث مرفوع : «لم يخرج من ضُرُوع الماشية»[٢٣٠٢].

قوله تعالى:{وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [محمد : ١٥]، أي:" وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون"[٢٣٠٣].

عن سعيد بن جُبير، في قوله: "{وأنْهارٌ مِن خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ} قال: لم تَدُسْه الرّجال بأرجلها"[٢٣٠٤].

(٢٢٨٨) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٢٨٩) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٢٢٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٢٢٩١) انظر: المحرر الوجيز: ١١٤/٥.

(٢٢٩٢) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٢٩٣) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٢.

(٢٢٩٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.

(٢٢٩٥) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٢-١٦٧.

(٢٢٩٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.

(٢٢٩٧) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.

(٢٢٩٨) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٢-١٦٧.

(٢٢٩٩) انظر: السبعة في القراءات: ٦٠٠.

(٢٣٠٠) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٩٥٧/٩.

(٢٣٠١) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٢.

(٢٣٠٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة(٧):ص٤٥، وابن أبى حاتم، والعقيلى فى الضعفاء وقال: "غير محفوظ". [كنز العمال ٤٥٠٤]، وأخرجه العقيلى فى الضعفاء (٨٦/١، ترجمة ٩٨ إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان.

(٢٣٠٣) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣٠٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

عن سعد بن طريف، قال: "سألت عنها الحارث[{وأنْهارٌ مِن خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ}]، فقال: لم تدسه المجوس، ولم ينفخ فيه الشيطان، ولم تؤذها شمس، ولكنها فوحاء[٢٣٠٥]، قال: قلت لعكرمة: ما «الفوحاء»: قال: الصفراء"[٢٣٠٦].

وفي حديث مرفوع : "لم تعصرها الرجال بأقدامها"[٢٣٠٧].

قوله تعالى:{وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} [محمد : ١٥]، أي:" وأنهار من عسل قد صُفِّي من مما يخالطه من الشوائب"[٢٣٠٨].

عن سعيد بن جُبير:"{وأنْهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى} قال: لم يخرج مِن بطون النّحل"[٢٣٠٩].

وفي حديث مرفوع : "لم يخرج من بطون النحل"[٢٣١٠].

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد"[٢٣١١].

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هذه الأنهار تَشخُبُ من جنة عدن في جَوْبَة، ثم تصدع بعد أنهارا"[٢٣١٢].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"[٢٣١٣].

عن أنس بن مالك قال : "لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض، حافاتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذْفَر"[٢٣١٤].

روي الطبراني عن عاصم بن لقيط:" أن لقيط بن عامر، خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرج فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمت المدينة لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبا، فقال: «أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لأسمعكم اليوم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟» ، فقالوا: أعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، «ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحب له أو يلهيه الضلال، ألا إني مسؤول، هل بلغت؟، ألا فاسمعوا تعيشوا، ألا فاسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا» ، قال: فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟، فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي سقطه، فقال: «ضن ربك بخمس من الغيب لا يعلمهن إلا هو» ، وأشار بيده، فقلت: ما هن يا رسول الله؟، قال: «علم المنية،

(٢٣٠٥)في اللسان: الفوح: وجدانك الريح الطيبة. فاحت ريح المسك تفوح وتفيح، فوحا وفيحا. وفوحانا فيحانا: انتشرت رائحته.

(٢٣٠٦) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٢.

(٢٣٠٧)أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة(٧):ص٤٥.

(٢٣٠٨) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣٠٩)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢٣١٠)أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة(٧):ص٤٥.

(٢٣١١)المسند (٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٢٥٧١) ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٦) عن طريق الجريري به، وقال : "غريب عن الجريري تفرد به عن حكيم".

(٢٣١٢) رواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير: ٣١٣/٧، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣١٤) من طريق معلى بن أسد عن الحارث بن عبيد به .

(٢٣١٣)أخرجه أحمد (٣٣٩/٢، رقم ٨٤٥٥) ، والبخارى (١٠٢٨/٣، رقم ٢٦٣٧) وابن حبان (٤٧١/١٠، رقم ٤٦١١) .

(٢٣١٤) رواه ابن ابي دنيا كم افي تفسير ابن كثير: ٣١٤/٧، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٥١٨/٤) وقال : "وروى ابن أبي الدنيا بسنده"، رواه أبو بكر ابن مَرْدُويه، من حديث مهدي بن حكيم، عن يزيد بن هارون، به مرفوعا، [انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٧]، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٥/٦) من طريق محمد بن أحمد الزهري عن مهدي بن حكيم بن مهدي به مرفوعا.

متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم غدا ولا تعلمه، وعلم يوم الغيب يشرف عليكم آزلين مشفقين، ويظل ربك يضحك قد علم أن عودتكم قريب» ، قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا، «وعلم يوم الساعة» قلت: يا رسول الله إني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني، قال: «سل عما شئت» ، قلت: يا رسول الله علمنا ما تعلم الناس وما نعلم، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التي تعلو علينا، وخثعم التي توازينا، تواليا، وعشيرتنا التي نحن منها، قال: " تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة، لعمر إلهك ما يدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، وأصبح ربك يتطوف في الأرض وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء بهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما يدع على ظهرها من قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه ويخلقه من قبل رأسه فيستوي جالسا، يقول ربك: مهيم؟، لما كان فيه، يقول: يا رب أمس اليوم - لعهده بالحياة يحسبه حديثا " قلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟، قال: " أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: الأرض أشرفت عليها وهي مدررة بالية فقلت لا تحيا أبدا، ثم أرسل عليها ربك السماء فلم يلبث عليها إلا يسيرا حتى أشرفت عليها فإذا هي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأضواء ومن مصارعكم فتنظرون إليه ساعة وينظر إليكم " قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟، قال: " أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ساعة واحدة ويريانكم ولا تضامون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وتروه منهما أن تروهما ويريانكم " قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟، قال: " تعرضون عليه بادية صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه واحد منكم قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فيجعله مثل الحمم الأسود، ألا ثم ينصرف عنكم، ويتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم على الجمرة، فيقول: حس، فيقول ربك: أوانه، ألا فيظلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله بأهله، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطواف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا" قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟، قال: «مثل بصر ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهته الجبال» قلت: يا رسول الله فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟، قال: «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها أو يغفر» قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟، قال: «لعمر إلهك، إن للنار لسبعة أبواب ما منهن باب إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهما بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما» قلت: يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة؟، قال: «على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه وأزواج مطهرة» ، قلت: يا رسول الله أولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات؟، قال: «الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذونكم غير أن لا توالد» ، قال لقيط: قلت: ما أفضل ما نحن بالغون منتهون إليه، قلت: يا رسول الله على ما أبايعك؟، فبسط يده وقال: «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشرك، لا تشرك بالله إلها غيره» قال: قلت له: فما بين المشرق والمغرب؟، قال: وقبض وبسط أصابعه وظن أني مشترط شيئا لا يعطينيه، قال: قلت: نحل منها حيث شئنا، ولا يجني امرؤ إلا نفسه فبسط يده وقال: «فلك، حل حيث شئت ولا تجني عليك إلا نفسك» ، قال: فانصرفنا عنه، وقال: «ها إن ذين، ها إن ذين لمن نفر، لعمرو إلهك إنهم من أتقى الناس ربه في الدنيا والآخرة» ، فقال له كعب بن الخدارية، أحد بني أبي بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟، قال: «بنو المنتفق» ، قال: بنو المنتفق أهل ذلك منهم، أهل ذلك منهم، فانصرفت وأقبلت عليه، فقلت: يا رسول الله هل لأحد ممن مضى قبلنا من خير في جاهليتهم؟، فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال: فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه بما قال على رءوس الناس، وهممت أن أقول: أين أبوك يا رسول الله؟، فإذا الأخرى أجمل قلت، أو أهلك يا رسول الله؟، قال: " وأهلي، ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد صلى الله عليه وسلم فأبشر بما يسوؤك،

تجر على وجهك وبطنك في النار "، قلت: يا رسول الله وما فعل ذلك بهم وكانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبونهم مصلحين؟، قال: «ذلك فإن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبيا، فمن أطاع نبيه كان من المهتدين، ومن عصاه كان من الضالين»"[٢٣١٥].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [محمد : ١٥]، أي:" ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها"[٢٣١٦].

قال عكرمة:" فما في الدنيا من شجرة إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل"[٢٣١٧].

قوله تعالى:{وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد : ١٥]، أي:" وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا، ثم تابوا منها، وصَفْحٌ منه لهم عن العقوبة عليها"[٢٣١٨].

عن قتادة، في قوله:"{أولئك لهم مغفرة}، يقول: مغفرة لذنوبهم"[٢٣١٩].

عن ميمون بن مهران في قول الله تعالى: {أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم}، قال: وجبت لهم المغفرة"[٢٣٢٠].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٢٣٢١].

قوله تعالى:{كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد : ١٥]، أي:" هل مَن هو في هذه الجنة كمَن هو ماكث في النار لا يخرج منها، وسُقوا ماء تناهى في شدة حره فقطَّع أمعاءهم"[٢٣٢٢].

قال السدي:" الحميم: الذي قد انتهى حَرُّه"[٢٣٢٣].

عن أبي أمامة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، في قوله: {ويُسْقى مِن ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ} [إبراهيم: ١٦ - ١٧]، قال: «يُقرّب إليه، فيتكرّهه، فإذا أُدني منه شوى وجهه، ووقعت فَرْوة رأسه، فإذا شربه قطّع أمعاءه، حتى يخرج مِن دُبره، يقول الله - عز وجل -: {وسُقُوا ماءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ}. ويقول الله: {وإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ} [الكهف: ٢٩]»"[٢٣٢٤].

القرآن

(٢٣١٥) المعجم الكبير للطبراني(٤٧٧):ص١٩/٢١١-٢١٤.

(٢٣١٦) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣١٧)أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٧٦):ص٢/ ٥٢٣، وذلك في تفسير قوله تعالى: {لَهُ فِيها مِن كُلِّ الثَّمَراتِ} [البقرة: ٢٦٦]! والأشبه أنه تفسير لهذه الآية، وربما ذكره في تفسيرها، لكنه من المفقود من تفسيره.

(٢٣١٨) تفسيرا لطبري: ١٦٨/٢٢.

(٢٣١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٢١):ص٦/٢٠٠٨.

(٢٣٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤١٩٦):ص٣/٧٦٧.

(٢٣٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٣/٩٦٣.

(٢٣٢٢) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣٢٣) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٢٣٢٤)أخرجه أحمد ٣٦/ ٦١٥ (٢٢٢٨٥)، والترمذي ٤/ ٥٣٨ - ٥٣٩ (٢٧٦٣)، والحاكم ٢/ ٣٨٢ (٣٣٣٩)، ٢/ ٤٠٠ (٣٣٩٣)، ٢/ ٤٩٦ (٣٧٠٤)، أخرجه الطبري ١٦٨/٢٢-١٦٩، وابن أبي حاتم(١٢٢٣٦):ص٧/٢٢٣٩. وأورده الثعلبي ٥/ ٣١٠.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخٌ قد سمِع من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأخته قد سمعت من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وقال الألباني في الضعيفة ١٤/ ٩٢٤ (٦٨٩٧): «ضعيف».

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦)} [محمد : ١٦]

التفسير:

ومن هؤلاء المنافقين مَن يستمع إليك -أيها النبي- بغير فهم؛ تهاونًا منهم واستخفافًا، حتى إذا انصرفوا من مجلسك قالوا لمن حضروا مجلسك من أهل العلم بكتاب الله -على سبيل الاستهزاء-: ماذا قال محمد الآن؟ أولئك الذين ختم الله على قلوبهم، فلا تفقه الحق ولا تهتدي إليه، واتبعوا أهواءهم في الكفر والضلال.

سبب النزول:

قال عكرمة: "كانوا يدخلون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا خرجوا من عنده قالوا لابن عباس: ماذا قال آنفًا؟ فيقول: كذا وكذا. وكان ابن عباس مِن أصغر القوم؛ فأنزل الله: {حَتّى إذا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ماذا قالَ آنِفًا}، فكان ابنُ عباس مِن الذين أوتوا العلم"[٢٣٢٥].

عن ابن جُرَيْج، قال: "كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فيستمع المؤمنون منه ما يقول ويَعُونه، ويسمعه المنافقون فلا يَعُونه، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفًا؟ فنزلت: {ومِنهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إلَيْكَ} الآية"[٢٣٢٦].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} [محمد : ١٦]، أي:" ومن هؤلاء المنافقين مَن يستمع إليك -أيها النبي- بغير فهم؛ تهاونًا منهم واستخفافًا"[٢٣٢٧].

عن مجاهد، قوله:" {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} [الأنعام: ٢٥] يعني: «قريشا»"[٢٣٢٨].

قال قتادة:" هم المنافقون"[٢٣٢٩].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا} [محمد : ١٦]، أي:" حتى إذا انصرفوا من مجلسك قالوا لمن حضروا مجلسك من أهل العلم بكتاب الله -على سبيل الاستهزاء-: ماذا قال محمد الآن؟"[٢٣٣٠].

قال قتادة:" هؤلاء المنافقون، دخل رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك"[٢٣٣١].

عن ابن بُرَيدة -من طريق صالح بن حيّان- :"{قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ماذا قالَ آنِفًا}: هو عبد الله بن مسعود"[٢٣٣٢].

عن القاسم بن عبد الرحمن -من طريق مسعر- قال: "كان أبو الدّرداء مِن الذين أُوتوا العلم"[٢٣٣٣].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [محمد : ١٦]، أي:" أولئك الذين ختم الله على قلوبهم، فلا تفقه الحق ولا تهتدي إليه"[٢٣٣٤].

عن أبي مالك: "ختم الله، يعني: طبع الله"[٢٣٣٥].

(٢٣٢٥) الدر المنثور: ٧/ ٤٦٦وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢٣٢٦) الدر المنثور: ٧/ ٤٦٦وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢٣٢٧) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣٢٨) تفسير مجاهد: ٣٢٠.

(٢٣٢٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٨٠):ص٢٠٦/٣.

(٢٣٣٠) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣٣١) أخرجه الطبري: ١٦٩/٢٢.

(٢٣٣٢)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٧/ ١٩٧ (٣٢٩٠٥)، وابن عساكر ٣٣/ ١٤٤.

(٢٣٣٣)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٣٥٩ (١٩٩٣) في تفسير هذه الآية، وابن ابي حاتم(٣٣٠٧):ص٦١٧/٢، في تفسير قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران : ١٨].

(٢٣٣٤) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢٣٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٧):ص٤١/١.

قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد : ١٦]، أي:" واتبعوا أهواءهم في الكفر والضلال"[٢٣٣٦].
قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[٢٣٣٧].

القرآن

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)} [محمد : ١٧]

التفسير:

والذين اهتدوا لاتّباع الحق زادهم الله هدى، فقوي بذلك هداهم، ووفقهم للتقوى، ويسَّرها لهم.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد : ١٧]، أي:" والذين اهتدوا لاتّباع الحق زادهم الله هدى"[٢٣٣٨].

عن عطية:" أن الناسخ والمنسوخ زادهم هدى"[٢٣٣٩].

وفي "الهدى" الذي زادهم، قولان:

أحدهما: زادهم علما ، قاله الربيع بن أنس[٢٣٤٠].

الثاني: علموا ما سمعوا، وعلموا بما عملوا ، قاله الضحاك[٢٣٤١].

عن مجاهد في قوله:"{منه آيات محكمات}، ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو"متشابه"، يصدّق بعضُه بعضًا، وهو مثل قوله: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ} [سورة البقرة: ٢٦] ، ومثل قوله: {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ} [سورة الأنعام: ١٢٥] ، ومثل قوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [سورة محمد: ١٧]"[٢٣٤٢].

قوله تعالى:{وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد : ١٧]، أي:" ووفقهم للتقوى، ويسَّرها لهم"[٢٣٤٣].

قال سعيد بن جبير: "وآتاهم ثواب تقواهم"[٢٣٤٤].

وعن السدى: "بيّن لهم ما يتقون"[٢٣٤٥].

وعن السدي:" ثواب تقواهم في الآخرة"[٢٣٤٦].

وقرئ: «وأعطاهم»[٢٣٤٧].

وقرأ ابن مسعود والأعمش: «وأنطاهم»[٢٣٤٨]، لغة معروفة، أنطى: أي: أعطى، وكذلك قرأ: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر : ١]"[٢٣٤٩].

القرآن

(٢٣٣٦) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٣٧)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.
(٢٣٣٨) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٣٩) النكت والعيون: ٢٩٨/٥.
(٢٣٤٠) انظر: النكت والعيون: ٢٩٨/٥.
(٢٣٤١) انظر: النكت والعيون: ٢٩٨/٥.
(٢٣٤٢) أخرجه الطبري(٦٥٨٥):ص١٧٧/٦.
(٢٣٤٣) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٤٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٣/٩، والبغوي في التفسير: ٢٨٣/٧. بدون سند.
(٢٣٤٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٣٢٣/٤.
(٢٣٤٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٨/٥.
(٢٣٤٧) انظر: الكشاف: ٣٢٣/٤.
(٢٣٤٨) انظر: الكشف والبيان: ٣٣/٩.
(٢٣٤٩) تأويلات أهل السنة: ٢٧٣/٩.

{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨)} [محمد : ١٨]

التفسير:

ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا الساعة التي وُعدوا بها أن تجيئهم فجأةً، فقد ظهرت علاماتها ولم ينتفعوا بذلك، فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

قوله تعالى:{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} [محمد : ١٨]، أي:" ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا الساعة التي وُعدوا بها أن تجيئهم فجأةً"(٢٣٥٠).

عن مجاهد: قوله"{بغتة}:فجأة"(٢٣٥١).

قال قتادة:" قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ العباد"(٢٣٥٢).

قال قتادة :وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه بعد العصر حتى كادت الشمس تغرب ولم يبق منها إلا أسف أي شيء قال: "والذي نفس محمد بيده ما مثل ما مضى من الدنيا فيما بقي منها إلا مثل ما مضى من يومكم هذا فيما بقي منه وما بقي منه إلا اليسير"(٢٣٥٣).

قوله تعالى:{فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد : ١٨]، أي:" فقد ظهرت علاماتها ولم ينتفعوا بذلك"(٢٣٥٤).

قال الحسن:" محمد صلى الله عليه وسلم من أشراطها"(٢٣٥٥).

عن قتادة:" {فقد جاء أشراطها} قال: دنت الساعة"(٢٣٥٦).

قوله تعالى:{فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} [محمد : ١٨]، أي:" فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟"(٢٣٥٧).

قال قتادة:" يقول: إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا؟"(٢٣٥٨).

قال قتادة:" أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعة"(٢٣٥٩).

القرآن

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)} [محمد : ١٩]

التفسير:

فاعلم -أيها النبي- أنه لا معبود بحق إلا الله، واستغفر لذنبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات. والله يعلم تصرفكم في يقظتكم نهارًا، ومستقركم في نومكم ليلا.

قوله تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد : ١٩]، أي:" فاعلم -أيها النبي- أنه لا معبود بحق إلا الله"(٢٣٦٠).

عن كعب قال:" لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص"(٢٣٦١).

(٢٣٥٠) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٩١):ص٣٠٧٤/٩.
(٢٣٥٢) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٢.
(٢٣٥٣) الدر المنثور: ٤٦٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢٣٥٤) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٥٥) الدر المنثور: ٤٦٧/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٢٣٥٦) الدر المنثور: ٤٦٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.
(٢٣٥٧) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٥٨) أخرجه الطبري:١٧٣/٢٢.
(٢٣٥٩) أخرجه الطبري:١٧٣/٢٢.
(٢٣٦٠) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٢٣):ص٥٨٥/٢.

قال محمد بن إسحاق: "لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[٢٣٦٢].

قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد : ١٩]، أي:" واستغفر لذنبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات"[٢٣٦٣].

عن ابن جُرَيْج، قال: "قلت لعطاء [بن أبي رباح]: أستغفرُ للمؤمنين والمؤمنات؟ قال: نعم، قد أُمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك، فإنّ ذلك الواجب على الناس؛ قال الله لنبيّه - صلى الله عليه وسلم -: {واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ}. قلت: أفتدع ذلك في المكتوبة أبدًا؟ قال: لا. قلتُ: فيمن تبدأ، بنفسك أم بالمؤمنين؟ قال: بل بنفسي كما قال الله: {واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ}"[٢٣٦٤].

عن عبد الله بن سرجس، قال: "أكلت مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال رجل من القوم: أستغفر لك يا رسول الله، قال: نَعَمْ وَلَكَ، ثم قرأ {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}"[٢٣٦٥].

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأستغفر في اليوم وأتوب سبعين مرة, أو أكثر»[٢٣٦٦].

عن عبيد بن المغيرة، قال: "سمعت حذيفة , يقول كنت رجلا ذرب اللسان على أهلي , فقلت يا رسول الله , إني لأخشى أن يدخلني لساني النار , فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأين أنت من الاستغفار , إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»، قال أبو إسحاق: فذكرته لأبي بردة، فقال: وأتوب إليه"[٢٣٦٧].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد : ١٩]، أي:" والله يعلم تصرفكم في يقظتكم نهارًا، ومستقركم في نومكم ليلا"[٢٣٦٨].

عن الضحاك:" {واللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ومَثْواكُمْ} مُنصرفكم ومُنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم: مصيركم إلى الجنة أو إلى النار"[٢٣٦٩].

القرآن

{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١)} [محمد : ٢٠-٢١]

التفسير:

ويقول الذين آمنوا بالله ورسوله: هلا نُزِّلت سورة من الله تأمرنا بجهاد الكفار، فإذا أُنزلت سورة محكمة بالبيان والفرائض وذُكر فيها الجهاد، رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله ونفاق ينظرون إليك -أيها النبي- نظر الذي قد غُشِيَ عليه خوفَ الموت، فأولى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن يطيعوا الله، وأن يقولوا قولا موافقًا للشرع. فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفَرْضه كره هؤلاء المنافقون ذلك، فلو صدقوا الله في الإيمان والعمل لكان خيرًا لهم من المعصية والمخالفة.

(٢٣٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٣٦):ص٣/٥٧٣٣.
(٢٣٦٣) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٦٤)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه(٣١٢٢):ص ٢/ ٢١٧.
(٢٣٦٥) أخرجه الطبري:١٧٤/٢٢.
(٢٣٦٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٨٢):ص٢٠٧/٣.
(٢٣٦٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٨٣):ص٢٠٧/٣.
(٢٣٦٨) التفسير الميسر: ٥٠٨.
(٢٣٦٩)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٤ - ٣٥، وتفسير البغوي ٧/ ٢٨٥.

قوله تعالى:{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} [محمد : ٢٠]، أي:" ويقول الذين آمنوا بالله ورسوله: هلا نُزِّلت سورة من الله تأمرنا بجهاد الكفار، فإذا أُنزلت سورة محكمة بالبيان والفرائض وذُكر فيها الجهاد"(٢٣٧٠).

قال قتادة:" كلّ سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين"(٢٣٧١). وفي لفظ:" وهي أشد القرآن على المنافقين"(٢٣٧٢).

قوله تعالى:{رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [محمد : ٢٠]، أي:" رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله ونفاق ينظرون إليك -أيها النبي- نظر الذي قد غُشِيَ عليه خوفَ الموت"(٢٣٧٣).

عن قتادة:" المرض : النفاق"(٢٣٧٤).

وعن الحسن:" الشرك"(٢٣٧٥).

قوله تعالى:{فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} [محمد : ٢٠-٢١]، أي:" فأولى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن يطيعوا الله، وأن يقولوا قولا موافقًا للشرع"(٢٣٧٦).

قال مجاهد:" أمر الله بذلك المنافقين"(٢٣٧٧).

عن قتادة، قوله: "{فَأَوْلَى لَهُمْ}، قال: وعيد كما تسمعون"(٢٣٧٨).

قال قتادة:" هذا وعيد ، يقول: فأولى لهم قال: ثم انقطع الكلام ، فقال: {طاعة وقول معروف}، يقول: «طاعة الله ، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم»(٢٣٧٩).

قوله تعالى:{فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ} [محمد : ٢١]، أي:" فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بِفَرْضه كره هؤلاء المنافقون ذلك"(٢٣٨٠).

قال مجاهد:" فإذا جد الأمر"(٢٣٨١). وفي رواية:" فإذا عزم الأمر: جد الأمر"(٢٣٨٢).

قوله تعالى:{فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [محمد : ٢١]، أي:" صدقوا الله في الإيمان والعمل لكان خيرًا لهم من المعصية والمخالفة"(٢٣٨٣).

قال قتادة:" طاعة الله ، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم"(٢٣٨٤).

القرآن

{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)} [محمد : ٢٢]

(٢٣٧٠) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٧١) أخرجه الطبري:٢٢/١٧٤-١٧٥.
(٢٣٧٢) تفسير الثعلبي: ٢٤/١٩٤.
(٢٣٧٣) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٧٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢/٧٠٥.
(٢٣٧٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢/٧٠٥.
(٢٣٧٦) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٧٧) تفسير مجاهد: ٦٠٥.
(٢٣٧٨) أخرجه الطبري: ٢٢/!٧٥.
(٢٣٧٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٨٥):ص٢٠٨/٣، والطبري: ٢٢/!١٧٥. باختصار.
(٢٣٨٠) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٨١) تفسير مجاهد: ٦٠٥.
(٢٣٨٢) تفسير إسحاق البستي(٨٩٤):٣٥٨/٢.
(٢٣٨٣) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٨٤)أخرجه عبد الرزاق(٢٨٨٥):ص٢٠٨/٣، والطبري:١٧٧/٢٢، كما أخرجه من طريق سعيد ٢١/ ٢١١، ٢١٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

التفسير:
فلعلكم إن أعرضتم عن كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به وتسفكوا الدماء وتُقَطِّعوا أرحامكم.

قوله تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ} [محمد : ٢٢]، أي:" فلعلكم إن أعرضتم عن كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم"(٢٣٨٥).

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ} [محمد : ٢٢]، على قولين:

أحدهما : فلعلكم إنْ توليتم عن القرآن، وفارقتم أحكامه. قاله قتادة(٢٣٨٦).

الثاني : المعنى: إن توليتم أمور الناس، من: الولاية، قاله أبو العالية(٢٣٨٧)، وكعب الأحبار(٢٣٨٨)، ومحمد بن كعب القرظي(٢٣٨٩)، والمسيب بن شريك(٢٣٩٠).

قوله تعالى:{أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد : ٢٢]، أي:" وسلم أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به وتسفكوا الدماء وتُقَطِّعوا أرحامكم"(٢٣٩١).

عن قتادة، قوله: "{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ} ... الآية. يقول: فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطَّعوا الأرحام، وعَصَوا الرحمن"(٢٣٩٢).

عن قتادة: "{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}، قال: فعلوا"(٢٣٩٣).

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن عز وجل، فقال : مه! فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة. فقال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى. قال : فذاك. قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم :{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}"(٢٣٩٤).

عن أبي بكرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من ذنب أحرى أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم"(٢٣٩٥).

عن ثوبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من سره النِّساء في الأجل، والزيادة في الرزق، فليصل رحمه"(٢٣٩٦).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن لي ذوي أرحام، أصل ويقطعون، وأعفو ويظلمون، وأحسن ويسيئون، أفأكافئهم ؟ قال : "لا إذن تتركون جميعا، ولكن جُدْ بالفضل وصلهم ؛ فإنه لن يزال معك ظهير من الله، عز وجل، ما كنت على ذلك"(٢٣٩٧).

(٢٣٨٥) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٨٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٢.
(٢٣٨٧) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٥. حكاه بدون سند.
(٢٣٨٨) انظر: المحرر الوجيز: ١١٨/٥. حكاه بدون سند.
(٢٣٨٩) انظر: المحرر الوجيز: ١١٨/٥. حكاه بدون سند.
(٢٣٩٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٥/٩. حكاه بدون سند.
(٢٣٩١) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٣٩٢) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٢.
(٢٣٩٣) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٢-١٧٨.
(٢٣٩٤)صحيح البخاري برقم (٤٨٣٠).
(٢٣٩٥)المسند (٣٨/٥) وسنن أبي داود برقم (٤٩٠٢) وسنن الترمذي برقم (٢٥١١) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢١١).
(٢٣٩٦)المسند (٢٧٩/٥) وشاهده حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا : "من سره أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره فليصل رحمه". رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٩٨٦) ومسلم في صحيحه برقم (٢٥٥٧) واللفظ لمسلم.
(٢٣٩٧)المسند (١٨١/٢).

عن عبد الله بن عمرو، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"[٢٣٩٨].

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "توضع الرحم يوم القيامة لها حُجْنَة كحجنة المغزل، تتكلم بلسان طُلق دُلق، فتصل من وصلها وتقطع من قطعها"[٢٣٩٩].

عن عبد الله بن عمرو - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال : "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، والرحم شُجْنَة من الرحمن، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته"[٢٤٠٠].

عبد الله بن قارظ ؛ أن أباه حدثه : أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف وهو مريض، فقال له عبد الرحمن : وصلتك رَحِمٌ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قال الله عز وجل : أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن يصلها أصله، ومن يقطعها أقطعه فأبته - أو قال : من يبتها أبته"[٢٤٠١].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:""إذا ظهر القول، وخزن العمل، وائتلفت الألسنة، وتباغضت القلوب، وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم"[٢٤٠٢].

وفي هذه الآية، قولان :

أحدهما : أنها "نزلت في بني أمية وبني هاشم". قاله المسيب بن شريك[٢٤٠٣].

عن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: {فهل عسيتم إن وليتم أن تفسدوا في الأرض}، ثم قال: «هم هذا الحي من قريش أخذ الله عليهم إن ولوا الناس ألا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم»[٢٤٠٤].

الثاني : أنها نزلت في الحرورية والخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني[٢٤٠٥].

والأظهر أنه إنما عني بها المنافقون[٢٤٠٦].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)} [محمد : ٢٣]

التفسير:

أولئك الذين أبعدهم الله من رحمته، فجعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلم يتبينوا حجج الله مع كثرتها.

عن الحسن، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا الناس أظهروا العلم، وضيّعوا العمل، وتحابّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام؛ لعنهم الله عند ذلك فأصمّهم وأعمى أبصارهم»"[٢٤٠٧].

(٢٣٩٨)المسند (١٦٣/٢) وصحيح البخاري برقم (٥٩٩١).

(٢٣٩٩)المسند (١٨٩/٢) قال الهيثمي في المجمع (١٥٠/٨) : "رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي ثمامة الثقفي، وثقه ابن حبان".

(٢٤٠٠)المسند (١٦٠/٢) وسنن أبي داود برقم (٤٩٤١) وسنن الترمذي برقم (١٩٢٤).

(٢٤٠١)المسند (١٩١/١).

(٢٤٠٢)أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١٦١/٢، رقم ١٥٧٨) ، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ١٢٦، رقم ٣١٣) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الكبير (٢٦٣/٦، رقم ٦١٧٠) ، قال الهيثمى (٢٨٧/٧) : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وفيه جماعة لم أعرفهم. وأبو نعيم فى الحلية (١٠٩/٣).

(٢٤٠٣) انظر: الكشف والبيان: ٣٥/٩. حكاه بدون سند.

(٢٤٠٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥/٩.

(٢٤٠٥) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٥، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/١٦.

(٢٤٠٦) تفسير القرطبي: ٢٤٥/١٦.

(٢٤٠٧) الدر المنثور: ٧/ ، ٥٠١، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في كتاب "العلم" مرسلًا.

القرآن

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)} [محمد : ٢٤]

التفسير:

أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ القرآن ويتفكرون في حججه؟ بل هذه القلوب مغلقة لا يصل إليها شيء من هذا القرآن، فلا تتدبر مواعظ الله وعبره.

عن قتادة، قوله: "{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك"(٢٤٠٨).

قال خالد بن مَعدان: "ما من آدميّ إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وما يصلحه من معيشته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد الله به غير ذلك طَمسَ عليهما، فذلك قوله: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}"(٢٤٠٩).

وفي رواية قال معدان:" ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين، عينان في وجهه لمعيشته، وعينان في قلبه، وما من أحد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره، عاطف عنقه على عنقه، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله من الغيب، فعمل به، وهما غيب، فعمل بالغيب، وإذا أراد الله بعبد شرّا تركه، ثم قرأ: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}"(٢٤١٠).

عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: "تلا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يوما: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها، حتى يكون الله عزّ وجلّ يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به"(٢٤١١).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥)} [محمد : ٢٥]

التفسير:

إن الذين ارتدُّوا عن الهدى والإيمان، ورجعوا على أعقابهم كفارًا بالله من بعد ما وَضَح لهم الحق، الشيطان زيَّن لهم خطاياهم، ومدَّ لهم في الأمل.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى} [محمد : ٢٥]، أي:" إن الذين ارتدُّوا عن الهدى والإيمان، ورجعوا على أعقابهم كفارًا بالله من بعد ما وَضَح لهم الحق"(٢٤١٢).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى} [محمد : ٢٥]، قولان:

أحدهما : أنهم اليهود كفروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- من بعدما علموا في التوراة أنه نبي ، قاله قتادة(٢٤١٣).

قال قتادة:" هم أعداء الله أهل الكتاب، يعرفون بعث محمد نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه عندهم، ثم يكفرون به"(٢٤١٤).

وعن قتادة: "{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى}، إنهم يجدونه مكتوبا عندهم"(٢٤١٥).

(٢٤٠٨) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٢.
(٢٤٠٩) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٢.
(٢٤١٠) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٢-١٨٠.
(٢٤١١) أخرجه الطبري: ٨٠!/٢٢.
(٢٤١٢) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٤١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٢.
(٢٤١٤) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٢.

الثاني : أنهم أهل النفاق، قعدوا عن القتال من بعدما علموه في القرآن، قاله الضحاك[٢٤١٦]، والسدي[٢٤١٧].

عن عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: "{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} إلى قوله: {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} هم أهل النفاق"[٢٤١٨].

وهذه الصفة بصفة أهل النفاق، أشبه منها بصفة أهل الكتاب، وذلك أن الله عزّ وجلّ أخبر أن ردّتهم كانت بقيلهم: {لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نزلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ}، ولو كانت من صفة أهل الكتاب، لكان في وصفهم بتكذيب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدّوا من أجل قيلهم ما قالوا[٢٤١٩].

قوله تعالى:{الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} [محمد : ٢٥]، أي:" الشيطان زيَّن لهم خطاياهم، ومدَّ لهم في الأمل"[٢٤٢٠].

عن قتادة: "{الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ}، يقول: زين لهم"[٢٤٢١].

وقرئ: «وَأُمْلِيَ لَهُمْ» على وجه ما لم يسمّ فاعله. وقرأ مجاهد : «وَأُمْلِي» بضم الألف وإرسال الياء، على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم[٢٤٢٢].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)} [محمد : ٢٦]

التفسير:

ذلك الإمداد لهم حتى يتمادوا في الكفر ; بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر الله وأمر رسوله، والله تعالى يعلم ما يخفيه هؤلاء ويسرونه، فليحذر المسلم من طاعة غير الله فيما يخالف أمر الله سبحانه، وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ} [محمد : ٢٦]، أي:" ذلك الإمداد لهم حتى يتمادوا في الكفر ; بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر الله وأمر رسوله"[٢٤٢٣].

عن قتادة: "{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نزلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ}، فهؤلاء المنافقون"[٢٤٢٤].

القرآن

{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧)} [محمد : ٢٧]

التفسير:

فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم؟

(٢٤١٥) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٢.
(٢٤١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٢.
(٢٤١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٥.
(٢٤١٨) تفسير إسحاق البستي(٨٩٩):ص٣٦٠/٢.
(٢٤١٩) تفسير الطبري: ١٨١/٢٢.
(٢٤٢٠) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٤٢١) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٢.
(٢٤٢٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٢.
(٢٤٢٣) التفسير الميسر: ٥٠٩.
(٢٤٢٤) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٢.

عن الحسن قال: "قال رجل: يا رسول الله، إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك![٢٤٢٥] قال : ما ذاك ؟ قال : ضربُ الملائكة"[٢٤٢٦].

عن مجاهد : "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه، فنَدرَ رأسُه ؟[٢٤٢٧] فقال : سبقك إليه الملك"[٢٤٢٨].

عن الحسن: {توفتهم الْمَلَائِكَة}،حشرتهم إلى النار، {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدبارهم} في النار"[٢٤٢٩].

عن مجاهد، قوله:"{يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدبارهم}، قال: يضربون وجوههم وأستاهم ولكن الله كريم يكني"[٢٤٣٠].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)} [محمد : ٢٨]

التفسير:

ذلك العذاب الذي استحقوه ونالوه؛ بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله عليهم من طاعة الشيطان، وكرهوا ما يرضيه عنهم من العمل الصالح، ومنه قتال الكفار بعدما افترضه عليهم، فأبطل الله ثواب أعمالهم من صدقة وصلة رحم وغير ذلك.

قال الضحاك:" {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} إلى قوله: {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} هم أهل النفاق"[٢٤٣١].

القرآن

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩)} [محمد : ٢٩]

التفسير:

بل أظنَّ المنافقون أن الله لن يُخْرِج ما في قلوبهم من الحسد والحقد للإسلام وأهله؟ بلى فإن الله يميز الصادق من الكاذب.

عن السدي:"{ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ}: غشهم"[٢٤٣٢].

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} ... الآية، هم أهل النفاق"[٢٤٣٣].

القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)} [محمد : ٣٠]

التفسير:

(٢٤٢٥)" الشراك " ، سير النعل الذي يكون على ظهرها.

(٢٤٢٦) أخرجه الطبري(١٦٢٠٥):ص١٤/١٦-١٧.

(٢٤٢٧)" ندر الشيء " سقط . يقال : " ضرب يده بالسيف فأندرها " ، أي قطعها فسقطت.[حاشية تفسير الطبري:١٤/١٧]

(٢٤٢٨) أخرجه الطبري(١٦٢٠٦):ص١٤/١٧.

(٢٤٢٩) حكاه عنه ابن أبي زمنين: ٤/٢٤٤.

(٢٤٣٠) أخرجه الطبري(١٦٢٠٢):ص١٤/١٦، بنحوه، وانظر: الدر المنثور: ٧/٥٠٣، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢٤٣١) تفسير إسحاق البستي(٨٩٩):ص٢/٣٦٠.

(٢٤٣٢) النكت والعيون: ٥/٣٠٤.

(٢٤٣٣) أخرجه الطبري: ٢٢/١٨٤.

ولو نشاء -أيها النبي- لأريناك أشخاصهم، فلعرفتهم بعلامات ظاهرة فيهم، ولتعرفنَّهم فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم. والله تعالى لا تخفى عليه أعمال مَن أطاعه ولا أعمال من عصاه، وسيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد : ٣٠]، أي:" ولو نشاء -أيها النبي- لأريناك أشخاصهم، فلعرفتهم بعلامات ظاهرة فيهم، ولتعرفنَّهم فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم"(٢٤٣٤).

عن الحسن: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ، قال: " في فحواه"(٢٤٣٥).

وقال القرظي: "في مقصده ومغزاه"(٢٤٣٦).

قال الضحاك:" {فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}، فعرّفه الله إياهم في سوره براءة، فقال: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} ، وقال :«قل لهم لن تَنْفِرُوا (٢٤٣٧) معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا»"(٢٤٣٨).

القرآن

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)} [محمد : ٣١]

التفسير:

ولنختبرنكم -أيها المؤمنون- بالقتال والجهاد لأعداء الله حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز أهل الجهاد منكم والصبر على قتال أعداء الله، ونختبر أقوالكم وأفعالكم، فيظهر الصادق منكم من الكاذب.

قوله تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ} [محمد : ٣١]، أي:" ولنختبرنكم -أيها المؤمنون- بالقتال والجهاد لأعداء الله حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز أهل الجهاد منكم والصبر على قتال أعداء الله"(٢٤٣٩).

قوله تعالى:{وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد : ٣١]، أي:" ونختبر أقوالكم وأفعالكم، فيظهر الصادق منكم من الكاذب"(٢٤٤٠).

قال إبراهيم بن الأشعث: "كان الفضل إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبلنا، فإنّك إن بلوتنا هتكت أستارنا، وفضحتنا"(٢٤٤١).

عن الفضيل بن عياض يقول في هذه الآية: "{وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} فقال: تبلو أخبارنا، إنك إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت سترنا وأهلكتنا"(٢٤٤٢).

عن مجاهد: "أنه تلا هذه الآية: {لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنكُمْ} الآية، فقال: اللهم، عافِنا، واستُرنا، ولا تبْلو أخبارنا"(٢٤٤٣).

(٢٤٣٤) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٣٥) تفسير الثعلبي: ٢٠٦/٢٤، ط. دار التفسير. وذكره بنحوه النسفي في "تفسيره" ٣/ ٣٢٩، الخازن في "تفسيره" ٤/ ١٤١ ولم ينسباه.

(٢٤٣٦) تفسير الثعلبي: ٢٠٦/٢٤، ط. دار التفسير. ولم أجده، وذكر معنى قوله البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٨٩، والشوكاني في "فتح القدير" ٥/ ٥٣.

(٢٤٣٧)التلاوة: {لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} [التوبة : ٨٣].

(٢٤٣٨) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٢.

(٢٤٣٩) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٤٠) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٤١) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ٣٨/٩.

(٢٤٤٢) تفسير إسحاق البستي(٩٠٢):ص٣٦١/٢.

(٢٤٤٣)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٨/ ١٢٠ - ١٢١.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)} [محمد : ٣٢]

التفسير:

إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاربوه من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله، لن يضروا دين الله شيئًا، وسيُبْطِل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ٣٢]، أي:" إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه"(٢٤٤٤).

قوله تعالى:{وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ٣٢]، أي:" وصدوا الناس عن دينه"(٢٤٤٥).

عن السدي: {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥] ،" يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"(٢٤٤٦).

قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"(٢٤٤٧).

عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"(٢٤٤٨).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)} [محمد : ٣٣]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في أمرهما ونهيهما، ولا تبطلوا ثواب أعمالكم بالكفر والمعاصي.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال مقاتل:" وذلك أن أناسا من أعراب بني أسد بن خزيمة قدموا على النبي- صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: أتيناك بأهلينا طائعين عفوا بغير قتال وتركنا الأموال والعشائر، وكل قبيلة في العرب قاتلوك حتى أسلموا كرها فلنا عليك حق، فاعرف ذلك لنا فأنزل تعالى في «الحجرات»: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} [الحجرات : ١٧] إلى آيتين(٢٤٤٩). وأنزل الله- تعالى-:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد : ٣٣]"(٢٤٥٠).

قال ابن عطية:" روي أن هذه الآية نزلت في بني أسد من العرب، وذلك أنهم أسلموا وقالوا لرسول الله عليه السلام: نحن قد آثرناك على كل شيء وجئناك بنفوسنا وأهلنا، كأنهم منوا بذلك، فنزل فيهم: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا [الحجرات: ١٧] ونزلت فيهم هذه الآية، فإن كان هذا فالإبطال الذي نهوا عنه ليس بمعنى

(٢٤٤٤) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٤٥) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٤٦) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(٢٤٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.

(٢٤٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.

(٢٤٤٩)هما الآية ١٧، ١٨ من سورة الحجرات ونصهما: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} [الحجرات: ١٧-١٨].

(٢٤٥٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠/٤-٥١. ومقاتل متروك، وكذبه غير واحد، فخبره لا يصح.

الإفساد التام، لأن الإفساد التام لا يكون إلا بالكفر، وإلا فالحسنات لا تبطلها المعاصي، وإن كانت الآية عامة على ظاهرها نهي الناس عن إبطال أعمالهم بالكفر، والإبطال هو الإفساد التام"[٢٤٥١].

الثاني: قال أبو العالية: " كان أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، حتى نزلت: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}، فخافوا أن يبطل الذنب العمل"[٢٤٥٢].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [محمد : ٣٣]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٤٥٣].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[٢٤٥٤].

قوله تعالى:{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [محمد : ٣٣]، أي:" أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في أمرهما ونهيهما"[٢٤٥٥].

قال عطاء بن ابي رباح:" طاعة الله: إتباع كتابه، وطاعة الرسول: اتباع سنته[٢٤٥٦].

قوله تعالى:{وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد : ٣٣]، أي:" ولا تبطلوا ثواب أعمالكم بالكفر والمعاصي"[٢٤٥٧].

قال عطاء: "بالشك والنفاق"[٢٤٥٨].

قال الحسن: "بالمعاصي والكبائر"[٢٤٥٩].

قال قتادة:" من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا عمله بعمل سيئ فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها"[٢٤٦٠].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤)} [محمد : ٣٤]

التفسير:

إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له وصدُّوا الناس عن دينه، ثم ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقابًا لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت الآية في رؤساء أهل بدر. قاله الكلبي[٢٤٦١].

الثاني: وقال مقاتل: "وذلك أن المسلم كان يقتل ذا رحمه على الإسلام فقالوا: يا رسول الله، أين آباؤنا وإخواننا الذين قاتلوا فقتلوا؟ فَقَالَ النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هُمْ في النار. فقال رجل من القوم: أين والده وهو عدي بن حاتم؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- في النار. فولى الرجل وله بكاء فدعاه النَّبيّ- صَلَّى

(٢٤٥١) المحرر الوجيز: ١٢٢/٥.

(٢٤٥٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٩١):ص٣٢٩٩/١٠، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة: ٢ / ٦٤٦، وإسناده ضعيف، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٥٠٤-٥٠٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٢٤٥٣) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.

(٢٤٥٥) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٥٦) تفسير القرآن من الجامع لان وهب(١٢):ص١٢/٩.

(٢٤٥٧) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٥٨) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط: ١٢٩/٤، والبغوي في التفسير: ٢٩٠/٧. بدون سند.

(٢٤٥٩) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط: ١٢٩/٤، والبغوي في التفسير: ٢٩٠/٧. بدون سند.

(٢٤٦٠) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٢.

(٢٤٦١) حكاه عنه أبو الليث السمرقندي في بحر العلوم: ٣٠٦/٣.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ مالك؟ فقال: يا نبي الله أجدني أرحمه وأرثى له، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: فإن والدي ووالد إبراهيم ووالدك في النار فليكن لك أسوة فيّ وفي إبراهيم خليله فذهب بعض وجده. فقال: يا نبي الله، وأين المحاسن التي كان يعملها؟ قال: يخفف الله عنه بها من العذاب فأنزل الله فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يغفر الله لهم»[٢٤٦٢]"[٢٤٦٣].

قال ابن عطية:" وظاهر الآية العموم في كل ما تناولته الصفة"[٢٤٦٤].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّار} [محمد : ٣٤]، أي:" إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له وصدُّوا الناس عن دينه، ثم ماتوا على ذلك"[٢٤٦٥].

عن السدي: {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥] ،" يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"[٢٤٦٦].

القرآن

{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)} [محمد : ٣٥]

التفسير:

فلا تضعفوا -أيها المؤمنون بالله ورسوله- عن جهاد المشركين، وتجْبُنوا عن قتالهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم، والله تعالى معكم بنصره وتأييده، ولن يُنْقصكم الله ثواب أعمالكم.

قوله تعالى:{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} [محمد : ٣٥]، أي:" فلا تضعفوا -أيها المؤمنون بالله ورسوله- عن جهاد المشركين، وتجْبُنوا عن قتالهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم"[٢٤٦٧].

عن الحسن: "{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ}، يعني: الإسلام"[٢٤٦٨].

عن مجاهد: "{فَلا تَهِنُوا}، قال: لا تضعفوا"[٢٤٦٩].

عن قتادة، قوله: "{فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ}، قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها، ودعتها إلى الموادعة، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم"[٢٤٧٠].

وفي قوله تعالى: {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} [محمد : ٣٥]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: وأنتم أولى بالله منهم. قاله قتادة[٢٤٧١].

الثاني: معناه: وأنتم الغالبون الأعزّ منهم. قاله مجاهد[٢٤٧٢].

قال مجاهد:" يعني: الغالبين مثل يوم أحد، أي: تكون عليهم الدائرة"[٢٤٧٣].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد : ٣٥]، أي:" والله تعالى معكم بنصره وتأييده، ولن يُنْقصكم الله ثواب أعمالكم"[٢٤٧٤].

(٢٤٦٢) نص الآية: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [محمد : ٣٤].

(٢٤٦٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١/٤-٥٢. مقاتل متروك متهم، والخبر لا يصح.

(٢٤٦٤) المحرر الوجيز: ١٢٢/٥.

(٢٤٦٥) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٦٦) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(٢٤٦٧) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٦٨) تفسير إسحاق البستي(٩٠٤):ص٣٦٢/٢.

(٢٤٦٩) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٢.

(٢٤٧٠) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٢.

(٢٤٧١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٨/٢٢.

(٢٤٧٢) انظر: تفسير مجاهد : ٦٠٥، وتفسير الطبري: ١٨٨/٢٢-١٨٩.

(٢٤٧٣) تفسير مجاهد: ٦٠٥، وأخرجه الطبري: ١٨٨-١٨٩.

عن قتادة: وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}، " أي: لن يظلمكم أعمالكم"[٢٤٧٥]. وروي عن الضحاك مثله[٢٤٧٦].
قال مجاهد:" لن ينقصكم"[٢٤٧٧].
ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر ماله وأهله"[٢٤٧٨].

القرآن
{إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧)} [محمد : ٣٦-٣٧]
التفسير:
إنما الحياة الدنيا لعب وغرور. وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يؤتكم ثواب أعمالكم، ولا يسألكم إخراج أموالكم جميعها في الزكاة، بل يسألكم إخراج بعضها. إن يسألكم أموالكم، فيُلِحَّ عليكم ويجهدكم، تبخلوا بها وتمنعوه إياها، ويظهر ما في قلوبكم من الحقد إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.
قوله تعالى:{إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد : ٣٦]، أي:" إنما الحياة الدنيا لعب وغرور"[٢٤٧٩].
قال مجاهد:" اللهو: الطبل"[٢٤٨٠].
قال مجاهد:" كلُّ لَعِبٍ لَهْوٌ"[٢٤٨١].
قوله تعالى:{إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} [محمد : ٣٧]، أي:" إن يسألكم أموالكم، فيُلِحَّ عليكم ويجهدكم، تبخلوا بها وتمنعوه إياها، ويظهر ما في قلوبكم من الحقد إذا طلب منكم ما تكرهون بذله"[٢٤٨٢].
قال معمر: "تلا قتادة: {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} [محمد: ٣٧] قال: «قد علم الله في مسألة، خروج الأضغان»"[٢٤٨٣].

القرآن
{هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)} [محمد : ٣٨]
التفسير:
ها أنتم -أيها المؤمنون- تُدْعَون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم مَن يَبْخَلُ بالنفقة في سبيل الله، ومَن يَبْخَلْ فإنما يبخل عن نفسه، والله تعالى هو الغنيُّ عنكم وأنتم الفقراء إليه، وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره يهلكُم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

(٢٤٧٤) التفسير الميسر: ٥١٠.
(٢٤٧٥) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٢.
(٢٤٧٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٢.
(٢٤٧٧) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٢-١٩٠.
(٢٤٧٨)أخرجه البخاري من حديث ابن عمر بنحوه في كتاب مواقيت الصلاة، باب: إثم من فاتته العصر (٥٥٢)، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر بنحوه في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر (٦٢٦).
(٢٤٧٩) التفسير الميسر: ٥١٠.
(٢٤٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٣١):ص١٢٨٢.
(٢٤٨١) أخره ابن أبي حاتم(٧٤٥٠):ص١٣١٨/٤.
(٢٤٨٢) التفسير الميسر: ٥١٠.
(٢٤٨٣) تفسير عبدالرزاق(٢٨٩١):ص٢٠٩/٣.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد : ٣٨]، أي:" وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره يهلكُم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم"(٢٤٨٤).

عن قتادة: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا}، قال: " «إن تتولوا عن طاعة الله»"(٢٤٨٥).

قال قتادة:" يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قوما غيركم. قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم، ويأتي من بعدهم من هو خير منهم"(٢٤٨٦).

وفي قوله تعالى:{يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [محمد : ٣٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم أهل اليمن وهم الأنصار، قاله شريح بن عبيد(٢٤٨٧).

الثاني : فارس والرُّوم. قاله عكرمة(٢٤٨٨).

وعن الحسن:" {وإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} هم العَجَم"(٢٤٨٩).

وروي عن أبي هريرة، قال:" تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما هذه الآية: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم}، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال: هذا وقومه هذا وقومه"(٢٤٩٠). وفي رواية:" لو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من فارس"(٢٤٩١).

الثالث : أنهم من شاء من سائر الناس ، قاله مجاهد(٢٤٩٢).

عن مجاهد:"{يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ}، قال: مَن شاء"(٢٤٩٣).

«آخر تفسير سورة (محمد)، والحمد لله وحده»

(٢٤٨٤) التفسير الميسر: ٥١٠.

(٢٤٨٥) تفسير عبدالرزاق(٢٨٩٢):ص٢٠٩/٣.

(٢٤٨٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٢-١٩٣.

(٢٤٨٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٢.

(٢٤٨٨)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٩، وتفسير البغوي ٧/ ٢٩١.

(٢٤٨٩)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٩، وتفسير البغوي ٧/ ٢٩١. والعجم: مصطلح يطلق على أي شخص غير عربي، وهذا الاسم استخدم بكثرة بعد ظهور الإسلام في الجزيرة العربية.

(٢٤٩٠)أخرجه الترمذي في التفسير (تفسير سورة محمد)(٣٢٦٠):ص٢٣٦/٥، وقال: "هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وقد روى عبد الله بن جعفر أيضا هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن"، وأخرجه الطبري: ١٩٣/٢٢-١٩٤، والحاكم: ٢ / ٤٥٨ وصححه، وعبد الرزاق في المصنف: ١١ / ٦٦، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٢٠٠. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٥٠٦ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل.

(٢٤٩١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٤٥):ص٦٥/١.

(٢٤٩٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٢.

(٢٤٩٣)تفسير مجاهد ص ٦٠٦، وأخرجه الطبري: ١٩٤/٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الفتح»

سورة «الفتح»: هي السورة الثامنة والأربعون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة عشرة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «سورة الصف» وقبل «سورة التوبة».

عدد آياتها تسع وعشرون. وكلماتها خمسمائة وستون. وحروفها ألفان وأربعمائة وثمان وثلاثون. وفواصل آياتها على «الألف»[٢٤٩٤].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها. قاله المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم[٢٤٩٥].[ضعيف]

قال ابن عاشور: "وهي بهذا في حكم المدني"[٢٤٩٦].

قال القرطبي:" سورة الفتح مدنية بإجماع، نزلت ليلا بين مكة والمدينة في شأن الحديبية"[٢٤٩٧].

قال الحافظ ابن حجر:" واختلف في المكان الذي نزلت فيه، فوقع عند محمد بن سعد: «بضجنان»، وهي: بفتح المعجمة وسكون الجيم ونون خفيفة، وعند الحاكم في الإكليل «بكراع الغميم»، وعن أبي معشر: «بالجحفة».. والأماكن الثلاثة متقاربة"[٢٤٩٨].

وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"- وهو في بعض أسفاره- لعمر: لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"[٢٤٩٩].

وأخرج أيضا عن عبد الله بن مغفل قال: "قرأ النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجع فيها"[٢٥٠٠].

الثاني: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس[٢٥٠١]، وابن الزبير[٢٥٠٢].

(٢٤٩٤) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٢.

(٢٤٩٥)أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢/ ٤٥٩) ، والواحدي في أسباب النزول: ٣٨٢، من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور به.

وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٤/ ١٥٩، ١٦٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان قالا: ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعاً، فلما أن كان بين مكة والمدينة؛ نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)} فكانت القضية في سورة الفتح، وما ذكر الله من بيعة رسول الله تحت الشجرة، فلما آمن الناس وتفاوضوا؛ لم يكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه، فقد دخل في تينك السنين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك، وكان صلح الحديبية فتحاً عظيماً.

وفيه عنعنة ابن إسحاق, وباقي رجاله ثقات, ويتقوى بشواهده الكثيرة في الصحيحين وغيرهما (فتح الباري: ٧/ ٤٤١, ٤٤٢) (٥٨٣/٨).

وعند الترمذي في التفسير (٣٢٦٣) من حديث أنس قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله.... مرجعه من الحديبية". وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، وفيه عن مجمع بن جارية".

(٢٤٩٦) التحرير والتنوير: ١٤١/٢٦.

(٢٤٩٧) تفسير القرطبي: ٢٥٩/١٦.

(٢٤٩٨) فتح الباري: ٥٨٣/٨.

(٢٤٩٩) صحيح البخاري(٤١٧٧):ص١٢٦/٥.

.

(٢٥٠٠) صحيح البخاري(٤٨٣٤):ص١٣٥/٦.

(٢٥٠١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وانظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٩١/٦، والمحرر الوجيز: ١٢٥/٥.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عطية:" الأول أصح، ويشبه أن منها بعضا نزل بالمدينة، وأما صدر السورة ومعظمها فكما قلنا، ويقضي بذلك قول النبي عليه السلام لعمر وهما في تلك السفرة: «لقد نزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها»[٢٥٠٣].

قال الشوكاني-بعد أن ذكر القولين-:"وهذا لا ينافي الإجماع على كونها مدنية، لأن المراد بالسور المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة"[٢٥٠٤].

قال ابن عاشور:" هي مدنية على المصطلح المشهور في أن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو كان نزوله في مكان غير المدينة من أرضها أو من غيرها. وهذه السورة نزلت بموضع يقال له «كراع الغميم» بضم الكاف من: كراع، وبفتح الغين المعجمة وكسر الميم من: «الغميم»، موضع بين مكة والمدينة وهو واد على مرحلتين من مكة وعلى ثلاثة أميال من عسفان، وهو من أرض مكة، وقيل نزلت: بـ«ضجنان»، وهو جبل قرب مكة ونزلت ليلا فهي من القرآن الليلي. ونزولها سنة ست بعد الهجرة منصرف النبيء صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقبل غزوة خيبر"[٢٥٠٥].

عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحديبية حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كراع الغميم فإذا الناس يرسمون[٢٥٠٦] نحو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قالوا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لبعض الناس فحركنا حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند كراع الغميم واقفا فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، فقال بعض الناس أوفتح؟ هو قال: "والذي نفسي بيده إنه لفتح"[٢٥٠٧].

عن حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني أبو وائل، قال: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا»، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال:

فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٢٥٠٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٢٥٠٣) مسند أحمد(٢٠٩):ص٣٣٦/١. ونصه:

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد علي، قال: فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك، قال: فركبت راحلتي، فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء، قال: فإذا أنا بمناد ينادي: يا عمر، أين عمر؟ قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " نزلت علي البارحة سورة، هي أحب إلي [ص:٣٣٧] من الدنيا وما فيها، {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ١-٢]".

(٢٥٠٤) فتح القدير: ٥٢/٥.

(٢٥٠٥) التحرير والتنوير: ١٤١/٢٦.

(٢٥٠٦)يرسمون: أي يذهبون إليه سراعا كما في النهاية.

(٢٥٠٧) [أخرجه ابن جرير ج٢٦ ص٧١، والحاكم ج٢ ص٤٥٩].

«نعم»"[٢٥٠٨]. **وفي رواية :"** فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نعم»، فطابت نفسه ورجع"[٢٥٠٩].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[٢٥١٠].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية إجماعا"[٢٥١١].

والظاهر- والله اعلم- أن السورة نزلت على رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرجعه من الحديبية، وكان موضوعها على تلك القضية يدور بما فيها من قصص وأحداث متفرقة وذلك لصحة أسانيد الأحاديث في ذلك، وصراحة ألفاظها، واتفاق المفسرين عليها.

(٢٥٠٨) صحيح البخاري(٣١٨٢):ص١٠٣/٤.
(٢٥٠٩) صحيح مسلم(١٧٨٥):ص١٤١١/٢.
(٢٥١٠) زاد المسير: ١٢٥/٤.
(٢٥١١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٢/١.

القرآن

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)} [الفتح : ١]

التفسير:

إنا فتحنا لك -أيها الرسول- فتحًا مبينًا، يظهر الله فيه دينك، وينصرك على عدوك، وهو هدنة «الحديبية» التي أمن الناس بسببها بعضهم بعضًا، فاتسعت دائرة الدعوة لدين الله، وتمكن من يريد الوقوف على حقيقة الإسلام مِن معرفته، فدخل الناس تلك المدة في دين الله أفواجًا؛ ولذلك سمَّاه الله فتحًا مبينًا، أي ظاهرًا جليًّا.

في سبب نزول الآيات:[١-٥]، وجهان:

أحدهما: أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، وفي ذلك أحاديث كثيرة عن الصحابة-رضوان الله عليهم- تقتضي صحته.

عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء؛ فلم يجبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم مسألة؛ فلم يجبه، ثم سألة فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب: ثَكِلَتْ أم عمر، نزرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيّ القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلمت عليه، فقال: "لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس"، ثم قرأ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)}»[٢٥١٢]. [صحيح]

عن حبيب بن أبي ثابت؛ قال: "أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصفين، فقال رجل: ألم تر إلى الذين يُدْعَون إلى كتاب الله؟ فقال علي: نعم، فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم؛ فلقد رأيتُنا يوم الحديبية؛ يعني: الصلح الذي كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - والمشركين -ولو نرى قتالاً لقاتلنا- فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: "بلى"، فقال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: "يا ابن الخطاب! إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا"؛ فرجع متغيظاً فلم يصبر، حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولن يضيّعه الله أبداً؛ فنزلت سورة الفتح"[٢٥١٣]. [صحيح]

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أنها نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - مرجعه من الحديبية، وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة، وقد حيل بينهم وبين مساكنهم ونحروا الهدي بالحديبية: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)} إلى قوله: {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}، قال: "لقد أنزلت عليّ آيتان هما أحب إليّ من الدنيا جميعاً"[٢٥١٤]، قال: فلما تلاهما؛ قال رجل: هنيأً مرئياً يا نبي الله! قد بيّن الله لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟

(٢٥١٢)أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤١٧٧، ٤٨٣٣، ٥٠١٢).

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٧/ ٤٥٣): "هذا صورته مرسل، ولكن بقيته تدل على أنه عن عمر؛ لقوله في أثنائه: قال عمر: فحركت بعيري إلخ، وقد أشبعت القول فيه في المقدمة".

قلنا: وقد أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١/ ٣١)، والترمذي (رقم ٣٢٦٢)، والنسائي في "تفسيره" (٢/ ٣٠١ رقم ٥١٩)، والبزار في "البحر الزخار" (١/ ٣٨٨، ٣٨٩ رقم ٢٦٤، ٢٦٥) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن غزوان ومحمد بن خالد بن عثمة كلاهما عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر موصولاً.

(٢٥١٣)أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٨٤٤)، ومسلم في "صحيحه" (رقم ١٧٥٨).

(٢٥١٤) قال النحاس في إعراب القرآن: ١٢٩/٤:" فإن قيل:

لم يكن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يحب الدنيا، فكيف قال في هذا الفضل العظيم الخطير أحبّ إليّ من الدنيا؟ وإنما تقول العرب: هذا في الشيء الجليل فيقولون: هو أسخى من حاتم طيّئ، والدنيا لا مقدار لها. وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين مرّ بشاة ميّتة «والله للدّنيا أهون على الله جلّ وعزّ من هذه على أهلها»[أخرجه الترمذي في سننه- الزهد ٩/ ١٩٨، وابن ماجة في سننه رقم الحديث (٤١١٠)] ففي ذلك غير جواب منها أنّ المعنى لقد أنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها لو كانت لي فأنفقتها في سبيل الله جلّ وعز".

فأنزل الله -عزّ وجلّ- الآية التي بعدها: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} حتى ختم الآية"[٢٥١٥]. [صحيح]

عن قتادة؛ قال: نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم -: {لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} مرجعه من الحديبية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض"، ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مرئياً يا نبي الله! قد بيّن الله -تعالى ذكره- لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} إلى قوله: {فَوْزًا عَظِيمًا}"[٢٥١٦]. [ضعيف]

الثاني: وقال عطاء عن ابن عباس: "إن اليهود شتموا النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين لما نزل قوله: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُم} [الأحقاف : ٩]، وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..} [الفتح : ١ - ٢]"[٢٥١٧].[ضعيف]

وهذا الخبر قاله عطاء عن ابن عباس بدون إسناد، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، والمتن باطل، فإن الآية المذكورة في الخبر مكية، عند الجمهور وسورة الفتح مدنية.

(٢٥١٥)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٢٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥١٥) -وعنه الترمذي (٥/ ٣٨٥، ٣٨٦ رقم ٣٢٦٣) -، وأحمد في "المسند" (٣/ ١٣٤، ١٩٦، ٢١٥، ٢٥٢)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٦٠ - موارد)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٤٣، ٤٤)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٥٩، ٤٦٠)، والنسائي في "التفسير" (٢/ ٣٠٤ رقم ٥٢٢)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٥٥، ٢٥٦)، و"الوسيط" (٤/ ١٣٢، ١٣٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥/ ٢١٧، ٩/ ٢٢٢)، و"دلائل النبوة" (٤/ ١٥٨)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١/ ١٢٤، ١٢٥ رقم ٢٥)، وأبو يعلى في "المسند" (٥/ ٣٠٨ رقم ٢٩٣٢، ص ٣٨٥ رقم ٣٠٤٥، ص ٤٧٣ رقم ٣٢٠٤، ٦/ ٢١ رقم ٣٢٥٢)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١٤/ ٤٧٤ رقم ٥٧٦٦، ص ٤٧٦ رقم ٥٧٦٧)، والبغوي في "شرح السنة" (١٤/ ٢٢٢ رقم ٤٠١٩)، و"معالم التنزيل" (٧/ ٢٩٥) من طرق عن قتادة عن أنس.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا السياق" ووافقه الذهبي، وهو كما قالا على تفصيل.

فقد أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧/ ٤٥٠، ٤٥١ رقم ٤١٧٢)، والبيهقي "في الدلائل" (٤/ ١٥٧، ١٥٨)، وأحمد (٣/ ١٧٣)، وأبو يعلى (٦/ ٢١ رقم ٣٢٥٢) وغيرهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس -رضي الله عنه-: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)}؛ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، قال شعبة: فقدمت الكوفة فحدثت بهذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له، فقال: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ}؛ فعن أنس، وأما هنيئاً فعن عكرمة.

فهذا يبين أن قوله: هنيئاً مريئاً إلخ من قول عكرمة، فهي ضعيفة؛ لإرسالها، وَحَكَمَ شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني -رحمه الله- عليها بالشذوذ؛ كما في "صحيح الترمذي" (رقم ٢٦٠١).

وأخرجه مسلم في "صحيحه" (رقم ١٧٨٦) بنحوه، لكن ليس عنده سبب نزول الآية.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٤٢٩ رقم ١٨٦٨٥)، والبخاري في "صحيحه" (رقم ٤٨٣٤) وغيرهما كثير من طريق شعبة عن قتادة عن أنس؛ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)}، قال: الحديبية.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٤٤): ثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا: ثنا شعبة عن قتادة عن عكرمة؛ قال: لما نزلت هذه الآية: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)}؛ قالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله! فماذا لنا؟ فنزلت: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}.

قلنا: وهذا سند صحيح إلى عكرمة، وهو يؤكد أنه من مرسل عكرمة؛ كما بيّناه سابقاً، ولله الحمد والمنة على الفهم للإسلام والسنة.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥١٥) وزاد نسبته لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه.

(٢٥١٦)أخرجه الطبري :١٠٠/٢٢. وهو مرسل رجاله ثقات.

(٢٥١٧) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٢٨٢-٢٨٣. بدون إسناد

وذكر مقاتل نحوه قائلا:" وذلك أن الله- تعالى- أنزل بمكة على نبيه- صلى الله عليه وسلم- ... {وَما أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ}[الأحقاف: ٩]، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا: واللات والعزى ما أمره وأمرنا عند إلهه الذي يعبده إلا واحد ولولا أنه ابتدع هذا الأمر من تلقاء نفسه لكان ربه الذي بعثه يخبره بما يفعل به وبمن اتبعه كما فعل بسليمان بن داود، وبعيسى بن مريم والحواريين، وكيف أخبرهم بمصيرهم؟ فأما محمد فلا علم له بما يفعل به ولا بنا إن هذا لهو الضلال كل الضلال، فشق على المسلمين نزول هذه الآية فقال أبو بكر وعمر- رضي الله عنهما- للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ألا تخبرنا ما الله فاعل بك؟ فقال: ما أحدث الله إلي أمر بعد. فلما قدم المدينة، قال عبد الله بن أبي رأس المنافقين: كيف تتبعون رجلا لا يدري ما يفعل الله به، ولا بمن اتبعه؟ وضحكوا من المؤمنين وعلم الله ما في قلوب المؤمنين من الحزن وعلم فرح المشركين من أهل مكة، وفرح المنافقين من أهل المدينة، فأنزل الله- تعالى- بالمدينة بعد ما رجع النبي- صلى الله عليه وسلم- من الحديبية: {إِنَّا فَتَحْنا لَكَ..}"[٢٥١٨].

قال قتادة:" الفتح: القضاء"[٢٥١٩]. وري عن مجاهد[٢٥٢٠] نحوه.

وقال الضحاك: "{إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً} بغير قتال، وكان الصلح من الفتح"[٢٥٢١].

وقال الحسن: "فتح الله عليه بالإسلام"[٢٥٢٢].

وفي المراد بهذا الفتح، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه فتح خيبر، قاله مجاهد[٢٥٢٣]، والعوفي[٢٥٢٤].

الثاني : أنه فتح مكة، وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحققه، به قال السدي[٢٥٢٥].

الثالث: أن «الفتح»: هو صلح الحديبية. قاله عامر الشعبي[٢٥٢٦]، ومجاهد[٢٥٢٧]، وهو قول الأكثرين[٢٥٢٨].

وذهب الأكثرون إلى أن الآية نزلت في صلح الحديبية، والمراد بالفتح ذلك الصلح... ومعنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق[٢٥٢٩]، والصلح الذي حصل بينه وبين المشركين في ذلك اليوم كان مسدوداً عليه متعذراً حتى فتحه الله ذلك اليوم ويسره، ودخل بعد ذلك ناس كثير في الإسلام"[٢٥٣٠].

قال الزهري: "ما كان في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام"[٢٥٣١].

عن مجاهد: "{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، قال: نحرُه بالحديبية وحَلْقُه رأسه"[٢٥٣٢].

(٢٥١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦/٤.

(٢٥١٩) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٢.

(٢٥٢٠) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٩٢/٦. بدون إسناد

(٢٥٢١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٢/٩. بدون إسناد. وذكر ذلك أيضا البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٩٦ عن الضحاك، وكذلك ذكره القرطبي عن الضحاك ١٦/ ٢٦٠.

(٢٥٢٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٢/٩. بدون إسناد.

(٢٥٢٣) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٩٦/٧، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٢٧/٤، بدون إسناد.

(٢٥٢٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٢٧/٤. بدون إسناد.

(٢٥٢٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٢٧/٤. بدون إسناد.

(٢٥٢٦)انظر: الطبري: ١٩٩/٢٢.

(٢٥٢٧)انظر: الطبري: ١٩٩/٢٢.

(٢٥٢٨) حكاه عن الأكثرين الزجاج في معاني القرآن: ١٩/٥-٢٠، والواحدي في التفسير البسيط: ٢٧٩/٢٠-٢٨٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٢٥/٤، والسمعاني في التفسير: ١٨٨/٥.

(٢٥٢٩)انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٦٤.

(٢٥٣٠) التفسير البسيط: ٢٧٩/٢٠-٢٨٠.

(٢٥٣١)ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط: ٢٨٠/٢٠، والوسيط" ٤/ ١٣٣، والبغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٩٦، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٤١٩ , والقرطبي في "الجامع" ١٦/ ٢٦١.

عن عامر: "{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، قال: الحديبية"[٢٥٣٣].

قال عامر الشعبي:" نزلت: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} بالحديبية، وأصاب في تلك الغزوة ما لم يصبه في غزوة، أصاب أن بُويع بيعة الرضوان، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهَدْيُ مَحِله، وأطعموا نخل خبير، وفرح المؤمنون بتصديق النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وبظهور الروم على فارس"[٢٥٣٤].

قال عبد الله بن مسعود: " لما أقبلنا من الحُديبية أعرسنا فنمنا، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت، فاستيقظنا ورسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم نائم، قال: فقلنا أيقظوه، فاستيقظ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: افْعَلُوا كمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ، فكذلك من نام أو نسي قال: وفقدنا ناقة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فوجدناها قد تعلّق خطامها بشجرة، فأتيته بها، فركب فبينا نحن نسير، إذ أتاه الوحي، قال: وكان إذا أتاه اشتدّ عليه; فلما سري عنه أخبرنا أنه أُنزل عليه: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}"[٢٥٣٥].

قال أنس بن مالك، قال: "لما رجعنا من غزوة الحديبية، وقد حيل بيننا وبين نسكنا، قال: فنحن بين الحزن والكآبة، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}، أو كما شاء الله، فقال نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلي مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعا»"[٢٥٣٦].

و«الحديبية»: بالتخفيف والتشديد، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحتها، وبين الحديبية ومكة مسافة (٢٥) كم تقريبًا، ويقع بعضها في الحل وبعضها في الحرم، وتعرف الآن باسم الشميسي، وتقع في طريق مكة جدة القديم، وصلح الحديبية كان في سنة لست من الهجرة حين منع المشركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه أصحابه وكانوا ١٤٠٠ وقيل: ١٥٠٠، ثم تصالحوا الصلح المعروف، ولم يقع فيه قتال، وفيه أنزل الله: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}[٢٥٣٧].

القرآن

{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣)} [الفتح : ٢-٣]

التفسير:

فتحنا لك ذلك الفتح، ويسَّرناه لك؛ ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ بسبب ما حصل من هذا الفتح من الطاعات الكثيرة وبما تحملته من المشقات، ويتم نعمته عليك بإظهار دينك ونصرك على أعدائك، ويرشدك طريقًا مستقيمًا من الدين لا عوج فيه، وينصرك الله نصرًا قويًّا لا يَضْعُف فيه الإسلام.

قوله تعالى:{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح : ٢]، أي:" فتحنا لك ذلك الفتح، ويسَّرناه لك؛ ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ بسبب ما حصل من هذا الفتح من الطاعات الكثيرة وبما تحملته من المشقات"[٢٥٣٨].

(٢٥٣٢) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٢، وانظر: تفسير مجاهد: ٦٠٧.
(٢٥٣٣) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٢.
(٢٥٣٤) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٢.
(٢٥٣٥) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٢.
(٢٥٣٦) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٢.
(٢٥٣٧) انظر: سيرة ابن هشام" ٣/ ٣٦٥ - ٣٧٣، "طبقات ابن سعد" ٢/ ٩٥ - ١٠٥، "تاريخ الطبري" ٣/ ٧١، "زاد المعاد" ٣/ ٣٨٦، "الروض المعطار" ص ١٩٠، و"معجم البلدان" ٢/ ٢٢٩.
(٢٥٣٨) التفسير الميسر: ٥١١.

قال عطاء بن أبي مسلم الخرساني: "{ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ}، يعني: ذنب أبويك آدم وحوّاء ببركتك، {وَما تَأَخَّرَ} ديوان أمّتك بدعوتك"(٢٥٣٩).

عن قتادة، قال:" نزلت على النبي عليه السلام: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح : ٢] بين مكة والحديبية"(٢٥٤٠).

قوله تعالى:{وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح : ٢]، أي:" ويرشدك طريقًا مستقيمًا من الدين لا عوج فيه"(٢٥٤١).

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"(٢٥٤٢).

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)} [الفتح : ٤]

التفسير:

هو الله الذي أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم «الحديبية» فسكنت، ورسخ اليقين فيها؛ ليزدادوا تصديقًا لله واتباعًا لرسوله مع تصديقهم واتباعهم. ولله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض ينصر بهم عباده المؤمنين. وكان الله عليمًا بمصالح خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ} [الفتح : ٤]، أي:" هو الله الذي أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم «الحديبية» فسكنت، ورسخ اليقين فيها"(٢٥٤٣).

وفي معنى «السكينة»، أقوال:

أحدها : أنها الرحمة، قاله الربيع ابن أنس(٢٥٤٤).

الثاني : أنها الوقار، قاله قتادة(٢٥٤٥)، والحسن(٢٥٤٦).

الثالث: أنها شيء يسكن الله به قلوبهم ، قاله الحسن(٢٥٤٧)، وعطاء(٢٥٤٨).

الرابع : أنها الطمأنينة. قاله الضحاك(٢٥٤٩).

والراجح-والله أعلم- أن «السكينة»، هي: السكون والطمأنينة، والمعنى: "سكون النفس إلى الإيمان بالبصائر التي بها قاتلوا عن دين الله حتى فتحوا مكة(٢٥٥٠).

قوله تعالى:{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح : ٤]، أي:" ليزدادوا تصديقًا لله واتباعًا لرسوله مع تصديقهم واتباعهم"(٢٥٥١).

قال الضحاك: "يقينا مع يقينهم"(٢٥٥٢).

(٢٥٣٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٢/٩.

(٢٥٤٠) أخرجه المحاسبي في "فهم القرآن": ٤٥٦.

(٢٥٤١) التفسير الميسر: ٥١١.

(٢٥٤٢) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٢٥٤٣) التفسير الميسر: ٥١١.

(٢٥٤٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٤٧٠/٢. وتفسير الطبري(٥٦٨٣):ص٣٢٩/٥.

(٢٥٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٨٢):ص٤٧٠/٢. وتفسير الطبري(٥٦٨٤):ص:٣٢٩/٥.

(٢٥٤٦)انظر: النكت والعيون: ٢/ ٣٤٩.

(٢٥٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٨٠):ص٤٦٩/٢.

(٢٥٤٨) أخرج ابن ابي حاتم (٢٤٨٠):ص٤٦٩/٢. وأخرجه الطبري في تفسيره(٥٦٨٢):٣٢٩/٥.

(٢٥٤٩) انظر: النكت والعيون:٣٦٤/٢.

(٢٥٥٠) أحكام القرآن: ٥٢٣/٣.

(٢٥٥١) التفسير الميسر: ٥١١.

(٢٥٥٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٣/٩. بدون إسناد.

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح : ٤]، أي:" وكان الله عليمًا بمصالح خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه"[٢٥٥٣].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٢٥٥٤]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٢٥٥٥].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٥٥٦].

القرآن

{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥)} [الفتح : ٥]

التفسير:

ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري مِن تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، ويمحو عنهم سيِّئ ما عملوا، فلا يعاقبهم عليه، وكان ذلك الجزاء عند الله نجاة من كل غم، وظَفَرًا بكل مطلوب.

قوله تعالى:{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفتح : ٥]، أي:" ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري مِن تحت أشجارها وقصورها الأنهار"[٢٥٥٧].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٢٥٥٨].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٢٥٥٩].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٢٥٦٠].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٢٥٦١].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [الفتح : ٥]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[٢٥٦٢].\

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٢٥٦٣].

قوله تعالى:{وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا} [الفتح : ٥]، أي:" وكان ذلك الجزاء عند الله نجاة من كل غم، وظَفَرًا بكل مطلوب"[٢٥٦٤].

قال سعيد بن جبير: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"[٢٥٦٥].

القرآن

{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦)} [الفتح : ٦]

(٢٥٥٣) التفسير الميسر: ٥١١.
(٢٥٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.
(٢٥٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.
(٢٥٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.
(٢٥٥٧) التفسير الميسر: ٥١١.
(٢٥٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٢٥٥٩) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٢٥٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(٢٥٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(٢٥٦٢) التفسير الميسر: ٥١١.
(٢٥٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(٢٥٦٤) التفسير الميسر: ٥١١.
(٢٥٦٥)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.

التفسير:
ويعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين يظنون ظنًا سيئًا بالله أنه لن ينصر نبيه والمؤمنين معه على أعدائهم، ولن يُظهر دينه، فعلى هؤلاء تدور دائرة العذاب وكل ما يسوءهم، وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وأعدَّ لهم نار جهنم، وساءت منزلا يصيرون إليه.

قوله تعالى:{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ} [الفتح : ٦]، أي:" الذين يظنون ظنًا سيئًا بالله أنه لن ينصر نبيه والمؤمنين معه على أعدائهم، ولن يُظهر دينه"(٢٥٦٦).

قال الضحاك : "ظنت أسد وغطفان في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو ينهزم ولا يعود إلى المدينة سالماً، فعاد ظافراً(٢٥٦٧) .

القرآن
{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧)} [الفتح : ٧]
التفسير:
ولله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض يؤيد بهم عباده المؤمنين. وكان الله عزيزًا على خلقه، حكيمًا في تدبير أمورهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وأنزل الله- تعالى- في قول عبد الله بن أبي حين قال: «فأين أهل فارس والروم؟»: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ}، يعني: الملائكة {وَالْأَرْضِ}، يعني: المؤمنين. فهؤلاء أكثر من فارس والروم، {وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا} في ملكه، {حَكِيمًا} في أمره. فحكم النصر للنبي- صلى الله عليه وسلم-، وأنزل في قول عبد الله بن أبي: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]، أي: محمد- صلى الله عليه وسلم- وحده، {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة : ٢١]، يقول: أقوى وأعز من أهل فارس والروم لقول عبد الله بن أبي هم أشد بأسا وأعز عزيزا "(٢٥٦٨).

قال السمعاني:" في التفسير: أن المنافقين قالوا: وما يغني عن محمد أصحابه؟ ولئن ظفر بقومه فكيف يظفر بجميع العرب وكسرى وقيصر؟ ما وعد محمد أصحابه إلا الغرور، فأنزل الله تعالى قوله: {ولله جنود السموات والأرض}"(٢٥٦٩).

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح : ٧]، أي:" وكان الله عزيزًا على خلقه، حكيمًا في تدبير أمورهم"(٢٥٧٠).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٢٥٧١)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٢٥٧٢).

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(٢٥٧٣). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٢٥٧٤).

ذلك(٢٥٧٤).

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٢٥٧٥).

(٢٥٦٦) التفسير الميسر: ٥١١.
(٢٥٦٧) انظر: النكت والعيون: ٣١٢/٥.
(٢٥٦٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩/٤.
(٢٥٦٩) تفسير السمعاني: ١٩٣/٥.
(٢٥٧٠) التفسير الميسر: ٥١١.
(٢٥٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٢٥٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٢٥٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٥٧٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٢٥٧٦].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)} [الفتح :]

التفسير:

إنا أرسلناك -أيها الرسول- شاهدًا على أمتك بالبلاغ، مبينًا لهم ما أرسلناك به إليهم، ومبشرًا لمن أطاعك بالجنة، ونذيرًا لمن عصاك بالعقاب العاجل والآجل؛ لتؤمنوا بالله ورسوله، وتنصروا الله بنصر دينه، وتعظموا الله، وتسبحوه أول النهار وآخره.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الفتح : ٨]، أي:" إنا أرسلناك -أيها الرسول- شاهدًا على أمتك بالبلاغ، مبينًا لهم ما أرسلناك به إليهم، ومبشرًا لمن أطاعك بالجنة، ونذيرًا لمن عصاك بالعقاب العاجل والآجل"[٢٥٧٧].

قال قتادة:" شاهدا على أمته على أنه قد بلغهم ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيرا من النار"[٢٥٧٨].

قوله تعالى:{لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح : ٩]، أي:" أرسلنا الرسول لتؤمنوا أيها الناس بربكم ورسولكم حقَّ الإيمان، إيماناً عن اعتقاد ويقين، لا يخالطه شك ولا ارتياب، وتنصروه على عدوه بالسيف، وتعظموا النبي صلى الله عليه وسلم"[٢٥٧٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح : ٩]، وجوه:

أحدها: معناه: تجلوه، وتعظموه. قاله الضحاك[٢٥٨٠].

قال الضحاك:" كل هذا تعظيم وإجلال"[٢٥٨١].

الثاني: وينصروه، ويفخموه. قاله قتادة[٢٥٨٢]، وعن عكرمة نحوه[٢٥٨٣].

عن قتادة، قوله، "{وَتُعَزِّرُوهُ}، ينصروه، {وَتُوَقِّرُوهُ}، أمر الله بتسويده وتفخيمه"[٢٥٨٤].

وقال قتادة:"ينصروه، ويوقروه: أي: ليعظموه"[٢٥٨٥].

عن عكرمة :"{وَتُعَزِّرُوهُ}، قال: يقاتلون معه بالسيف"[٢٥٨٦].

وروى الحجاج بن أرطأة عنه، قال: "قلت لابن عباس: ما قوله: {وَتُعَزِّرُوهُ}؟ قال: الضرب بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- بالسيف"[٢٥٨٧].

الثالث: معناه: ويعظموه. قاله قتادة-أيضا-[٢٥٨٨].

عن قتادة، في قوله: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}، قال: «أي: تعظموه»[٢٥٨٩].

(٢٥٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٢٥٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٢٥٧٧) التفسير الميسر: ٥١١.

(٢٥٧٨) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢.

(٢٥٧٩) صفوة التفاسير: ٢٠٣/٣.

(٢٥٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٢.

(٢٥٨١) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢.

(٢٥٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٢-٢٠٨.

(٢٥٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٢.

(٢٥٨٤) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢-٢٠٨.

(٢٥٨٥) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٢.

(٢٥٨٦) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٢.

(٢٥٨٧) نقلا عن التفسير الوسيط للواحدي: ٢٩٠/٢٠.

(٢٥٨٨) تفسير عبدالرزاق(٢٨٩٦):ص٢١١/٣.

وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال، فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم[٢٥٩٠].

قوله تعالى:{وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح : ٩]، أي:" وتسبحوا ربكم أول النهار وآخره"[٢٥٩١].

قال الضحاك:" يقول: يسبحون الله رجع إلى نفسه"[٢٥٩٢].

وقرئ«وَيُسَبِحُوا الله بُكْرَةً وَأَصِيلا»[٢٥٩٣].

وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو :«لِيُؤْمِنُوا»، «وَيُعَزِّرُوهُ»، «وَيُوَقِّرُوهُ»، «وَيُسَبِّحُوهُ»، كلُّهن بالياء، والباقون: بالتاء، على معنى: قل لهم: إنّا أرسلناك، لتؤمنوا، وقرأ علي بن أبي طالب وابن السّميقع: «ويُعَزِّزوه» بزاءين' أي: تقدموا بما يكون عزا له[٢٥٩٤].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)} [الفتح : ١٠]

التفسير:

إن الذين يبايعونك -أيها النبي- بـ «الحديبية» على القتال إنما يبايعون الله، ويعقدون العقد معه ابتغاء جنته ورضوانه، يد الله فوق أيديهم، فهو معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فمن نقض بيعته فإنما يعود وبال ذلك على نفسه، ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فسيعطيه الله ثوابًا جزيلا وهو الجنة.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح : ١٠]، أي:" إن الذين يبايعونك -أيها النبي- بـ «الحديبية» على القتال إنما يبايعون الله، ويعقدون العقد معه ابتغاء جنته ورضوانه"[٢٥٩٥].

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ}، قال: يوم الحديبية"[٢٥٩٦].

قال قتادة:" وهم الذين بايعوا يوم الحديبية"[٢٥٩٧].

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : "ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال : يا رسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به

(٢٥٨٩) تفسير عبدالرزاق(٢٨٩٦):ص٢١١/٣.
(٢٥٩٠) تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٢.
(٢٥٩١) صفوة التفاسير: ٢٠٣/٣.
(٢٥٩٢) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٢.
(٢٥٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٢.
(٢٥٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٢، وتفسير السمعاني: ١٩٣/٥، وزاد المسير: ١٢٩/٤.
(٢٥٩٥) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٥٩٦) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٢-٢١٠.
(٢٥٩٧) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٢.

رسول صلى الله عليه وسلم. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل.

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : "لا نبرح حتى نناجز القوم". ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت. وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر. فبايع الناس، ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته، قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل"[٢٥٩٨].

وذكر ابن لهيعة عن الأسود. عن عروة بن الزبير قريبا من هذا السياق، وزاد في سياقه : "أن قريشا بعثوا وعندهم عثمان بن عفان سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هم عندهم إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل، ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا، فسار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على ألا يفروا أبدا، فأرعب ذلك المشركين، وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين، ودعوا إلى الموادعة والصلح"[٢٥٩٩].

عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال :" لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله». فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم"[٢٦٠٠].

قال ابن هشام :" حدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له، عن أبي مليكة، عن ابن عمر قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى"[٢٦٠١].

عن الشعبي : "أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي"[٢٦٠٢].

(٢٥٩٨)السيرة النبوية لابن هشام :٣١٥/٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٣١/٧-٣٣٢.

(٢٥٩٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٧.

(٢٦٠٠) رواه البيهقي كما نقلا عن تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٧، ولم أجده في دلائل النبوة ولعله في غيره.

وقد روي عن حبيب بن أبي مليكة، قال: "سأل رجل ابن عمر عن عثمان فقال: شهد بدرا؟ فقال: لا، فقال: هل شهد بيعة الرضوان؟ فقال: لا، قال: فهل تولى يوم التقى الجمعان؟ قال: نعم، قال: ثم ذهب الرجل فقيل لابن عمر: إن هذا يزعم أنك عبت عثمان، قال: ردوه، قال: فردوه عليه فقال له: هل عقلت ما قلت لك؟ قال: نعم، قال: سألتني هل شهد عثمان بدرا فقلت لك: لا، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك، فضرب له بسهمه، وسألتني هل شهد بيعة الرضوان، قال: فقلت لك: لا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الأحزاب ليوادعونا ويسالمونا فأبوا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع له وقال: «اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك صلى الله عليه وسلم»، ثم مسح بإحدى يديه على الأخرى فبايع له، وسألتني هل كان عثمان تولى يوم التقى الجمعان؟ قال: فقلت: نعم، وإن الله قال: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم} [آل عمران: ١٥٥] فاذهب فاجهد على جهدك". [مصنف ابن أبي شيبة(٣٢٠٤١):ص٣٦١/٦].

(٢٦٠١)السيرة النبوية :٣١٦/٢.

(٢٦٠٢)السيرة النبوية :٣١٦/٢.

عن الشعبي، قال: "لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي، فقال: ابسط يدك أبايعك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على ما تبايعني؟ فقال أبو سنان: على ما في نفسك"(٢٦٠٣).

عن سعيد بن المسيب، قال : "كان أبي ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة. قال : فانطلقنا من قابل حاجين، فخفي علينا مكانها، فإن كان تبينت لكم، فأنتم أعلم"(٢٦٠٤).

قال جابر :" لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة، وجدنا رجلا منا يقال له "الجد بن قيس" مختبئا تحت إبط بعيره"(٢٦٠٥).

عن عمرو، سمع جابرا، قال : "كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم خير أهل الأرض اليوم». قال جابر : لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة. قال سفيان : إنهم اختلفوا في موضعها"(٢٦٠٦).

عن جابر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة"(٢٦٠٧).

عن جابر، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر". قال : فانطلقنا نبتدره فإذا رجل قد أضل بعيره، فقلنا : تعال فبايع. فقال : أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع"(٢٦٠٨).

عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل". فكان أول من صعد خيل بني الخزرج، ثم تبادر الناس بعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر". فقلنا : تعال يستغفر لك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فقال : والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. فإذا هو رجل ينشد ضالة"(٢٦٠٩).

عن أبي الزبير، أنه سمع جابرا يقول : "أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : "لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد". قالت : بلى يا رسول الله. فانتهرها، فقالت لحفصة :{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "قد قال الله :{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم : ٧٢]"(٢٦١٠).

عن جابر :"أن عبدًا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا، فقال : يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كذبت، لا يدخلها ؛ فإنه قد شهد بدرا والحديبية"(٢٦١١).

قوله تعالى:{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح : ١٠]، أي:" يد الله فوق أيديهم، فهو معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم"(٢٦١٢).

(٢٦٠٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة: ١٣٧/٤.

الخبر أخرجه أيضا الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤: ١٩٥) (في ترجمة أبي سنان بن وهب، واسمه عبد الله، ويقال: وهب بن عبيد الله الأسدي، شهد بدرا، وكان أول من بايع بيعة الرضوان، وبقية الخبر: قال: فتح أو شهادة، قال: نعم، فبايعه، فخرج الناس يبايعون على بيعة أبي سنان.

(٢٦٠٤)صحيح البخاري برقم (٤١٦٤) وصحيح مسلم برقم (١٨٥٩) واللفظ لمسلم.

(٢٦٠٥)مسند الحميدي (٥٣٧/٢) وصحيح مسلم برقم (١٨٥٦).

(٢٦٠٦)مسند الحميدي (٥١٤/٢) وصحيح البخاري برقم (٤١٥٤) وصحيح مسلم برقم (١٨٥٦).

(٢٦٠٧)المسند :٣٥٠/٣.

(٢٦٠٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٣٥/٧، وفي إسناده محمد بن ثابت العبدي، ضعفه ابن معين وشيخه خداش بن عياش وثقه ابن حبان، وقال الترمذي : "لا نعرف خداشا هذا من هو".

(٢٦٠٩)صحيح مسلم برقم (٢٧٨٠).

(٢٦١٠)صحيح مسلم برقم (٢٤٩٦).

(٢٦١١)صحيح مسلم برقم (٢٤٩٤).

وفي قوله تعالى:{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح : ١٠]، وجهان من التفسير:
أحدهما: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم. قاله ابن كيسان[٢٦١٣].
الثاني: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم. حكاه الثعلبي عن السدي[٢٦١٤].

قال الشافعي:" فأعلمهم أن بيعتهم رسوله بيعته، وكذلك أعلمهم أن طاعتهم طاعته"[٢٦١٥].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من سل سيفه في سبيل الله، فقد بايع الله"[٢٦١٦].

عن ابن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر : "والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان ينظر بهما، ولسان ينطق، به ويشهد على من استلمه بالحق، فمن استلمه فقد بايع الله"، ثم قرأ :{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}"[٢٦١٧].

قوله تعالى:{فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} [الفتح : ١٠]، أي:" فمن نقض بيعته فإنما يعود وبال ذلك على نفسه"[٢٦١٨].

عن الزهري، قال: "بلغنا: أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تمكر، ولا تُعِن ماكرًا؛ فإنّ الله يقول: {ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلّا بِأهْلِهِ}، ولا تبغ ولا تُعِن باغيًا، يقول الله?: {إنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أنْفُسِكُمْ} [يونس: ٢٣]، ولا تنكث، ولا تُعن ناكثًا؛ فإنّ الله سبحانه يقول: {فَمَن نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ} [الفتح: ١٠]"[٢٦١٩].

عن محمد بن كعب، قال: "ثلاث مَن فعلهن لم يَنجُ حتى ينزل به؛ مَن مَكَر، أو بَغى، أو نَكَثَ. ثم قرأ: {ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلّا بِأهْلِهِ}، {يا أيُّها النّاسُ إنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أنْفُسِكُمْ} [يونس: ٢٣]، {فَمَن نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ} [الفتح: ١٠]"[٢٦٢٠].

عن مكحول -من طريق العلاء بن الحارث- قال: "أربع مَن كُنَّ فيه كُنَّ له، وثلاث مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه؛ فأما الأربع اللاتي له: فالشكر، والإيمان والدعاء، والاستغفار، قال الله تعالى: {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم} [النساء: ١٤٧]، وقال: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} [الأنفال: ٣٣]، وقال: {ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم} [الفرقان: ٧٧]، وأما الثلاث اللاتي عليه، فالمكر، والبغي، والنكث، قال الله تعالى: {ومن نكث فإنما ينكث على نفسه} [الفتح: ١٠]، وقال: {ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله}، وقال: {إنما بغيكم على أنفسكم} [يونس: ٢٣]"[٢٦٢١].

(٢٦١٢) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦١٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٥/٩.
(٢٦١٤) انظر: الكشف والبيان: ٤٥/٩. دون إسناد.
(٢٦١٥) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٦٣/٣.
(٢٦١٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٧، ورواه ابن مردويه كما في الجامع الصغير، ورمز له السيوطي بالضعف.
(٢٦١٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٧، ورواه الترمذي في السنن برقم (٩٦١) من طريق قتيبة عن جرير بإسناده إلى قوله : "يشهد على من استلمه بالحق" ولم يذكر الآية، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن".
(٢٦١٨) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦١٩) تفسير إسحاق البستي(٤٢٩):ص١٧٥/٢.
(٢٦٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٠):ص٣١٨٧/١٠.
(٢٦٢١)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٨١ - ١٨٢، وابن عساكر في تاريخه ٦٠/ ٢٢٥. وفي الدر عنه: ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر والبغي والنكث، قال الله: {إنما بغيكم على أنفسكم} [يونس: ٢٣].

قوله تعالى:{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح : ١٠]، أي:" ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فسيعطيه الله ثوابًا جزيلا وهو الجنة"(٢٦٢٢).

عن قتادة: "{فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}، وهي الجنة"(٢٦٢٣).

عن قتادة، قال:" قلت لسعيد بن المسيب : كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال: خمس عشرة مائة. قلت : فإن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال : كانوا أربع عشرة مائة. قال رحمه الله : وهم، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة"(٢٦٢٤) (٢٦٢٥).

عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، قالا:" خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، كل بدنة عن عشرة نفر، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني عنه يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة"(٢٦٢٦).

، وحرمة نقض العهد ونكثه.

القرآن

{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)} [الفتح : ١١]

التفسير:

سيقول لك -أيها النبي- الذين تخلَّفوا من الأعراب عن الخروج معك إلى «مكة» إذا عاتبتهم: شغلتنا أموالنا وأهلونا، فاسأل ربك أن يغفر لنا تخلُّفنا، يقولون ذلك بألسنتهم، ولا حقيقة له في قلوبهم، قل لهم: فمن يملك لكم من الله شيئًا إن أراد بكم شرًا أو خيرًا؟ ليس الأمر كما ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يعلم ما انطوت عليه بواطنهم من النفاق، بل إنه سبحانه كان بما يعملون خبيرًا، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- مر بهم فاستنفرهم، فقال بعضهم لبعض: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس لأهل مكة لا يرجع هو وأصحابه أبدا فأين تذهبون؟ أتقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى تنظروا ما يكون من أمره، فأنزل الله- عز وجل- لقولهم له قالوا:{شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا}"(٢٦٢٧).

قوله تعالى:{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ} [الفتح : ١١]، أي:" سيقول لك -أيها النبي- الذين تخلَّفوا من الأعراب عن الخروج معك إلى «مكة» إذا عاتبتهم"(٢٦٢٨).

قال الحسن:" يعني: المنافقين المتخلفين عن الجهاد"(٢٦٢٩).

قوله تعالى:{شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا} [الفتح : ١١]، أي:" شغلتنا أموالنا وأهلونا، فاسأل ربك أن يغفر لنا تخلُّفنا"(٢٦٣٠).

(٢٦٢٢) التفسير الميسر: ٥١٢.

(٢٦٢٣) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٢.

(٢٦٢٤)صحيح البخاري برقم (٤١٥٣).

(٢٦٢٥) قال البيهقي : "هذه الرواية تدل على أنه كان في القديم يقول : خمس عشرة مائة، ثم ذكر الوهم فقال : أربع عشرة مائة". [دلائل النبوة للبيهقي :٩٧/٤].

(٢٦٢٦) السيرة النبوية لابن هشام ٣٠٨/٢.

(٢٦٢٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١/٤.

(٢٦٢٨) التفسير الميسر: ٥١٢.

(٢٦٢٩) حكاه عنه ابن ابي زمنين في التفسير: ٢٥٢/٤.

(٢٦٣٠) التفسير الميسر: ٥١٢.

عن الحسن:" {شَغَلَتْنا أمْوالُنا وأهْلُونا} خِفنا عليهم الضّيعة، فذلك الذي منَعنا أن نكون معك في الجهاد"[٢٦٣١].

عن مجاهد، قوله: "{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا}، قال: أعراب المدينة: جهينة ومزينة، استتبعهم لخروجه إلى مكة، قالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاءوه، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم! فاعتلوا بالشغل"[٢٦٣٢].

قوله تعالى:{بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الفتح : ١١]، أي:" ليس الأمر كما ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يعلم ما انطوت عليه بواطنهم من النفاق، بل إنه سبحانه كان بما يعملون خبيرًا، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه"[٢٦٣٣].

عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"[٢٦٣٤].

القرآن

{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)} [الفتح : ١٢]

التفسير:

وليس الأمر كما زعمتم من انشغالكم بالأموال والأهل، بل إنكم ظننتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيَهْلكون، ولا يَرْجعون إليكم أبدًا، وحسَّن الشيطان ذلك في قلوبكم، وظننتم ظنًا سيئًا أن الله لن ينصر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على أعدائهم، وكنتم قومًا هَلْكى لا خير فيكم.

قوله تعالى:{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} [الفتح : ١٢]، أي:" وليس الأمر كما زعمتم من انشغالكم بالأموال والأهل، بل إنكم ظننتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيَهْلكون، ولا يَرْجعون إليكم أبدًا"[٢٦٣٥].

قال قتادة:" ظنوا بنبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك، وأنهم سيهلكون، فذلك الذي خلفهم عن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢٦٣٦].

قوله تعالى:{وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} [الفتح : ١٢]، أي:" وكنتم قومًا هَلْكى لا خير فيكم"[٢٦٣٧].

عن مجاهد، قوله: "{وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا}، قال: هالكين"[٢٦٣٨].

عن قتادة، قوله: "{وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا}، قال: فاسدين"[٢٦٣٩].

القرآن

{وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣)} [الفتح : ١٣]

التفسير:

ومن لم يصدِّق بالله وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ويعمل بشرعه، فإنه كافر مستحق للعقاب، فإنا أعددنا للكافرين عذاب السعير في النار.

(٢٦٣١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٥٢ -.
(٢٦٣٢) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٢.
(٢٦٣٣) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.
(٢٦٣٥) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦٣٦) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٢.
(٢٦٣٧) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦٣٨) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٢.
(٢٦٣٩) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٢.

قوله تعالى:{فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [الفتح : ١٣]، أي:" فإنا أعددنا للكافرين عذاب السعير في النار"(٢٦٤٠).

عن أبي مالك قوله: "{سعيرا}، يعني: وقودا"(٢٦٤١).

قال سعيد بن جبير: "السعير: وادي من فيح في جهنم"(٢٦٤٢).

قال ابن عباس: "السعير : هو الطبق السادس من جهنم"(٢٦٤٣).

القرآن

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤)} [الفتح : ١٤]

التفسير:

ولله ملك السموات والأرض وما فيهما، يتجاوز برحمته عمن يشاء فيستر ذنبه، ويعذِّب بعدله من يشاء. وكان الله سبحانه وتعالى غفورًا لمن تاب إليه، رحيمًا به.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الفتح : ١٤]، أي:" ولله ملك السموات والأرض وما فيهما"(٢٦٤٤).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٢٦٤٥).

قوله تعالى:{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} [الفتح : ١٤]، أي:" يتجاوز برحمته عمن يشاء فيستر ذنبه، ويعذِّب بعدله من يشاء"(٢٦٤٦).

قال مجاهد:" يغفر لمن يشاء الكبير من الذنوب، يعذب من يشاء على الصغير"(٢٦٤٧).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٢٦٤٨).

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفتح : ١٤]، أي:" وكان الله سبحانه وتعالى غفورًا لمن تاب إليه، رحيمًا به"(٢٦٤٩).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"(٢٦٥٠).

القرآن

(٢٦٤٠) التفسير الميسر: ٥١٢.

(٢٦٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٨٩):ص٩٨٢/٣.

(٢٦٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٩٨٢/٣.

(٢٦٤٣) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ١٩٦/٥. وفي حكي الواحدي في التفسير البسيط٤٣٢/٢٢، عن ابن عباس في تفسير قوله: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}[المدثر: ٢٦]، قال:" وهي الطبق السادس من جهنم". وحكي أيضا في المصدر نفسه صفحة: ١٢٣/٢١، عن عطاء، قال:" سقر الطبق السادس من جهنم".

(٢٦٤٤) التفسير الميسر: ٥١٢.

(٢٦٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٢٦٤٦) التفسير الميسر: ٥١٢.

(٢٦٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٠٦٧)، و(٣٠٦٩):ص٥٧٥/٢.

(٢٦٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٢٦٤٩) التفسير الميسر: ٥١٢.

(٢٦٥٠) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)} [الفتح : ١٥]

التفسير:

سيقول المخلَّفون، إذا انطلقت -أيها النبي- أنت وأصحابك إلى غنائم «خيبر» التي وعدكم الله بها، اتركونا نذهب معكم إلى «خيبر»، يريدون أن يغيِّروا بذلك وعد الله لكم. قل لهم: لن تخرجوا معنا إلى «خيبر»؛ لأن الله تعالى قال لنا من قبل رجوعنا إلى «المدينة» : إن غنائم «خيبر» هي لمن شهد «الحديبية» معنا، فسيقولون: ليس الأمر كما تقولون، إن الله لم يأمركم بهذا، إنكم تمنعوننا من الخروج معكم حسدًا منكم؛ لئلا نصيب معكم الغنيمة، وليس الأمر كما زعموا، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وما عليهم من أمر الدين إلا يسيرًا.

قوله تعالى:{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ} [الفتح : ١٥]، أي:" سيقول المخلَّفون، إذا انطلقت -أيها النبي- أنت وأصحابك إلى غنائم «خيبر» التي وعدكم الله بها، اتركونا نذهب معكم إلى «خيبر»"[٢٦٥١].

قال مجاهد:" ورجع النبي صلى الله عليه وسلم وقد وعده الله عز وجل مغانم كثيرة، وعجل له خيبر، وقال المخلفون: ذرونا نتبعكم، وهي المغانم التي قال الله عز وجل: {إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم} [الفتح: ١٥]"[٢٦٥٢].

قوله تعالى:{يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} [الفتح : ١٥]، أي:" يريدون أن يغيِّروا بذلك وعد الله لكم"[٢٦٥٣].

قال مجاهد:" رجع، يعني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن مكة، فوعده الله مغانم كثيرة، فعجلت له خيبر، فقال المخلفون: {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} وهي المغانم ليأخذوها، التي قال الله جلّ ثناؤه: {إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا} وعرض عليهم قتال قوم أولي بأس شديد"[٢٦٥٤].

قال مقسم: "لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر، وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيئا، فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا: {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ}، يقول: ما وعدهم"[٢٦٥٥].

قال قتادة:" وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من الحديبية. ذُكر لنا أن المشركين لما صدّوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من الحديبية عن المسجد الحرام والهدي، قال المقداد: يا نبيّ الله، إنا والله لا نقول كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ}، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون; فلما سمع ذلك أصحاب نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم تبايعوا على ما قال; فلما رأى ذلك نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم صالح قريشا، ورجع من عامه ذلك"[٢٦٥٦].

وقرئ« كَلِمَ اللهِ» بغير ألف، بمعنى جمع كلمة[٢٦٥٧].

قوله تعالى:{قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} [الفتح : ١٥]، أي:" قل لهم: لن تخرجوا معنا إلى «خيبر»؛ لأن الله تعالى قال لنا من قبل رجوعنا إلى «المدينة» : إن غنائم «خيبر» هي لمن شهد «الحديبية» معنا"[٢٦٥٨].

(٢٦٥١) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦٥٢) تفسير مجاهد: ٦٠٧.
(٢٦٥٣) التفسير الميسر: ٥١٢.
(٢٦٥٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١٥-٢١٦.
(٢٦٥٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١٦.
(٢٦٥٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١٦.
(٢٦٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١٧.
(٢٦٥٨) التفسير الميسر: ٥١٢.

قال قتادة:" أي: إنما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد، وإنما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب"[٢٦٥٩].

القرآن

{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)} [الفتح : ١٦]

التفسير:

قل للذين تخلَّفوا من الأعراب -وهم البدو- عن القتال: ستُدْعون إلى قتال قوم أصحاب بأس شديد في القتال، تقاتلونهم أو يسلمون من غير قتال، فإن تطيعوا الله فيما دعاكم إليه مِن قتال هؤلاء القوم يؤتكم الجنة، وإن تعصوه كما فعلتم حين تخلفتم عن السير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى «مكة» ، يعذبكم عذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} [الفتح : ١٦]، أي:" قل للذين تخلَّفوا من الأعراب -وهم البدو- عن القتال: ستُدْعون إلى قتال قوم أصحاب بأس شديد في القتال"[٢٦٦٠].

واختلف أهل التفسير في القوم المشار إليهم في قوله تعالى:{سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} [الفتح : ١٦]، على أقوال:

أحدها : أنهم أهل فارس ، قاله مجاهد[٢٦٦١]، وعطاء بن أبي رباح[٢٦٦٢]، وعطاء الخراساني[٢٦٦٣]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٢٦٦٤]، ومجاهد[٢٦٦٥].

الثاني : أنهم الروم. قاله كعب[٢٦٦٦].

قيل:"وهم الذين خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك والذين بعث إليهم في غزوة مؤتة"[٢٦٦٧]، وقيل: "معهم الملحمة الكبرى في آخر الزمان"[٢٦٦٨].

الثالث : فارس والروم ، قاله الحسن[٢٦٦٩]، ومجاهد[٢٦٧٠]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٢٦٧١].

قال الحسن:" دُعُوا إلى فارس والروم"[٢٦٧٢].

الرابع : أنهم أهل الأوثان. رواه ليث عن مجاهد [٢٦٧٣].

الخامس : هوازن. قاله عكرمة[٢٦٧٤].

(٢٦٥٩) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٢.

(٢٦٦٠) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٦٦١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢٢.

(٢٦٦٢) حكاه عنه الثعلبي: ٤٦/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٢/٤. بدون إسناد.

(٢٦٦٣) حكاه عنه الثعلبي: ٤٦/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٢/٤. بدون إسناد.

(٢٦٦٤) حكاه عنه الثعلبي: ٤٦/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٢/٤. بدون إسناد.

(٢٦٦٥) حكاه عنه الثعلبي: ٤٦/٩. بدون إسناد.

(٢٦٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/٢٢.

(٢٦٦٧) المحرر الوجيز: ١٣٢/٥.

(٢٦٦٨) تفسير السمعاني: ١٩٨/٥.

(٢٦٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢٢.

(٢٦٧٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٢/٤. بدون إسناد.

(٢٦٧١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢٢.

(٢٦٧٢) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢٢.

(٢٦٧٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٢/٤. بدون إسناد.

(٢٦٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.

السادس : هوازن وثقيف. قاله سعيد بن جبير[٢٦٧٥]، وعكرمة[٢٦٧٦]، وقتادة[٢٦٧٧].
قال قتادة:" فدعوا يوم حُنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد"[٢٦٧٨].
السابع : هَوازن وغَطَفان يوم حُنين. قاله قتادة[٢٦٧٩].
الثامن : بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب ، قاله الزهري[٢٦٨٠].
قال رافع بن خديج: "والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى: {ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد}، فلا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم"[٢٦٨١].
التاسع : أنهم قوم لم يأتوا بعد ، قاله الزهري-أيضا-[٢٦٨٢].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيَّ بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُنِي بهم غيرهم، ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد[٢٦٨٣].
قوله تعالى:{ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح : ١٦]، أي:" فإن تطيعوا الله فيما دعاكم إليه مِن قتال هؤلاء القوم يؤتكم الجنة، وإن تعصوه كما فعلتم حين تخلفتم عن السير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى «مكة» ، يعذبكم عذابًا موجعًا"[٢٦٨٤].
قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٦٨٥]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٦٨٦].

القرآن
{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)} [الفتح : ١٧]
التفسير:
ليس على الأعمى منكم -أيها الناس- إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم، في أن يتخلَّفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومن يعص الله ورسوله، فيتخلَّف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذابًا مؤلمًا موجعًا.
سبب النزول:
عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-؛ قال: "كنت أكتب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإني لواضع القلم على أذني إذ أمر بالقتال؛ إذ جاء أعمى، فقال: كيف بي وأنا ذاهب البصر؟! فنزلت: {لَيْسَ عَلَى

(٢٦٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٦٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٦٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٦٧٨) أخرجه الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٦٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٦٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٦٨١) نقلاعن: الكشف والبيان: ٤٦/٩.
(٢٦٨٢) رواه عنه ابن أبي حاتم كما في في تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٧-٣٣٩.
(٢٦٨٣) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٢.
(٢٦٨٤) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٦٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٦٨٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}[الفتح : ١٧]"[٢٦٨٧].[ضعيف]

وقال البغوي:" فلما نزلت هذه الآية [{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح : ١٦]]، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى : {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} [الفتح : ١٧]"[٢٦٨٨].

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [الفتح : ١٧]، أي:" ليس على الأعمى منكم -أيها الناس- إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم، في أن يتخلَّفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم"[٢٦٨٩].

عن الضحاك، قوله: "{لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ}، ... الآية، يعني في القتال"[٢٦٩٠].

عن قتادة: "{لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}، قال: هذا كله في الجهاد"[٢٦٩١].

قال قتادة:" ثُمَّ عذر الله أهل العذر من الناس، فقال: {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}"[٢٦٩٢].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفتح : ١٧]، أي:" ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[٢٦٩٣].

قال عطاء بن ابي رباح:" طاعة الله: إتباع كتابه، وطاعة الرسول: اتباع سنته[٢٦٩٤].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٢٦٩٥].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٢٦٩٦].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٢٦٩٧].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٢٦٩٨].

(٢٦٨٧)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٥/ ١٥٥ رقم ٤٩٢٦) من طريق لوين ثنا محمد بن جابر عن أبي فروة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت به.

وهذا سند ضعيف؛ فيه محمد بن جابر اليمامي؛ قال الحافظ في "التقريب" (٢/ ١٤٩): "صدوق، ذهبت كتبه؛ فساء حفظه، وخلط كثيراً، وعمي؛ فصار يلقن".

قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٧): "فيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف يكتب حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح". اهـ.

وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٢١): "أخرج الطبراني بسند حسن".

(٢٦٨٨) تفسير البغوي: ٢٠٣/٧.

(٢٦٨٩) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٦٩٠) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٢.

(٢٦٩١) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٢.

(٢٦٩٢) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٢.

(٢٦٩٣) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٦٩٤) تفسير القرآن من الجامع لان وهب(١٢):ص١٢/٩.

(٢٦٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٢٦٩٦) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٢٦٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.

(٢٦٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح : ١٧]، أي:" ومن يعص الله ورسوله، فيتخلَّف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذابًا مؤلمًا موجعًا"(٢٦٩٩).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(٢٧٠٠)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(٢٧٠١).

القرآن

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)} [الفتح : ١٨-١٩]

التفسير:

لقد رضي الله عن المؤمنين حين بايعوك -أيها النبي- تحت الشجرة -وهذه هي بيعة الرضوان في «الحديبية» - فعلم الله ما في قلوب هؤلاء المؤمنين من الإيمان والصدق والوفاء، فأنزل الله الطمأنينة عليهم وثبَّت قلوبهم، وعوَّضهم عمَّا فاتهم بصلح «الحديبية» فتحًا قريبًا، وهو فتح «خيبر»، ومغانم كثيرة تأخذونها من أموال يهود «خيبر». وكان الله عزيزًا في انتقامه من أعدائه، حكيمًا في تدبير أمور خلقه.

قوله تعالى:{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح : ١٨]، أي:" لقد رضي الله عن المؤمنين حين بايعوك -أيها النبي- تحت الشجرة -وهذه هي بيعة الرضوان في «الحديبية»"(٢٧٠٢).

قال قتادة:" بايعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- على أن لا يفروا، وهم يومئذ ألف وأربع مائة، وبايعوه على أن لا يفروا"(٢٧٠٣).

عن عكرمة مولى ابن عباس: "أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليهم، ولكني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرا لهذا البيت، معظما لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته، فحمله بين يديه، ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم والمسلمين أن عثمان قد قُتل"(٢٧٠٤).

عن عبد الله بن أبي بكر: "أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَ القَوْمَ، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يبايعنا على الموت، ولكنه بايعنا على أن لا نفر، فبايع رسول الله الناسُ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، كان جابر بن عبد الله يقول: لكأني أنظر إليه لاصقا

(٢٦٩٩) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٧٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٧٠٢) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٠٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٠٤):ص٢١٣/٣.
(٢٧٠٤) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢٢.

بإبط ناقته، قد اختبأ إليها، يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل"[٢٧٠٥].

قال قتادة:" الذين بايعوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم تحت الشجرة، فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مئة، وبايعوا على أن لا يفرّوا عنه"[٢٧٠٦].

وقال عبد الله بن أبي أوفى: "كانوا يوم الشجرة ألفا وثلاث مئة، وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين"[٢٧٠٧].

قوله تعالى:{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ} [الفتح : ١٨]، أي:" :" فعلم الله ما في قلوب هؤلاء المؤمنين من الإيمان والصدق والوفاء، فأنزل الله الطمأنينة عليهم وثبَّت قلوبهم"[٢٧٠٨].

عن قتادة، قوله: "{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ}، أي: الصبر والوقار"[٢٧٠٩].

قوله تعالى:{وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ١٨]، أي:" وعوَّضهم عمَّا فاتهم بصلح «الحديبية» فتحًا قريبًا، وهو فتح «خيبر»"[٢٧١٠].

عن ابن أبي ليلى: "{وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}، قال: خيبر"[٢٧١١].

عن قتادة: "{وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}، وهي خيبر"[٢٧١٢]. وفي رواية:" بلغني أنها خيبر"[٢٧١٣].

عن الشعبي:" {وأثابهم فتحا قريبا} قال: فتح خيبر"[٢٧١٤].

قوله تعالى:{وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح : ١٩]، أي:" ومغانم كثيرة تأخذونها من أموال يهود «خيبر»، وكان الله عزيزًا في انتقامه من أعدائه، حكيمًا في تدبير أمور خلقه"[٢٧١٥].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٧١٦]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٧١٧].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٧١٨]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٧١٩].

ذلك[٢٧١٩].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٧٢٠].

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٢٧٢١].

(٢٧٠٥) أخرجه الطبري: ٢٢٥/٢٢.
(٢٧٠٦) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٢.
(٢٧٠٧) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٢.
(٢٧٠٨) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٠٩) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٢.
(٢٧١٠) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧١١) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٢.
(٢٧١٢) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٢.
(٢٧١٣) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٢.
(٢٧١٤) الدر المنثور: ٥٢٣/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٧١٥) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٢٧١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٢٧١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٧١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٢٧٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٢٧٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

القرآن

{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢)} [الفتح :]

التفسير:

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها في أوقاتها التي قدَّرها الله لكم فعجَّل لكم غنائم «خيبر» ، وكفَّ أيدي الناس عنكم، فلم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال، ومن أن ينالوا ممن تركتموهم وراءكم في «المدينة» ، ولتكون هزيمتهم وسلامتكم وغنيمتكم علامة تعتبرون بها، وتستدلون على أن الله حافظكم وناصركم، ويرشدكم طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه. وقد وعدكم الله غنيمة أخرى لم تقدروا عليها، الله سبحانه وتعالى قادر عليها، وهي تحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، ولا بد مِن وقوع ما وعد به. وكان الله على كل شيء قديرًا لا يعجزه شيء. ولو قاتلكم كفار قريش بـ «مكة» لانهزموا عنكم وولوكم ظهورهم، كما يفعل المنهزم في القتال، ثم لا يجدون لهم من دون الله وليًا يواليهم على حربكم، ولا نصيرًا يعينهم على قتالكم.

قوله تعالى:{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} [الفتح : ٢٠]، أي:" وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها في أوقاتها التي قدَّرها الله لكم"[٢٧٢٢].

وفي قوله تعالى:{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} [الفتح : ٢٠]، وجهان:

أحدهما : هي مغانم خيبر ، قاله زيد بن أسلم[٢٧٢٣].

الثاني : هو كل مغنم غنمه المسلمون ، قاله مجاهد[٢٧٢٤].

قال مجاهد:" المغانم الكثيرة التي وعدوا: ما يأخذونها إلى اليوم"[٢٧٢٥].

والظاهر أن الآية مخاطبة للمؤمنين ووعد بجميع المغانم التي أخذها المسلمون ويأخذونها إلى يوم القيامة[٢٧٢٦].

قوله تعالى:{فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} [الفتح : ٢٠]، أي:" فعجَّل لكم غنائم «خيبر»"[٢٧٢٧].

قال مجاهد:" عجل لكم خيبر"[٢٧٢٨].

قال قتادة:" وهي خيبر"[٢٧٢٩].

قال عطية:" فتْح خَيْبَر"[٢٧٣٠].

قال عطاء الخراساني:" يُقال: خَيْبَر. ويُقال أيضًا: فَدك"[٢٧٣١].

قوله تعالى:{وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ} [الفتح : ٢٠]، أي:" وكفَّ أيدي الناس عنكم، فلم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال، ومن أن ينالوا ممن تركتموهم وراءكم في «المدينة»"[٢٧٣٢].

(٢٧٢٢) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٢.
(٢٧٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٧٢٥) أخرجه الطبري: ٢٢٠/٢٢.
(٢٧٢٦) المحرر الوجيز: ١٣٤/٥.
(٢٧٢٧) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٢٨) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٢.
(٢٧٢٩) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٢.
(٢٧٣٠) الدر المنثور: ٧/ ٥٢٥، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢٧٣١)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٢٠.
(٢٧٣٢) التفسير الميسر: ٥١٣.

وفي قوله تعالى:{وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ} [الفتح : ٢٠]، ثلاثة وجوه:
أحدهما : أنهم اليهود، كف أيديهم عن بيوتهم، وعيالهم بالمدينة عند خروجهم إلى الحديبية وخيبر. قاله قتادة(٢٧٣٣).
الثاني : يعني: وكف اليهود من خيبر، وحلفاءهم من أسد، وغطفان، عن بيضتكم، وعيالكم، وأموالكم بالمدينة، وذلك أن مالك بن عوف النصري، وعيينة بن حصن الفزاري، ومن معهما من بني أسد وغطفان جاءوا لنصرة أهل خيبر فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فانصرفوا. حكاه الثعلبي عن قتادة(٢٧٣٤).
والقول الأول أشبه بتفسير الآية، وذلك أن كفّ الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحُديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ} فعلم بذلك أن الكفّ الذي ذكره الله تعالى في قوله: {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ} غير الكفّ الذي ذكر الله بعد هذه الآية في قوله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ}(٢٧٣٥).
قوله تعالى:{وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} [الفتح : ٢٠]، أي:" ولتكون هزيمتهم وسلامتكم وغنيمتكم علامة تعتبرون بها، وتستدلون على أن الله حافظكم وناصركم"(٢٧٣٦).
قال قتادة:" يقول: وذلك آية للمؤمنين، كفّ أيدي الناس عن عيالهم"(٢٧٣٧).
قوله تعالى:{وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح : ٢٠]، أي:" ويرشدكم طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه"(٢٧٣٨).
عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"(٢٧٣٩).
عن مجاهد في قوله: "{صراط مستقيم}، قال: الحق"(٢٧٤٠).
قوله تعالى:{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا} [الفتح : ٢١]، أي:" وقد وعدكم الله غنيمة أخرى لم تقدروا عليها، الله سبحانه وتعالى قادر عليها، وهي تحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، ولا بد مِن وقوع ما وعد به"(٢٧٤١).
وفي قوله تعالى:{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا} [الفتح : ٢١]، ثلاثة أقوال:
أحدها : هي أرض فارس والروم . قاله ابن أبي ليلى(٢٧٤٢)، والحسن(٢٧٤٣).
وروي عن مجاهد، قوله: "{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا}، ما فتحوا حتى اليوم"(٢٧٤٤).
الثاني : هي أرض خيبر ، قاله الضحاك(٢٧٤٥)،وابن إسحاق(٢٧٤٦).
قال الضحاك:" يعني خيبر، بعثهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يومئذ، فقال: ولا تُمَثِّلُوا وَلا تَغُلُّوا، ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"(٢٧٤٧).

(٢٧٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٢.
(٢٧٣٤) انظر: الكشف والبيان: ٤٨/٩، والنكت والعيون: ٣١٨/٥.
(٢٧٣٥) تفسير الطبري: ٢٣١/٢٢.
(٢٧٣٦) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٣٧) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٢.
(٢٧٣٨) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٣٩) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
(٢٧٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٨):ص١٢٨٧/٤.
(٢٧٤١) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٢-٢٣٣.
(٢٧٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٣/٢٢.
(٢٧٤٤) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٢.
(٢٧٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٢.
(٢٧٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٢.
(٢٧٤٧) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٢.

الثالث : هي مكة ، قاله قتادة[٢٧٤٨].

قال قتادة:" بلغنا أنها مكة"[٢٧٤٩].

وهذا القول الأخير يتسق معه المعنى ويتأيد، وهو أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم تحت الشجرة، أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها، ومعقولٌ أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذّرت عليهم، فأما وهم لم يروموها فتتعذّر عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدروا عليها. فإذ كان ذلك كذلك، وكان معلوما أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشا ولا سرية، علم أن المعنيَّ بقوله: {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا} غيرها، وأنها هي التي قد عالجها ورامها، فتعذّرت فكانت مكة وأهلها كذلك، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها، وأنه فاتحها عليهم[٢٧٥٠].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الفتح : ٢١]، أي:" وكان الله على كل شيء قديرًا لا يعجزه شيء"[٢٧٥١].

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"[٢٧٥٢].

قوله تعالى:{وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ} [الفتح : ٢٢]، أي:" ولو قاتلكم كفار قريش بـ «مكة» لانهزموا عنكم وولوكم ظهورهم، كما يفعل المنهزم في القتال"[٢٧٥٣].

عن قتادة، قوله: "{وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ}، يعني: كفار قريش"[٢٧٥٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الفتح : ٢٢]، أي:" ثم لا يجدون لهم من دون الله وليًا يواليهم على حربكم، ولا نصيرًا يعينهم على قتالكم"[٢٧٥٥].

قال قتادة: "قال الله: {ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} ينصرهم من الله"[٢٧٥٦].

القرآن

{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)} [الفتح : ٢٣]

التفسير:

سنة الله التي سنَّها في خلقه من قبل بنصر جنده وهزيمة أعدائه، ولن تجد -أيها النبي- لسنة الله تغييرًا.

قوله تعالى:{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ} [الفتح : ٢٣]، أي:" سنة الله التي سنَّها في خلقه من قبل بنصر جنده وهزيمة أعدائه"[٢٧٥٧].

قال محمد بن إسحاق:" يعني: قريشًا في المواطن التي كانت قبل ذلك"[٢٧٥٨].

قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الفتح : ٢٣]، أي:" ولن تجد -أيها النبي- لسنة الله تغييرًا"[٢٧٥٩].

(٢٧٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٢.

(٢٧٤٩) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٢.

(٢٧٥٠) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٢.

(٢٧٥١) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٧٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

(٢٧٥٣) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٧٥٤) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٢.

(٢٧٥٥) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٧٥٦) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٢.

(٢٧٥٧) التفسير الميسر: ٥١٣.

(٢٧٥٨) تفسير إسحاق البستي(٩٣٧):ص٣٧٣/٢.

(٢٧٥٩) التفسير الميسر: ٥١٣.

عن محمد بن إسحاق:" يقول: الذي وعد من النصر"[٢٧٦٠].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)} [الفتح : ٢٤]

التفسير:

وهو الذي كفَّ أيدي المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن «مكة» من بعد ما قَدَرْتم عليهم، فصاروا تحت سلطانكم، وكان الله بأعمالكم بصيرًا، لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

عن أنس بن مالك، " أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: ٢٤]"[٢٧٦١].

وروي عن عبد الله بن مغفل المزني، قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى: في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ". فأخذ سهيل بن عمرو بيده، فقال: ما نعرف الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، قال: " اكتب باسمك اللهم ". فكتب: " هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة ". فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله، اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال: " اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأنا رسول الله "، فكتب. فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ الله عز وجل بأبصارهم، فقدمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل جئتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أمانا؟ " فقالوا: لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}»[٢٧٦٢].

وعن ابن أبزى؛ قال: "لما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وبالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة؛ قال له عمر: يا نبي الله! تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع، قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعاً ولا سلاحاً إلا حمله، فلما دنا من مكة؛ منعوه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى؛ فأتاه عينه: أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمسمائة، فقال لخالد بن الوليد: "يا خالد! هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل"، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله؛ فيومئذ سُمّي سيف الله، يا رسول الله! ارم بي حيث

(٢٧٦٠) تفسير إسحاق البستي(٩٣٧):ص٣٧٣/٢.

(٢٧٦١)أخرجه مسلم في الجهاد والسير (١٣٣/ ١٨٠٨) ص ١٤٤٢.

وأبو داود في الجهاد (٢٦٨٨) والترمذي في التفسير (٣٢٦٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣٠) .

وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٠، ١٢٤، ٢٩٠) ، وابن جرير (٢٦/ ٥٩) ، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٧٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢٧٦٢) أخرجه احمد في المسند(١٦٨٠٠):ص٣٥٤/٢٧-٣٥٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٠- ٤٦١) وصححه وأقره الذهبي.

وأخرجه الطبري في التفسير: (٢٣٦/٢٢-٢٣٧)-كما سيأتي-، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٥) وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

شئت، فبعثه على خيل؛ فلقي عكرمة في الشعب، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة؛ فأنزل الله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} إلى قوله: {عَذَابًا أَلِيمًا}، قال: فكف الله النبيّ عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم؛ كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم، وقوله: {وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}، يقول -تعالى ذكره -: وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصير لا يخفى عليه منها شيء"[٢٧٦٣]. [ضعيف جداً]

وقال قتادة:" قوله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} الآية؛ قال: بطن مكة: الحديبية، يقال له «ابن زُنَيْم»[٢٧٦٤]: اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم خيلا فأتوه باثني عشر فارسا من الكفار، فقال لهم نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: هل لكم عليّ عهد؟ هل لكم عليّ ذمة، قالوا: لا فأرسلهم، فأنزل الله في ذلك القرآن :{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} ... إلى قوله {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}"[٢٧٦٥].

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح : ٢٤]، أي:" وهو الذي كفَّ أيدي المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن «مكة»، من بعد ما قَدَرْتم عليهم، فصاروا تحت سلطانكم"[٢٧٦٦].

قال مجاهد:" أقبل معتمرا نبيّ الله، فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فذلك الإظفار ببطن مكة"[٢٧٦٧].

قال محمد بن إسحاق:" كان رسول الله صلي الله عليه ظفر بهم وتجاوز عنهم، وكانوا أربعين رجلاً من قريش خرجوا يتجسسون الأخبار، ورسول الله صلى الله عليه بالحديبية فأخذوا فأتي بهم فتجاوز عنهم"[٢٧٦٨].

وروي عن محمد بن إسحاق، قال:" حدثني -من لا أتهم - عن عكرمة، مولى ابن عباس، أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ليصيبوا من أصحابه أحدا، فأخذوا أخذا، فأُتي بهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بالحجارة والنبل. قال ابن حميد، قال سلمة، قال ابن إسحاق: ففي ذلك قال: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} ... الآية"[٢٧٦٩].

(٢٧٦٣)أخرجه الطبري : ٢٣٩/٢٢: ثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزى.
وسنده ضعيف جداً؛ لضعف ابن حميد، وإرساله.
وقال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣٤٣/٧): "وهذا السياق فيه نظر ؛ فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية ؛ لأن خالدا لم يكن أسلم ؛ بل قد كان طليعة المشركين يومئذ، كما ثبت في الصحيح. ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء، لأنهم قاضوه على أن يأتي من العام المقبل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام، فلما قدم لم يمانعوه، ولا حاربوه ولا قاتلوه. فإن قيل : فيكون يوم الفتح ؟ فالجواب : ولا يجوز أن يكون يوم الفتح ؛ لأنه لم يسق عام الفتح هَديًا، وإنما جاء محاربا مقاتلا في جيش عَرَمْرَم، فهذا السياق فيه خلل، قد وقع فيه شيء فليتأمل، والله أعلم".
وقال الحافظ ابن حجر في "الكاف الشاف" (ص ١٥٣): "والحديث في صحته نظر".
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٣) وزاد نسبته لابن أبي حاتم وابن المنذر.
(٢٧٦٤) في تفسير الطبري: «رهم»، قال المحقق: لعل فيه سقطا"، وفي تفسير ابن كثير: ٣٤٣/٧«ابن زُنَيْم».
(٢٧٦٥) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٢. مرسل صحيح الإسناد. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٢٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد
(٢٧٦٦) التفسير الميسر: ٥١٣.
(٢٧٦٧) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٢، وانظر: تفسير مجاهد: ٥٧/٤.
(٢٧٦٨) تفسير إسحاق البستي(٩٣٩):ص٣٧٤/٢.
(٢٧٦٩) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٢.

القرآن

{هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)} [الفتح : ٢٥]

التفسير:

كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدُّوكم يوم «الحديبية» عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدي، وحبسوه أن يبلغ محل نحره، وهو الحرم. ولولا رجال مؤمنون مستضعفون ونساء مؤمنات بين أظهر هؤلاء الكافرين بـ «مكة» ، يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم لم تعرفوهم؛ خشية أن تطؤوهم بجيشكم فتقتلوهم، فيصيبكم بذلك القتل إثم وعيب وغرامة بغير علم، لكنَّا سلَّطناكم عليهم؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء فيَمُنَّ عليهم بالإيمان بعد الكفر، لو تميَّز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن مشركي «مكة» وخرجوا من بينهم، لعذَّبنا الذين كفروا وكذَّبوا منهم عذابًا مؤلمًا موجعًا.

سبب النزول:

عن أبي جمعة -رضي الله عنه-؛ قال: "قاتلت النبي - صلى الله عليه وسلم - أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة، وفينا أنزلت: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ}"(٢٧٧٠).[حسن]

قوله تعالى:{هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} [الفتح : ٢٥]، أي:" كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدُّوكم يوم «الحديبية» عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدي، وحبسوه أن يبلغ محل نحره، وهو الحرم"(٢٧٧١).

عن قتادة:" {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا}، أي: محبوسا {أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ}، وأقبل نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحُديبية، صدّهم المشركون، فصالحهم نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب، ولا يخرج بأحد من أهلها، فنحروا الهدي، وحلقوا، وقصَّروا، حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه فيه، فأنزل الله: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ}"(٢٧٧٢).

عن مجاهد: "أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم اعتمر ثلاث عمر، كلها في ذي القعدة، يرجع في كلها إلى المدينة، منها العمرة التي صدّ فيها الهدي، فنحره في محله، عند الشجرة، وشارطوه أن يأتي في العام المقبل معتمرا، فيدخل مكة، فيطوف بالبيت ثلاثة أيام، ثم يخرج، ولا يحبسون عنه أحدا قدم معه، ولا يخرج

(٢٧٧٠)أخرجه أبو يعلى في "المسند" (٣/ ١٢٩ رقم ١٥٦٠)، و"المفاريد" (ص ٧١، ٧٢ رقم ٧٢) -ومن طريقه ابن الأثير في "أسد الغابة" (٥/ ٥٢، ٥٣) -، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢/ ٢٩٠ رقم ٢٢٠٤، ٣/ ٢٤ رقم ٢٥٤٣) -وعنه أبو نعيم في "معرفة "الصحابة" (٢/ ٦١١ رقم ١٦٦٠) -، وابن قانع في "معجم "الصحابة" (١/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٠٨)، وابن عبد البر وأبو موسى المديني؛ كما في "أسد الغابة" (٥/ ٥٣) من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم عن أبي خلف عن عبد الله بن عوف؛ قال: سمعت أبا جمعة به.

قلنا: وسنده حسن -إن شاء الله- قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٧): "رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات".

وقال في (٩/ ٣٩٨): "رواه أبو يعلى ورجاله ثقات".

وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٤) بعد أن زاد نسبته للحسن بن سفيان وابن المنذر والبارودي وابن مردويه: "بسند جيد".

(٢٧٧١) التفسير الميسر: ٥١٤.

(٢٧٧٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٢.

من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين; فلما كان من العام المقبل دخل مكة، فأقام بها ثلاثا يطوف بالبيت ; فلما كان اليوم الثالث قريبا من الظهر، أرسلوا إليه: إن قومك قد آذاهم مقامك، فنُودي في الناس: لا تغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قَدم مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢٧٧٣].

عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما، قالا: " خرج رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عام الحُديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا وساق الهَدي معه سبعين بدنة وكان الناس سبعَ مئة رجل، فكانت كلّ بدنة عن عشرة"[٢٧٧٤].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الفتح : ٢٥]، أي:" ولولا رجال مؤمنون مستضعفون ونساء مؤمنات بين أظهر هؤلاء الكافرين بـ «مكة»، يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم لم تعرفوهم؛ خشية أن تطؤوهم بجيشكم فتقتلوهم، فيصيبكم بذلك القتل إثم وعيب وغرامة بغير علم"[٢٧٧٥].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ} تحت الحرب إذ كانت"[٢٧٧٦].

قال قتادة:" هذا حين رد محمد وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم"[٢٧٧٧].

عن الضحاك:" لولا من في أصلاب الكفار وأرحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم يعلموهم أن يطئوا آباءهم فيهلك أبناؤهم"[٢٧٧٨].

قال جنيد بن سبع : "قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا، وقاتلت معه آخر النهار مسلما، وفينا نزلت :{وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ} قال : كنا تسعة نفر : سبعة رجال وامرأتين"[٢٧٧٩].

عن ابن إسحاق: "{فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ} فتخرجوا ديته، فأما إثم فلم يحسبه عليهم"[٢٧٨٠].

قوله تعالى:{لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} [الفتح : ٢٥]، أي:" لكنَّا سلَّطناكم عليهم؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء فيَمُنَّ عليهم بالإيمان بعد الكفر"[٢٧٨١].

قوله تعالى:{لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح : ٢٥]، أي:" لو تميَّز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن مشركي «مكة» وخرجوا من بينهم، لعذَّبنا الذين كفروا وكذَّبوا منهم عذابًا مؤلمًا موجعًا"[٢٧٨٢].

عن الضحاك، قوله: "{لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ}، يعني: أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون: يقول الله لولا أولئك المستضعفون لو قد تزيَّلوا، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما"[٢٧٨٣].

عن قتادة، قوله: "{لَوْ تَزَيَّلُوا} ... الآية، إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار"[٢٧٨٤].

(٢٧٧٣) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٢.
(٢٧٧٤) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٢-٢٤٠.
(٢٧٧٥) التفسير الميسر: ٥١٤.
(٢٧٧٦) تفسير إسحاق البستي(٩٤١):٣٧٦/٢.
(٢٧٧٧) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٢.
(٢٧٧٨) انظر: النكت والعيون: ٣٢٠/٥، وتفسير القرطبي: ٢٨٥/١٦.
(٢٧٧٩)المعجم الكبير للطبراني: ٢٩٠/٢.
(٢٧٨٠) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢٢.
(٢٧٨١) التفسير الميسر: ٥١٤.
(٢٧٨٢) التفسير الميسر: ٥١٤.
(٢٧٨٣) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٢.
(٢٧٨٤) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٢.

القرآن

{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)} [الفتح : ٢٦]

التفسير:

إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الأنَفَة أنَفَة الجاهلية؛ لئلا يقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك امتناعهم أن يكتبوا في صلح «الحديبية» «بسم الله الرحمن الرحيم» وأبوا أن يكتبوا «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» ، فأنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين معه، وألزمهم قول «لا إله إلا الله» التي هي رأس كل تقوى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه أحق بكلمة التقوى من المشركين، وكانوا كذلك أهل هذه الكلمة دون المشركين. وكان الله بكل شيء عليمًا لا يخفى عليه شيء.

سبب النزول:

عن الأجلح؛ قال: "كان حمزة بن عبد المطلب رجلاً حسن الشعر، حسن الهيئة، صاحب صيد، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على أبي جهل فولع به وآذاه، فرجع حمزة من الصيد وامرأتان تمشيان خلفه؛ فقالت إحداهما: لو علم ذا ما صنع بابن أخيه؛ أقصر عن مشيته؛ فالتفت إليهما، فقال: وما ذاك؟ قالت: أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا، فدخلته الحمية، فجاء حتى دخل المسجد وفيه أبو جهل فعلا رأسه بقوسه، ثم قال: ديني دين محمد إن كنتم صادقين، فامنعوني؛ فقامت إليه قريش، فقالوا: يا أبا يعلى؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا في قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ} إلى قوله: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}؛ قال: حمزة بن عبد المطلب"[٢٧٨٥].[ضعيف]

قوله تعالى:{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح : ٢٦]، أي:" إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الأنَفَة أنَفَة الجاهلية؛ لئلا يقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم"[٢٧٨٦].

عن الزهريّ، قال: كانت حميتهم التي ذكر الله، إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية، حمية الجاهلية، أنهم لم يقرّوا " بسم الله الرحمن الرحيم " وحالوا بينهم وبين البيت"[٢٧٨٧].

عن سعيد بن المسيب:" أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:« أمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لا إلَهَ إلا اللهُ، فَمَنْ قال لا إلَه إلا اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسابُهُ على الله". وأنزل الله في كتابه، فذكر قوما استكبروا فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} وقال الله {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا}، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، استكبر عنها المشركون يوم الحُدَيبية، يوم كاتبهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على قضية المدّة»"[٢٧٨٨].

قوله تعالى:{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [الفتح : ٢٦]، أي:" فأنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين معه"[٢٧٨٩].

قوله تعالى:{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} [الفتح : ٢٦]، أي:" وألزمهم قول «لا إله إلا الله» التي هي رأس كل تقوى"[٢٧٩٠].

قال الطبري:"يقال: ألزمهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب"[٢٧٩١].

(٢٧٨٥)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٦) ونسبه لابن أبي حاتم. وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٢٧٨٦) التفسير الميسر: ٥١٤.

(٢٧٨٧) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٢.

(٢٧٨٨) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٢.

(٢٧٨٩) التفسير الميسر: ٥١٤.

(٢٧٩٠) التفسير الميسر: ٥١٤.

(٢٧٩١) تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٢.

أحدها : قول لا إله إلا الله ، قاله مجاهد[٢٧٩٢]، وجماعة، وهو يروي عن النبي-صلى الله عليه وسلم[٢٧٩٣].

وقال عطاء الخراسانيّ:" لا إله إلا الله محمد رسول الله"[٢٧٩٤].

عن مجاهد: "{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}، قال: لا إله إلا الله"[٢٧٩٥].

قال قتادة:" وهي: شهادة إن لا إله إلا الله"[٢٧٩٦].

قال عكرمة:" شهادة أن لا إله إلا الله"[٢٧٩٧].

قال الضحاك، وابن زيد:" هي لا إله إلا الله"[٢٧٩٨].

عن عمرو بن ميمون: "أنه كان يقول في هذه الآية {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}، قال: لا إله إلا الله"[٢٧٩٩].

عن عمرو بن ميمون: "{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}، قال: لا إله إلا الله"[٢٨٠٠].

عن عليّ الأزدي، قال:" كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين، فسمع الناس يقولون: لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال: هي هي، فقلت: ما هي؟ قال: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} الإخلاص {وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا}"[٢٨٠١].

عن الطفيل، عن أبيه، سمع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: "{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}، قال: «لا إله إلا اللهُ»"[٢٨٠٢].

الثاني : أنها قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. قاله عطاء[٢٨٠٣].

الثالث : الإخلاص ، قاله مجاهد[٢٨٠٤].

عن مجاهد: "{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}، قال: الإخلاص"[٢٨٠٥]، وفي رواية:" كلمة الإخلاص"[٢٨٠٦].

الرابع : أنها: قول: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قاله الزهري[٢٨٠٧].

الخامس: أنها: لا إله إلا الله والجهاد في سبيله. قاله سعيد بن جبير[٢٨٠٨].

قوله تعالى:{وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} [الفتح : ٢٦]، أي:" وكان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه أحق بكلمة التقوى من المشركين، وكانوا كذلك أهل هذه الكلمة دون المشركين"[٢٨٠٩].

(٢٧٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٢.
(٢٧٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٢.
(٢٧٩٤) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٧٩٥) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٢.
(٢٧٩٦) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٢.
(٢٧٩٧) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٧٩٨) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٢.
(٢٧٩٩) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٢.
(٢٨٠٠) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٢.
(٢٨٠١) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٨٠٢) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٢.
(٢٨٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٢.
(٢٨٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٨٠٥) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٨٠٦) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٨٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٢.
(٢٨٠٨) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٣٤٦/٧.
(٢٨٠٩) التفسير الميسر: ٥١٤.

قال قتادة:" وكان المسلمون أحقّ بها، وكانوا أهلها: أي التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله"[٢٨١٠].

وفي قراءة عبدالله: «وكانُوا أهْلَها وأحَقَّ بها»[٢٨١١].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح : ٢٦]، أي:" وكان الله بكل شيء عليمًا لا يخفى عليه شيء"[٢٨١٢].

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٢٨١٣].

قال سعيد بن جبير:" {عليم} يعني: عالما بها"[٢٨١٤].

القرآن

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)} [الفتح : ٢٧]

التفسير:

لقد صدق الله رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - رؤياه التي أراها إياه بالحق أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا تخافون أهل الشرك، محلّقين رؤوسكم ومقصِّرين، فعلم الله من الخير والمصلحة - في صرفكم عن «مكة» عامكم ذلك ودخولكم إليها فيما بعد- ما لم تعلموا أنتم، فجعل مِن دون دخولكم «مكة» الذي وعدتم به، فتحًا قريبًا، وهو هدنة «الحديبية» وفتح «خيبر».

سبب النزول:

عن مجاهد؛ قال: "أُري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالحديبية أنه يدخل مكة وهو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فقال له أصحابه -حين نحر بالحديبية-: أين رؤياك يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟! فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} إلى قوله: {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا}؛ يعني: النحر بالحديبية، ثم رجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة"[٢٨١٥].

وروي عن عطاء؛ "خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - معتمراً، حتى أتى الحديبية، فخرجت إليه قريش، فردوه عن البيت، حتى كان بينهم كلام وتنازع؛ حتى كاد يكون بينهم قتال، قال: فبايع النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - أصحابُهُ، وعدتهم ألف وخمس مئة تحت الشجرة، وذلك يوم بيعة الرضوان، فقاضاهم النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالت قريش: نقاضيك على أن تنحر الهدي مكانه، وتحلق وترجع، حتى إذا كان العام المقبل؛ نخلي لك مكة ثلاثة أيام، ففعل. قال: فخرجوا إلى عكاظ، فأقاموا فيها ثلاثًا، واشترطوا عليه أن لا يدخلها بسلاح إلا بالسيف، ولا تخرج بأحد من أهل مكة إن هرج معك، فنحر الهدي مكانه وحلق ورجع، حتى إذا كان في قابل تلك الأيام؛ دخل مكة، وجاء بالبدن معه، وجاء الناس معه، فدخل المسجد الحرام؛ فأنزل الله عليه: {لَقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ الله آمِنِينَ}، قال: وأنزل عليه: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى

(٢٨١٠) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٢.

(٢٨١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٢.

(٢٨١٢) التفسير الميسر: ٥١٤.

(٢٨١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.

(٢٨١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.

(٢٨١٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٥٩/٢٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٤/ ١٦٤) من طرق عن ابن أبي نجيح عنه به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٨) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

عَلَيْكُمْ} [البقرة:١٩٤]، فإن قاتلوكم في المسجد الحرام فقاتلوهم، فأحل لهم إن قاتلوهم في المسجد الحرام أن يقاتلوهم. فأتاه أبو جندل بن سهل بن عمرو، وكان موثقاً، أوثقه أبوه، فرده إلى أبيه"[٢٨١٦].

قوله تعالى:{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ} [الفتح : ٢٧]، أي:" لقد صدق الله رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - رؤياه التي أراها إياه بالحق أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا تخافون أهل الشرك، محلّقين رؤوسكم ومقصِّرين"[٢٨١٧].

قال مجاهد:" أُرِيَ بالحُديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نحر بالحُديبية: أين رؤيا محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؟"[٢٨١٨].

قال قتادة:" رأى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه يطوف بالبيت وأصحابه، فصدّق الله رؤياه، فقال: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} ... حتى بلغ: {لا تَخَافُونَ}"[٢٨١٩].

قال قتادة:" أُري في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام، وأنهم آمنون محلّقين رءوسهم ومقصِّرين"[٢٨٢٠].

قال ابن إسحاق:" لرؤيا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم التي أريها أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف، يقول: محلقين ومقصرين لا تخافون"[٢٨٢١].

قوله تعالى:{ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ٢٧]، أي:" فعلم الله من الخير والمصلحة -في صرفكم عن «مكة» عامكم ذلك ودخولكم إليها فيما بعد- ما لم تعلموا أنتم، فجعل مِن دون دخولكم «مكة» الذي وعدتم به، فتحًا قريبًا، وهو هدنة «الحديبية» وفتح «خيبر»"[٢٨٢٢].

وفي قوله تعالى:{فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ٢٧]، وجهان:

أحدهما : أنه الصلح الذي جرى بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقريش بالحديبية ، قاله مجاهد[٢٨٢٣]، والزهري[٢٨٢٤]، وابن إسحاق[٢٨٢٥].

قال مجاهد:" يعني: النحر بالحديبية، ثم رجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة"[٢٨٢٦].

عن الزهريّ، قوله: "{فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا}، يعني: صلح الحُديبية، وما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث ألتقى الناس; فلما كانت الهدنة وضعت الحرب، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا، فالتقَوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر"[٢٨٢٧].

(٢٨١٦)أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٤٣٤ - ٤٣٥/ ١٨٦٩٠): حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن أشعث بن سوّار، عن عطاء به.
وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان: الأولى: الإرسال. الثانية: أشعث بن سوار؛ ضعيف.
(٢٨١٧) التفسير الميسر: ٥١٤.
(٢٨١٨) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢٢.
(٢٨١٩) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢٢.
(٢٨٢٠) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٢.
(٢٨٢١) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٢.
(٢٨٢٢) التفسير الميسر: ٥١٤.
(٢٨٢٣) انظر: تفسير مجاهد: ٦٠٨.
(٢٨٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٢.
(٢٨٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٢.
(٢٨٢٦) تفسير مجاهد: ٦٠٨.
(٢٨٢٧) تفسير مجاهد: ٦٠٨.

الثاني: فتح مكة، قاله الضحاك[٢٨٢٨].

والصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وكان صلح الحُديبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عمّ ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك.

والصواب أن يعمه كما عمه، فيقال: جعل الله من دون تصديقه رويا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلّقين رءوسهم ومقصّرين، لا يخافون المشركين صلح الحُديبية وفتح خيبر"[٢٨٢٩].

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨)} [الفتح : ٢٨]

التفسير:

هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، بالبيان الواضح ودين الإسلام؛ ليُعْليه على الملل كلها، وحسبك -أيها الرسول- بالله شاهدًا على أنه ناصرك ومظهر دينك على كل دين.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [الفتح : ٢٨]، أي:" هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، بالبيان الواضح ودين الإسلام، ليُعْليه على الملل كلها"[٢٨٣٠].

عن مجاهد: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}، قال: " لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا الإسلام وحتى تأمن الشاة الذئب والبقرة الأسد، والإنسان الحية وحتى لا تقرض فأرة جرابا وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير فهو قوله: ليظهره على الدين كله"[٢٨٣١].

وروي عن الضحاك، أنه قال: "يظهر الإسلام على الدين كل دين"[٢٨٣٢].

عن أبي جعفر:"{ليظهره على الدين كله}، قال: إذا خرج عيسى عليه السلام، اتبعه أهل كل دين"[٢٨٣٣].

عن أبي هريرة، أن النبي -صلي الله عليه وسلم - قال: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمَّد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"[٢٨٣٤].

قال عبدالله بن مسعود:" إذا أنزل عليهم ابن مريم لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام. قال: فذلك قوله عز وجل: {ليظهره على الدين كله}"[٢٨٣٥].

قوله تعالى:{وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [الفتح : ٢٨]، أي:" وحسبك -أيها الرسول- بالله شاهدًا على أنه ناصرك ومظهر دينك على كل دين"[٢٨٣٦].

(٢٨٢٨) انظر: النكت والعيون: ٣٢٢/٧.
(٢٨٢٩) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٢-٢٦٠.
(٢٨٣٠) التفسير الميسر: ٥١٤.
(٢٨٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٧٨٦/٦.
(٢٨٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٧٨٦/٦.
(٢٨٣٣) أخرجه الطبري(١٦٦٤٦):ص٢١٥/١٤: .
(٢٨٣٤) المسند(٧١٨٤):ص٣٥/٧.
(٢٨٣٥)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (١٠٢):ص٦٢.
(٢٨٣٦) التفسير الميسر: ٥١٤.

قال الحسن:" يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله"[٢٨٣٧].

القرآن

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)} [الفتح : ٢٩]

التفسير:

محمد رسول الله، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم، تراهم ركعًا سُجَّدًا لله في صلاتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلا لا ينقطع، وهو الجنة.

قوله تعالى:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح : ٢٩]، أي:" هذا الرسول المسمَّى محمداً هو رسولُ الله حقاً لا كما يقول المشركون"[٢٨٣٨].

روي عن الحسن:" في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم"[٢٨٣٩].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح : ٢٩]، أي:" والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم"[٢٨٤٠].

عن قتادة: "{رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، ألقى الله في قلوبهم الرحمة، بعضهم لبعض"[٢٨٤١].

قوله تعالى:{تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} [الفتح : ٢٩]، أي:" تراهم ركعًا سُجَّدًا لله في صلاتهم"[٢٨٤٢].

قوله تعالى:{يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الفتح : ٢٩]، أي:" يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم"[٢٨٤٣].

قوله تعالى:{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح : ٢٩]، أي:" علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة"[٢٨٤٤].

وفي قوله تعالى:{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه ثرى الأرض وندى الطهور، قاله سعيد بن جبير[٢٨٤٥]، وعكرمة[٢٨٤٦].

قال عكرمة:" هو أثر التراب"[٢٨٤٧].

قال مالك:" يقال ذلك مما يتعلق بجباههم من الأرض عند السجود"[٢٨٤٨].

(٢٨٣٧) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٢.

(٢٨٣٨) صفوة التفاسير: ٢١١/٣.

(٢٨٣٩) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٦/٩-٦٧.

(٢٨٤٠) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٨٤١) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٢.

(٢٨٤٢) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٨٤٣) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٨٤٤) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٨٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٢.

(٢٨٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٢.

(٢٨٤٧) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٢.

(٢٨٤٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٦٨):ص١٣٥/٢.

قال الأوزاعي: "بلغني أنه ما حملَتْ جباهُهم من الأرض"[٢٨٤٩].
قال أبو العالية: "يسجدون على التراب لا على الأثواب"[٢٨٥٠].
الثاني : أن ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة، يعرفون بها لما كان من سجودهم له في الدنيا. قاله الحسن[٢٨٥١]، وعطية العوفي[٢٨٥٢]، والزهري[٢٨٥٣]. وآخرون.
قال ابن عباس:" صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة"[٢٨٥٤].
قال الحسن:" بياضا في وجوههم يوم القيامة"[٢٨٥٥].
قال خالد الحنفي:" "يعرف ذلك يوم القيامة في وجوههم من أثر سجودهم في الدنيا، وهو كقوله: {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ}"[٢٨٥٦].
قال عطية:" مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضا"[٢٨٥٧].
قال شهر بن حوشب: "تكون مواضع السجود من وجوههم، كالقمر ليلة البدر"[٢٨٥٨].
الثالث: أن ذلك من أثر صلاة الليل، فإذا أصبحوا رؤي ذلك في وجوههم. روي نحوه عن الحسن[٢٨٥٩]، والسدي[٢٨٦٠]، وعطاء الخراساني[٢٨٦١].
قيل للحسن رحمه الله: "ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره نورا"[٢٨٦٢].
وقال السدي : "الصلاة تحسن وجوههم"[٢٨٦٣].
قال عطاء الخراساني: "دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمسة"[٢٨٦٤].
وقال بعضهم : "إن للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس"[٢٨٦٥].
وقال بعض السلف : "من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"[٢٨٦٦].
عن جابر قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "من كَثُرَتْ صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"[٢٨٦٧].
وقال أمير المؤمنين عثمان : "ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صَفَحَات وجهه، وفَلَتَات لسانه"[٢٨٦٨].

(٢٨٤٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٩/٤.
(٢٨٥٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩.
(٢٨٥١) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٢-٢٦٤.
(٢٨٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٢، والنكت والعيون: ٣٢٣/٥.
(٢٨٥٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩.
(٢٨٥٤) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٢.
(٢٨٥٥) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٢-٢٦٤.
(٢٨٥٦) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٢.
(٢٨٥٧) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٢.
(٢٨٥٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩.
(٢٨٥٩)مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، بو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزي: ٥٨.
(٢٨٦٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٦١/٧.
(٢٨٦١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٦/٩.
(٢٨٦٢)مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، بو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزي: ٥٨.
(٢٨٦٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٦١/٧.
(٢٨٦٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٦/٩.
(٢٨٦٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٦١/٧.
(٢٨٦٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٦١/٧.
(٢٨٦٧)سنن ابن ماجة برقم (١٣٣٣). قال ابن وكثير:٣٦١/٧:" الصحيح أنه موقوف".

وروي عن قتادة: "{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}، يقول: عَلَامَتُهُمُ الصَّلَاةُ أو أعلمتهم الصلاة"[٢٨٦٩]. وفي رواية:" نعتوا بالصلاة"[٢٨٧٠]، قال النحاس: أي: يعرفون بالصلاة"[٢٨٧١].

عن جُنْدَب بن سفيان البَجَلي قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"[٢٨٧٢].

الرابع : الخشوع والتواضع، قاله مجاهد[٢٨٧٣].

وروي عن مجاهد، في هذه الآية: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}، قال: السَّحْنة[٢٨٧٤]"[٢٨٧٥].

عن منصور، عن مجاهد :{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} قال : الخشوع. قلت : ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه، فقال : ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبا من فرعون"[٢٨٧٦].

وفي رواية:" عن مجاهد، في قوله :{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}، قال: هو الخشوع، فقلت: هو أثر السجود، فقال: إنه يكون بين عينيه مثل ركبة العنز وهو كما شاء الله"[٢٨٧٧].

الخامس : هو أن يسهر الليل فيصبح مصفراً ، قاله الحسن[٢٨٧٨]، والضحاك[٢٨٧٩].

قال عطية:" تهيج في الوجه من سهر الليل"[٢٨٨٠].

وقال سمرة بن عطية: هو البهج، والصفرة في الوجوه، وأثر السهرة"[٢٨٨١].

قال الحسن: "إذا رأيتهم حسبتهم مرضى، وما هم بمرضى"[٢٨٨٢].

وقال الضحاك: أما إنه ليس بالندب في الوجوه، ولكنه الصفرة"[٢٨٨٣].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كلّ الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوّعِه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرّة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود[٢٨٨٤].

قوله تعالى:{ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح : ٢٩]، أي:" هذه صفتهم في التوراة، وصفتهم في

(٢٨٦٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٦١/٧.
(٢٨٦٩) أخرجه الطبري: ٢٦٥/٢٢.
(٢٨٧٠) حكاه عنه النحاس في "معاني القرآن": ٥١٥/٦.
(٢٨٧١) معاني القرآن: ٥١٥/٦.
(٢٨٧٢)المعجم الكبير (١٧١/٢) قال ابن كثير: ٣٦٢/٧:" العرزمي متروك ". وفيه حامد بن آدم كذاب.
(٢٨٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٢.
(٢٨٧٤)السحنة -بفتح فسكون-: الهيئة واللون والحال، وبشرة الوجه والمنظر.
(٢٨٧٥) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٢.
(٢٨٧٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٦١/٧.
(٢٨٧٧) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٢.
(٢٨٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٢.
(٢٨٧٩)حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩، والماوردي في النكت والعيون: ٣٢٣/٥.
(٢٨٨٠) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٢.
(٢٨٨١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩.
(٢٨٨٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩.
(٢٨٨٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٥/٩.
(٢٨٨٤) تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٢.

الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار"[٢٨٨٥].

وفي قوله تعالى: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} [الفتح : ٢٩]، قولان:

أحدهما : أن مثلهم في التوراة بأن سيماهم في وجوههم. ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه. قاله الضحاك[٢٨٨٦]، وقتادة[٢٨٨٧].

عن الضحاك: "{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} ... إلى قوله: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ}، ثم قال: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}... الآية"[٢٨٨٨].

عن الضحاك، في قوله: "{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ)، يعني: السيما في الوجوه مثلهم في التوراة، وليس بمثلهم في الإنجيل، ثم قال عزّ وجلّ: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} ... الآية، هذا مثلهم في الإنجيل"[٢٨٨٩].

عن الضحاك في قول الله: "{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} ... الآية، قال: هذا مثلهم في التوراة، ومثل آخر في الإنجيل {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ}- الآية"[٢٨٩٠].

عن قتادة: "{ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ}، أي: هذا المثل في التوراة، {وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}، فهذا مثل أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في الإنجيل"[٢٨٩١].

الثاني : أن كلا الأمرين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل. وهذا قول مجاهد[٢٨٩٢].

والعرب قد تبدأ بالشيء ثم تجيء ما يكون قبله بعده، قال لبيد[٢٨٩٣]:

فوضعت رحلي والقراب ونمرقي ... ومكانهن الكور والنِّسعان[٢٨٩٤].

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة، غير مثلهم في الإنجيل، وإن الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله :{ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ}، وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل: ومثلهم في الإنجيل، وكزرع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}، حتى يكون ذلك خبرا عن أن ذلك مَثلهم في التوراة والإنجيل، وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: {كَزَرْعٍ} دليل بَيِّن على صحة ما قُلنا، وأن قولهم: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ} خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها[٢٨٩٥]، وإنما مثلهم بالزرع المشطئ، لأنهم ابتدءوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمي"[٢٨٩٦].

(٢٨٨٥) التفسير الميسر: ٥١٥.
(٢٨٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٦/٢٢.
(٢٨٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٦/٢٢.
(٢٨٨٨) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٢.
(٢٨٨٩) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٢.
(٢٨٩٠) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٢.
(٢٨٩١) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٢.
(٢٨٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٢، وتفسير مجاهد: ٦٠٩.
(٢٨٩٣) ديوانه: ٦٥/١.
(٢٨٩٤) مجاز القرآن: ٢١٨/٢.
(٢٨٩٥) تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٢.
(٢٨٩٦) تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٢.

عن خيثمة، قال: "بينا عبد الله يقرئ رجلا عند غروب الشمس، إذ مرّ بهذه الآية {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}، قال: أنتم الزرع، وقد دنا حصادكم"(٢٨٩٧).

عن حُمَيد الطويل، قال: "قرأ أنس بن مالك: {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ}، قال: تدرون ما شطأه؟ قال: نباته"(٢٨٩٨).

عن قتادة والزهريّ: "{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}، قالا: أخرج نباته"(٢٨٩٩)، {فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ}، يقول: فتلاحق"(٢٩٠٠).

عن مجاهد، قوله: "{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}، قال: ما يخرج بجنب الحقلة فيتمّ وينمي"(٢٩٠١)، "{فَآزَرَهُ}، قال: فشدّه وأعانه، قوله: {عَلَى سُوقِهِ}، قال: أصوله"(٢٩٠٢).

قال قتادة:" هذا مثل أصحاب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في الإنجيل، قيل لهم: إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، منهم قوم يأمرون بالمعروف، وينهوْن عن المنكر"(٢٩٠٣).

قال الضحاك:" يعني: أصحاب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون"(٢٩٠٤).

عن الضحاك: "{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ}، يقول: حبّ برّ نثر متفرّقا، فتنبت كلّ حبة واحدة، ثم أنبتت كل واحدة منها، حتى استغلظ فاستوى على سوقه; قال: يقول: كان أصحاب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قليلا ثم كثروا، ثم استغلظوا {لِيَغِيظَ} الله {بِهِمُ الْكُفَّارَ}"(٢٩٠٥).

روي عن الحسن:" في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ}: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}: عثمان بن عفان رضي الله عنه، {تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدا}: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً}: والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وأبو عبيدة الجراح، {سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}: قال: المبشرون عشرة أولهم أبو بكر، وآخرهم أبو عبيدة الجراح، {ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ}، قال: نعتهم في التوراة والإنجيل، {كمثل زرع}، قال: الزرع محمّد صلّى الله عليه وسلّم، {أَخْرَجَ شَطْأَهُ}: أبو بكر الصدّيق، {فَآزَرَهُ}: عمر بن الخطّاب، {فَاسْتَغْلَظَ}: عثمان بن عفّان، يعني: استغلظ بعثمان الإسلام، {فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ}: علي بن أبي طالب، يعني: استقام الإسلام بسيفه، {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ}، قال: المؤمنون، {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}، قال: قول عمر لأهل مكّة: لا نعبد الله سرّا بعد هذا اليوم"(٢٩٠٦).

قوله تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح : ٢٩]، أي:" وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلا لا ينقطع، وهو الجنة"(٢٩٠٧).

(٢٨٩٧) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٢.
(٢٨٩٨) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٢.
(٢٨٩٩) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٢.
(٢٩٠٠) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٢.
(٢٩٠١) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٢.
(٢٩٠٢) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٢.
(٢٩٠٣) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٢.
(٢٩٠٤) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٢.
(٢٩٠٥) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٢.
(٢٩٠٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٦/٩-٦٧.
(٢٩٠٧) التفسير الميسر: ٥١٥.

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[٢٩٠٨].

«آخر تفسير سورة (الفتح)، والحمد لله وحده»

(٢٩٠٨)صحيح مسلم برقم (٢٥٤٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الحجرات»

سورة «الحجرات»: هي السورة «التاسعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة بعد المائة» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة المجادلة»، وقبل «سورة التحريم»، وكان نزولها سنة تسع للهجرة[٢٩٠٩].

وآياتها ثمان عشرة، وكلماتها ثلاثمائة وثلاث وأربعون، وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون، مجموع فواصل آياتها: «من»[٢٩١٠].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنهما أنزلت في المدينة. قاله ابن عباس[٢٩١١]، وابن الزبير[٢٩١٢]، والحسن[٢٩١٣]، وقتادة[٢٩١٤]، وعكرمة[٢٩١٥].

الثاني: أنها مدنية إلا آية، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات : ١٣]. قاله ابن أبي مليكة[٢٩١٦]، مقاتل[٢٩١٧]، وهذا القول منسوب لابن عباس[٢٩١٨].

وقد يكون هذا الاستثناء استنبط من خلال القول بأن «ما كان في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاس}، فإنه مكي».

إذ روي عن ابن مسعود، قال: "ما كان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أنزل بالمدينة، وما كان: {يَا أَيُّهَا النَّاس}، فبمكة"[٢٩١٩].

وعن ابن مسعود قال: قرأنا المفصل ونحن بمكة حجيجا ليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}"[٢٩٢٠].

وعن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاس} و{يَا بَنِي آدَم}، فإنه مكي، وما كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه مدني"[٢٩٢١].

(٢٩٠٩) انظر: التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦.

(٢٩١٠) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٥.

(٢٩١١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٦/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٢٩١٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٢٩١٣) حكاه عنه الألوسي في روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٢٩١٤) حكاه عنه الألوسي في روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٢٩١٥) حكاه عنه الألوسي في روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٢٩١٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤١١، وهو مرسل، وعزاه في الدر (٦/ ٩٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٧٦٦١) م بدون إسناد.

(٢٩١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٧/٤.

(٢٩١٨)ذكره في مجمع البيان، نقلا عن روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٢٩١٩) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى البزار والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢٩٢٠) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه.

وعن عروة قال: "ما كان: {يَا أَيُّهَا النَّاس} بمكة وما كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} بالمدينة"[٢٩٢٢].

وعن علقمة قال: كل شيء في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاس} فهو مكي، وكل شيء في القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه مدني"[٢٩٢٣].

قال الألوسي:" والحق أن هذا ليس بمطرد. وذكر الخفاجي أنها في قول شاذ مكية"[٢٩٢٤].

قال ابن عاشور:" هي مدنية باتفاق أهل التأويل، أي: مما نزل بعد الهجرة، وحكى السيوطي في «الإتقان» قولا شاذا أنها مكية[٢٩٢٥]، ولا يعرف قائل هذا القول، وفي أسباب النزول للواحدي أن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات : ١٣]، الآية نزلت بمكة في يوم فتح مكة[٢٩٢٦]، ولم يثبت أن تلك الآية نزلت بمكة كما سيأتي. ولم يعدها في «الإتقان» في عداد السور المستثنى بعض آياتها"[٢٩٢٧].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع من أهل التأويل -رضي الله عنهم-"[٢٩٢٨].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة بإجماعهم"[٢٩٢٩].

قال ابن قتيبة:" مدنية كلها"[٢٩٣٠].

قال القرطبي:" مدنية بإجماع"[٢٩٣١].

(٢٩٢١) الدر المنثور: ٨٤/١. وعزاه إلى أبي عبيد.

(٢٩٢٢) الدر المنثور: ٨٤/١. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه.

(٢٩٢٣) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى أبي عبيد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر وأبي الشيخ بن حبان في التفسير.

(٢٩٢٤) التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٣.

(٢٩٢٥) قال السيوطي في الإتقان: ٤٩/١:« سورة الحجرات: حكي قول شاذ أنها مكية».

(٢٩٢٦) انظر: أسباب النزول: ٣٩٤.

(٢٩٢٧) التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦.

(٢٩٢٨) المحرر الوجيز: ١٤٤/٥.

(٢٩٢٩) زاد المسير: ١٤١/٤.

(٢٩٣٠) غريب القرآن: ٤١٥.

(٢٩٣١) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٦.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)} [الحجرات : ١]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تقضوا أمرًا دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا، وخافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالف أمر الله ورسوله، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك. وهذا قول عائشة-رضي الله عنها-[٢٩٣٢].

عن مسروق: "أنه دخل على عائشة -رضي الله عنها- في اليوم الذي يُشك فيه من رمضان؛ فقالت: يا جارية! خوّصي له سويقاً؛ فقال: إني صائم؛ فقالت: تقدمت الشهر؟ فقلت: لا, ولكني صمتُ شعبان كله فوافق ذلك هذا اليوم، فقالت: إن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)} [الحجرات : ١]"[٢٩٣٣]. [صحيح]

وعنها -أيضاً-رضي الله عنها-؛ قالت: "كان أناس يتقدمون بين يدي رمضان بصيام؛ يعني: يوماً أو يومين؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)} [الحجرات : ١]"[٢٩٣٤].

الثالث : -وهو قول قتادة-:" أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا، قال: فكره الله عزّ وجلّ ذلك، وقدم فيه"[٢٩٣٥].

وعن قتادة :" إن أناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا"[٢٩٣٦].

الرابع : -وهو قول الحسن- أنه:" ذبح رجل قبل الصلاة؛ فنزلت"[٢٩٣٧].

وقال الحسن:" "هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأمرهم النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يعيدوا الذبح"[٢٩٣٨].

(٢٩٣٢) انظر: "المعجم الأوسط" للطبراني(٣/ ١٣٤ رقم ٢٧١٣).

(٢٩٣٣)أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٣/ ١٣٤ رقم ٢٧١٣): ثنا إبراهيم بن أحمد الوكيعي؛ قال: نا أبي؛ قال: نا أبو أسامة، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن يحيى بن الحارث التيمي عن حبال بن رفيدة عن مسروق به.

قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن أبي كدينة إلا أبو أسامة".

وأخرجه الواحدي في "الوسيط" (٤/ ١٥٠) من طريق أخرى عن التيمي.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: حبال بن رفيدة؛ مجهول؛ قال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (١/ ٤٤٨): "لا يعرف".

وبه أعله الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/ ١٤٨).

الثانية: التيمي هذا لم نجد له ترجمة.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧) وزاد نسبته لابن مردويه.

وأخرجه الدارقطني في "المؤتلف والمختلف" (٢/ ٥٩٧) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن مالك بن أبي حمزة عن مسروق بنحوه.

قلنا: وإسناده صحيح؛ ورجاله ثقات، ومالك بن أبي حمزة وثقه ابن معين وابن حبان والحافظ ابن حجر، وقال الزيلعي في "تخريج الكشاف" (٣/ ٣٢٥): "ولم يذكره -يعني: الدارقطني- بجرح ولا تعديل".

قلنا: هذا لا يضره؛ كونه وثقه غيره على ما هو مفصل في "تهذيب التهذيب" (١٢/ ١٦٩، ١٧٠)؛ فلا وجه لتضعيفه كما فعل الزيلعي.

وبالجملة؛ فالحديث بمجموع ما تقدم ثابت لا ريب.

(٢٩٣٤) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧) ونسبه لابن النجار.

(٢٩٣٥) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.

(٢٩٣٦) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.

(٢٩٣٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في "الأضاحي"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧)، و"لباب النقول" (ص ١٩٥).

الخامس: أنها نزلت في سبب كلام دار بين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- عندما قدم وفد بني تميم. وهذا قول عبدالله بن الزبير[٢٩٣٩]. وبه قال النحاس، وقال: هذا القول" من أصحها سندا وأبينهما"[٢٩٤٠].

روي عن ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير، أخبرهم: "أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم»، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا} [الحجرات: ١] ، حتى انقضت»[٢٩٤١].[صحيح]

وفي رواية:" فنزل في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات : ١]، إلى قوله سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم} [الحجرات : ٥]"[٢٩٤٢].

السادس : أنها نزلت في قصة بئر معونة[٢٩٤٣]، قال الكلبي[٢٩٤٤]، والسدي،[٢٩٤٥]، والمقاتلان[٢٩٤٦]، وعطاء الخراساني[٢٩٤٧].

قال الكلبي:" نزلت في عمرو بن أميّة الضّمْري، وكان قد قتل رجُلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم"[٢٩٤٨].

وفي رواية باذان عن ابن عباس أنها نزلت:" في الثلاثة الذين نجّوا الرجلين السّلميين، اللذين اعتزما إلى بني عامر وأخذهم مالهما وكانا من أهل العهد، فلمّا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقد سبق الخبر إليه، فقال: «بئس ما صنعتم، هما من أهل ميثاقي وهذا الذي معكم من نسوتي»، قالا: يا رسول الله إنّهما زعما أنّهما من بني عامر، فقلنا: رجلان ممّن قتل إخواننا. فقلنا: هما لذلك. وأتاه السّلميون، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا قود لهما لأنّهما اعتزما إلى عدوّنا». ولكنّه أيدهما، فوادّهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنزل الله سبحانه في ذلك: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حين قتلوا الرجلين"[٢٩٤٩].

(٢٩٣٨) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢، وعبد الرزاق في "تفسيره"(٢٩٢٢):ص٢١٩/٣، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.
وأخرج ابن أبي الدنيا في "الأضاحي"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧).

(٢٩٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٢.

(٢٩٤٠) إعراب القرآن: ١٣٨/٤.

(٢٩٤١) أخرجه البخاري في المغازي (٤٣٦٧) وفي التفسير (٤٨٤٥، ٤٨٤٧) وفي الاعتصام (٧٣٠٢) والترمذي في التفسير (٣٢٦٦) وقال: حسن غريب، وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣٤) وأخرجه في المجتبى في كتاب آداب القضاة (٨/ ٢٢٦)، وأخرجه النسائي (جامع الأصول: ٣٦٠/٢)، والطبري في التفسير: ٢٨٠/٢٢. وفيه «ونزل القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}[الحجرات: ١] ... إلى قوله {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[الحجرات: ٣]»

(٢٩٤٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول(٧٥٢):ص٤٠١.

(٢٩٤٣)بئر معونة: قال ابن إسحاق: (بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، وقال: كلا البلدين منها قريب إلا أنها إلى حرة بني سليم أقرب، وقيل: بئر معونة بين جبال يقال لها: أُبْلَى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة وهي لبني سليم)، وقال الواقدي: (بئر معونة في أرض بني سليم وأرض بني كلاب، وعندها كانت قصة الرجيع) والله أعلم، انظر: "معجم البلدان" ١/ ٣٠٢.

(٢٩٤٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠.

(٢٩٤٥) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠. بدون إسناد.

(٢٩٤٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧/٤-٨٩، أخرجه البيهقي في الشعب ٢/ ١٩٦ عن مقاتل بن حيان. وينظر: تخريج الأحاديث والآثار ٣/ ٣٢- وحكاه الواحدي عن مقاتل بن حيان، انظر: التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠.

(٢٩٤٧) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٧٠/٩، والواحدي في التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠. بدون إسناد.

(٢٩٤٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٤٢/٤.

(٢٩٤٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٧٠/٩-٧١.، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٤٠/٢٠-٣٤١.

وقال مقاتل:" نزلت في ثلاثة نفر وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى ناحية أرض تهامة، وكانوا سبعة وعشرين رجلا منهم عروة بن أسماء السلمي، والحكم بن كيسان المخزومي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وبشير الأنصاري، واستعمل عليهم المنذر ابن عمرو الأنصاري من النقباء وكتب صحيفة ودفعها إلى حرام بن ملحان ليقرأها على العدو، فكان طريقهم على بني سليم وبينهم وبَيْنَ النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- موادعة، ودس المنافقون إلى بني عامر بن صعصعة، وهم حرب على المسلمين إن أصحاب محمد مغرورون يختلفون من بين ثلاثة وأربعة فأرصدوهم وهم على بئر معونة، وهو ماء لبني عامر فسار القوم ليلا، وأضل أربعة منهم بعيرا لهم منهم بشير الأنصاري، فأقاموا حتى أصبحوا، وسار المسلمون حتى أتوا على بني عامر وهم حول الماء وعليهم عامر بن الطفيل العامري، فدعاهم المنذر ابن عمرو إلى الإسلام وقرأ عليهم حرام الصحيفة، فأبوا فاقتتلوا قتالا شديدا فلما عرفوا أنهم مقتولون، قالوا: اللهم، إنك تعلم أن رسولك أرسلنا، وإنا لا نجد من يبلغ عنا رسولك غيرك، فأقرءه منا السلام فقد رضينا بحسن قضائك لنا. وحمل عامر ابن الطفيل على حرام فطعنه فقتله، وقتل بقيتهم غير المنذر بن عمرو، فإنه كان دارعا مقنعا وعروة بن أسماء السلمي، فقتل المنذر بعد ذلك فقالوا لعروة: لو شئنا لقتلناك، فأنت آمن فإن شئت فارجع إلينا، وإن شئت فاذهب إلى غيرنا، فأنت آمن. قال عروة: إني عاهدت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ألا أضع يدي في يد مشرك ولا أتخذه وليا. وجعل يحمل عليهم، ويضربونه بعرض رماحهم ويناشدونه، ويأبى عليهم فرموه بالنبل حتى قتلوه، وأتى جبريل النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بحالهم، فنعاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وقال: أرسل إخوانكم يقرءونكم السلام فاستغفروا لهم. ووجد الأربعة بعيرهم حين أصبحوا، فساروا فلما دنوا من ماء بني عامر لقيتهم وليدة لبني عامر فقالت: أمن أصحاب محمد أنتم؟ فقالوا: نعم، رجاء أن تسلم، فقالت: إن إخوانكم قد قتلوا حول الماء، النجاء النجاء. ألا ترون إلى النسور والعقبان قد تعلقن بلحومهم. فقال بشير الأنصاري: دونكم بعيركم أنظر لكم. فسار نحوهم فرأى إخوانهم مقتلين كأمثال البدن حول الماء فرجع إلى أصحابه فأخبرهم وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فنخبره الخبر. فقال بشير: لكني لا أرجع والله، حتى أتغدى من غداء القوم. فاقرءوا على النبي- صلى الله عليه وسلم- مني السلام ورحمة الله، ثم أتاهم فحمل عليهم، فناشدوه أن ارجع فأبى وحمل عليهم، فقتل منهم ثم قُتِلَ بعد، فرجع الثلاثة يسلون بعيرهم سلا[٢٩٥٠]. فأتوا المدينة عند جنوح الليل، فلقوا رجلين من بني سليم جائين من عند رسول الله- صلّى الله عليه وسلم- فقالوا: من أنتما؟ قالا: من بني عامر. لأنهم كانوا قريبا من بني عامر بالمدينة ولا يشعران بصنيع بنى عامر. فقالوا: هذان من الذين قاتلوا إخواننا، فقتلوهما وسلبوهما، ثم دخلوا عَلَى النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليخبروه فوجدوا الخبر قد سبق إليه، ثم قالوا: يا نبي الله، غشينا المدينة عند المساء فلقينا رجلين من بني عامر فقتلناهما، وهذا سلبهما. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: بل هما من بني سليم من حلفائي بئسما صنعتما، هذان رجلان من بني سليم كانا جاءا في أمر الموادعة. فنزلت فيهم: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، يقول: لا تعجلوا بقتل أحد، ولا بأمر حتى تستأمروا النبي- صلى الله عليه وسلم- فوعظهم في ذلك، وأقبل قوم السلميين، فقالوا للنبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إن صاحبينا قتلا عندك. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إن صاحبيكم اعتزيا إلى عدونا فقتلا جميعا، وأخبرهم الخبر ولكنا سنعقل عن صاحبيكم لكل واحد منهما مائة من الإبل فجعل دية المشرك المعاهد كدية الحر المسلم"[٢٩٥١].

(٢٩٥٠)المعنى: يسيرون فى خفية خوف العدو قال- تعالى-: { ... قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً ... } سورة النور: ٦٣، أى يخرجون خفية خشية أن يراهم النبي.

(٢٩٥١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٨٧-٨٩.

قال ابن عاشور:" على هذه الرواية تكون القصة جرت قبيل قصة بني تميم، فقرنت آيتاهما في النزول، وهنالك روايات أخرى في سبب نزولها لا تناسب موقع الآية مع الآيات المتصلة بها. وأيا ما كان سبب نزولها فهي عامة في النهي عن جميع أحوال التقدم المراد"[٢٩٥٢].

قال عبدالقاهر الجرجاني:" وإنّما اختلفوا في سبب نزول الآية لعمومها، واشتمالها على هذه المعاني كلّها، وتلاوة رسول الله عليه السّلام إيّاها عند كلّ حادثة في هذه الحوادث، فمن سمعها عند حادثة ظنّ أنّها نزلت فيها خاصّة، وقد جمع مجاهد هذه الأقوال وقال: «{لا تقدّموا بين يدي الله}، أي: لا تفتاتوا على رسول الله بشيء حتى يقضيه الله على لسانه»"[٢٩٥٣]"[٢٩٥٤].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الحجرات : ١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٩٥٥].

قال الأعمش عن خيثمة:" ما تقرؤون من القرآن {يا أيها الذين آمنوا}، فإن في التوراة "يا أيها المساكين"[٢٩٥٦].

قوله تعالى:{لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات : ١]، أي:" لا تقضوا أمرًا دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا"[٢٩٥٧].

وقد تعددت عبارات المفسرين في تفسير قوله تعالى: {لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات : ١]، على وجوه:

أحدها: أن هذه الآية نزلت ردا على أناس من المسلمين كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، وصنع في كذا وكذا، فكره الله ذلك. قاله قتادة[٢٩٥٨].

الثاني: يعني: في القتال وشرائع الدين، يقول: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله. روي عن الضحاك نحوه[٢٩٥٩].

قال الضحاك:" يعني: بذلك في القتال، وكان من أمورهم لا يصلح أن يقضى إلا بأمره ما كان من شرائع دينهم"[٢٩٦٠].

الثالث: أنه في الذبح يوم الأضحى، قاله الحسن[٢٩٦١].

الرابع: لا تستبقوا رسول الله بقول، ولا فعل حتّى يكون هو الذي يأمركم. قاله الكلبي[٢٩٦٢]، والسدّي[٢٩٦٣].

الخامس : لا تدعوا قبل الإمام, حكاه ابن كثير عن الحسن[٢٩٦٤].

السادس: معناه: لا تفتاتوا[٢٩٦٥] على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. قاله مجاهد"[٢٩٦٦].

(٢٩٥٢) التحرير والتنوير: ٢١٧/٢٦.
(٢٩٥٣) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.
(٢٩٥٤) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ٥٨٢/٢.
(٢٩٥٥) التفسير الميسر: ٥١٠.
(٢٩٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٩٠):ص٧١٨/٣.
(٢٩٥٧) التفسير الميسر: ٥١٥.
(٢٩٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٢.
(٢٩٥٩) رواه عنه الطبري في التفسير: ٢٧٦/٢٢.
(٢٩٦٠) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.
(٢٩٦١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/ ٢٧٦، ونسبه إليه الماوردي في النكت والعيون: ٥/ ٣٢٥, وابن الجوزي في زاد المسير: ٧/ ٤٥٤، والقرطبي في التفسير: ١٦/ ٣٠١.
(٢٩٦٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٧٠/٩.
(٢٩٦٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٧٠/٩.
(٢٩٦٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٥/٧.
(٢٩٦٥)لا تفتاتوا: أي: لا تبتدعوا الكلام وتفتوا برأيكم.

وهذه عبارات المفسرين ومعناها واحد[٢٩٦٧]، ومعنى الآية على جميع الأقوال: لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو يفعل"[٢٩٦٨]، وهذه الأقوال ليست بمتناقضة بل بعضها يشد بعضا، لأن هذه الأشياء إذا كانت ونزلت الآية تأولها القوم على ظاهرها في كراهة تقديم القول بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أن يتشاوروا، وتأولها قوم على منع الذبح قبل الإمام، ودل على هذا أن فعل الطاعات قبل وقتها لا يجوز تقديم الصلاة ولا الزكاة[٢٩٦٩].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحجرات : ١]، أي:" وخافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالف أمر الله ورسوله"[٢٩٧٠].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٢٩٧١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات : ١]، أي:" إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم"[٢٩٧٢].

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٢٩٧٣].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)} [الحجرات : ٢]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له، ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميِّزوه في خطابه كما تميَّز عن غيره في اصطفائه لحمل رسالة ربه، ووجوب الإيمان به، ومحبته وطاعته والاقتداء به؛ خشية أن تبطل أعمالكم، وأنتم لا تشعرون، ولا تُحِسُّون بذلك.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: عن أنس بن مالك، أنه قال:" لما نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ٢]، إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس[٢٩٧٤] في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو من أهل الجنة»"[٢٩٧٥].

(٢٩٦٦) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.

(٢٩٦٧) التفسير البسيط: ٣٤٢/٢٠.

(٢٩٦٨) زاد المسير: ١٤٢/٤-١٤٣.

(٢٩٦٩) إعراب القرآن: ١٣٨/٤.

(٢٩٧٠) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٩٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

(٢٩٧٢) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٩٧٣) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(٢٩٧٤).

(٢٩٧٥)أخرجه مسلم في الإيمان ١٨٧ - (١١٩): ص ١١٠/١، وأخرجه البخاري في المناقب (٣٦١٣) وفي التفسير (٤٨٤٦) من طريق موسى بن أنس عنه به، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول(٧٥٣):ص ٤٠٢، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٨٤) لأحمد وأبي يعلى والبغوي في معجم الصحابة وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

روي عن عطاء الخراساني؛ قال: "قدمت المدينة، فلقيت رجلاً من الأنصار، قلت: حدثني حديث ثابت بن قيس بن شماس؛ قال: قم معي، فانطلقت معه حتى دخلت على امرأة، فقال الرجل: هذه ابنة ثابت بن قيس بن شماس فاسألها عما بدا لك، فقلت: حدثيني، قالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل الله على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} الآية؛ دخل بيته، وأغلق عليه بابه، وطفق يبكي، ففقده رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: "ما شأن ثابت؟ "، فقالوا: يا رسول الله! ما ندري ما شأنه؛ غير أنه قد أغلق عليه باب بيته فهو يبكي فيه، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله: "ما شأنك؟ "، قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك هذه الآية، وأنا شديد الصوت؛ فأخاف أن أكون قد حبط عملي، فقال: "لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير"، قالت: ثم أنزل الله على نبيه: {إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان:١٨]؛ فأغلق عليه بابه، وطفق يبكي فيه، فافتقده رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال: "ثابت ما شأنه؟ "، قالوا: يا رسول الله! والله ما ندري ما شأنه؛ غير أنه قد أغلق عليه بابه وطفق يبكي، فأرسل إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "ما شأنك؟ "، قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك: {إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} والله إني لأحب الجمال وأحب أن أسود قومي، قال: "لست منهم، بل تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، ويدخلك الله الجنة بسلام"، قالت: فلما كان يوم اليمامة؛ خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب، فلما لقي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد انكشفوا؛ فقال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم حفر كل منهما لنفسه حفرة، وحمل عليهم القوم، فثبتا حتى قتلا، وكانت على ثابت يومئذ درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم؛ إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه، فقال له: إني أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه: إني لما قتلت أمس؛ مر بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي ومنزله في أقصى العسكر، وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد أكفأ على الدرع برمة وجعل فوق البرمة رحلاً، فائت خالد بن الوليد؛ فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت على خليفة رسول الله؛ فأخبره أن عليّ من الدين كذا وكذا, ولي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فإياك أن تقول هذا حلم؛ فتضيعه، فأتى الرجل خالد بن الوليد فأخبره، فبعث إلى الدرع فنظر إلى خباء في أقصى العسكر؛ فإذا عنده فرس يستن في طوله فنظر في الخباء؛ فإذا ليس فيه أحد، فدفعوا الرجل؛ فإذا تحته برمة، ثم رفعوا البرمة؛ فإذا الدرع تحتها، فأتوا به خالد بن الوليد، فلما قدموا المدينة؛ حدث الرجل أبا بكر برؤياه؛ فأجاز وصيته بعد موته، ولا يعلم أحد من المسلمين جوزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس"[٢٩٧٦]. [ضعيف]

الثاني: عن ابن أبي مليكة، قال: " كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني

(٢٩٧٦)أخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١/ ٢٤١ رقم ٣١٤، ٣/ ٤٦١ - ٤٦٣ رقم ١٩٢١، ٦/ ١٧٠، ١٧١ رقم ٣٣٩٩)، وفي "الجهاد" (٢/ ٥٦٠ - ٥٦٢ رقم ٢٢٥)، وابن المنذر؛ كما في "فتح الباري" (٦/ ٦٢١)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢/ ٧٠، ٧١ رقم ١٣٢٠)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٦/ ٤١٥، ٤١٦)، والروياني في "مسنده" (٢/ ١٧٤، ١٧٥ رقم ١٠٠٢)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٦/ ٣٥٩٠ رقم ٨٠٩١)، والبغوي في "معجم الصحابة" (ق ٥٦ - ق ٥٧)، والتيمي في "دلائل النبوة" (رقم ٣٠٩ - ط الحداد)، وأبو يعلى في "المسند"؛ كما في "المطالب العالية" (٩/ ٣٨، ٣٩ رقم ٤١٠٨ - المسندة)، والحاكم (٣/ ٢٣٥)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦/ ٣٥٦)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (١/ ١٩٤ - هامش الإصابة) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني. قلنا: وسنده ضعيف؛ عطاء الخراساني؛ صدوق يهم كثيراً، ويرسل ويدلس؛ كما في "التقريب".

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٣٢٢): "وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية؛ فإنها قالت سمعت أبي". اهـ.

قلنا: قد نص الحافظ على أن عطاء لم يسمع من أحد من الصحابة؛ فإما أن تكون هذه المرأة تابعية وعليه؛ فهي مجهولة، وإما صحابية ويكون هنالك وهم أو تخليط من عطاء نفسه؛ فإن الحفاظ نصوا على أنه لم يدرك أيّ صحابي -والله أعلم-.

وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٠) وزاد نسبته لابن مردويه والخطيب في "المتفق والمفترق".

مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ} [الحجرات: ٢]، " الآية قال ابن الزبير: «فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر»[٢٩٧٧].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات : ٢]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له"[٢٩٧٨].

قال الحسن:" يقول: لا تقولوا: يا محمد، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله"[٢٩٧٩].

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله:{لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}، ... الآية، هو كقوله: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور : ٦٣]، نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة"[٢٩٨٠].

قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات : ٢]، أي:" ، ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض"[٢٩٨١].

قال مجاهد:" قال لا تنادوه نداء، ولكن قولا لينا يا رسول الله"[٢٩٨٢].

قال قتادة:" كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فوعظهم الله، ونهاهم عن ذلك"[٢٩٨٣].

وفي رواية:" يرفعون، ويجهرون عند النبي صلى الله عليه وسلم، فوعظوا، ونهوا عن ذلك"[٢٩٨٤].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)} [الحجرات : ٣]

التفسير:

إن الذين يَخْفِضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل، وهو الجنة.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-.

قال عطاء عن ابن عباس: "لما نزل قوله تعالى: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم} [الحجرات : ٢]، تألى أبو بكر أن لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر: : {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه} [الحجرات : ٣]"[٢٩٨٥].[ضعيف]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: " لما نزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه} [الحجرات : ٣]، صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل هذا"[٢٩٨٦].

(٢٩٧٧)أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٤٥)، والواحدي في أسباب النزول(٧٥٤):ص٤٠٢، وزاد نسبته في الدر (٦/ ٨٤) للطبراني وابن المنذر.

(٢٩٧٨) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٩٧٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦٠ -.

(٢٩٨٠) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٢.

(٢٩٨١) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٩٨٢) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٢.

(٢٩٨٣) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٢.

(٢٩٨٤) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٢.

(٢٩٨٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول(٧٥٥):ص٤٠٣. بدون إسناد.

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: "لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} [الحجرات : ٣] قال أبو بكر رضي الله عنه: «فآليت على نفسي، أن لا أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار»[٢٩٨٧].

الثاني: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن الشماس.

عن محمد بن قيس بن شماس؛ قال: "لما نزلت هذه الآية: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ}؛ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمرّ به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟! قال: هذه الآية أتخوّف أن تكون نزلت فيّ وأنا صيّت رفيع الصوت، قال: فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار، حتى إذا خرج عطفه؛ قال: لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -, قال: وأتى عاصم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره خبره، فقال: "اذهب فادعه لي"؛ فجاء عاصم إلى المكان فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجا؛ فأتيا نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما يبكيك يا ثابت؟! "، فقال: أنا صيّت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ}، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ "؛ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله؛ فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى}"[٢٩٨٨].

[ضعيف].

(٢٩٨٦) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٧٢٠):ص٥٠٢١/٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(٢٩٨٧) أخرجه الحاكم في المستدرك(٤٤٤٩):ص٧٨/٣، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: حصين واه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٨) وقال: رواه البزار وفيه حصين بن عمر الأحمسي، وهو متروك، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٧٥٦):ص٤٠٣، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٨٤) لابن عدي وابن مردويه.

وفي سنده: يحيى بن عبد الحميد الحماني: متهم بسرقة الحديث.

(٢٩٨٨)(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٥)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "فتح الباري" (٦/ ٦٢٠) من طريق زيد بن الحباب ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه به.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢/ ٨٦ رقم ١٣١٦) من طريق زيد بن الحباب ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس ثني أبي ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه به.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٣٢١): "وأبو ثابت بن قيس بن شماس لم أعرفه، ولكنه قال: ثني أبي ثابت بن قيس، فالظاهر أنه صحابي؛ لكن زيد بن الحباب لم يسمع من أحد من الصحابة".

قلنا: في الطريق الأولى إسماعيل هذا؛ مجهول؛ لم يوثقه إلا ابن حبان، وروى عنه الزهريّ، وأبو ثابت هذا؛ مجهول، وانظر: "تعجيل المنفعة" (ص ٣٦ - ٣٧).

وبالجملة؛ فالإسناد ضعيف.

وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦/ ٣٥٥ بسند صحيح عن الزهري قال: أخبرني إسماعيل بن محمد بن ثابت، عن أبيه: أن ثابت بن قيس قال: يا رسول الله! لقد خشيت أن أكون قد هلكت، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "ولِمَ؟ "، قال: نهانا الله أن نحب أن نحمد بما لم نفعل وأجدني أحب الحمد، ونهانا عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال، ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهر الصوت؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا ثابت! ألا ترضى أن تعيش حميداً؛ وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ "، قال: بلى يا رسول الله! قال: فعاش حميداً، وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه إسماعيل؛ مجهول كما تقدم.

أما الحاكم؛ فقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قال مقاتل:" فلما كان على عهد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- غزا ثابت إلى اليمامة فرأى المسلمين قد انهزموا. فقال لهم: أف لكم، ولما تصنعون، اللهم إني أعتذر إليك من صنيع هؤلاء. ثم نظر إلى المشركين فقال: أُفٍّ لَكُمْ، وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء، ثم قاتلهم حتى قتل- رحمة الله عليه"(٢٩٨٩).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} [الحجرات : ٣]، أي:" إن الذين يَخْفِضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه"(٢٩٩٠).

عن مجاهد، قوله: "{امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى}، يقول: أخلص الله قلوبهم"(٢٩٩١).

قال قتادة:" أخلص الله قلوبهم فيما أحب"(٢٩٩٢).

قال مجاهد :" كتب إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل لها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها: {أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}"(٢٩٩٣).

عن أبي الدرداء قال: "لا تزال نفس أحدكم شابة من حب الشيء ولو التقت ترقوتاه من الكبر إلا الذين امتحن الله قلوبهم وقليل ما هم"(٢٩٩٤).

قوله تعالى:{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات : ٣]، أي:" لهم من الله مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل، وهو الجنة"(٢٩٩٥).

عن قتادة: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ}:" مغفرة لذنوبهم"(٢٩٩٦).

عن قتادة:" {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً} لذنوبهم، {وَأَجْرًا عَظِيمًا} في الجنة"(٢٩٩٧).

قلنا: ولم يخرجا لإسماعيل ولا لأبيه.

وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" (رقم ٢٧٧٠ - موارد)، وابن سعد، والدارقطني في "غرائب مالك"؛ كما في "الفتح" (٦/ ٦٢١)، والطبراني في "الكبير" (رقم ١٣١٢، ١٣١٤، ١٣١٥)، وأبو نعيم "في دلائل النبوة" (ص ٥٢٠)، و"معرفة "الصحابة" (٣/ ٢٢١ رقم ١٣٠١)، والروياني في "المسند" (٢/ ١٧٣ رقم ١٠٠١)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (١/ ١٩٣ - هامش الإصابة) من طرق عن الزهري عن إسماعيل بن محمد بن ثابت: أن ثابت بن قيس الأنصاري؛ قال: يا رسول الله! لقد خشيت أن أكون هلكت، قال: "لِمَ؟ "، قال: قد نهانا الله أن نحمد بما لم نفعل وأجدني صاحب الحمد، ونهانا الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال، ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا ثابت! ألا ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ "، قال: بلى يا رسول الله! قال: فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب.

قلنا: وهذا سند ضعيف -أيضاً-؛ فيه علة أخرى مع جهالة إسماعيل، وهي أنه لم يدرك جده؛ فهو على هذا مرسل.

ولذلك قال البخاري في "التاريخ الكبير" (١/ ٣٧١): "روى عنه الزهري؛ مرسل".اهـ.

وقال الحافظ: "وهذا مرسل قوي الإسناد"، وقال -أيضاً-: "وهو مع ذلك مرسل؛ لأن إسماعيل لم يلحق ثابتاً".

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (رقم ٢٠٤٢٥)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦/ ٣٥٥) عن معمر عن الزهري: أن ثابت بن قيس (فذكره).

قلنا: وهذا معضل.

(٢٩٨٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩١/٤.

(٢٩٩٠) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٩٩١) تفسير مجاهد: ٦١٠، واخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٢. ولفظه«أخلص».

(٢٩٩٢) اخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٢.

(٢٩٩٣)ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٥٢/٧) وعزاه لأحمد في الزهد، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٨/٧.

(٢٩٩٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور(٧:٥٥٢)، وعزاه إلى ابن المبارك في الزهد.

(٢٩٩٥) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٢٩٩٦) أخرجه الطبري: ١٥٤/١٩.

(٢٩٩٧) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)} [الحجرات : ٤]

التفسير:

إن الذين ينادونك -أيها النبي- من وراء حجراتك بصوت مرتفع، أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وتوقيره.

اختلف في سبب نزول الآية، على أقوال:

أحدها: روى عن زيد بن أرقم، قال: " جاء أناس من العرب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل؛ فإن يكن نبياً؛ فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً؛ نعش في جناحه، قال: فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بذلك، قال: ثم جاؤوا إلى حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعلوا ينادونه: يا محمد! فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}، قال: فأخذ نبي الله بأذني فمدّها؛ فجعل يقول: "قد صدق الله قولك يا زيد! قد صدق الله قولك يا زيد! "[٢٩٩٨]. [ضعيف]

الثاني: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث سريَّة إلى بني العنبر، وأمَّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما عَلِموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذَّراري، فقَدِموا وقت الظهيرة ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قائل، فجعلوا ينادون: يا محمد اخْرُج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[٢٩٩٩].

الثالث: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس: "أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد! اخرج إلينا، فلم يجبه؛ فقال: يا محمد! إن حمدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال: «ذاك الله»؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}"[٣٠٠٠]. [صحيح]

(٢٩٩٨)أخرجه مسدد بن مسرهد وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى في "مسانيدهم"؛ كما في "المطالب العالية" (٩/ ٣٩، ٤٠ رقم ٤١٠٩، ٤١١٠)، و"إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ١٦٠، ١٦١ رقم ٧٨٢٣)، والطبري في التفسير(٢٢/٢٨٤)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٥/ ٢١٠، ٢١١ رقم ٥١٢٣)، والواحدي في أسباب النزول" (ص ٢٥٨ - ٢٥٩)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٢٣) عن المعتمر بن سليمان عن داود الطفاوي عن أبي مسلم البجلي عن زيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: أبو مسلم البجلي؛ مجهول لم يرو عنه إلا الطفاوي، ولم يوثقه إلا ابن حبان؛ ولذلك قال الذهبي في "ميزان الاعتدال": "لا يعرف"، وفي "التقريب": "مقبول".

الثانية: داود الطفاوي؛ ليّن الحديث؛ كما في "التقريب".

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٨): "وفيه داود بن راشد الطفاوي وثّقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات!! ".

وقال البوصيري: "رواته ثقات!! ".

وقال السيوطي في "لباب النقول" (ص ١٩٥)، و"الدر المنثور" (٧/ ٥٥٢): "بسند حسن!! ".

(٢٩٩٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٤٥/٤، غريب: لم أقف عليه بهذا السياق. وهذا الخبر قد ورد في السّير. فقد أخرجه الواقدي في «المغازي» ص ٩٧٣- ٩٧٩ عن سعيد بن عمرو، والزهري مطولا. والواقدي متروك. وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٣١٣- ٣١٥ و «سيرة ابن هشام» ٤/ ٢٠٣ و «سيرة ابن كثير» ٤/ ٧٩- ٨٥.

(٣٠٠٠)أخرجه أحمد في "المسند" (٣/ ٤٨٨، ٦/ ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٤)، والطبري في "التفسير" (٢٢/٢٨٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١/ رقم ٨٧٨) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/ ٣٢١ رقم ١٥٠٠) -، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢/ ٣٨٨ رقم ١١٧٨)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢/ ٤٠٧ رقم ١٠٣٣)، وابن قانع في "معجم "الصحابة" (١/ ٦٨)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٢) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/ ٣٢٢ رقم ١٥٠١) -، وابن الأثير في "أسد الغابة" (١/ ١٣٠)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/ ٣٢٢، ٣٢٣ رقم ١٥٠٣) وغيرهم من طرق عن موسى بن عقبة عن أبي سلمة به.

عن قتادة:" أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم , فناداه من وراء الحجرة فقال: يا محمد , إن مدحي زين وإن شتمي شين , فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويلك ذاك الله ويلك ذاك الله» , فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}"[٣٠٠١].

عن حبيب بن أبي عمرة؛ قال: "كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان، يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد: نزلت في قومك بني تميم: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}؛ فذكرت ذلك لسعيد بن جبير؛ فقال: أما إنه لو علم بآخر الآية؛ أجابه: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا}، قالوا: أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد"[٣٠٠٢]. [ضعيف جداً]

قلنا: وسنده صحيح، وصرح أبو سلمة بسماعه من الأقرع عند الطبري.
قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٨): "واحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع، وإلا؛ فهو مرسل".
وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٢) بعد أن زاد نسبته للبغوي في "المعجم": "بسند صحيح".
وكذا قال في "لباب النقول" (ص ١٩٦).
وله شاهد من حديث البراء بن عازب بنحوه: عند الترمذي (رقم ٣٢٦٧)، والنسائي في "تفسيره" (٢/ ٣١٩ رقم ٥٣٥)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٧) من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء به.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لأن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن، ثم هو مع ذلك مختلط، ولم يذكروا أن الحسين بن واقد سمع منه قبل الاختلاط.
وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".
وصححه شيخنا الألباني في "صحيح الترمذي" (رقم ٢٦٠٥).
وله شاهد آخر من مرسل قتادة في قوله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}: أن رجلاً جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فناداه من وراء الحجرات؛ فقال: يا محمد! إن مدحي زين وإن شتمي شين، فخرج إليه النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: "ويلك ذاك الله، ويلك ذاك الله"؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}.
أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٣١)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٧) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد.
وله شاهد ثالث من مرسل الحسن؛ قال: أتى أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من وراء حجرته، فقال: يا محمد! يا محمد! فخرج إليه النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "ما لك ما لك؟! "، فقال: تعلم أن مدحي لزين وأن ذمي لشين؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ذاكم الله"؛ فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}.
أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٧، ٧٨): ثنا ابن حميد؛ قال: ثنا مهران عن المبارك بن فضالة عن الحسن به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن حميد؛ ضعيف الحديث واتهمه الإمام أحمد وغيره بالكذب.
الثالثة: المبارك بن فضالة؛ مدلس وقد عنعن.
الرابعة: مهران وابن أبي عمر العطار؛ صدوق له أوهام سيئ الحفظ.
(٣٠٠١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٢٨):ص٣/٢٢٠.
(٣٠٠٢)أخرجه الطبري في "التفسير" (٢٢/٢٨٥): ثنا ابن حميد قال: ثنا مهران عن سفيان عن حبيب به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: مهران؛ سيئ الحفظ.
الثالثة: ابن حميد؛ متروك الحديث، متهم بالكذب.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٣) وزاد نسبته لابن المنذر.

وعن سعيد بن جبير: "أن تميماً ورجلاً من بني أسد بن خزيمة استبا؛ فقال الأسدي: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)} أعراب بني تميم، فقال سعيد: لو كان التميمي فقيهاً؛ إن أولها في بني تميم، وآخرها في بني أسد"[٣٠٠٣]. [ضعيف]

عن سعيد بن جبير-أيضا-؛ قال: "قال رجل من بني أسد لرجل من بني تميم -وتلا هذه الآية-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}: بني تميم {لَا يَعْقِلُونَ}، فلما قام التميمي وذهب؛ قال سعيد بن جبير: أما إن التميمي لو يعلم ما أنزل في بني أسد؛ لتكلم، قلنا: ما أنزل فيهم؟ قال: جاؤوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنا قد أسلمنا طائعين وإن لنا خلقاً؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} الآية"[٣٠٠٤]. [ضعيف]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قدم وقد بني تميم -وهم سبعون رجلاً، أو ثمانون رجلاً؛ منهم: الزبرقان بن بدر، وعطارد بن معبد وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث، وعمرو بن أهتم- المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فانطلق معهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري وكان يكون في كل سدة، حتى أتوا منزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف: يا محمد! اخرج إلينا، يا محمد! اخرج إلينا، فخرج إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: يا محمد! إن مدحنا زين وإن شتمنا شين، نحن أكرم العرب؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كذبتم؛ بل مدحة الله الزين، وشتمه الشين، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"، فقالوا: إنا أتيناك لنفاخرك (فذكره بطوله)، وقال في آخره: فقام التميميون فقالوا: والله؛ إن هذا الرجل لمصنوع له، لقد قام خطيبه فكان أخطب من خطيبنا، وقال شاعره فكان أشعر من شاعرنا، قال: ففيهم أنزل الله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ} من بني تميم {أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}، قال: هذا كان في القراءة الأولى، {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)}"[٣٠٠٥]. [موضوع]

وقال مقاتل:" نزلت في تسعة رهط ثمانية منهم من بني تميم، ورجل من قيس، فمنهم الأقرع بن حابس المجاشعي، وقيس بن عاصم المنقري، والزبرقان بن بدر الهذلي، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام النهشليين، والقعقاع بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع من بنى دارم، وعيينة ابن حصن الفزاري، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أصاب طائفة من ذراري بني العنبر، فقدموا المدينة في الظهيرة لفداء ذراريهم فتذكروا ما كان من أمرهم، فبكت الذراري إليهم فنهضوا إلى المسجد والنبي- صلى الله عليه وسلم- في منزله، فاستعجلوا الباب لما أبطأ عليهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فنادى أكثرهم من وراء الحجرات: يا محمد. مرتين ألا تخرج إلينا فقد جئنا في الفداء، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ويلك مالك حداك المنادي، فقال: أما والله إن حمدي لك زين وإن ذمي لك شين. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ويلكم ذلكم الله- تعالى-"[٣٠٠٦].

وقال محمد بن إسحاق: "نزلت في جفاة بني تميم، قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم: فدخلوا المسجد فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته: أن اخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين،

(٣٠٠٣)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٣)، وقال: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج؛ قال: أخبرت عن سعيد بن جبير به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ لإرساله، وجهالة المخبر لابن جريج.

(٣٠٠٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٣) ونسبه لعبد بن حميد.

قلنا: وهو ضعيف؛ لإرساله.

(٣٠٠٥)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٤) ونسبه لابن إسحاق وابن مردويه.

ثم رأينا سنده في كتاب الزيلعي: "تخريج الكشاف" (٣/ ٣٣٠، ٣٣١)؛ فقد أخرجه ابن مردويه في "تفسيره" من طريق ابن إسحاق: ثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا موضوع؛ فالكلبي كذاب ونحوه شيخه أبو صالح.

(٣٠٠٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢/٤.

وإن ذمنا شين فآذى ذلك من صياحهم النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فقالوا: إنا جئناك يا محمد نفاخرك، ونزل فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات : ٤]، وكان فيهم: الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم(٣٠٠٧).

وعن جابر بن عبد الله، قال: "جاءت بنو تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين. فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وهو يقول: إنما ذلكم الله الذي مدحه زين، وذمه شين، فقالوا: نحن ناس من بني تميم، جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالشعر بعثت، ولا بالفخار أمرت، ولكن هاتوا. فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم فاذكر فضلك وفضل قومك. فقام فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه، وآتانا أموالا نفعل فيها ما نشاء، فنحن من خير أهل الأرض، ومن أكثرهم عدة ومالا وسلاحا، فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وفعال هو أحسن من فعالنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس: قم فأجبه، فقام فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، دعا المهاجرين من بني عمه- أحسن الناس وجوها وأعظمهم أحلاما- فأجابوه، فالحمد لله الذي جعلنا أنصاره، ووزراء رسوله، وعزا لدينه، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا نفسه وماله، ومن أباها قتلناه، وكان رغمه في الله تعالى علينا هينا، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم يا فلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك، فقام الشاب فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... فينا الرؤوس وفينا تقسم الربع
ونطعم الناس عند القحط كلهم ... من السديف إذا لم يؤنس القزع
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت، فانطلق إليه الرسول فقال: وما يريد مني وقد كنت عنده؟ قال: جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فأجابهم، وتكلم شاعرهم فأرسل إليك تجيبه. فجاء حسان، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبه، فقال حسان: [يا رسول الله مره فليسمعني ما قال، فأنشده ما قال، فقال حسان:

نصرنا رسول الله والدين عنوة ... على رغم باد من معد وحاضر
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدار عين وننتمي ... إلى حسب من جذم غسان قاهر
فلولا حياء الله قلنا تكرما ... على الناس بالخيفين هل من منافر
فأحياؤنا من خير من وطئ الحصى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر

قال: فقام الأقرع بن حابس فقال: إني والله لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، وقد قلت شعرا فاسمعه، فقال: هات، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... إذا فاخرونا عند ذكر المكارم
وإنا رؤوس الناس في كل معشر ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وإن لنا المرباع في كل غارة ... تكون بنجد أو بأرض التهائم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا حسان فأجبه [فقام حسان] فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم
وأفضل ما نلتم من المجد والعلى ... ردافتنا من بعد ذكر الأكارم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

(٣٠٠٧) أسباب النزول للواحدي: ٤٠٤. بدون إسناد.

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تفخروا عند النبي بدارم
وإلا ورب البيت مالت أكفنا ... على هامكم بالمرهفات الصوارم
قال: فقال الأقرع بن حابس فقال: إن محمدا لمؤتى له والله ما أدري ما هذا الأمر! تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر. ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يضرك ما كان قبل هذا» ، ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات : ٢]، إلى قوله: {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات : ٣]"[٣٠٠٨]. [ضعيف]

عن الزهري وسعيد بن عمرو؛ قالا: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشر بن سفيان - ويقال: النحام العدوي- على صدقات بني كعب من خزاعة، فجاء وقد حل بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلًا، فدخلوا المسجد وقد أذّن بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فعجلوا واستبطؤوه فنادوه: يا محمد! اخرج إلينا، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقام بلال، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر ثم أتوه، فقال الأقرع: يا محمد! ائذن لي؛ فوالله إن مدحي لزين وإن ذمي لشين، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كذبت؛ ذلك الله -تبارك وتعالى-"، ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس، وخطب خطيبهم وهو عطارد بن حاجب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثابت بن قيس بن شماس: "أجبه"؛ فأجابه، ثم قالوا: يا محمد! ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فأنشد، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحسان بن ثابت: "أجبه"؛ فأجابه بمثل شعره، فقالوا: والله؛ لخطيبه أبلغ من خطيبنا, ولشاعره أشعر من شاعرنا, ولهم أحلم منا، ونزل فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قيس بن عاصم: "هذا سيد أهل الوبر"، وردّ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسرى والسبي، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد"[٣٠٠٩]. [موضوع]

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ} [الحجرات : ٤]، أي:" إن الذين ينادونك -أيها النبي- من وراء حجراتك بصوت مرتفع"[٣٠١٠].

قال مجاهد:" يعني: أعرابا من بني تميم"[٣٠١١].

عن سعيد بن جُبير -من طريق ابن جُرَيْج-: أنّ تميميًّا ورجلًا مِن بني أسد بن خزيمة استَبّا، فقال الأسدي: {إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ} أعراب بني تميم. فقال سعيد: لو كان التميميُّ فقيهًا! إنّ أوّلها في بني تميم، وآخرها في بني أسَد"[٣٠١٢].

(٣٠٠٨) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٤٠٤-٤٠٦، والثعلبي في "تفسيره" (٩/ ٧٣ - ٧٥)، إسناده ضعيف، معلى بن عبد الرحمن، فهو رافضي متهم بالوضع. قال ابن حبان: "يروي عن عبد الحميد بن جعفر المقلوبات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد [مجروحين ٣/ ١٧] .
وفي ترجمته في تهذيب التهذيب [١٠/ ٢١٤] : قال أبو داود:" سمعت يحيى بن معين وسئل عنه، فقال: أحسن أحواله عندي أنه قيل له عند موته ألا تستغفر الله تعالى؟ فقال: أرجو أن يغفر لي وقد وضعت في فضل علي سبعين حديثا".
(٣٠٠٩)أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/ ٢٩٣، ٢٩٤): نا محمد بن عمر الواقدي نا محمد بن عبد الله عن الزهري، وثنا عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو به.
قلنا: والواقدي؛ متروك متهم بالكذب.
(٣٠١٠) التفسير الميسر: ٥١٥.
(٣٠١١) تفسير مجاهد: ٦١٠.
(٣٠١٢)الدر المنثور: ٥٥٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

عن عن سعيد بن جُبير -من طريق قتادة- قال:" قال رجل مِن بني أسَد لرجل من بني تميم، وتلا هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ} بنو تميم {لا يَعْقِلُونَ}. فلما قام التميميُّ وذهب قال سعيد بن جُبير: إنّ التميميَّ لو يعلم ما أُنزل في بني أسَد لتكلّم. قلنا: ما أُنزل فيهم؟ قال: جاءوا إلى النبيّ - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: إنّا قد أسلمنا طائعين، وإنّ لنا حقًّا. فأنزل الله: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} الآية [الحجرات: ١٧]"[٣٠١٣].

عن حبيب بن أبي عَمرة، قال: "كان بيني وبين رجل من بني أسَد كلام، فقال الأسدي: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ} بني تميم {أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}. فذكرتُ ذلك لسعيد بن جُبير، فقال: أفلا تقول لبني أسَد: قال الله: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} [الحجرات: ١٧]. قالوا: العرب لم تُسلم حتى قُوتِلت، ونحن أسْلَمنا بغير قتال. فأنزل الله هذا فيهم"[٣٠١٤].

ويقرأ: «حُجَرات»، بفتح الجيم: استثقالا للضمتين. وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع[٣٠١٥].

قوله تعالى:{أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات : ٤]، أي:" أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وتوقيره"[٣٠١٦].

قال سفيان: "جاء شبيب بن شيبة الأهتمي إلى الأعمش فصاح به: يا سليمان! اخرج إلينا، فلما خرج قال شبيب: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}"[٣٠١٧].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «وأكثرهم بنو تميم لا يعقلون»[٣٠١٨].

عن الحسن البصري -من طريق حُريث بن السائب- قال: "كنت أدخل بيوت أزواج النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - في خِلافة عثمان بن عفان، فأتناول سقفها بيدي"[٣٠١٩].

عن عطاء الخُراسانيّ، قال: "أدركت حُجَر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مِن جَريد النَّخل، على أبوابها المُسُوح مِن شَعر أسود، فحضرتُ كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ؛ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فما رأيتُ يومًا أكثر باكيًا مِن ذلك اليوم. فسمعتُ سعيد بن المسيّب يقول يومئذ: واللهِ، لوددتُ أنّهم تركوها على حالها، ينشأ ناسٌ مِن أهل المدينة، ويقدم القادم مِن أهل الأُفُق فيرى ما اكتفى به رسول الله في حياته، فيكون ذلك مما يُزَهِّد الناسَ في التكاثر والتفاخر فيها، يومئذ أبو أُمامة بن سهل بن حنيف: لَيْتها تُرِكَتْ فلم تُهدم حتى يُقْصِر الناس عن البناء، ويرون ما رضي الله لنبيّه، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده"[٣٠٢٠].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)} [الحجرات : ٥]

التفسير:

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم عند الله; لأن الله قد أمرهم بتوقيرك، والله غفور لما صدر عنهم جهلا منهم من الذنوب والإخلال بالآداب، رحيم بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

(٣٠١٣)الدر المنثور: ٥٥٣/٧، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد.

(٣٠١٤)أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٤٧ بنحوه. وانظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٠١٥) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ١٧٣.

(٣٠١٦) التفسير الميسر: ٥١٥.

(٣٠١٧) تفسير إسحاق البستي(٩٧٠):ص٣٨٦/٢.

(٣٠١٨) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢١٩/٢.

(٣٠١٩)أخرجه ابن سعد ١/ ٥٠٠ - ٥٠١، والبخاري في الأدب (٤٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٣٤). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا.

(٣٠٢٠)أخرجه ابن سعد ١/ ٤٩٩ - ٥٠٠.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [الحجرات : ٥]، أي:" ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم عند الله; لأن الله قد أمرهم بتوقيرك"[٣٠٢١].

قال الحسن:" ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم، فعظّموك ووقّروك؛ لكان لهم خيرًا"[٣٠٢٢].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات : ٥]، أي:" والله غفور لما صدر عنهم جهلا منهم من الذنوب والإخلال بالآداب، رحيم بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة"[٣٠٢٣].

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"[٣٠٢٤].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)} [الحجرات : ٦]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن جاءكم فاسق بخبر فتثبَّتوا من خبره قبل تصديقه ونقله حتى تعرفوا صحته؛ خشية أن تصيبوا قومًا برآء بجناية منكم، فتندموا على ذلك.

سبب نزول الآيات:[٦-٨]:

قال ابن كثير:" قد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق. وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضِرَار، والد جُويرية بنت الحارث أم المؤمنين"[٣٠٢٥].

عن الحارث بن ضرار الخزاعي -رضي الله عنه-؛ قال: قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت في الإسلام وأقررت، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله! أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي؛ جمعت زكاته، فيرسل إليّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - رسولاً لإبّانِ كذا وكذا لآتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث بن ضرار، وبلغ الأبّان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ احتبس عليه الرسول، فلم يأته؛ فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا بسروات[٣٠٢٦] قومه، فقال لهم: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان وقت لي وقتاً؛ ليرسل إليّ ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه، فانطلقوا فنأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق؛ فَرَق - أي : خاف -فرجع، فقال: يا رسول الله! إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي؛ فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البعث إلى الحارث، وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة، فلقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فرجع إليه، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما أن دخل الحارث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ قال: "منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ "، قال: لا، والذي بعثك ما رأيت رسولك ولا أتاني، ولا أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسولك؛

(٣٠٢١) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٢٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦١ -.

(٣٠٢٣) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٢٤) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

(٣٠٢٥) تفسير ابن كثير: ٣٧٩٠/٧.

(٣٠٢٦)أي: رؤساء.

خشية أن يكون سخط من الله ورسوله، قال: فنزلت فيّ الحجرات: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)} إلى قوله -تعالى-: {فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)}"[٣٠٢٧]. [ضعيف]

عن أم سلمة -رضي الله عنها-؛ قالت: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلًا في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم؛ فتلقوه يعظمون أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -, قال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون، قال: فبلغ القوم رجوعه، قال: فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فصفوا له حين صلى الظهر، فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلًا مصدقاً فسررنا بذلك وقرّت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق؛ فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال وأذن بصلاة العصر، قال: ونزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)}"[٣٠٢٨]. [ضعيف]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ} الآية؛ قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم أحد بني عمرو بن أمية ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق؛ ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر؛ فرحوا، وخرجوا ليتلقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه؛ رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة؛ فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم؛ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله! إنا حُدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون رده كتاب جاءه منك؛ لغضب غضبته علينا، وإنا

(٣٠٢٧)أخرجه أحمد في "المسند" (١٨٤٥٩):ص٣٠/٤٠٣-٤٠٥، والبخاري في "التاريخ الأوسط" (١/ ١٩٣ رقم ٣١٨)، وأبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" (٢/ ٦٨ - ٦٩/ ٤٥٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٣/ ٢٧٤ رقم ٣٣٩٥)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤/ ٣٢٢ رقم ٢٣٥٣)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (١/ ١٧٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٢، ٢٦٣)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٢٤)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (١/ ٣٩٩، ٤٠٠)، ومطين وابن السكن وابن مردويه؛ كما في "الإصابة" (١/ ٢٨١)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢/ ٧٨٣، ٧٨٤ رقم ٢٠٨١)، وابن منده وابن عبد البر في "الصحابة"؛ كما في "أسد الغابة" (١/ ٤٠٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦/ ١٦٦ و١٦٦ - ١٦٧) جميعهم من طريق عيسى بن دينار المؤذن ثني أبي أنه سمع الحارث به.

والحديث حسن بشواهده دون قصة إسلام الحارث بن ضرار، وهذا إسناد ضعيف لجهالة دينار والد عيسى، وهو الكوفي مولى عمرو بن الحارث، فقد تفرد بالرواية عنه ابنه عيسى، وقال ابن المديني: لا أعرفه، ومع ذلك ذكره ابن حبان في "الثقات" ٢١٨/٤. عيسى بن دينار ثقة، ومحمد بن سابق صدوق.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٩): "رواه أحمد والطبراني؛ ورجال أحمد ثقات!! ".

وقال السيوطي في "لباب النقول" (ص ١٩٦)، و"الدر المنثور" (٧/ ٥٥٥): "بسند جيد! "، وفي "اللباب" (ص ١٩٧) -أيضاً-: "رجال إسناده ثقات!! ".

(٣٠٢٨)أخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده"؛ كما في "تخريج الكشاف" (٣/ ٣٣٢)، و"المطالب العالية" (٩/ ٤٠ رقم ٤١١١)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٣/ ٣٢٦ رقم ٩٦٠) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ مداره على موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١١١)، وثابت لم يوثقه إلا ابن حبان (٤/ ٩٥) وقال: "روى عنه أهل المدينة"؛ فمثله يكون في عداد المجهول -والله أعلم-.

وقال الحافظ في "الكاف الشاف" (ص ١٥٦ رقم ١٨٠): "وفيه موسى بن عبيدة؛ وهو ضعيف".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٦) وزاد نسبته لابن مردويه.

نعوذ الله من غضبه وغضب رسوله؛ فأنزل الله عذرهم في الكتاب، فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)}"[٣٠٢٩]. [ضعيف جداً]

عن علقمة بن ناجية؛ قال: بعث إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة بن أبي معيط يصدق أموالنا، فسار حتى إذا كان قريباً منا -وذلك بعد وقعة المريسيع-؛ رجع؛ فركبنا في أثره، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! أتيت قوماً في جاهليتهم أخذوا اللباس ومنعوا الصدقة، فلم يغير ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)}، وأتى المصطلقون النبي - صلى الله عليه وسلم - إثر الوليد بطائفة من صدقاتهم يسوقونها، ونفقات يحملونها، فذكروا ذلك له، وأنهم يطلبون الوليد بصدقاتهم فلم يجدوه، فدفعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان معهم، وقالوا: يا رسول الله! بلغنا مخرج رسولك فسررنا، وقلنا: نتلقاه، فبلغنا رجعته؛ فخفنا أن يكون ذلك من سخطه علينا، وعرضوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشتروا منه ما بقي، فقبل منهم الفرائض، وقال: "ارجعوا بنفقاتكم لا نبيع شيئاً من الصدقات حتى نقبضه"، فرجعوا إلى أهليهم، وبعث إليهم من يقبض بقية صدقاتهم"[٣٠٣٠]. [حسن]

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-؛ قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى بني وليعة، وكانت بينهم شحناء في الجاهلية، فلما بلغ بني وليعة استقبلوه؛ لينظروا ما في نفسه، فخشي القوم، فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن بني وليعة أرادوا قتلي ومنعوني الصدقة، فلما بلغ بني وليعة الذي قال الوليد عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: يا رسول الله! لقد كذب الوليد، ولكن كانت بيننا وبينه شحناء؛ فخشينا أن يعاقبنا بالذي كان بيننا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلًا عندي كنفسي، يقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم وهو هذا"، ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب، قال: وأنزل الله في الوليد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ

(٣٠٢٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٨٧)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ٥٤، ٥٥)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٦)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦/ ١٦٧) كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٦).

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء.

(٣٠٣٠)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٨/ ٦ - ٧ رقم ٤)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤/ ٣٠٩، ٣١٠ رقم ٢٣٣٥) -ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٤/ ٢١٧٥ رقم ٥٤٥٣)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٣/ ٥٨٥) -، وابن منده في "معرفة الصحابة"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٦) -ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦/ ١٦٨) -، والهيثم بن كليب في "مسنده" -ومن طريقه ابن عساكر (٦٦/ ١٦٨) - عن يعقوب بن حميد بن كاسب نا عيسى بن الحضرمي بن كلثوم بن علقمة بن ناجية عن جده عن أبيه به.

قلنا: وهذا سند حسن.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١١٠): "رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور!! وبقية رجاله ثقات".

قلنا: المتقرر في حال يعقوب أنه صدوق ما لم يخالف.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٦) وزاد نسبته لابن مردويه.

وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)}"[٣٠٣١]. [ضعيف]

عن قتادة في قوله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)} وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه نبي الله - صلى الله عليه وسلم - مصدقاً إلى بني المصطلق، فلما أبصروه؛ أقبلوا نحوه، فهابهم؛ فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه فلما جاؤوا؛ أخبروا خالداً أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا؛ أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فأخبره الخبر؛ فأنزل الله - عزّ وجلّ- ما تسمعون، فكان نبي الله يقول: "التبين من الله والعجلة من الشيطان" [٣٠٣٢]. [ضعيف]

عن الحسن: "أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا نبي الله! إن بني فلان -حياً من أحياء العرب، وكان في نفسه عليهم شيء، وكانوا حديثي عهد بالإسلام- قد تركوا الصلاة وارتدوا وكفروا بالله، قال: فلم يعجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودعا خالد بن الوليد، فبعثه إليهم، ثم قال: "ارمقهم عند الصلاة، فإن كان القوم قد تركوا الصلاة؛ فشأنك بهم، وإلا؛ فلا تعجل عليهم"، قال: فدنا منهم عند غروب الشمس، فكمن حيث سمع الصلاة، فرمقهم؛ فإذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس، فأذن ثم أقام الصلاة، فصلوا المغرب؛ فقال خالد بن الوليد: ما أراهم إلا يصلون، فلعلهم تركوا غير هذه الصلاة، ثم كمن حتى إذا جن الليل وغاب الشفق أذن مؤذنهم فصلوا، قالوا: فلعلهم تركوا صلاة أخرى، فكمن، حتى إذا كان في جوف الليل فتقدم حتى أظل الخيل بدورهم؛ فإذا القوم تعلموا شيئاً من القرآن فهم يتهجدون به من الليل ويقرأونه، ثم أتاهم عند الصبح؛ فإذا المؤذن حين طلع الفجر قد أذن ثم أقام فقاموا فصلوا، فلما انصرفوا وأضاء لهم النهار؛ إذا هم بنواصي الخيل في ديارهم، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: هذا خالد بن الوليد، وكان رجلاً مشنعاً، فقالوا: يا خالد! ما شأنك؟ قال: أنتم والله شأني، أتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقيل له: إنكم كفرتم بالله وتركتم الصلاة؛ فجعلوا يبكون، فقالوا: نعوذ بالله أن نكفر بالله أبداً، قال: فصرف الخيل وردها عنهم حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا}؛ قال الحسن: فوالله؛ لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة إنها المرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء"[٣٠٣٣]. [ضعيف]

عن عكرمة: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق يصدقهم، فلم يبلغهم ورجع، فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إنهم عصوا، فأراد رسول الله - صلى

(٣٠٣١)أخرجه الطبراني في "المعجم "الأوسط" (٤/ ١٣٣، ١٣٤ رقم ٣٧٩٧)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الفتح السماوي" (٣/ ١٠٠٢) من طريق عبد الله بن عبد القدوس ثنا الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الأعمش؛ مدلس وقد عنعنه.

الثانية: عبد الله بن عبد القدوس؛ ضعيف.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١١٠): "وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات". اهـ.

(٣٠٣٢)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٣١)، والطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٨٨)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦/ ١٦٩) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٣٠٣٣)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٧ - ٥٥٨) ونسبه لعبد بن حميد.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله.

الله عليه وسلم - أن يجهز إليهم؛ إذ جاء رجل من بني المصطلق، فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: سمعنا أنك أرسلت إلينا؛ ففرحنا به واستبشرنا به، وإنه لم يبلغنا رسولك، وكذب؛ فأنزل الله فيه -وسماه فاسقاً-: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ} "[٣٠٣٤]. [ضعيف]

قلت: وإن دلت الآية الكريمة وأكدت على وجوب التثبت من خبر الفاسق، إلا أنه لا يلزم من ذلك وصف الصحابي الوليد بن عقبة -رضي الله عنه- بالفسق، لأن الوليد لم يتعمد الكذب، إذ لما رأى الحارثَ وقومَه من بني المصطلق ظن أنهم اجتمعوا لحربه وقتله، فرجع وأخبر النبيَّ صلى الله عليه وسلم بما ظنه.

قال الفخر الرازي:"ما ذكره المفسرون من أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين بعثه إلى بني المصطلق، إنْ كان مرادهم أن الآية نزلت عامة لبيان وجوب التثبت من خبر الفاسق، وأنها نزلت في ذلك الحين الذي وقعت فيه حادثة الوليد فهذا جيد، وإن كان غرضهم أنها نزلت لهذه الحادثة بالذات فهو ضعيف، لأن الوليد لم يقصد الإساءة إليهم، وحديث أحمد يدل على أن الوليد خاف وفرق (فزع) حين رأى جماعة الحارث، فظن أنها خرجت لحربه، فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبره ظناً منه أنهم خرجوا لقتاله، ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ "الفسق" على الوليد شيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً"[٣٠٣٥].

وقال الزرقاني :"ولا يُشْكَل تسميته فاسقا بإخباره عنهم بذلك على ظنه للعداوة ورؤية السيوف، وذلك لا يقتضي الفسق، لأن المراد الفسق اللغوي، وهو الخروج عن الطاعة، وسماه فاسقاً لإخباره بخلاف الواقع على المبعوث إليهم، لا الشرعي الذي هو من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة، لعدالة الصحابة"[٣٠٣٦].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات : ٦]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن جاءكم فاسق بخبر فتثبَّتوا من خبره قبل تصديقه ونقله حتى تعرفوا صحته"[٣٠٣٧].

قال الضحاك:" إذا جاءك فحدّثك أنّ فلانًا، أنّ فلانة، يعملون كذا وكذا مِن مساوئ الأعمال، فلا تصدّقه"[٣٠٣٨].

عن عبد الرحمن بن إسحاق، قال: "شهدت سالم [بن عبد الله بن عمر]، والقاسم [بن محمد بن أبي بكر] وسألهما أميرُ المدينة عن رجل قال لرجل: يا فاسق؟ فقرآ هذه الآية: {إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} وقالا: الفاسق: الكذّاب، يُعزَّر أسواطًا"[٣٠٣٩].

قراءة حمزة والكسائي وخلف «فتثبتوا» ، وقراءة الباقين: «فتبينوا»[٣٠٤٠].

القرآن

{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)} [الحجرات : ٧]

(٣٠٣٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٨) ونسبه لعبد بن حميد.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله.
(٣٠٣٥) مفاتيح الغيب: ٩٨/٢٨. [بتصرف]
(٣٠٣٦)شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ٣٩/٤.
(٣٠٣٧) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣٠٣٨)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣٠٣٩)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٤/ ٥٨٩ (٢٩٥٦٩).
(٣٠٤٠) انظر: الإتحاف: ٣٩٧، ومعاني القرآن للفراء: ٧١/٣.

واعلموا أن بين أظهركم رسولَ الله فتأدبوا معه؛ فإنه أعلم منكم بما يصلح لكم، يريد بكم الخير، وقد تريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه، لو يطيعكم في كثير من الأمر مما تختارونه لأدى ذلك إلى مشقتكم، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وحسَّنه في قلوبكم، فآمنتم، وكرَّه إليكم الكفرَ بالله والخروجَ عن طاعته، ومعصيتَه، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الراشدون السالكون طريق الحق.

قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} [الحجرات : ٧]، أي:" واعلموا أن بين أظهركم رسولَ الله المعصوم عن اتباع الهوى، فتأدبوا معه، لو يطيعكم في كثير من الأمر مما تختارونه لأدى ذلك إلى مشقتكم"[٣٠٤١].

عن قتادة: " {واعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}، قال: هؤلاء أصحاب نبيِّ الله - صلى الله عليه وسلم -، لو أطاعهم نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم - في كثير من الأمر لعَنِتوا، فأنتم -واللهِ- أسخف قلوبًا، وأطيش عقولًا، فاتّهَم رجلٌ رأيَه، وانتصح كتاب الله؛ فإنّ كتاب الله ثِقة لِمَن أخذ به وانتهى إليه، وإنّ ما سوى كتاب الله تغرير"[٣٠٤٢].

عن أبي سعيد الخُدري -من طريق أبي نَضْرة- قال: "{واعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}، قال: هذا نبيّكم يُوحى إليه، وخيار أُمّتكم، لو أطاعهم في كثير مِن الأمر لعَنِتوا، فكيف بكم اليوم!"[٣٠٤٣].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات : ٧]، أي:" ولكن الله حبب إليكم الإيمان وحسَّنه في قلوبكم، فآمنتم"[٣٠٤٤].

عن الحسن: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ}:" بما وصف من الثواب عليه"[٣٠٤٥].

القرآن

{فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)} [الحجرات : ٨]

التفسير:

وهذا الخير الذي حصل لهم فضل من الله عليهم ونعمة. والله عليم بمن يشكر نعمه، حكيم في تدبير أمور خلقه.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات : ٨]، أي:" عليم بمن يشكر نعمه، حكيم في تدبير أمور خلقه"[٣٠٤٦].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٣٠٤٧]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٣٠٤٨].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٣٠٤٩].

القرآن

(٣٠٤١) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٤٢) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٢ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد. كما أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٣٢ من طريق معمر مختصرًا، وكذا الطبري: ٢٩١/٢٢.

(٣٠٤٣)أخرجه الترمذي (٣٢٦٩). وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن مردويه.

(٣٠٤٤) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٤٥) النكت والعيون: ٣٢٩/٥.

(٣٠٤٦) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٣٠٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.

(٣٠٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)} [الحجرات : ٩]

التفسير:

وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا فأصلحوا -أيها المؤمنون- بينهما بدعوتهما إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والرضا بحكمهما، فإن اعتدت إحدى الطائفتين وأبت الإجابة إلى ذلك، فقاتلوها حتى ترجع إلى حكم الله ورسوله، فإن رجعت فأصلحوا بينهما بالإنصاف، واعدلوا في حكمكم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله، إن الله يحب العادلين في أحكامهم القاضين بين خلقه بالقسط.

في سبب نزول الآيتين:[٩-١٠]، أقوال:

أحدها: أن سبب نزولها ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدب عبد الله بن أبي بن سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في موضعه، وتعصب بعضهم لعبد الله، ورد عبد الله بن رواحة على ابن أبي، فتجالد الحيان، قيل: بالحديد، وقيل: بالجريد والنعال والأيدي، فنزلت، فقرأها عليهم، فاصطلحوا.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: "قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: لو أتيت عبد الله بن أُبيّ؛ فانطلق إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطيب ريحاً منك؛ فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالحديد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} [الحجرات : ٩-١٠]"[٣٠٥٠]. [صحيح]

وقال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- وقف على حمار له يقال له «يعفور» فبال الحمار، فقال عبد الله بن أبي للنبي- صلى الله عليه وسلم-: خل للناس مسيل الريح من نتن هذا الحمار. ثم قال: أف وأمسك بأنفه، فشق على النبي- صلى الله عليه وسلم- قوله، فانصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: عبد الله بن أبي رواحة، ألا أراك أمسكت على أنفك من بول حماره، والله، لهو أطيب ريح عرض منك. فلجا في القول فاجتمع قوم عبد الله بن رواحة، الأوس، وقوم عبد الله بن أبى الخزرج، فكان بينهم ضرب بالنعال والأيدي والسعف فرجع النبي- صلى الله عليه وسلم- إليهم فأصلح بينهم، فأنزل الله- تعالى- {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، يعني: الأوس والخزرج "[٣٠٥١].

وعن سعيد بن جبير؛ قال: "إن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسيف والنعال؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)}"[٣٠٥٢]. [ضعيف]

(٣٠٥٠)أخرجه البخاري في الصلح (٢٦٩١)، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير (١١٧/ ١٧٩٩) ص٣/ ١٤٢٤، وأخرجه الطبري: (٢٩٣/٢٢)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٧٢) .
وزاد نسبته في الدر (٦/ ٩٠) لابن مردويه.

(٣٠٥١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٣/٤-٩٤.

(٣٠٥٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله.

الثاني: -وهو قول السدي-: " كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد، تحت رجل، فكان بينها وبين زوجها شيء، فرقاها إلى علية، فقال لهم: احفظوا، فبلغ ذلك قومها، فجاءوا وجاء قومه، فاقتتلوا بالأيدي والنعال فبلغ ذلك النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فجاء ليصلح بينهم، فنزل القرآن {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى}، قال: {تبغي}: لا ترضى بصلح رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، أو بقضاء رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم -"[٣٠٥٣]. [ضعيف جداً]

الثالث: -وهو قول قتادة-:" أنها نزلت في رجلين من الأنصار، كانت بينهما مماراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة؛ لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف"[٣٠٥٤]. [ضعيف]

وروي عن أبي مالك في قوله: "{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)}؛ قال: رجلان اقتتلا؛ فغضب لذا قومه ولذا قومه، فاجتمعوا حتى أضربوا بالنعال؛ حتى كاد يكون بينهم قتال؛ فأنزل الله هذه الآية"[٣٠٥٥]. [ضعيف]

عن الحسن: "أن قوماً من المسلمين كان بينهم تنازع؛ حتى اضطربوا بالنعال والأيدي؛ فأنزل الله -تعالى- فيهم: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}"[٣٠٥٦]. [ضعيف]

عن الحسن: "{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}؛ قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعوهم إلى الحكم؛ فيأبون أن يجيبوا؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} يقول: ادفعوهم إلى الحكم، فكان قتالهم الدفع"[٣٠٥٧]. [ضعيف جداً]

(٣٠٥٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/٢٩٤): ثنا ابن حميد ثنا مهران ثنا سفيان عن السدي به.
وهذا سنده ضعيف جداً؛ فيه علل:
الأولى: الإعضال.
الثانية: مهران؛ سيئ الحفظ.
الثالثة: ابن حميد؛ متروك.
والحديث أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦١٠):ص٣٣٠٤/١٠، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٠)، و"لباب النقول" (ص ١٩٧).
(٣٠٥٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٥): ثنا بشر بن معاذ العقدي ثنا يزيد بن زيع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٣٠٥٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٣) من طريقين عن حصين عن أبي مالك. وهذا مرسل صحيح الإسناد.
(٣٠٥٦)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/٢٩٥): ثنا محمد بن عبد الأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن به.
قلنا: وسنده ضعيف.
(٣٠٥٧)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/٢٩٤): ثنا ابن حميد ثنا مهران ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ مسلسل بالعلل:
الأولى: ابن حميد؛ متروك الحديث.
الثانية: مهران؛ سيئ الحفظ له أوهام.
الثالثة: المبارك؛ مدلس وقد عنعن.
الرابعة: الإرسال.

قوله تعالى:{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات : ٩]، أي:" وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا فأصلحوا -أيها المؤمنون- بينهما بدعوتهما إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والرضا بحكمهما"(٣٠٥٨).

عن مجاهد:" {طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصي بينهم "(٣٠٥٩).

وعن مجاهد:" {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا} [الحجرات: ٩] قال: «كانا رجلين»"(٣٠٦٠).

قال مجاهد:"الطائفة: من الواحد إلى الألف. وقال: إنما كانا رجلين اقتتلا"(٣٠٦١).

قال سعيد بن جبير:" إنما قتالهم بالعصي والنعال"(٣٠٦٢).

قال زيد بن أسلم:" ذلك الرجلان يقتتلان من أهل الإسلام، أو النّفر والنّفر، أو القبيل والقبيلة، فأمر الله أئمة المسلمين أن يَقضُوا بينهم بالحقِّ الذي أنزله في كتابه؛ إما القَصاص والقَوَد، وإما العقل والعِير، وإما العفو، {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى} بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم، حتى يفيء إلى حكم الله، ويرضى به"(٣٠٦٣).

قوله تعالى:{فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات : ٩]، أي:" فإن اعتدت إحدى الطائفتين وأبت الإجابة إلى ذلك، فقاتلوها حتى ترجع إلى حكم الله ورسوله"(٣٠٦٤).

قال الحسن: "يقول: ادفعوهم إلى الحكم، فكان قتالهم الدفع"(٣٠٦٥).

عن الضحاك قوله: "{فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}، قال: بالسلاح"(٣٠٦٦).

عن ابن المسيّب -من طريق عمرو بن سليم- يقول: "إذا التقت الفئتان، فما كان بينهما من دمٍ أو جراحة فهو هَدر، ألا تسمع إلى قول الله عز وجل: {وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} فتَلا الآية حتى فرغ منها، قال: فكلّ واحدة من الطائفتين ترى الأخرى باغية"(٣٠٦٧).

عن حِبان السّلَميّ، قال: "سألتُ ابنَ عمر عن قوله: {وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}، وذلك حين دخل الحَجّاجُ الحَرم. فقال لي: عرفتَ الباغية مِن المبْغيّ عليها؟ فوالذي نفسي بيده، لو عرفتُ المبْغيّة ما سبقتني أنت ولا غيرُك إلى نَصْرها، أفرأيتَ إن كانت كلتاهما باغيتين، فدعِ القومَ يقتتلون على دنياهم، وارجع إلى أهلك، فإذا استمرَّت الجماعة فادخل فيها"(٣٠٦٨).

(٣٠٥٨) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٥٩) تفسير مجاهد: ٦١١، وتفسير إسحاق البستي(٩٧٣):ص٣٨٧/٢.

(٣٠٦٠) تفسير عبدالرزاق(٢٩٢٤):ص٢١٨/٣.

(٣٠٦١)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد. وأخرج آخره عبد الرزاق ٢/ ٢٣٠ من طريق أبي بشر.

(٣٠٦٢) تفسير إسحاق البستي(٩٧٤):ص٣٨٨/٢.

(٣٠٦٣)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ٦٠ (١٣٤)، وابن جرير ٢١/ ٣٦٢.

(٣٠٦٤) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٦٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٩٤/٢٢): ثنا ابن حميد ثنا مهران ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ مسلسل بالعلل:

الأولى: ابن حميد؛ متروك الحديث.

الثانية: مهران؛ سيئ الحفظ له أوهام.

الثالثة: المبارك؛ مدلس وقد عنعن.

الرابعة: الإرسال.

(٣٠٦٦) تفسير إسحاق البستي(٩٧٥):ص٣٨٨/٢.

(٣٠٦٧)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ١٢٢ (١٨٥٨٧).

(٣٠٦٨)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

عن الحارث الأعور:" أنّ علي بن أبي طالب سُئِل -قال البغوي: وهو القدوة في قتال أهل البغي- عن أهل الجمل وصفّين: أمُشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فرُّوا. فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إنّ المنافقين لا

القرآن

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} [الحجرات : ١٠]

التفسير:

إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا، وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحموا.

قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات : ١٠]، أي:" إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا"(٣٠٦٩).

عن محمد بن سيرين: "أنه كان يقرأ: «إِنَّما المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ إِخْوانِكُمْ»"(٣٠٧٠).

سُئِل محمّد بن كعب القُرَظيّ عن هاتين الآيتين: {وإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما}. فقال: "جعل النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أجْر المُصلح بين الناس كأجْر المُجاهد عند البأس"(٣٠٧١).

وفي الصحيح : «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٣٠٧٢).

وفي الصحيح –أيضا-: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين، ولك بمثله»(٣٠٧٣).

وفي الصحيح : «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»(٣٠٧٤).

وفي الحديث :«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه»(٣٠٧٥).

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات : ١٠]، أي:" وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن تُرحموا"(٣٠٧٦).

قال عون بن عبد الله بن غنية:" {لعلّ} من الله واجب"(٣٠٧٧).

القرآن

(٣٠٦٩) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٧٠) الدر المنثور: ٧/ ، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٣٠٧١)تفسير الثعلبي: ٩/ ٨٠.

(٣٠٧٢)صحيح مسلم برقم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٠٧٣)صحيح مسلم برقم (٢٧٣٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣٠٧٤)أخرجه مسلم (٢٠٠٠/٤، رقم ٢٥٨٦) . وأخرجه أيضا: أحمد (٢٧٦/٤، رقم ١٨٤٥٦) ، وابن أبى شيبة (٨٩/٧، رقم ٣٤٤١٥).

(٣٠٧٥)حديث أبى بردة عن أبى موسى: أخرجه البخارى (٨٦٣/٢، رقم ٢٣١٤) ، ومسلم (١٩٩٩/٤، رقم ٢٥٨٥) ، والترمذى (٣٢٥/٤، رقم ١٩٢٨) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٧٩/٥، رقم ٢٥٦٠) ، وابن حبان (٤٦٧/١، رقم ٢٣١) . وأخرجه أيضا: ابن المبارك (١١٨/١، رقم ٣٥٠) ، والطيالسى (ص ٦٨، رقم ٥٠٣) ، والحميدى (٣٤٠/٢، رقم ٧٧٢) ، وابن أبى شيبة (١٦٣/٦، رقم ٣٠٣٤٨) ، والبزار (١٦٠/٨، رقم ٣١٨٢) ، وأبو يعلى (٢٧٩/١٣، رقم ٧٢٩٥) ، وعبد بن حميد (ص ١٩٦، رقم ٥٥٦) ، والرويانى (٣٠١/١، رقم ٤٤٥) ، والقضاعى (١١٢/١، رقم ١٣٤) ، والديلمى (١٨٢/٤، رقم ٦٥٦٣) ، والبيهقى (٩٤/٦، رقم ١١٢٩١) .

حديث أبى هريرة وأبى سعيد معا: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٥/٦، رقم ٥٧١٨) . قال الهيثمى (٨٧/٨) : فيه صالح بن نبهان، وهو ضعيف.

(٣٠٧٦) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣٠٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٦):ص١٠٨/١، وانظر: الدر المنثور: ٨٥/١، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)} [الحجرات : ١١]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين؛ عسى أن يكون المهزوء به منهم خيرًا من الهازئين، ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات; عسى أن يكون المهزوء به منهنَّ خيرًا من الهازئات، ولا يَعِبْ بعضكم بعضًا، ولا يَدْعُ بعضكم بعضًا بما يكره من الألقاب، بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ومن لم يتب من هذه السخرية واللمز والتنابز والفسوق فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب هذه المناهي.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ } [الحجرات : ١١]، الآية.

قال الواحدي:" نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنه كان في أذنيه وقر، فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول، فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، فقال له رجل: قد أصبت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت مغضبا، فغمز الرجل فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة؟ وذكر أما كانت له يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه استحياء، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣٠٧٨].

وعن مقاتل، قال:" نزلت في قوم من بني تميم استهزأوا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة"[٣٠٧٩]. [ضعيف]

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} [الحجرات : ١١].

قال الواحدي:" نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة وذلك أنها ربطت حقويها- بسبنية- وهي ثوب أبيض- وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة: انظري إلى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب! فهذا كان سخريتها"[٣٠٨٠].

وقال أنس: "نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم، عيرن أم سلمة بالقصر"[٣٠٨١].

قال مقاتل:" نزلت في عائشة بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- استهزأت من قصر أم سلمة بنت أبي أمية"[٣٠٨٢].

وقال عكرمة عن ابن عباس: "إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله، فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣٠٨٣].

ثالثا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات : ١١].

عن أبي جبيرة بن الضحاك، قال: "فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة:{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} قال: قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو

(٣٠٧٨) أسباب النزول(٧٦٢):ص٤٠٩. بدون إسناد.

(٣٠٧٩)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٣) ونسبه لابن أبي حاتم.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٣٠٨٠) أسباب النزول(٧٦٢):ص٤٠٩. بدون إسناد.

(٣٠٨١) ذكره الواحدي في أسباب النزول(٧٦٣ م):ص٤٠٩. بدون إسناد.

(٣٠٨٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٥/٤.

(٣٠٨٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول(٧٦٤):ص٤٠٩-٤١٠. بدون إسناد.

ثلاثة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا فلان» فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات: ١١]"[٣٠٨٤]. [صحيح]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في قوله -تعالى-: "{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}؛ قال: كان هذا الحي من الأنصار قَلَّ رجل منهم إلا وله اسمان أو ثلاثة، فربما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - الرجل منهم ببعض تلك الأسماء، فيقال: يا رسول الله! إنه يكره هذا الاسم؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}"[٣٠٨٥]. [صحيح]

وقال مقاتل:" وذلك أن كعب بن مالك الأنصاري كان يكون على المقسم فكان بينه وبين عبد الله بن الحدرد الأسلمي بعض الكلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي. ثم انطلق عبد الله فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- لعلك قلت له: يا يهودي؟ قال: نعم قد قلت له ذلك إذا لقبني أعرابيا وأنا مهاجر، فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم-: لا تدخلا علي حتى ينزل الله توبتكما فأوثقا أنفسهما إلى سارية المسجد إلى جنب المنبر، فأنزل الله- تعالى- فيهما: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات : ١١] "[٣٠٨٦].

وذكر الواحدي عن مقاتل، قال: "لما كان يوم فتح مكة، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى أذن على ظهر الكعبة، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيس: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا! وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء. فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا: فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء"[٣٠٨٧].

(٣٠٨٤)أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٦٢)، والترمذي (رقم ٣٢٦٨)، والنسائي في "تفسيره" (٢/ ٣٢٠ رقم ٥٣٦)، وابن ماجه (رقم ٣٧٤١)، وأحمد في "المسند" (٤/ ٦٩، ٢٦٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" (رقم ٣٣٠)، وأبو يعلى في "المسند" (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣ رقم ٦٨٥٣)، والطبري في "جامع البيان" (٢٢/٣٠٠)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٦١ - "موارد")، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٢/ رقم ٩٦٨، ٩٦٩)، و"الأوسط" (٢/ ١٢٣ رقم ١٤٥٦)، وأبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" (٣/ ٣٩١/ ١٣٢٧ و٥/ ١٦)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (رقم ٣٩٨)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤/ ١٤٩، ١٥٠ رقم ٢١٣٢)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٢/ ٣٣)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٥/ ٤٧)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٦٣، ٤/ ٢٨١، ٢٨٢)، والبيهقي في "الآداب" (٢٩٦/ ٦١٩)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٣٠٧، ٣٠٨ رقم ٦٧٤٥، ٦٧٤٦، ٦٧٤٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٤)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٥/ ٢٨٥٢ رقم ٦٧٢٠)، وابن منده في "معرفة الصحابة"؛ كما في "أسد الغابة" (٥/ ٤٧)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨/ ٨١، ٨٢/ ٨٠ و٨٢/ ٨١) والمزي في "تهذيب الكمال" (٣٣/ ١٨٢، ١٨٣) من طرق عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي جبيرة بن الضحاك.

قلنا: وهذا سند صحيح رجاله ثقات.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم في "الموضع الأول": "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال في "الموضع الثاني": "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦/ ٣١٧): "رواه الطبراني في "الكبير"، و"الأوسط"؛ ورجالهما رجال الصحيح".

وصححه الألباني -رحمه الله- في "صحيح الأدب المفرد".

وأخرجه أحمد (٥/ ٣٨٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٣/ رقم ٣٩٠١) من حديث أبي جبيرة عن عمومة له به.

قلنا: وسنده صحيح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر والشيرازي في "الألقاب" وابن مردويه.

(٣٠٨٥)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٤) ونسبه لابن مردويه.

(٣٠٨٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٩٥.

(٣٠٨٧) أسباب النزول: ٤١١. مرسل.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} [الحجرات : ١١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين؛ عسى أن يكون المهزوء به منهم خيرًا من الهازئين، ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات; عسى أن يكون المهزوء به منهنَّ خيرًا من الهازئات"(٣٠٨٨).

قال مجاهد:" لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنيا، أو فقيرا، وإن تفضل رجل عليه بشيء فلا يستهزئ به"(٣٠٨٩).

قوله تعالى:{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} [الحجرات : ١١]، أي:" ولا يَعِبْ بعضكم بعضًا"(٣٠٩٠).

عن مجاهد، قوله: "{وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}، قال: لا تطعنوا"(٣٠٩١).

قوله تعالى:{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات : ١١]، أي:" ولا يَدْعُ بعضكم بعضًا بما يكره من الألقاب"(٣٠٩٢).

قال الحسن:" لا تَتداعوا بها"(٣٠٩٣).

واختلف أهل التفسير في الألقاب التي نهى الله عن التنابز بها في هذه الآية، على أقوال:

أحدها: أنها الألقاب التي يكره النبز بها الملقَّب، ونزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه التي كان يدعى بها في الجاهلية. قاله أبو جبيرة بن الضحاك(٣٠٩٤).

قال أبو جبيرة بن الضحاك:" كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء، فدعا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رجلا باسم من تلك الأسماء، فقالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فأنزل الله :{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ}"(٣٠٩٥).

الثاني: أن ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق، يا منافق، يا كافر. قاله أبو العالية(٣٠٩٦)، وعكرمة(٣٠٩٧)، ومجاهد(٣٠٩٨)، وقتادة(٣٠٩٩).

قال الحسن:" هو قول الرجل لأخيه: يا فاسق"(٣١٠٠).

عن مجاهد، قوله: "{وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ}، قال: دُعي رجل بالكفر وهو مسلم"(٣١٠١).

(٣٠٨٨) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣٠٨٩) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٢.
(٣٠٩٠) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣٠٩١) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢٢.
(٣٠٩٢) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣٠٩٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦٤ -.
(٣٠٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٢. وسبق الإشارة إلى الموضوع في سبب نزول الآية.
وأبو جبيرة بن الضحاك : هو زيد بن جبيرة بن محمد بن أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري أبو جبيرة المدني، مختلف في صحبته- روى عن: أبيه ويحيى بن سعيد الأنصاري وأبي الطوالة، وعنه: سويد بن عبد العزيز ويحيى بن أيوب والليث ونافع بن يزيد، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. انظر: "ميزان الاعتدال" ٢/ ٩٩، "تهذيب التهذيب" ٣/ ٤٠٠.
(٣٠٩٥) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٢.
(٣٠٩٦)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٨٩ من طريق عوف بلفظ: يقول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٣٠٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٢-٣٠١.
(٣٠٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٢.
(٣٠٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٢.
(٣١٠٠)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦١١ -.
(٣١٠١) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٢.

قال قتادة:" يقول الرجل: لا تقل لأخيك المسلم: ذاك فاسق، ذاك منافق، نهى الله المسلم عن ذلك وقدّم فيه"[٣١٠٢].

وفي رواية:" يقول: لا يقولنّ لأخيه المسلم: يا فاسق، يا منافق"[٣١٠٣].

عن أبي العالية الرِّياحيّ، في الآية: "{ولا تنابزوا بالألقاب}، قال: هو قول الرجل لصاحبه: يا فاسق، يا منافق"[٣١٠٤].

الثالث: أن التنابز بالألقاب: أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها، وراجع الحقّ، فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله. روي عن الحسن نحوه[٣١٠٥]، والقرظي نحو هذا المعنى[٣١٠٦].

وقال الحسن:" كان اليهودي والنصرانيّ يسلم، فيلقب فيقال له: يا يهوديّ، يا نصراني، فنهوا عن ذلك"[٣١٠٧].

الرابع: أن تُسمّيه بغير اسم الإسلام: يا خنزير، يا كلب، يا حمار. قاله عطاء[٣١٠٨].

روي عن طلحة بن عمرو، أنه قال: "قلت لعطاء: يا أبا محمد {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} ما هذا الذي نهى عنه؟ قال: كل شيء أخرجت به أخاك من الإسلام، يا كلب يا حمار يا خنزير ونحو هذا"[٣١٠٩].

قال إبراهيم: "كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا حمار يا كلب يا خنزير، قال الله له يوم القيامة: أتراني خلقته كلباً أو حماراً أو خنزيراً"[٣١١٠].

والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب؛ والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهية ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها. وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض، لأن كلّ ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضا[٣١١١].

قوله تعالى:{بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} [الحجرات : ١١]، أي:" بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه"[٣١١٢].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، "{بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان}، قال: الرجل يكون على دينٍ من هذه الأديان، فيُسلم، فتدعوه بدينه الأول: يا يهودي، يا نصراني"[٣١١٣].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)} [الحجرات : ١٢]

(٣١٠٢) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٢.

(٣١٠٣) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٢.

(٣١٠٤)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٨٩ من طريق عوف بلفظ: يقول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٣١٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٢.

(٣١٠٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣١٠٧) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٢.

(٣١٠٨)ذكر ذلك الواحدي في "التفسير البسيط": ٣٥٧/٢٠، والبغوي ٧/ ٣٤٤ ونسبه لعطاء، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٧/ ٥٦٤ لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء، ونسبه في "الوسيط" ٤/ ١٥٥ لعطاء.

(٣١٠٩) انظر: المصادر السابقة.

(٣١١٠) التفسير البسيط للواحدي: ٣٥٧/٢٠.

(٣١١١) تفسير الطبري :٣٠٢/٢٢.

(٣١١٢) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣١١٣)الدر المنثور: ٥٦٤/٧-٥٦٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين; إن بعض ذلك الظن إثم، ولا تُفَتِّشوا عن عورات المسلمين، ولا يقل بعضكم في بعضٍ بظهر الغيب ما يكره. أيحب أحدكم أكل لحم أخيه وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك، فاكرهوا اغتيابه. وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله تواب على عباده المؤمنين، رحيم بهم.
سبب النزول:
عن مقاتل في قوله -تعالى-: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}؛ قال: "نزلت هذه الآية في رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إداما فمنع، فقالوا له: إنه لبخيل وخيم، فنزلت في ذلك"(٣١١٤). [ضعيف]
عن السدي:" أن سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما وأن سلمان نام يوما فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء، وقالا: ما يريد سلمان شيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما إداما، فانطلق فأتاه، فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك، قال: ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتدموا، فرجع سلمان فخبرهما فانطلقا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا، قال: إنكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما، فنزلت: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا } [الحجرات : ١٢]"(٣١١٥).[ضعيف]
عن ابن جريج في قوله -تعالى-: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}؛ قال: "زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد؛ فنفخ فذكر رجلان أكله ورقاده؛ فنزلت"(٣١١٦). [ضعيف]
قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات : ١٢]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين، إنَّ في بعض الظنِّ إثم وذنب يستحق صاحبه العقوبة عليه"(٣١١٧).
قال الحسن:" إذا ظننت بأخيك المسلم ظنًّا حسنًا؛ فأنت مأجور، وإذا ظننتَ به ظنًّا سيّئًا؛ فأنت آثم"(٣١١٨).
عن سعيد بن المسيب، قال: "كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يده وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وعليك بإخوان الصدق فكن في اكتسابهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة عند عظيم البلاء ولا تهاون بالحق فيهينك الله ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون ولا تضع حديثك إلا عند من يشتهيه وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب"(٣١١٩).

(٣١١٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٠) ونسبه لابن أبي حاتم. وهذا ضعيف؛ لإعضاله.
وفي تفسير مقاتل:٩٦/٤، قال:" نزلت في «فتير» ويقال: «فهير»، خادم النبي- صلى الله عليه وسلم- وذلك أنه قيل له : إنك وخيم ثقيل بخيل".
(٣١١٥)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٠)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهذا-أيضا- ضعيف؛ لإعضاله.
(٣١١٦)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٠) ونسبه لابن المنذر.
قلنا: وهذا -أيضاً- ضعيف؛ لإعضاله.
(٣١١٧) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣١١٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦٤ -.
(٣١١٩) الدر المنثور: ٥٦٦/٧، وعزاه إلى البيهقي في "الشعب".

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: قال رسول الله -صلي الله عليه-: "ثلاثة لا ينجو منهن أحد: سوء الظن والطيرة والحسد، فإذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا"[٣١٢٠].

عن أنس -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"[٣١٢١].

عن حارثة بن النعمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاث لازمات لأمتي : الطِّيَرَةُ، والحسد وسوء الظن". فقال رجل : ما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال : "إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فَأمض"[٣١٢٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات : ١٢]، أي:" ولا تُفَتِّشوا عن عورات المسلمين"[٣١٢٣].

قال مجاهد:" خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله"[٣١٢٤].

قال الحسن:" لا يتَّبع الرجلُ عورةَ أخيه المسلم"[٣١٢٥].

قال قتادة:" هل تدرون ما التجسس أو التجسيس؟ هو أن تتبع، أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سرّه"[٣١٢٦].

قال الأوزاعي : "التجسس : البحث عن الشيء. والتحسس : الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم. والتدابر : الصَّرْم"[٣١٢٧].

عن زيد، قال : "أتي ابن مسعود، رضي الله عنه، برجل، فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمرا. فقال عبد الله : إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به"[٣١٢٨].

عن معاوية، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم" أو : "كدت أن تفسدهم". فقال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، نفعه الله بها"[٣١٢٩].

وفي الحديث: "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس، أفسدهم"[٣١٣٠].

عن دُخَيْن كاتب عقبة قال : "قلت لعقبة : إن لنا جيرانا يشربون الخمر، وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم. قال : لا تفعل، ولكن عظهم وتهددهم. قال : ففعل فلم ينتهوا. قال : فجاءه دُخَيْن فقال : إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرط فيأخذونهم. قال : لا تفعل، ولكن عظهم وتهددهم. قال : ففعل فلم ينتهوا. قال : فجاءه دخين فقال : إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرط فتأخذهم. فقال له عقبة :

(٣١٢٠) تفسير إسحاق البستي(٩٨٠):ص٣٩٠/٢.

(٣١٢١)صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩)، وسنن الترمذي برقم (١٩٣٥).

(٣١٢٢)المعجم الكبير (٢٢٨/٣)، قال الهيثمي في المجمع (٧٨/٨) : "فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف".

(٣١٢٣) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣١٢٤) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٢.

(٣١٢٥)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦٤ -.

(٣١٢٦) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٢.

(٣١٢٧) رواه ابن ابي حاتم:٣٣٠٥/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٩/٧.

(٣١٢٨)سنن أبي داود برقم (٤٨٩٠)، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٦١٦):ص١٠، ٣٣٠٥- قال ابن كثير: ٣٧٨/٧:" سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط".

وذلك لما أكثر الناس في الوليد بن عقبة، وقد كان ابن مسعود على بيت المال في ولاية الوليد بن عقبة في عهد عثمان رضي الله عنه وقصة جلد الوليد على الخمر مشهورة في الصحيحين".

(٣١٢٩)سنن أبي داود برقم (٤٨٨٨).

(٣١٣٠)سنن أبي داود برقم (٤٨٨٩).

ويحك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها"[٣١٣١].

قوله تعالى:{وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [الحجرات : ١٢]، أي:" ولا يقل بعضكم في بعضٍ بظهر الغيب ما يكره"[٣١٣٢].

قال مسروق :" الغيبَة: أن يقول للرجل أسوأ ما يعلم فيه، والبهتان: أن يقول ما ليس فيه"[٣١٣٣].

عن الحسن:" أنه قال في الغيبة: أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوئ أعماله، فإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان"[٣١٣٤].

قال ابن أمّ عبد: "ما التقم أحد لقمة أشرّ من اغتياب المؤمن، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه، وإن قاله فيه ما لا يعلم فقد بَهَتَه"[٣١٣٥].

عن حسان بن المخارق: " أن امرأة دخلت على عائشة; فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، أي أنها قصيرة، فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «اغْتَبْتِها»"[٣١٣٦].

عن أبي إسحاق، قال: "لو مرّ بك أقطع، فقلت: ذاك الأقطع، كانت منك غيبة; قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك"[٣١٣٧].

عن أبي هريرة: " أن رجلا قام عند رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فرأوا في قيامه عجزا، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلانا، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أَكَلْتُم أخاكُمْ واغْتَبْتُمُوه»"[٣١٣٨].

عن إبراهيم قال: "أقبل قوم من سفر ومعهم رجل فكان لا يأكل إلا ما قالوا له: كل، ولا يشرب إلا ما قالوا له: اشرب، ولا يركب إلا ما قالوا له: اركب، ولا ينزل إلا ما قالوا له: انزل، فجعلوا يذكرون ذلك منه فيما بينهم، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه قال: لقد أكلتم لحمًا، قالوا: يا رسول الله ما أكلنا لحمًا، قال: أي شيء ذكرتم من فلان؟"[٣١٣٩].

قوله تعالى:{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} [الحجرات : ١٢]، أي:" أيحب أحدكم أكل لحم أخيه وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك، فاكرهوا اغتيابه"[٣١٤٠].

قال قتادة:" يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غيبته وهو حي"[٣١٤١].

قال مجاهد:" لما نزلت: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا}، قالوا: نكره ذلك، قال: فاتقوا الله في الغيبة"[٣١٤٢].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[٣١٤٣].

(٣١٣١)المسند (١٥٣/٤) وسنن أبي داود برقم (٤٨٩٢) والنسائي في السنن الكبري برقم (٧٢٨٣).
(٣١٣٢) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣١٣٣) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٢.
(٣١٣٤) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٢.
(٣١٣٥) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٢.
(٣١٣٦) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢٢.
(٣١٣٧) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢٢.
(٣١٣٨) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢٢.
(٣١٣٩) تفسير إسحاق البستي(٩٨٣):ص٣٩١/٢.
(٣١٤٠) التفسير الميسر: ٥١٦.
(٣١٤١) أخرجه الطبري: ٣٠٨/٢٢.
(٣١٤٢) تفسير مجاهد: ٦١٢، وأخرجه الطبري: ٣٠٨/٢٢. بلفظ:«فكذلك فاتقوا الله».
(٣١٤٣)سنن أبي داود برقم (٤٨٨٢) وسنن الترمذي برقم (١٩٢٧).

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، قلت : من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم"(٣١٤٤).

وعن سليمان التيمي، قال : "سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النَّهْدِي عن عبيد - مولى رسول الله - أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن رجلا أتى رسول الله فقال : يا رسول الله، إن هاهنا امرأتين صامتا، وإنهما كادتا تموتان من العطش - أرَاهُ قال : بالهاجرة - فأعرض عنه - أو : سكت عنه - فقال : يا نبي الله، إنهما - والله قد ماتتا أو كادتا تموتان. فقال : ادعهما. فجاءتا، قال : فجيء بقدح - أو عُسّ - فقال لإحداهما : " قيئي" فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح. ثم قال للأخرى : قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا وغيره حتى ملأت القدح. فقال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس"(٣١٤٥).

قال ابن جُرَيْج:" أخبرني أبو الزبير عن ابن عَمّ لأبي هريرة أن ماعزًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إني قد زنيت فأعرض عنه - قالها أربعا - فلما كان في الخامسة قال : "زنيت" ؟ قال : نعم. قال : "وتدري ما الزنا ؟" قال : نعم، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال : "ما تريد إلى هذا القول ؟" قال : أريد أن تطهرني. قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب المِيل في المكحلة والرِّشاء في البئر ؟". قال : نعم، يا رسول الله. قال : فأمر برجمه فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجمَ رجم الكلب. ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مَرّ بجيفة حمار فقال : أين فلان وفلان ؟ أنزلا فكلا من جيفة هذا الحمار" قالا غفر الله لك يا رسول، الله وهل يُؤكل هذا ؟ قال : "فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا من، والذي نفسي بيده، إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها"(٣١٤٦).

عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين"(٣١٤٧).

وفي رواية عن جابر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن نفرًا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين، فلذلك بعثت هذه الريح" وربما قال : "فلذلك هاجت هذه الريح"(٣١٤٨).

روي:" أن طبيبين دخلا على ابن سيرين، فلما خرجا، قال: لولا أن يكون غيبة لذكرت أيهما أطب"(٣١٤٩).

روي عن ابن شوذي، قال: "قال رجل لابن سيرين: إنّي قد اغتبتك، فاجعلني في حلّ، قال: إنّي أكره أن أحلّ ما حرّم الله"(٣١٥٠).

(٣١٤٤)سنن أبي داود برقم (٤٨٧٨)، والمسند (٢٢٤/٣).
(٣١٤٥)المسند (٤٣١/٥) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٧١) من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي به.
(٣١٤٦)مسند أبي يعلى (٥٢٤/٦) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٧/٨) من طريق عمرو بن الضحاك به ؛ ورواه أبو داود في السنن برقم (٤٤٢٩) من طريق الضحاك به. قال ابن كثير:٣٨٣/٧" إسناده صحيح".
(٣١٤٧)المسند (٣٥١/٣) قال الهيثمي في المجمع (٩١/٨) : "رجاله ثقات".
(٣١٤٨) رواه عبد بن حميد في المنتخب برقم (١٠٢٦).
(٣١٤٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٢٧/٥.
(٣١٥٠) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٦/٩.

عن هشام بن حسّان عن خالد الربعي، قال: "قال عيسى ابن مريم لأصحابه: أرأيتم لو أنّ أحدكم رأى أخاه المسلم قد كشف الريح عن ثيابه؟ قالوا: سبحان الله إذا كنّا نردّه. قال: لا، بل كنتم تكشفون ما بقي، مثلا ضربه لهم يسمعون للرجل سيئة أو حسنة، فيذكرون أكثر من ذلك"[٣١٥١].

عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهَنِيّ، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من حمى مؤمنا من منافق يعيبه، بعث الله إليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم. ومن رمى مؤمنا بشيء يريد شينه، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال"[٣١٥٢].

عن إسماعيل بن بشير، قال: سمعت جابر بن عبد الله، وأبا طلحة بن سهل الأنصاري يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من امرىء يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في مواطن يحب فيها نصرته. وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في مواطن يحب فيها نصرته"[٣١٥٣].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحجرات : ١٢]، أي:" وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه"[٣١٥٤].

قال محمد بن إسحاق:"{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٣١٥٥].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات : ١٢]، أي:" إن الله تواب على عباده المؤمنين، رحيم بهم"[٣١٥٦].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[٣١٥٧].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٣١٥٨].

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)} [الحجرات : ١٣]

التفسير:

يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل شعوبًا وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضًا، إن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاءً له. إن الله عليم بالمتقين، خبير بهم.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: أنها نزلت في بلال المؤذن-رضي الله عنه-.

عن ابن أبي مليكة؛ قال: "لما كان يوم الفتح؛ رقى بلال فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة، وقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره؛ فنزلت: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)}"[٣١٥٩]. [ضعيف]

(٣١٥١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٦/٩.

(٣١٥٢)المسند (٤٤١/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٨٨٣).

(٣١٥٣)سنن أبي داود برقم (٤٨٨٤).

(٣١٥٤) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣١٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

(٣١٥٦) التفسير الميسر: ٥١٦.

(٣١٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٣١٥٨)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٣١٥٩) أخرجه الواحدي في أسباب النزول(٧٦٦):ص٤١١، وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٥/ ٧٩) بسند صحيح إلى عبد الرزاق؛ قال: أنبأ معمر عن أيوب عن عكرمة به، ليس فيه ذكر لسبب النزول.

وقال مقاتل:" نزلت في بلال المؤذن وقالوا في سلمان الفارسي وفي أربعة نفر من قريش، فى عتاب بن أسيد ابن أبي العيص، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وأبي سفيان بن حرب، كلهم من قريش وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لما فتح مكة أمر بلالا فصعد ظهر الكعبة وأذن، وأراد أن يذل المشركين بذلك، فلما صعد بلال وأذن. قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أسيد قبل هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: عجبت لهذا العبد الحبشي أما وجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا هذا الغراب الأسود وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول، فإني لو قلت شيئا لتشهدن عليّ السماء ولتخبرن عني الأرض- فنزل جبريل على النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بقولهم فدعاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: كيف قلت يا عتاب؟ قال قلت: الحمد لله الذي قبض أسيد قبل هذا اليوم. قال: صدقت. ثم قال للحارث بن هشام: كيف قلت؟ قال: عجبت لهذا العبد الحبشي أما وجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا هذا الغراب الأسود. قال: صدقت. ثم قال لسهيل بن عمرو: كيف قلت؟ قال: قلت إن يكره الله شيئا يغيره. قال:
صدقت. ثم قال لأبي سفيان: كيف قلت؟ قال: قلت أما أنا فلا أقول شيئا فإني لو قلت شيئا لتشهدن عليّ السماء ولتخبرن عني الأرض. قال: صدقت، فأنزل الله- تعالى- فيهم :{يا أَيُّهَا النَّاسُ}، يعنى: بلالا وهؤلاء الأربعة"[٣١٦٠].

الثاني: أنها نزلت في أبي هند الحجّام.

عن الزهري؛ قال: "أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: يا رسول الله! أتزوج بناتنا مواليا؟ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)}؛ قال الزهري: نزلت في أبي هند خاصة، قال: وكان أبو هند حجام النبي - صلى الله عليه وسلم – "[٣١٦١]. [ضعيف]

الثالث: -وهو قول يزيد بن شجرة-: " كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم يمرّ ببعض أسواق المدينة، فإذا غلام أسود قائم، ينادى عليه ليباع، فمن يريد. وكان الغلام قال: من اشتراني فعلي شرط، قيل: ما هو، قال: ألا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاشتراه رجل على هذا الشرط، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يراه عند كلّ صلاة مكتوبة، ففقده ذات يوم، فقال لصاحبه: أين الغلام؟. فقال: محموم يا رسول الله، فقال لأصحابه: «قوموا بنا نعوده» . فقاموا معه فعادوه، فلما كان بعد أيّام قال لصاحبه: «ما حال الغلام؟» قال: يا رسول الله، إنّ الغلام لما به، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل عليه وهو في ذهابه، فقبض على تلك الحال، فتولّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غسله، وتكفينه، ودفنه، فدخل على المهاجرين، والأنصار من ذلك أمر عظيم، فقال المهاجرون: هاجرنا ديارنا، وأموالنا، وأهالينا، فلم ير أحد منّا في حياته ومرضه وموته ما لقي منه هذا الغلام، وقال الأنصار: آويناه، ونصرناه، وواسيناه فآثر علينا عبدا حبشيّا، فعذر الله سبحانه رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فيما تعاطاه من

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٨) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٣١٦٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٧/٤.
(٣١٦١)أخرجه أبو داود في "المراسيل" (رقم ١٩٥، ٢٣٠) عن عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد كلاهما عن بقية ثنا الزبيدي ثني الزهري به.
قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد، وصرح بقية بالتحديث كما ترى.
وقال أبو داود عقبه: "روي بعضه مسنداً وهو ضعيف".
وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٨) نسبته لابن المنذر وابن جريج والبيهقي في "سننه" وابن مردويه.
قلنا: هو عند البيهقي في "السنن الكبرى" (٧/ ١٣٧) معلقاً عن أبي داود.
وأخرجه ابن مردويه موصولاً -كما في "الدر المنثور"- عن الزهري عن عروة عن عائشة به.
قلنا: وقد تقدم قول أبي داود: "وروي بعضه مسنداً وهو ضعيف.

أمر الغلام، وأراهم فضل التقوى، فأنزل الله سبحانه: {يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً} [الحجرات : ١٣]"[٣١٦٢].[ضعيف]

الرابع: وقال ابن عبّاس: "نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من الذاكر فلانة؟» . فقام ثابت، فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «انظر في وجوه القوم» . فنظر إليهم، فقال: «ما رأيت يا ثابت؟». قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر. قال: «فإنّك لا تفضلهم إلّا في الدّين والتقوى»، فأنزل الله سبحانه في ثابت هذه الآية وبالّذي لم يفسح له: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ، فَافْسَحُوا } [المجادلة : ١١]"[٣١٦٣].

قال الواحدي:" نزلت هذه الآية في الزجر عن التفاخر بالإنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء"[٣١٦٤].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات : ١٣]، أي:" يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب"[٣١٦٥].

قال مجاهد:" خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة"[٣١٦٦].

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}، قال: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا، لأن الله يقول: {خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}"[٣١٦٧].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [الحجرات : ١٣]، أي:" وجعلناكم بالتناسل شعوبًا وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضًا"[٣١٦٨].

عن مجاهد: "{وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، قال: جعلنا هذا لتعارفوا، فلان بن فلان من كذا وكذا"[٣١٦٩].

وفي «الشعوب والقبائل»، أقوال:

أحدها : أن الشعوب: النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب ، قاله مجاهد[٣١٧٠]، وقتادة[٣١٧١].

قال قتادة:" الشعوب: النسب البعيد، والقبائل كقوله: فلان من بني فلان، وفلان من بني فلان"[٣١٧٢].

وقال الضحاك:" أما الشعوب: فالنسب البعيد"[٣١٧٣].

وقال الضحاك:" الشعوب الأفخاذ الصغار، والقبائل من تميم ومن أسد وقيس وأشباههم من القبائل"[٣١٧٤].

الثاني : الشعوب: الجمهور، والقبائل: الأفخاذ. قاله سعيد بن جبير[٣١٧٥].

الثالث: أن الشعوب: أهل الجبال الذين لا يَعْتَزُون لأحد، والقبائل: قبائل العرب. قاله أبو رزين[٣١٧٦].

(٣١٦٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٧/٩- والواحدي في أسباب النزول(٧٦٦١):ص٤١١-٤١٢. بدون إسناد.

(٣١٦٣)ذكره الثعلبي:٨٦/٩ عن ابن عباس ، وأورده الماوردي في "تفسيره" ٥/ ٣٣٣ مختصرًا ونسبه للكلبي والفراء، ونسبه البغوي ٧/ ٣٤٢، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٤٦٥ لابن عباس، وذكره الواحدي في "أسباب النزول" بدون سند ص ٤١٥.

(٣١٦٤) التفسير البسيط: ٣٦٣/٢٠.

(٣١٦٥) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣١٦٦) أخرجه الطبري: ٣٠٩/٢٢.

(٣١٦٧) أخرجه الطبري: ٣٠٩/٢٢.

(٣١٦٨) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣١٦٩) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٢.

(٣١٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٢.

(٣١٧١) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٢.

(٣١٧٢) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٢.

(٣١٧٣) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٢.

(٣١٧٤) تفسير إسحاق البستي(٩٨٨):ص٣٩٣/٢.

(٣١٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٢.

والصواب أن الشعوب أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك[٣١٧٧]، وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك[٣١٧٨].

قوله تعالى:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات : ١٣]، أي:" إن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاءً له"[٣١٧٩].

قال قتادة:" أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور"[٣١٨٠].

عن يحيى بن يعمر، قال " ثلاث آيات، مدنيات، محكمات، ضيعهن كثير من الناس، هذه الآية: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} [النساء : ٨]، وآية الاستئذان: {وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ} [النور : ٥٨]، وقوله جل وعز: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات : ١٣]، إلى آخر الآية "[٣١٨١].

عن محمد بن حبيب بن خِرَاش العَصَرِيّ، عن أبيه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المسلمون إخوة، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى"[٣١٨٢].

عن عائشة قالت : "ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا، ولا أعجبه أحد قط، إلا ذو تقى"[٣١٨٣].

وقال أبو هريرة: "ينادي مناد يوم القيامة إني جعلت نسبا وجعلهم نسبا. {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، ليقم المتقون. فلا يقوم إلا من كان كذلك"[٣١٨٤].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات : ١٣]، أي:" إن الله عليم بالمتقين، خبير بهم"[٣١٨٥].

عن سعيد بن جبير: "{عليم}، يعني: عالم بها"[٣١٨٦].

قال محمد بن إسحاق:" أي: عليم بما يخفون"[٣١٨٧].

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[٣١٨٨].

القرآن

{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)} [الحجرات : ١٤]

التفسير:

قالت الأعراب -وهم البدو-: آمنا بالله ورسوله إيمانًا كاملا قل لهم -أيها النبي-: لا تدَّعوا لأنفسكم الإيمان الكامل، ولكن قولوا: أسلمنا، ولم يدخل بعدُ الإيمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا ينقصكم من ثواب

(٣١٧٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٣/٤.
(٣١٧٧) تفسير ابن كثير:٣٨٥/٧.
(٣١٧٨) تفسير السعدي :٨٠٢.
(٣١٧٩) التفسير الميسر: ٥١٧.
(٣١٨٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٨٨، وتفسير البغوي ٧/ ٣٤٨.
(٣١٨١) أخرجه ابن المنذر في التفسير(١٤١٣).:ص٥٨٠/٢
(٣١٨٢)المعجم الكبير (٢٥/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٨) : "فيه عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، وهو متروك".
(٣١٨٣)المسند (٦٩/٦).
(٣١٨٤) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ١٤٤/٤.
(٣١٨٥) التفسير الميسر: ٥١٧.
(٣١٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٥):ص١٩٥٢/٦.
(٣١٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٨٦):ص١٩٥٢/٦.
(٣١٨٨) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

أعمالكم شيئًا. إن الله غفور لمن تاب مِن ذنوبه، رحيم به. وفي الآية زجر لمن يُظهر الإيمان، ومتابعة السنة، وأعماله تشهد بخلاف ذلك.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال عبد الله بن أبي أوفى: "قال أناس من العرب: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم} [الحجرات : ١٧]"[٣١٨٩].

قال قتادة:" ولعمري ما عمت هذه الآية الأعراب؛ إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إنما أنزلت في حيّ من أحياء العرب امتنوا بإسلامهم على نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان؛ فقال الله -تعالى-: لا تقولوا: آمنا {وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} حتى بلغ: {فِي قُلُوبِكُمْ}"[٣١٩٠]. [ضعيف]

الثاني : قال مجاهد:" نزلت هذه الآية في أعراب أسد بن خزيمة"[٣١٩١].[ضعيف]

ووصف حالهم الواحدي، فقال:" نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية"[٣١٩٢].

وقال الثعلبي:" نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة، ثمّ من بني الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة في سنة جدبة، وأظهروا شهادة أن لا إله إلّا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السرّ، وأفسدوا طرق المدينة بالعدوان، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون، ويروحون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأفعال، والعيال والذراري، يمنون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان، ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا، فأنزل الله سبحانه فيهم هذه الآية"[٣١٩٣].

الثالث : أنها نزلت في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار. قاله السدي[٣١٩٤]، ومقاتل[٣١٩٥].

قال السدي: " نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، كانوا يقولون: آمنّا بالله، ليأمنوا على أنفسهم، وأموالهم، فلمّا استنفروا إلى الحديبية تخلّفوا، فأنزل الله سبحانه: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا أي انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي"[٣١٩٦].

وقال مقاتل:" نزلت في أعراب جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرت بهم سرية من سرايا النبي- صلى الله عليه وسلم- قالوا آمنا ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، وكان يومئذ من قال: «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» يأمن على نفسه وماله فمر بهم خالد بن الوليد في سرية

(٣١٨٩) أخرجه الطبراني في الأوسط(٨٠١٦):٧٨/٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ١١٢/٧. وحسنه السيوطي (لباب النقول: ١٩٩)

(٣١٩٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٣١٥) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٨٣) نسبته لعبد بن حميد.

(٣١٩١) تفسير مجاهد: ٦١٢. من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(٣١٩٢) أسباب النزول(٧٦٧):ص٤١٢.

(٣١٩٣) الكشف والبيان: ٨٩/٩.

(٣١٩٤)عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٩/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٤/٤، ولم أقف عليه، وهو مرسل.

(٣١٩٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٨/٤.

(٣١٩٦)عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٩/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٤/٤، ولم أقف عليه، وهو مرسل.

للنبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا آمنا فلم يعرض لهم، ولا لأموالهم، فلما سار النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى الحديبية واستنفرهم معه. فقال بعضهم لبعض: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس لأهل مكة، وإنهم كلفوا شيئا لا يرجعون عنه أبدا فأين تذهبون تقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى ننظر ما يكون من أمره، فذلك قوله في الفتح: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} [الفتح : ١٢]، إلى آخر الآية، فنزلت فيهم: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا}"[٣١٩٧].[ضعيف]

قوله تعالى:{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات : ١٤]، أي:" قالت الأعراب -وهم البدو-: آمنا بالله ورسوله إيمانًا كاملا قل لهم -أيها النبي-: لا تدَّعوا لأنفسكم الإيمان الكامل، ولكن قولوا: أسلمنا، ولم يدخل الإيمان إلى قلوبكم ولم تصلوا إلى حقيقته بعد"[٣١٩٨].

عن قتادة:"{قَالَتِ الأعْرابُ آمَنّا} الآية، قال: لم تَعمّ هذه الآية الأعراب، ولكنها لطوائف من الأعراب"[٣١٩٩].

وفي قوله تعالى:{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات : ١٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنهم أقروا ولم يعملوا، فالإسلام قول، والإيمان عمل، قاله الزهري[٣٢٠٠]،وإبراهيم النخعي[٣٢٠١].

عن إبراهيم: "{وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}، قال: هو الإسلام"[٣٢٠٢].

قال الزهري:" نرى أنّ الإسلام الكلمة، والإيمان العمل"[٣٢٠٣].

عن داود بن أبي هند، أنّه سُئل: "عن الإيمان. فتَلا هذه الآية: {قَالَتِ الأعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا}، قال: الإسلام: الإقرار، والإيمان: التصديق"[٣٢٠٤].

عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: "أعطى النبي صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجلا منهم شيئا، فقال سعد: يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا، ولم تعط فلانا شيئا، وهو مؤمن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أو مسلم؟ حتى أعادها سعد ثلاثا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: أو مسلم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم إني أعطي رجالا وأدع من هو أحب إلي منهم، لا أعطيه شيئا مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم"[٣٢٠٥].

قال ابن كثير-معلقا على الحديث أعلاه-:" فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلم والمؤمن، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام... ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلما ليس منافقًا ؛ لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام، فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك"[٣٢٠٦].

(٣١٩٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٨/٤. ومقاتل ساقط الرواية كذبه غير واحد، فخبره واه.

(٣١٩٨) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣١٩٩) .

(٣٢٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٣١٤/٢٢.

(٣٢٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣١٥/٢٢.

(٣٢٠٢) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٢.

(٣٢٠٣)أخرجه عبد الرزاق(٢٩٣٩):ص ٢/ ٢٢٣، والطبري: ٣١٤/٢٢ بنحوه. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٥٨٣/٧، إلى ابن المنذر.

(٣٢٠٤) الدر المنثور: ٧/ ٥٨٣، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٣٢٠٥) أخرجه الطبري: ٣١٤/٢٢.

(٣٢٠٦) تفسير ابن كثير: ٣٨٩/٧.

الثاني : أنهم مَنُّوا على رسول الله صلى الله بإسلامهم فقالوا أسلمنا، لم نقاتلك ، فقال الله تعالى لنبيه: قل لهم : لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا خوف السباء والسيف ، قاله سعيد بن جبير[٣٢٠٧]، وقتادة[٣٢٠٨]، ومجاهد[٣٢٠٩].

وعن مجاهد: "{قُولُوا أَسْلَمْنَا}، قال: استسلمنا"[٣٢١٠].

وقال مجاهد:" استسلموا حين خشوا القتل والسبا"[٣٢١١].

عن قتادة:" {ولَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا}: ولكن قولوا: السيف"[٣٢١٢].

والراجح-والله أعلم- هو القول الأول، "وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقّ، وهو أن يقولوا أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة والأموال، والشهادة الحق"[٣٢١٣].

قال ابن كثير:" الصحيح الأول؛ أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد، فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا، كما ذكر المنافقون في سورة براءة. وإنما قيل لهؤلاء تأديبًا :{قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}، أي : لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد"[٣٢١٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} [الحجرات : ١٤]، أي:" وإن تطيعوا الله ورسوله لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئًا"[٣٢١٥].

عن مجاهد، قوله: "{لا يَلِتْكُمْ}، لا ينقصكم"[٣٢١٦]. وفي رواية:"لا ينقصكم من أعمالكم شيئا ولا يظلمكم"[٣٢١٧].

قال قتادة:" يقول: لن يظلمكم من أعمالكم شيئا"[٣٢١٨]. وروي عن عطاء الخراساني مثله[٣٢١٩].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحجرات : ١٤]، أي:" إن الله غفور لمن تاب مِن ذنوبه، رحيم به. وفي الآية زجر لمن يُظهر الإيمان، ومتابعة السنة، وأعماله تشهد بخلاف ذلك"[٣٢٢٠].

عن قتادة:" {غفور} للذنوب الكثيرة أو الكبيرة، -شكّ يزيد-، {رحيم} بعباده"[٣٢٢١].

القرآن

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)} [الحجرات : ١٥]

التفسير:

(٣٢٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١٦/٢٢.
(٣٢٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٣١٥/٢٢.
(٣٢٠٩) رواه سفيان في التفسير(٩٠٢: ٢):ص٢٧٩.
(٣٢١٠) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢٢.
(٣٢١١) أخرجه سفيان في التفسير(٩٠٢: ٢):ص٢٧٩.
(٣٢١٢) .
(٣٢١٣) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٢.
(٣٢١٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٩/٧.
(٣٢١٥) التفسير الميسر: ٥١٧.
(٣٢١٦) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٢.
(٣٢١٧) تفسير مجاهد: ٦١٢.
(٣٢١٨) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٢.
(٣٢١٩)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٩.
(٣٢٢٠) التفسير الميسر: ٥١٧.
(٣٢٢١) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٢.

إنما المؤمنون الذين صدَّقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم.

قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات : ١٥]، أي:" إنما المؤمنون الذين صدَّقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه"(٣٢٢٢).

عن سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٣٢٢٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات : ١٥]، أي:" ثم لم يرتابوا في إيمانهم"(٣٢٢٤).

عن وسعيد بن جبير، وأبي مالك، ونافع مولى بن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وإسماعيل بن أبي خالد، قالوا: "الريب: الشك"(٣٢٢٥).

عن أبي سعيد، قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم. ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله، عز وجل"(٣٢٢٦).

القرآن

{قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦)} [الحجرات : ١٦]

التفسير:

قل -أيها النبي- لهؤلاء الأعراب: أتُخَبِّرون الله بدينكم وبما في ضمائركم، والله يعلم ما في السموات وما في الأرض؟ والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه ما في قلوبكم من الإيمان أو الكفر، والبر أو الفجور.

سبب النزول:

قال الثعلبي: " فلمّا نزلت هاتان الآيتان[الحجرات: ١٤-١٥](٣٢٢٧)، أتت الأعراب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فحلفوا بالله إنّهم مؤمنون في السرّ، والعلانية، وعرف الله غير ذلك منهم، فأنزل الله سبحانه: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} الذي أنتم عليه"(٣٢٢٨).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحجرات : ١٦]، أي:" والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه ما في قلوبكم من الإيمان أو الكفر، والبر أو الفجور"(٣٢٢٩).

عن محمد بن إسحاق:{عَلِيمٌ}:" عليم بما يخفون"(٣٢٣٠).

قال سعيد بن جبير:" {عليم}، يعني: عالما بها"(٣٢٣١).

القرآن

(٣٢٢٢) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣٢٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(٣٢٢٤) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣٢٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٤٥):ص١٢٦٩/٤.

(٣٢٢٦)المسند (٨/٣) وفي إسناده بن أبي السمح عن أبي الهيثم وهو ضعيف.

(٣٢٢٧) يقصد قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)} [الحجرات : ١٤ - ١٥].

(٣٢٢٨) الكشف والبيان: ٩٠/٩-٩١. وانظر: تفسير القرطبي: ٣٤٩/١٦.

(٣٢٢٩) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣٢٣٠) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(٣٢٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.

{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)} [الحجرات : ١٧]

التفسير:

يَمُنُّ هؤلاء الأعراب عليك -أيها النبي- بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم لك، قل لهم: لا تَمُنُّوا عليَّ دخولكم في الإسلام ; فإنَّ نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه أنْ وفقكم للإيمان به وبرسوله، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قدم وقد بني أسد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتكلموا؛ فقالوا: قاتلتك مضر ولسنا بأقلهم عدداً ولا أكلَّهم شوكة، وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-: "تكلموا هكذا"، قالوا: لا، قال: "إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم"، قال عطاء في حديثه؛ فأنزل الله -جلّ وعزّ-: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)}"[٣٢٣٢]. [حسن]

عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: "قدم عشرة رهط من بني أسد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول سنة تسع وفيهم حضرمي بن عامر وضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وقتادة بن القائف وسلمة بن جيش ونقادة بن عبد الله بن خلف وطلحة بن خويلد، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد مع أصحابه؛ فسلموا، وقال متكلمهم: يا رسول الله! إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله! ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن وراءنا سلم؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)}"[٣٢٣٣]. [ضعيف جداً]

(٣٢٣٢)أخرجه أبو يعلى في "المسند" -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣٤٥ رقم ٣٧٣) -، والنسائي في "التفسير" (٢/ ٣٢٤ رقم ٥٣٩): ثنا سعيد بن يحيى الأموي، والبزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٣٥) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣٤٦ رقم ٣٧٤) -: ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري كلاهما عن يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: أبو عون هو عطاء بن السائب؛ صدوق؛ لكنه اختلط، ولم يذكروا محمداً ضمن الذين رووا عنه قبل الاختلاط. وقد قال أبو زرعة: "حديث أبي عون عن سعيد مرسل".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٨٥) وزاد نسبته لابن مردويه.

وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفي بنحوه.

أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٨/ ٧٨ رقم ٨٠١٦)، و"الكبير"؛ كما في "مجمع الزوائد" (٧/ ١١٢) من طريق حفص بن غياث عن حجاج بن أرطاة عن إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي عن عبد الله به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ الحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس.

قال الهيثمي: "وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو ثقة!! ولكنه مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح".

وقال السيوطي في "لباب النقول" (ص ١٩٩)، و"الدر المنثور" (٧/ ٥٨٥): "بسند حسن! "، وزاد في "الدر الممنثور" نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٣٢٠): ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد؛ رجاله رجال الصحيحين، وهو أصح من موصول حديث ابن عباس فالعمدة على هذا.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٨٥) وزاد نسبته لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

لكن الحديث بمجموع مرسل سعيد بن جبير وموصول حديث ابن أبي أوفى يرتقي إلى درجة الحسن بإذن الله.

(٣٢٣٣)أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/ ٢/ ٣٩): نا محمد بن عمر عن هشام بن سعيد عن محمد به.

قلنا: وهذا مرسل واه بمرة، ضعيف جداً؛ فيه الواقدي الهالك.

عن الحسن؛ قال: "لما فتحت مكة؛ جاء ناس، فقالوا: يا رسول الله! إنا قد أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)}"[٣٢٣٤]. [ضعيف]

قال ابن زيد:" فهذه الآيات نزلت في الأعراب"[٣٢٣٥].[ضعيف]

قال الزجاج:" قيل إن هذه نزلت في المنافقين. فاعلموا أنكم إنْ كنتم صادقين فإنكم قد أسلمتم فلله المنُّ عَلَيْكمْ لِإخراجه إياكم من الضلالة إلى الهدى. وقد قيل: إنها نزلت في غير المنافقين، في قوم من المسلمين قالوا آمنا وهاجرنا وفعلنا وصنعنا فمنوا على رسول الله بذلك. والأشبه - والله أعلم - أن يكون في قوم من المنافقين"[٣٢٣٦].

قوله تعالى:{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} [الحجرات : ١٧]، أي:" يَمُنُّ هؤلاء الأعراب عليك -أيها النبي- بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم لك"[٣٢٣٧].

عن أبي بشر، قال: "قلت لسعيد بن جُبَير: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا}، أهم بنو أسد؟ قال: يزعمون ذاك"[٣٢٣٨].

قال الحسن البصري: "هؤلاء مؤمنون وليسوا بمنافقين، ولكنهم كانوا يقولون لرسول الله: أسْلَمنا قبل أن يُسلم بنو فلان، وقاتَلنا معك قبل أن يُقاتل بنو فلان"[٣٢٣٩].

عن حبيب بن أبي عمرة، قال: "كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد، أو بشر بن عطارد، ولبيد بن غالب عند الحجاج جالسين، فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد: نزلت في قومك بني تميم {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ}، فذكرت ذلك لسعيد بن جُبَير، فقال: إنه لو علم بآخر الآية أجابه: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا}، قالوا أسلمنا ولم تقاتلك بنو أسد"[٣٢٤٠].

قوله تعالى:{قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات : ١٧]، أي:" قل لهم: لا تَمُنُّوا عليَّ دخولكم في الإسلام; فإنَّ نفع ذلك إنما يعود عليكم، بل للهِ المنةُ العظمة عليكم، بالهداية للإيمان والتثبيت عليه إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان"[٣٢٤١].

قال قتادة:" منّوا على النبي -عليه الصلاة والسلام- حين جاءوه، فقالوا: إنّا قد أسْلَمنا بغير قتال، لم نُقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان. فقال الله تعالى لنبيّه - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ}"[٣٢٤٢].

وفى قراءة عبد الله: «إذ هداكم»[٣٢٤٣].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)} [الحجرات : ١٨]

التفسير:

(٣٢٣٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٨٥) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

قلنا: وهو ضعيف؛ لإرساله.

(٣٢٣٥) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٢. وسنده صحيح إلى ابن زيد؛ لكن ابن زيد -هذا- هو عبد الرحمن بن زيد من أسلم، متروك الحديث، وهو معضل

(٣٢٣٦) معاني القرآن: ٣٩/٥.

(٣٢٣٧) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣٢٣٨) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٢.

(٣٢٣٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦٧ -.

(٣٢٤٠) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٢.

(٣٢٤١) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣٢٤٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٣٥، والطبري: ٣٢٠/٢٢-٣٢١.

(٣٢٤٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٧٤/٣.

إن الله يعلم غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحجرات : ١٨]، أي:" إن الله يعلم غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك"(٣٢٤٤).

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(٣٢٤٥).

قرأ ابن كثير والأعمش وطلحة بالياء، وغيرهم: "بالتاء"(٣٢٤٦).

«آخر تفسير سورة (الحجرات)، والحمد لله وحده»

(٣٢٤٤) التفسير الميسر: ٥١٧.

(٣٢٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص٦/١٨٦٤-١٨٦٥.

(٣٢٤٦)انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص ٦٠٦)، "التذكرة" لابن غلبون ٢/ ٥٦٢، "التيسير" للداني (ص ١٦٤)، "التلخيص في القراءات الثمان" لأبي معشر الطبري (ص ٤١٥)، "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري ٢/ ٣٧٦، "البدور الزاهرة" للنشار (٣٠٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «ق»

سورة «ق»: هي السورة الخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الرابعة والثلاثون بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة المرسلات»، وقبل «سورة البلد»، وعدد وآياتها خمس وأربعون. وكلماتها ثلاثمائة وخمس وسبعون. وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون. مجموع فواصل آياتها «صر جد ظب»[٣٢٤٧].

قال ابن كثير: وهذه السورة هي أول الحزب «المفصل» على الصحيح، وقيل : من الحجرات. وأما ما يقوله العامة: إنه من «عَمّ» فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أوس بن حذيفة، قال: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزِّبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده»[٣٢٤٨]. إذا علم هذا، فإذا عددت ثمانيا وأربعين سورة، فالتي بعدهن سورة «ق». والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب"[٣٢٤٩].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت في مكة. قاله ابن عباس[٣٢٥٠]، وابن الزبير[٣٢٥١]، وجابر[٣٢٥٢]، والحسن[٣٢٥٣]، ومجاهد[٣٢٥٤]، وقتادة[٣٢٥٥]، وعكرمة[٣٢٥٦]، وعطاء[٣٢٥٧]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٣٢٥٨].

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: "نزلت المفصل بمكة فمكثنا حججا نقرأوه لا ينزل غيره"[٣٢٥٩].

وأخرج ابن أبي داود وابن عساكر، عن عثمان بن عفان:" أنها لما ضربت يده، قال: والله إنها لأول يد خطت المفصل"[٣٢٦٠].

(٣٢٤٧) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٧.

(٣٢٤٨)سنن أبي داود برقم (١٣٩٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٣٤٥)، والمسند (٩/٤).

(٣٢٤٩) تفسير ابن كثير: ٣٩٢/٧-٣٩٣.[باختصار]

(٣٢٥٠) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤، بدون إسناد، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

.

(٣٢٥١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

.

(٣٢٥٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١/١٧. بدون إسناد.

(٣٢٥٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.

(٣٢٥٤) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤، بدون إسناد.

.

(٣٢٥٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.

(٣٢٥٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.

(٣٢٥٧) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١/١٧. بدون إسناد.

(٣٢٥٨) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤.

(٣٢٥٩) الدر المنثور: ٥٨٧/٧.

(٣٢٦٠) الدر المنثور: ٥٨٧/٧.

الثاني: أنّ فيها آية مدنيّة، وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق : ٣٨]. حكي هذا القول عن ابن عباس[٣٢٦١]، وقتادة[٣٢٦٢]. وبه قال الزمخشري[٣٢٦٣].

قال ابن عاشور: قيل:" أنها نزلت في اليهود، يعني: في الرد عليهم إذ قالوا: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، يعني أن مقالة اليهود سمعت بالمدينة، يعني: وألحقت بهذه السورة لمناسبة موقعها. وهذا المعنى وإن كان معنى دقيقا في الآية فليس بالذي يقتضي أن يكون نزول الآية في المدينة فإن الله علم ذلك فأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على أن بعض آراء اليهود كان مما يتحدث به أهل مكة قبل الإسلام يتلقونه تلقي القصص والأخبار. وكانوا بعد البعثة يسألون اليهود عن أمر النبوءة والأنبياء، على أن إرادة الله إبطال أوهام اليهود لا تقتضي أن يؤخر إبطالها إلى سماعها بل قد يجيء ما يبطلها قبل فشوها في الناس كما في قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر : ٦٧] فإنها نزلت بمكة. وورد أن النبيء صلى الله عليه وسلم أتاه بعض أحبار اليهود فقال: إن الله يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والبحار على أصبع والجبال على أصبع ثم يقول «أنا الملك أين ملوك الأرض»[٣٢٦٤] فتلا النبيء صلى الله عليه وسلم الآية، والمقصود من تلاوتها هو قوله: وما قدروا الله حق قدره. والإيماء إلى سوء فهم اليهود صفات الله"[٣٢٦٥].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[٣٢٦٦].

قال السمعاني:" هي مكية"[٣٢٦٧].

قال البغوي:" سورة «ق» مكية"[٣٢٦٨].

قال القرطبي:" سورة ق مكية كلها"[٣٢٦٩].

(٣٢٦١) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٧. بدون إسناد.

(٣٢٦٢) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٧. بدون إسناد.

(٣٢٦٣) انظر: الكشاف: ٣٧٩/٤.

(٣٢٦٤) نص الحديث« يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض». حديث أبى هريرة: البخاري (١٨١٢/٤، رقم ٤٥٣٤) ، ومسلم (٢١٤٨/٤، رقم ٢٧٨٧) ، والنسائى فى الكبرى (٤٠١/٤، رقم ٧٦٩٢) ، وابن ماجه (٦٨/١، رقم ١٩٢) . وأخرجه أيضا: أحمد (٣٧٤/٢، رقم ٨٨٥٠) . حديث ابن عمر: أخرجه البخارى (٢٦٩٧/٦، رقم ٦٩٧٧).

(٣٢٦٥) التحرير والتنوير: ٢٧٤/٢٦.

(٣٢٦٦) المحرر الوجيز: ١٥٥/٥.

(٣٢٦٧) انظر: تفسير السمعاني: ٢٣٤/٥.

(٣٢٦٨) تفسير البغوي: ٣٥٢/٧.

(٣٢٦٩) تفسير القرطبي: ١/١٧.

القرآن

{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)} [ق : ١]

التفسير:

{ق} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

أقسم الله تعالى بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف.

وفي قوله تعالى: {ق} [ق : ١]، أقوال:

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة[٣٢٧٠].

الثاني: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا ، قاله الضحاك[٣٢٧١]، وابن بريدة[٣٢٧٢]، وعكرمة[٣٢٧٣]، ومجاهد[٣٢٧٤]، وهو قول اكثر المفسرين[٣٢٧٥].

الثالث: أن «ق»: فاتحة السورة. رواه خصيف عن مجاهد[٣٢٧٦]، وهو مذهب أهل اللغة[٣٢٧٧].

قوله تعالى:{وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق : ١]، أي:" أقسم بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف"[٣٢٧٨].

عن سعيد بن جبير، "{وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}، قال: الكريم"[٣٢٧٩].

القرآن

{بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)} [ق : ٢]

التفسير:

بل عجب المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم أن جاءهم منذر منهم ينذرهم عقاب الله، فقال الكافرون بالله ورسوله: هذا شيء مستغرب يتعجب منه.

قال الحسن البصري: "وقع القَسَم على تعجُّب المشركين مما جاء به محمد"[٣٢٨٠].

القرآن

{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)} [ق : ٣]

التفسير:

أإذا متنا وصِرْنا ترابًا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ ذلك رجع بعيد الوقوع.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي بن خلف الجمحي، وأبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة، وهما من بني جمح ونبيه ومنبه أخوين ابني الحجاج السهميين، وكلهم من قريش، وقالوا: إن الله لا يحيينا، وكيف يقدر علينا إذا كنا ترابا وضللنا في الأرض؟"[٣٢٨١].

(٣٢٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٢.

(٣٢٧١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٩/٥، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٧٥/٢٠. بدون إسناد.

(٣٢٧٢) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٣٧٥/٢٠. بدون إسناد.

(٣٢٧٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٣٧٥/٢٠. بدون إسناد.

(٣٢٧٤) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٣٧٥/٢٠. بدون إسناد.

(٣٢٧٥) انظر: التفسير البسيط: ٣٧٥/٢٠.

(٣٢٧٦) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٣٧٦/٢٠. بدون إسناد.

(٣٢٧٧)انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة: ٢/ ٢٢٢.

(٣٢٧٨) التفسير الميسر: ٥١٨. [بتصرف]

(٣٢٧٩) جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي(٢٤):ص٢٤، وتفسير ، والطبري: ٣٢٦/٢٢، وتفسير إسحاق البستي(١٠٠١):ص٣٩٩/٢.

(٣٢٨٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٦٩ -.

قوله تعالى:{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا} [ق : ٣]، أي:" أإذا متنا وصِرْنا ترابًا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟"(٣٢٨٢).

قال الضحاك:" قالوا: كيف يحيينا الله، وقد صرنا عظاما ورفاتا، وضللنا في الأرض"(٣٢٨٣).

القرآن

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)} [ق : ٤]

التفسير:

قد علمنا ما تنقص الأرض وتُفني من أجسامهم، وعندنا كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، بكل ما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

قوله تعالى:{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ} [ق : ٤]، أي:" قد علمنا ما تنقص الأرض وتُفني من أجسامهم"(٣٢٨٤).

عن قتادة، قوله: "{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ}:" يعني الموت، يقول: من يموت منهم، أو قال: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا"(٣٢٨٥).

وقال قتادة:" يقول: ما تأكل الأرض منهم"(٣٢٨٦).

قال الحسن:" ما تأكل الأرض من أبدانهم"(٣٢٨٧).

قال السدي:" هو الموت، يقول: قد علِمنا مَن يموت منهم، ومَن يبقى"(٣٢٨٨).

عن مجاهد، قوله: "{مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ}، قال: من عظامهم"(٣٢٨٩).

قال الضحاك:" يقول: ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به، وهم عندي مع علمي فيهم في كتاب حفيظ"(٣٢٩٠).

قوله تعالى:{وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} [ق : ٤]، أي:" وعندنا كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، بكل ما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم"(٣٢٩١).

قال الضحاك:" لِعِدّتهم، وأسمائهم"(٣٢٩٢).

عن الحسن، قال: "{قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنهُمْ} ما تأكل الأرض مِن أبدانهم، {وعندنا} بذلك {كتاب حفيظ}"(٣٢٩٣).

القرآن

{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥)} [ق : ٥]

التفسير:

(٣٢٨١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٠/٤.
(٣٢٨٢) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٢٨٣) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٢.
(٣٢٨٤) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٢٨٥) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٢.
(٣٢٨٦) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٢.
(٣٢٨٧)أخرجه عبد الرزاق ٣/ ٢٢٧.
(٣٢٨٨)تفسير الثعلبي ٩/ ٩٤، وتفسير البغوي ٧/ ٣٥٦.
(٣٢٨٩) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٢.
(٣٢٩٠) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٢.
(٣٢٩١) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٢٩٢)أخرجه إسحاق البستي ص ٤٠٠ من طريق جويبر بلفظ: بعدتهم وأسمائهم. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣٢٩٣)أخرجه عبد الرزاق ٣/ ٢٢٧.

بل كذَّب هؤلاء المشركون بالقرآن حين جاءهم، فهم في أمر مضطرب مختلط، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار.

قوله تعالى:{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ} [ق : ٥]، أي:" بل كذَّب هؤلاء المشركون بالقرآن حين جاءهم"[٣٢٩٤].

قال قتادة:" كذّبوا بالقرآن"[٣٢٩٥].

قوله تعالى:{فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} [ق : ٥]، أي:" فهم في أمر مضطرب مختلط، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار"[٣٢٩٦].

وفي معنى: «المريج» وجوه:

أحدها : في أمر ضلالة. قاله عطية[٣٢٩٧].

قال عطية العَوفيّ: "{فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}: أمر ضلالة"[٣٢٩٨].

الثاني: المُلْتَبِس، قاله سعيد بن جبير[٣٢٩٩]، ومجاهد[٣٣٠٠]، وقتادة-في إحدى الروايات-[٣٣٠١]، والحسن[٣٣٠٢]، وعطاء[٣٣٠٣].

قال قتادة:" ملتبس عليهم أمره"[٣٣٠٤].

قال عطاء الخراساني:" أمرٌ مُلتبسٌ"[٣٣٠٥].

قال معمر: "تلا قتادة: {فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} [ق: ٥]، قال: «من ترك الحق مرج عليه رأيه والتبس عليه دينه»"[٣٣٠٦].

قال الحسن البصري: "{فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} ما ترك قومٌ الحقَّ إلا مَرَج أمرهم"[٣٣٠٧].

الثالث: أن المريج: المختلط . قاله الضحاك[٣٣٠٨].

وهذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل. وإذا كان كذلك كان منكرا، لأن المعروف واضح بين، وإذا كان غير معروف كان لا شكّ ضلالة، لأن الهدى بين لا لبس فيه[٣٣٠٩].

القرآن

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦)} [ق : ٦]

التفسير:

(٣٢٩٤) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٢٩٥) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٢.
(٣٢٩٦) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٢٩٧)تفسير الثعلبي ٩/ ٩٤.
(٣٢٩٨)تفسير الثعلبي ٩/ ٩٤.
(٣٢٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٢.
(٣٣٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٢.
(٣٣٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٢.
(٣٣٠٢) انظر: النكت والعيون: ٣٤١/٥.
(٣٣٠٣)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٨.
(٣٣٠٤) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٢.
(٣٣٠٥)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٨.
(٣٣٠٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٤٨):ص٢٢٨/٣.
(٣٣٠٧)تفسير البغوي ٧/ ٣٥٧.
(٣٣٠٨) انظر: النكت والعيون: ٣٤١/٥.
(٣٣٠٩) تفسير الطبري: ٣٣١/٢٢.

أغَفَلوا حين كفروا بالبعث، فلم ينظروا إلى السماء فوقهم، كيف بنيناها مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، وزيناها بالنجوم، وما لها من شقوق وفتوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب؟

قوله تعالى:{وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق : ٦]، أي:" وما لها من شقوق وفتوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب"(٣٣١٠).

عن مجاهد، قوله: "{مِنْ فُرُوجٍ}، يقول: ما لها من شَقّ"(٣٣١١).

عن الضحاك:" {وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ}، مِن شُقوق"(٣٣١٢).

القرآن

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)} [ق : ٧]

التفسير:

والأرض وسَّعْناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالا ثوابت; لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يَسُرُّ ويبهج الناظر إليه.

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} [ق : ٧]، أي:" والأرض وسَّعْناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالا ثوابت; لئلا تميل بأهلها"(٣٣١٣).

قال قتادة:" الرواسي: الجبال"(٣٣١٤). وقال قتادة:" أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا"(٣٣١٥).

عن قتادة، عن الحسن ، في قوله تعالى: "{وألقى في الأرض رواسي} [النحل: ١٥] ، قال: " الجبال {أن تميد بكم} [النحل: ١٥] ، قال: وسمعت الحسن ، يقول: " لما خلقت الأرض كادت أن تميد ، فقالوا: ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا؟ فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال؟"(٣٣١٦).

قوله تعالى:{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [ق : ٧]، أي:" وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يَسُرُّ ويبهج الناظر إليه"(٣٣١٧).

عن قتادة، قوله :"{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}، أي: من كلّ زوج حسن"(٣٣١٨).

القرآن

{تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)} [ق : ٨]

التفسير:

خلق الله السموات والأرض وما فيهما من الآيات العظيمة عبرة يُتبصر بها مِن عمى الجهل، وذكرى لكل عبد خاضع خائف وَجِل، رجَّاع إلى الله عز وجل.

قوله تعالى:{تَبْصِرَةً} [ق : ٨]، أي:" خلق الله السموات والأرض وما فيهما من الآيات العظيمة عبرة يُتبصر بها مِن عمى"(٣٣١٩).

(٣٣١٠) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣١١) تفسير مجاهد: ٦١٣، وأخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٢.
(٣٣١٢)أخرجه إسحاق البستي ص ٤٠٠.
(٣٣١٣) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣١٤) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٩٠):٢٢٧٩/٧.
(٣٣١٦) تفسير عبدالرزاق(١٤٧٩):٢٦٦/٢.
(٣٣١٧) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣١٨) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣١٩) التفسير الميسر: ٥١٨.

عن قتادة، قوله: "{تَبْصِرَةً}، نعمة من الله يبصرها العباد"[٣٣٢٠].
عن قتادة، قوله: "{تَبْصِرَةً وَذِكْرَى}، قال: تبصرة من الله"[٣٣٢١].
عن مجاهد، قوله: "{تَبْصِرَةً}، قال: بصيرة"[٣٣٢٢].
قوله تعالى:{وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [ق : ٨]، أي:" وذكرى لكل عبد خاضع خائف وَجِل، رجَّاع إلى الله عز وجل"[٣٣٢٣].
عن قتادة، قوله: "{وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}، أي: بقلبه إلى الله"[٣٣٢٤].
عن عطاء ومجاهد: "{لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}، قالا: مجيب"[٣٣٢٥].

القرآن

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩)} [ق : ٩]

التفسير:

ونزَّلنا من السماء مطرًا كثير المنافع، فأنبتنا به بساتين كثيرة الأشجار، وحب الزرع المحصود.
قوله تعالى:{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} [ق : ٩]، أي:" ونزَّلنا من السماء مطرًا كثير المنافع"[٣٣٢٦].
عن الضحاك:" :{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا}، قال: المطر"[٣٣٢٧].
قال ميمون بن مهران:" البركة في القرآن المطر، {ونزلنا من السماء ماء مباركا}"[٣٣٢٨].
عن ميمون بن مهران، قال: "خصلتان فيهما البركة: القرآن، والمطر. وتلا: {ونزلنا من السماء ماء مباركا} [ق: ٩]، {وهذا ذكر مبارك}"[٣٣٢٩].
قوله تعالى:{فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} [ق : ٩]، أي:" فأنبتنا به بساتين كثيرة الأشجار، وحب الزرع المحصود"[٣٣٣٠].
عن قتادة: "{وَحَبَّ الْحَصِيدِ}، هذا البرّ والشعير"[٣٣٣١].
عن مجاهد: "{وَحَبَّ الْحَصِيدِ}، قال: الحِنطة"[٣٣٣٢].

القرآن

{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠)} [ق : ١٠]

التفسير:

وأنبتنا النخل طِوالا لها طلع متراكب بعضه فوق بعض.
قوله تعالى:{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} [ق : ١٠]، أي:" وأنبتنا النخل طِوالا"[٣٣٣٣].

(٣٣٢٠) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣٢١) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣٢٢) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣٢٣) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣٢٤) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣٢٥) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٢.
(٣٣٢٦) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣٢٧)أخرجه أبو الشيخ في "العظمة": (٧٤٠)، وانظر: الدر المنثور: ٥٩١/٧.
(٣٣٢٨)أخرجه أبو الشيخ (٧٣٩).
(٣٣٢٩) الدر المنثور: ٧/ ٥٩١، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(٣٣٣٠) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣٣١) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٢.
(٣٣٣٢) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٢.

وفي قوله تعالى:{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} [ق : ١٠]، وجوه:
أحدها : أنها النخل الطوال، قاله عكرمة[٣٣٣٤]، ومجاهد[٣٣٣٥]، وقتادة[٣٣٣٦]، وعبدالله بن شدّاد[٣٣٣٧].
قال عبدالله بن شدّاد:" بسُوقها: طولها في إقامة"[٣٣٣٨].
قال قتادة:" بسوقها طولها"[٣٣٣٩].
الثاني : مستويات. قاله سعيد بن جبير[٣٣٤٠].
الثالث: مواقير حوامل. قاله الحسن[٣٣٤١].
و" يقال للشاة إذا ولدت: أبسقت"[٣٣٤٢].
الرابع : أنها التي قد ثقلت من الحمل ، قاله عكرمة-أيضا-[٣٣٤٣]. ومنه قول الشاعر[٣٣٤٤]:
فلما تركنا الدار ظلت منيفة ... بقران فيه الباسقات المواقر
عن قطبة بن مالك. قال: "سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقرأ: «والنّخل باصقات»، بالصاد"[٣٣٤٥].
قوله تعالى:{لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} [ق : ١٠]، أي:" لها طلع متراكب بعضه فوق بعضٍ"[٣٣٤٦].
وفي قوله تعالى:{لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} [ق : ١٠]، ثلاثة وجوه:
أحدها : متراكم بعضه فوق بعض، قاله قتادة[٣٣٤٧]، وابن شهاب[٣٣٤٨].
قال ابن شهاب: "والنضيد: الذي بعضه فوق بعض"[٣٣٤٩].
قال قتادة:" نضد بعضه على بعض"[٣٣٥٠].
وعن مجاهد:" {طلع نضيد}، قال: المنضد"[٣٣٥١].
الثاني : أنه القائم المعتدل ، قاله عبد الله بن شداد بن الهاد [٣٣٥٢].
قال مسروق: "أشجار الجنة من عروقها إلى أغصانها ثمر كله"[٣٣٥٣].

(٣٣٣٣) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٢.
(٣٣٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٢.
(٣٣٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٢.
(٣٣٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٢.
(٣٣٣٨) اخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٢.
(٣٣٣٩) اخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٢.
(٣٣٤٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٥/٩.
(٣٣٤١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٥/٩، والقرطبي في التفسير: ٧/١٧. وحكي هذا القول –في المصدرين السابقين- عن الفراء أيضا ولم أجده في معاني القرآن.
(٣٣٤٢) الكشف والبيان: ٩٥/٩.
(٣٣٤٣) انظر: النكت والعيون: ٣٤٣/٥.
(٣٣٤٤) الشعر غير منسوب في النكت والعيون: ٣٤٣/٥، وتفسير القرطبي: ٧/١٧.
(٣٣٤٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٥/٩.
(٣٣٤٦) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣٤٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٩٥٠):ص٢٢٨/٣.
(٣٣٤٨) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٩٨)..:ص١٠١/٢
(٣٣٤٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٩٨)..:ص١٠١/٢
(٣٣٥٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٩٥٠):ص٢٢٨/٣.
(٣٣٥١) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٢.
(٣٣٥٢) انظر: تفسير الثعلبي: ٩٥/٩، والنكت والعيون: ٣٤٣/٥.
(٣٣٥٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٠٧/٩.

قال بن الأجدع: نخل الجنّة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال والدلاء، وأنهارها تجري في عبر أخدود"[٣٣٥٤].

القرآن

{رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)} [ق : ١١]

التفسير:

أنبتنا ذلك رزقًا للعباد يقتاتون به حسب حاجاتهم، وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات، كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} [ق : ١١]، أي:" كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت"[٣٣٥٥].

قال قتادة:" كما أحيا الله الأرض الميتة بهذا الماء، كذلك يحيي الله عز وجل الناس يوم القيامة"[٣٣٥٦].

القرآن

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)} [ق : ١٢-١٤]

التفسير:

كذَّبت قبل هؤلاء المشركين من قريش قومُ نوح وأصحاب البئر وثمود، وعاد وفرعون وقوم لوط، وأصحاب الأيكة قومُ شعيب، وقوم تُبَّع الحِمْيَري، كل هؤلاء الأقوام كذَّبوا رسلهم، فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم.

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ} [ق : ١٢]، أي:" كذَّب قبل هؤلاء الكفار قوم نوح"[٣٣٥٧].

عن يزيد الرقاشي، قال: "إنما سمي نوح لطول ما ناح على نفسه"[٣٣٥٨].

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الرَّسِّ} [ق : ١٢]، أي:" وأصحاب البئر"[٣٣٥٩].

واختلفوا في «أَصْحَاب الرَّسِّ»، على أقوال:

أحدها: أنهم قوم كان لهم نبي يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جبير[٣٣٦٠].

الثاني: أنهم كانوا أهل بئر ينزلون عليها، وكانت لهم مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيبا، فتمادوا في طغيانهم، فانهارت البئر، فخسف بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه[٣٣٦١].

الثالث: أنهم الذين قتلوا حبيبا النجار، قتلوه في بئر لهم، وهو الذي قال: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٢٠]، قاله الضحاك[٣٣٦٢]، والسدي[٣٣٦٣].

(٣٣٥٤) انظر: الكشف والبيان: ٩٥/٩.

(٣٣٥٥) التفسير الميسر: ٥١٨.

(٣٣٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٢):ص٢٧٤/١.

(٣٣٥٧) صفوة التفاسير: ٢٢٦/٣.

(٣٣٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٦):ص١٥٠٥/٥.

(٣٣٥٩) صفوة التفاسير: ٢٢٦/٣.

(٣٣٦٠) انظر: زاد المسير:٣٢١/٣.

(٣٣٦١) انظر: زاد المسير:٣٢١/٣.

(٣٣٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٢.

(٣٣٦٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٤/٧، وانظر: زاد المسير:٣٢١/٣.

قال الضحاك:" بئر قُتل فيها صاحب يس"[٣٣٦٤].
وقال عكرمة:" كان الرسّ بئرا رسُّوا فيها نبيهم"[٣٣٦٥].
قال مجاهد:" الرّسّ بئر كان عليها قوم"[٣٣٦٦]. وفي رواية: "{أَصْحَابُ الرَّسِّ}، قال: بئر"[٣٣٦٧].
قال قتادة:" أصحاب الرس كانوا أهل فلح وآبار كانوا عليها"[٣٣٦٨].
قال جعفر بن محمد:" كل نهر وبئر هو رس"[٣٣٦٩].
و«الرس»: "هو كل حفر احتفر كالقبر والمعدن والبئر[٣٣٧٠]، ويروى أنهم قتلوا نبيهم ورسوه في بئر، أي: دسوه فيها[٣٣٧١].
الرابع: أن الرسّ: قرية من اليمامة يقال لها: الفلج. وهذا قول قتادة[٣٣٧٢]، وعكرمة[٣٣٧٣].
الخامس: أن «أصحاب الرس»: قوم كانوا يستحسنون لنسائهم السحق، وكان نساؤهم كلهم سحاقات. رواه جعفر بن محمد عن أبيه[٣٣٧٤].
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أشراط الساعة أن يستكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق»[٣٣٧٥].
السادس: أن {أصحاب الرس} كانتا أمتين فبعث الله إليهما نبيا واحدا شعيبا وعذبهما الله بعذابين. وهذا مروي عن قتادة[٣٣٧٦].
عن قتادة أنه قال: "إن أصحاب الأيكة، "والأيكة: الشجر الملتفّ"، وأصحاب الرّسّ كانتا أمتين، فبعث الله إليهم نبيا واحدا شعيبا، وعذّبهما الله بعذابين"[٣٣٧٧].
والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرّسّ في كلام العرب: كلّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك; ومنه قول الشاعر[٣٣٧٨]:
سَبَقْتَ إلى فَرطٍ باهِلٍ ... تنابِلَةٍ يَحْفِرُونَ الرِّساسا"[٣٣٧٩].
قوله تعالى:{وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ} [ق : ١٢-١٣]، أي:" وثمود، وعاد وفرعون وقوم لوط "[٣٣٨٠].
قال السدي:" إن الله بعث صالحا إلى ثمود فدعاهم فكذبوا، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن"[٣٣٨١].

(٣٣٦٤) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٢.
(٣٣٦٥) اخرجه الطبري:٢٧٠/١٩.
(٣٣٦٦) اخرجه الطبري:٢٧٠/١٩.
(٣٣٦٧) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٢.
(٣٣٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٧٦):ص٢٦٩٥/٨.
(٣٣٦٩) تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٩٥/٨. ذكره دون الإسناد.
(٣٣٧٠) تفسير القرطبي:٣٣/١٣.
(٣٣٧١) معاني القرآن:٢٧/٥.
(٣٣٧٢) انظر: تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(٣٣٧٣) انظر: تفسير الطبري:٢٧٠/١٩.
(٣٣٧٤) انظر: الكشف والبيان:١٣٨/٧، وتفسير القرطبي: ٣٣/١٣.
(٣٣٧٥) اخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٨/٧.
(٣٣٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٢، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٥٦):ص١٥٢/١.
(٣٣٧٧) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٢.
(٣٣٧٨)البيت للنابغة الجعدي (اللسان: رسس) . والفرط بالتحريك: القوم يتقدمون إلى الماء قبل الورود، فيهيئون لهم الأرسال والدلاء، ويملئون الحياض، ويستقون لهم (عن اللسان) . والباهل: المتردد بلا عمل. والتنابلة جمع تنبل، بوزن جَعْفَر، وهو الرجل القصير. ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل. والرساس جمع رس، وهي البئر القديمة أو المعدن (المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه.
(٣٣٧٩) تفسيرالطبري:٢٧٠/١٩.
(٣٣٨٠) التفسير الميسر: ٥١٨.

قال محمد بن إسحاق:" فلما أهلك الله عادا، وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها فاستخلفوا في الأرض فربلوا فيها وانتشروا، ثم عتوا على الله، فلما ظهر فسادهم، وعبدوا غير الله، بعث الله إليهم صالحا، وكانوا قوما عربا، وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا. وكانت منازلهم الحجر إلى قزح وهو وادي القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام، فبعث الله إليهم غلاما شابا فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم أحد إلا قليل مستضعفون"(٣٣٨٢).

قال محمد بن إسحاق:" لم يكن منهم فرعون أعتى على الله، ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب"(٣٣٨٣).

عن الحسن، قال: "كان فرعون علجا من همذان"(٣٣٨٤)

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ} [ق : ١٤]، أي:" وأصحاب الشجر الكثير الملتف وهم قوم شعيب"(٣٣٨٥).

قال الضحاك:" هم قوم شعيب"(٣٣٨٦).

قال قتادة:" أصحاب الأيكة: أصحاب شجر وهم قوم شعيب"(٣٣٨٧).

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة، وكان عامة شجرهم هذا الروم، وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى، أما أهل مدين: فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس"(٣٣٨٨).

قال محمد بن إسحاق: "كان من قصة شعيب وخبره وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن وكانوا أهل بخس الناس في مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم"(٣٣٨٩).

قوله تعالى:{وَقَوْمُ تُبَّعٍ} [ق : ١٤]، أي:" وقوم تُبَّع الحِمْيَري"(٣٣٩٠).

عن سعيد بن جبير:" أن تُبَّعا كسا البيت، ونهى سعيد عن سبه"(٣٣٩١).

قال قتادة:" ذُكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير، سار بالجيوش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَب كَتَب باسم الذي تسمَّى وملك برّا وبحرا وصحا وريحا. وذُكر لنا أن كعبا كان يقول: نُعِتَ نَعْتَ الرَّجُل الصَّالح ذمّ الله قومَه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبَّعا، فإنه كان رجلا صالحا"(٣٣٩٢).

قال ابن سحاق:" كان قوم تُبَّعٍ أهل أوثان يعبدونها"(٣٣٩٣).

عن سهل بن سعد الساعدي، يحدّث عن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: "لا تَلْعَنُوا تُبَّعا فإنَّهُ كانَ قَدْ أسْلَمَ"(٣٣٩٤).

(٣٣٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٤):ص١٥١٢/٥.
(٣٣٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٥):ص١٥١٢/٥.
(٣٣٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٥):ص٢٩٤٤/٩.
(٣٣٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٦):ص٢٩٤٤/٩.
(٣٣٨٥) صفوة التفاسير: ٢٢٦/٣.
(٣٣٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٩٦):ص٢٨١٠/٩.
(٣٣٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٠١):ص٢٨١١/٩.
(٣٣٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٠٢):ص٢٨١١/٩.
(٣٣٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٩٧):ص٢٨١٠/٩.
(٣٣٩٠) التفسير الميسر: ٥١٨.
(٣٣٩١) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.
(٣٣٩٢) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.
(٣٣٩٣) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٢.
(٣٣٩٤) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٢.

عن شعيب بن زرعة المعافريّ، قال:" سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل: إن حِمْيَر تزعم أن تبعا منهم، فقال: نعم والذي نفسي بيده، وإنه في العرب كالأنف بين العينين. وقد كان منهم سبعون ملكا"[٣٣٩٥].

عن عمرو بن جابر الحضرمي - قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا تُبَّعًا ؛ فإنه قد كان أسلم"[٣٣٩٦].

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أدري، تُبَّع نبيًّا كان أم غير نبي"[٣٣٩٧].

عن تميم بن أبي عبد الرحمن , قال: "قال لي عطاء بن أبي رباح: أتسبون تبعا يا تميم؟ قال: قلت: نعم , قال: «فلا تسبوه , فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى , عن سبه»"[٣٣٩٨].

قوله تعالى:{كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ} [ق : ١٤]، أي:" كل هؤلاء الأقوام كذَّبوا رسلهم"[٣٣٩٩].

قوله تعالى:{فَحَقَّ وَعِيدِ} [ق : ١٤]، أي:" فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم"[٣٤٠٠].

عن مجاهد، قوله: "{فَحَقَّ وَعِيدِ}، قال: ما أهلكوا به تخويفا لهؤلاء"[٣٤٠١].

القرآن

{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)} [ق : ١٥]

التفسير:

أَفَعَجَزْنا عن ابتداع الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئًا، فنعجز عن إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم؟ لا يعجزنا ذلك، بل نحن عليه قادرون، ولكنهم في حَيْرة وشك من أمر البعث والنشور.

سبب النزول:

قال مقاتل:" لما قال كفار مكة: {ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [ق : ٣]، فأنزل الله- تعالى- {أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ}، في أول هذه السورة، وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث"[٣٤٠٢].

قوله تعالى:{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ} [ق : ١٥]، أي:" أَفَعَجَزْنا عن ابتداع الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئًا، فنعجز عن إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم؟"[٣٤٠٣].

قال مجاهد:" يقول: أفعيي علينا حين أنشأناكم خلقا جديدا، فتمتروا بالبعث"[٣٤٠٤].

عن أبي ميسرة: "{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ}، قال: إنا خلقناكم"[٣٤٠٥].

قال الحسن: "{أفعيينا بالخلق الأول}، يعني: خلق آدم، أي: لم يعي به"[٣٤٠٦].

(٣٣٩٥) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٢.

(٣٣٩٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧. ورواه احمد في المسند (٣٤٠/٥) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف : "فيه ابن لهيعة، وعمرو بن جابر، وهما ضعيفان"

(٣٣٩٧) رواه عبدالرزاق كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧، ورواه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢٧٠/٣) من طريق عبد الرزاق بهذا اللفظ.

(٣٣٩٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٨٢٢):ص١٨٦/٣.

(٣٣٩٩) التفسير الميسر: ٥١٨.

(٣٤٠٠) التفسير الميسر: ٥١٨.

(٣٤٠١) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٢-٣٤٠.

(٣٤٠٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٢/٤.

(٣٤٠٣) التفسير الميسر: ٥١٨.

(٣٤٠٤) أخرجه اطبري: ٣٤٠/٢٢.

(٣٤٠٥) أخرجه اطبري: ٣٤٠/٢٢.

(٣٤٠٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٧١ -.

قوله تعالى:{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق : ١٥]، أي:" بل هم في خلطٍ وشبهةٍ وحيرة من البعث والنشور"(٣٤٠٧).

قال مجاهد:" يمترون بالبعث"(٣٤٠٨).

قال قتادة:" البعث من بعد الموت"(٣٤٠٩).

عن قتادة، قوله: "{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ}، أي: شكّ والخلق الجديد: البعث بعد الموت، فصار الناس فيه رجلين: مكذّب، ومصدّق"(٣٤١٠).

عن أبي ميسرة: "{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ}، قال: الكفار {مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}، قال: أن يخلقوا من بعد الموت"(٣٤١١).

القرآن

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)} [ق : ١٦]

التفسير:

ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تُحَدِّث به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وهو عِرْق في العنق متصل بالقلب.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} [ق : ١٦]، أي:" ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تُحَدِّث به نفسه"(٣٤١٢).

قوله تعالى:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق : ١٦]، أي:" ونحن أقرب إليه من حبل وريده، وهو عرق كبير في العنق متصل بالقلب"(٣٤١٣).

وفي «حَبْلِ الْوَرِيدِ»، أقوال:

أحدها : أنه حبل معلق به القلب، قاله الحسن(٣٤١٤).

الثاني : أنه عرق في الحلق، قاله مجاهد(٣٤١٥).

عن مجاهد: "{حَبْلِ الْوَرِيدِ}، قال: الذي يكون في الحلق"(٣٤١٦).

عن جويبر، قال: "سألت الضحاك بن مزاحم عن قوله: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}. قال: ليس شيء أقرب إلى ابن آدم من حبل الوريد، والله أقرب إليه منه"(٣٤١٧).

القرآن

{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧)} [ق : ١٧]

التفسير:

حين يكتب المَلَكان المترصدان عن يمينه وعن شماله أعماله. فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

(٣٤٠٧) صفوة التفاسير: ٢٢٦/٣.

(٣٤٠٨)تفسير مجاهد: ٦١٤.

(٣٤٠٩) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٢.

(٣٤١٠) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٢.

(٣٤١١) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٢.

(٣٤١٢) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٤١٣) صفوة التفاسير: ٢٢٦/٣.

(٣٤١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٤٦/٥.

(٣٤١٥) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٤، وتفسير الطبري: ٣٤١/٢٢-٣٤٢.

(٣٤١٦) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٢-٣٤٢.

(٣٤١٧) الدر المنثور: ٧/ ٥٩٢، وعزاه إلى ابن المنذر.

عن مجاهد: "{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}، قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات"[٣٤١٨].

عن مجاهد، قوله: "{قَعِيدٌ}، قال: رَصَد"[٣٤١٩].

قال مجاهد:" ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشرّ"[٣٤٢٠].

قال مجاهد:" مع كل إنسان مَلكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره; قال: فأما الذي عن يمينه، فيكتب الخير، وأما الذي عن يساره فيكتب الشر"[٣٤٢١].

قال إبراهيم التيمي:" صاحب اليمين أمِير أو أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب"[٣٤٢٢].

عن معمر, قال: "تلا الحسن: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: ١٧] فقال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما , عن يمينك والآخر عن شمالك , فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك , وأما عن شمالك فيحفظ سيئاتك , فامل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك , حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} [الإسراء: ١٣] حتى بلغ: {حَسِيبًا} [النساء: ٦] : «عدل والله لك من جعلك حسيب نفسك»[٣٤٢٣].

القرآن

{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)} [ق : ١٨]

التفسير:

ما يلفظ من قول فيتكلم به إلا لديه مَلَك يرقب قوله، ويكتبه، وهو مَلَك حاضر مُعَدٌّ لذلك.

وفي قوله تعالى:{إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ} [ق : ١٨]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه الحافظ ، قاله السدي[٣٤٢٤].

الثاني : أنه الشاهد ، قاله الضحاك[٣٤٢٥].

واختلف فيما يكتب الملكان على قولين:

أحدها: أنهما يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وهو قول الحسن[٣٤٢٦]، وقتادة[٣٤٢٧].

وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين. فلم يئن أحمد حتى مات -رحمه الله-"[٣٤٢٨].

الثاني: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به. وهذا قول عكرمة[٣٤٢٩].

(٣٤١٨) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٢.

(٣٤١٩) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٢.

(٣٤٢٠) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٢.

(٣٤٢١) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٢.

(٣٤٢٢) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٢.

(٣٤٢٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٥٣):ص٢٢٩/٣.

(٣٤٢٤) انظر: النكت والعيون: ٣٤٧/٥.

(٣٤٢٥) انظر: النكت والعيون: ٣٤٧/٥.

(٣٤٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٢.

(٣٤٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٢.

(٣٤٢٨)رواه صالح بن الإمام أحمد في سيرة أبيه، انظر: سيرة الإمام أحمد: ص١٢٧. ولفظه:" وكنت أنام بالليل إلى جنبه فإذا أراد حاجة حركني فأناوله وقال لي جئني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاووس أنه كان يكره الأنين فقرأته عليه فلم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها".

(٣٤٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٢.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر الله كتبت عليه سيئة واحدة" (٣٤٣٠).

وظاهر الآية أن الملك يكتب كل شيء من الكلام ، لعموم قوله :{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}(٣٤٣١).

عن بلال بن الحارث المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه"(٣٤٣٢).

القرآن

{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)} [ق : ١٩]

التفسير:

وجاءت شدة الموت وغَمْرته بالحق الذي لا مردَّ له ولا مناص، ذلك ما كنت منه -أيها الإنسان - تهرب وتروغ.

قوله تعالى:{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} [ق : ١٩]، أي:" وجاءت شدة الموت وغَمْرته بالحق الذي لا مردَّ له ولا مناص"(٣٤٣٣).

قوله تعالى:{ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق : ١٩]، أي:" ذلك ما كنت منه -أيها الإنسان - تهرب وتروغ"(٣٤٣٤).

(٣٤٣٠)حديث ضعيف. في إسناده جعفر بن الزبير متروك متهم، والقاسم وإن وثقه ابن معين والترمذي، فقد ضعفه ابن حيان، وقال أحمد: روى عنه علي بن زيد أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم، وقال ابن معين بعد أن وثقه: والثقات يروون عنه الأحاديث. أي الواهية- ولا يرفعونها ثم قال: يجيء من المشايخ الضعفاء ما يدل حديثهم على ضعفه. وأخرجه الطبراني في «الكبيرة» ٧٩٧١ من طريق عبد القاهر بن شعيب، والبيهقي في «الشعب» ٧٠٤٩ من طريق مروان بن معاوية كلاهما عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٠٥٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٦٥- ١٦٦ من طريقين عن إسماعيل بن عيسى العطار عن المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم به دون صدره، وإسماعيل ضعيف ومثله القاسم. وورد بلفظ «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتب واحدة» .
أخرجه البيهقي ٧٠٥١ وأبو نعيم ٦/ ١٢٤ والواحدي ٤/ ١٦٥ والطبراني ٧٧٦٥ من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن عروة بن رويم عن القاسم به.
وإسناده ضعيف، وعلته القاسم، وكذا إسماعيل ضعفه غير واحد مطلقا. وضعفه بعضهم في روايته خاصة عن- غير الشاميين.
قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٠٨: وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب، ولكن ورد من وجه آخر رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا! قلت: فيه القاسم كما تقدم، ولا يحتج بما ينفرد به، وتعيين ست ساعات أو سبع ساعات غريب جدا. وله شاهد من حديث أم عصمة فيه «ثلاث ساعات» وفي الإسناد سعيد بن سنان وهو متروك، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٧، فهذا شاهد لا يفرح به، وهو يعارض الأول في تعيين الزمن. الخلاصة: الحديث بهذا اللفظ ضعيف جدا، واللفظ المختصر عن إسماعيل بن عياش الذي أوردته ضعيف فقط، وشاهده ليس بشيء، وقد أورده الألباني في «الصحيحة» ١٢٠٩ وحسنه وليس كما قال بل الإسناد ضعيف والمتن غريب، ولا يتدين بحديث ينفرد به القاسم، وفي الطريق إليه جعفر وهو متروك أو ابن عياش، وهو غير حجة.
(٣٤٣١) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٧.
(٣٤٣٢)المسند (٤٦٩/٣) وسنن الترمذي برقم (٢٣١٩) والنسائي في السنن الكبرى، كما في تحفة الأشراف (١٠٣/٢) وسنن ابن ماجه برقم (٣٩٦٩).
(٣٤٣٣) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٤٣٤) التفسير الميسر: ٥١٩.

قال الحسن: "هو الكافر لم يكن شيء أبغض إليه من الموت"[٣٤٣٥].

وفي معنى قوله تعالى:{تَحِيدُ} [ق : ١٩]، وجهان :

أحدهما : أنه الفرار ، قاله الضحاك[٣٤٣٦]، ومقاتل[٣٤٣٧].

الثاني: العدول ، قاله السدي[٣٤٣٨] . ومنه قول الشاعر :

ولقد قلت حين لم يك عنه ... لي ولا للرجال عنه محيد .

عن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب، تطلبه الأرض بدَيْن، فجاء يسعى حتى إذا أعيى وأسهر دخل جحره، فقالت له الأرض : يا ثعلب، ديني. فخرج وله حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات"[٣٤٣٩].

روي عن أبي وائل، قال: "لما كان أبو بكر رضي الله عنه يقضي، قالت عائشة رضي الله عنها هذا، كما قال الشاعر[٣٤٤٠]:

إذا حَشْرَجَتْ يَوْما وَضَاقَ بِها الصَّدْرُ

فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله عزّ وجلّ: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}[٣٤٤١]"[٣٤٤٢].

قال عبد الله بن مليكة: "صحبت ابن عباس رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، فكنا إذا نزلنا منزلا قام شطر الليل والناس نيام، ولقد رأيته ذات ليلة يقرأ:{وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}، فظل يكررها وينشج حتى طلع عليه الفجر"[٣٤٤٣].

عن عمر بن عبد العزيز -من طريق سعيد بن أبي عروبة- أنه قال لابنه: "اقرأ. فقال: ما أقرأ؟ قال: سورة ق. فقرأ، حتى إذا بلغ: {وجاءت سكرة الموت بالحق} بكى، ثم قال: اقرأ، يا بني. قال: ما أقرأ؟ قال: سورة ق. حتى إذا بلغ ذكر الموت بكى أيضا بكاء شديدا، ففعل ذلك مرارا"[٣٤٤٤].

القرآن

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠)} [ق : ٢٠]

التفسير:

ونُفخ في «القرن» نفخة البعث الثانية، ذلك النفخ في يوم وقوع الوعيد الذي توعَّد الله به الكفار.

قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} [ق : ٢٠]، أي:" ونُفخ في «القرن» نفخة البعث الثانية"[٣٤٤٥].

عن قتادة: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"[٣٤٤٦].

(٣٤٣٥) حكاه عنه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٢٧٢/٤.

(٣٤٣٦) انظر: النكت والعيون: ٣٤٨/٥.

(٣٤٣٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٢/٤.

(٣٤٣٨) انظر: النكت والعيون: ٣٤٨/٥.

(٣٤٣٩)المعجم الكبير (٢٢٢/٧) وقال الهيثمي في المجمع (٣٢٠/٢) : "فيه معاذ بن محمد الهذلي، قال العقيلي : لا يتابع على رفع حديثه".

(٣٤٤٠)هذا عجز بيت، لحاتم الطائي وهو في ديوانه ص (٥٠)، وصدره كما في (اللسان: حشرج): «لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى».

وروايته في ديوانه (لندن سنة ١٨٧٢ ص ٣٩) :

أماويَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عن الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يوْما وَضَاقَ بها الصَّدْرُ

(٣٤٤١)لعله «سكرة الحق بالموت»، فإنها قراءة الصديق رضي الله عنه إلا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضًا.

(٣٤٤٢) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٢.

(٣٤٤٣)غريب القرآن في شعر العرب "مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه وعن أبيه":ص١٧.

(٣٤٤٤)أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨٥ - ١٨٦ (٨٤) -.

(٣٤٤٥) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٤٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.

عن مجاهد :"{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"[٣٤٤٧].
عن مجاهد: "{الصور}: البوق"[٣٤٤٨].
قال مجاهد:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"[٣٤٤٩].
قال عكرمة:" الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة فإذا نفخ نفخة البعث قال: الله: بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره ... أعظم من سبع سموات ومن الأرض قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور"[٣٤٥٠].
عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن أعرابيا سأله عن الصور، قال: «قرن ينفخ فيه»"[٣٤٥١].
عن يحيى بن أبي بكير، قال: "كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول، فحدثنا عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحنى الجبهة، وأصغى بالأذن متى يؤمر، فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا، ولو اجتمع أهل منى ما أقالوا ذلك القرن» كذا قال، وإنما هو ما أقلوا"[٣٤٥٢].
وفي رواية: " كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى ظهره وجحظ بعينيه، قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله، توكلنا على الله"[٣٤٥٣].
وعن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض، خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو وضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: قرن، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين"[٣٤٥٤].

القرآن
{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)} [ق : ٢١]
التفسير:
وجاءت كل نفس معها مَلَكان، أحدهما يسوقها إلى المحشر، والآخر يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير وشر.
أما «السائق»، ففيه قولان :
أحدهما : أنه ملك يسوقه إلى المحشر، قاله الضحاك[٣٤٥٥]، وآخرون.
قال مجاهد:" المَلَكان: كاتب"[٣٤٥٦].

(٣٤٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٣):ص٢٩٢٩/٩.
(٣٤٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٣٤٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٣٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٢):ص٢٩٢٨/٩.
(٣٤٥١)أخرجه الطبري: ١٨/ ١٢١.
(٣٤٥٢)أخرجه الطبري: ١٨/ ١٢١.
(٣٤٥٣)أخرجه الطبري: ١٨/ ١٢١ - ١٢٢.
(٣٤٥٤)أخرجه الطبري: ١٨/ ١٢٢.
(٣٤٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٢.

قال مجاهد:" سائق يسوقها إلى أمر الله"[٣٤٥٧].
قال قتادة:" سائق يسوقها إلى حسابها"[٣٤٥٨].
عن الحسن والربيع بن أنس في قوله: {سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}، قالا:" سائق يسوقها"[٣٤٥٩].
عن ابن عباس، والضحاك، قالا:" السائق من الملائكة"[٣٤٦٠].
عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة عما خلق له، إن الله إذا أراد خلقه قال للملك، اكتب رزقه، اكتب أثره اكتب أجله، اكتب شقيا أم سعيدا، ثم يرتفع ذلك الملك، ويبعث الله ملكا فيحفظه حتى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حضره الموت ارتفع ذلك الملكان، وجاء ملك الموت ليقبض روحه، فإذا أدخل قبره رد الروح في جسده، وجاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فبسطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق وآخر شهيد، ثم قال: رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «إن قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم»"[٣٤٦١].
الثاني : أنه أمر من الله يسوقه إلى موضع الحساب، حكاه الماوردي عن الضحاك[٣٤٦٢].
وأما «الشهيد»، ففيه قولان –أيضا- :
أحدهما : أنه ملك يشهد عليه بعمله، وهذا قول الحسن[٣٤٦٣]، وآخرين.
قال مجاهد وقتادة:" وشاهد يشهد عليها بما عملت"[٣٤٦٤].
عن الحسن والربيع بن أنس: قالا:" وشاهد يشهد عليها بعملها"[٣٤٦٥].
الثاني : أن الشاهد من أنفسهم: الأيدي والأرجل، والملائكة أيضا شهداء عليهم. قاله الضحاك[٣٤٦٦].
واختلف أهل التفسير في المعنيّ بهذه الآيات، على أقوال:
أحدها: أن المعني بها: النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم. قاله زيد بن أسلم [٣٤٦٧].
الثاني: عنى أهل الشرك. وهذا قول صالح بن كيسان[٣٤٦٨]، والضحاك[٣٤٦٩].
الثالث: أنها عامة في المسلم والكافر. وهذا قول حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس[٣٤٧٠].،وحكي عن الجمهور[٣٤٧١].
عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ، قال: "سألت زيد بن أسلم، عن قوله الله: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} ... الآية، إلى قوله: {سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}، فقلت له: من يراد بهذا؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقلت له رسول الله؟ فقال: ما تنكر؟ قال الله عزّ وجلّ: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى}،

(٣٤٥٦) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٢.
(٣٤٥٧) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٢.
(٣٤٥٨) أخرجه الطبري: ٣٤٩/٢٢.
(٣٤٥٩) أخرجه الطبري: ٣٤٩/٢٢.
(٣٤٦٠) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٢، ٣٤٩.
(٣٤٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٣٨):ص٣٣٠٨/١٠-٣٣٠٩.
(٣٤٦٢) انظر: النكت والعيون: ٣٤٨/٥.
(٣٤٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٢-٣٤٨.
(٣٤٦٤) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٢، ٣٤٩.
(٣٤٦٥) أخرجه الطبري: ٣٤٩/٢٢.
(٣٤٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٢.
(٣٤٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٢-٣٥٠.
(٣٤٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٢-٣٥٠.
(٣٤٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٠/٢٢.
(٣٤٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٢-٣٥٠.
(٣٤٧١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٩/٥.

قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها، فقال لي: هل سألت أحدا؟ فقلت: نعم، قد سألت عنها زيد بن أسلم، فقال: ما قال لك؟ فقلت: بل تخبرني ما تقول، فقال: لأخبرنك برأيي الذي عليه رأيي، فأخبرني ما قال لك؟ قلت: قال: يراد بهذا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: وما علم زيد؟ والله ما سن عالية، ولا لسان فصيح، ولا معرفة بكلام العرب، إنما يُراد بهذا الكافر، ثم قال: اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك، قال: ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال لي مثل ما قال صالح: هل سألت أحدا فأخبرني به؟ قلت: إني قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان، فقال لي: ما قالا لك؟ قلت: بل تخبرني بقولك، قال: لأخبرنك بقولي، فأخبرته بالذي قالا لي، قال: أخالفهما جميعا، يريد بها البرّ والفاجر، قال الله: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}، قال: فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلّ ما يصير إليه"[٣٤٧٢].

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها البرّ والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} والإنسان في هذا الموضع بمعنى: الناس كلهم، غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحقّ {ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} وإذا كان ذلك كذلك كانت بينة صحة ما قلنا[٣٤٧٣].

القرآن

{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)} [ق : ٢٢]

التفسير:

لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان، فكشفنا عنك غطاءك الذي غطَّى قلبك، فزالت الغفلة عنك، فبصرك اليوم فيما تشهد قوي شديد.

قوله تعالى:{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} [ق : ٢٢]، أي:" لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان"[٣٤٧٤].

وفي المعني بقوله تعالى:{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} [ق : ٢٢]، وجهان:

أحدهما: أنه الكافر، كان في غفلة من عواقب كفره، قاله مجاهد[٣٤٧٥].

الثاني : يريد به البرّ والفاجر، وكُشِف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلّ ما يصير إليه، لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام. قاله الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس[٣٤٧٦].

وأولى ما قيل في الآية أنها على العموم للبرّ والفاجر يدلّ على ذلك: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}، فهذا عامّ لجميع الناس برّهم وفاجرهم، فقد علم أنّ معنى: {وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} وجاءتك أيّها الإنسان سكرة الموت ثم جرى الخطاب على هذا في {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا}، أي: لقد كنت أيّها الإنسان في غفلة مما عاينت فإن كان محسنا ندم إذ لم يزدد، وإن كان مسيئا ندم إذ لم يقلع هذا لما كشف عنهما الغطاء، فبصرك اليوم نافذ لما عاينت[٣٤٧٧].

قوله تعالى:{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} [ق : ٢٢]، أي:" فكشفنا عنك غطاءك الذي غطَّى قلبك، فزالت الغفلة عنك"[٣٤٧٨].

(٣٤٧٢) أخرجه الطبري: ٣٤٩/٢٢-٣٥٠.
(٣٤٧٣) تفسير الطبري: ٣٥٠/٢٢.
(٣٤٧٤) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٤٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٥١/٢٢.
(٣٤٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٢.
(٣٤٧٧) إعراب القرآن: ١٥١/٤.
(٣٤٧٨) التفسير الميسر: ٥١٩.

وفي قوله تعالى:{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} [ق : ٢٢]، وجوه:
أحدها : أنه إذا كان في بطن أمه فولد ، قاله السدي[٣٤٧٩].
الثاني : إذا كان في القبر فنشر، وهذا معنى قول قتادة[٣٤٨٠].
قال قتادة:" عاين الآخرة"[٣٤٨١].
الثالث : أنه وقت العرض في القيامة، وهذا معنى قول مجاهد[٣٤٨٢].
قال مجاهد:" كشف الغطاء عنه يوم القيامة"[٣٤٨٣].
قوله تعالى:{فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق : ٢٢]، أي:" فبصرك اليوم فيما تشهد قوي شديد"[٣٤٨٤].
عن الضحاك: "{فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} قال: يقول: شديد"[٣٤٨٥].
عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: {فبصرك اليوم} قال: كلسان الميزان {حديد} قال: حديد النظر؛ شديد"[٣٤٨٦].
قال مجاهد:" يعني: نظرك إلى لسان ميزانك، حين توزن حسناتك وسيئاتك"[٣٤٨٧].

القرآن

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣)} [ق : ٢٣]

التفسير:

وقال المَلَك الكاتب الشهيد عليه: هذا ما عندي من ديوان عمله، وهو لديَّ مُعَدٌّ محفوظ حاضر.
وفي تفسير «قرينه»، قولان:
أحدهما : أنه الملك الشهيد عليه، قاله الحسن[٣٤٨٨]، وقتادة[٣٤٨٩].
عن ابن جريج في قوله {وقال قرينه} قال: "ملكه {هذا ما لدي عتيد} قال: الذي عندي عتيد للإنسان حفظته حتى جئت به"[٣٤٩٠].
وروي عن مجاهد: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ}، قال: "هذا الذي وكّلني به من بني آدم، قد أحضرته، وأحضرت ديوان أعماله"[٣٤٩١].
الثاني : أنه قرينه الذي قيض له من الشياطين ، قاله مجاهد[٣٤٩٢].
عن مجاهد:" {وقال قرينه} قال: الشيطان الذي قيض له"[٣٤٩٣].

(٣٤٧٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٩/٥.
(٣٤٨٠) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٢.
(٣٤٨١) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٢.
(٣٤٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥١/٢٢.
(٣٤٨٣) تفسير مجاهد: ٦١٤، وانظر: تفسير الطبري: ٣٥١/٢٢.
(٣٤٨٤) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٤٨٥) تفسير إسحاق البستي(١٠٣٤):ص٤٠٩/٢، وانظر: النكت والعيون: ٣٤٩/٥.
(٣٤٨٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. وعلق أوله الطبري:٣٥٢/٢٢.
(٣٤٨٧)تفسير البغوي ٧/ ٣٦٠.
(٣٤٨٨) انظر: النكت والعيون: ٣٤٩/٥.
(٣٤٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٢.
(٣٤٩٠) الدر المنثور: ٦٠٠/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٣٤٩١) انظر: الكشف والبيان: ١٠١/٩.
(٣٤٩٢) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٥، والدر المنثور: ٦٠٠/٧.
(٣٤٩٣)أخرجه الفريابي -كما في التغليق ٤/ ٣١٧ - . وعلقه البخاري في صحيحه ٦/ ١٣٧. وكذا عزاه السيوطي في "الدر المنثور: ٦٠٠/٧،إلى الفريابي عند تفسير هذه الآية. وهو في تفسير مجاهد :ص ٦١٥ في تفسير قوله تعالى: {قال قرينه ربنا ما أطغيته} [ق: ٢٧]، وانظر: النكت والعيون: ٣٤٩/٥.

ولفظ القرين: اسم جنس، فسائقه قرين، وصاحبه من الزبانية قرين، وكاتب سيئاته في الدنيا قرين وتحتمله هذه الآية، أي هذا الذي أحصيته عليه عتيد لدي، وهو موجب عذابه، ومماشي الإنسان في طريقه قرين، وقال الشاعر[٣٤٩٤]:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

والقرين الذي في هذه الآية، غير القرين الذي في قوله: {قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ} إذ المقارنة تكون على أنواع، وقال بعض العلماء: {قَرِينُهُ} في هذه الآية: عمله قلبا وجازحا"[٣٤٩٥].

القرآن

{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦)} [ق : ٢٤-٢٦]

التفسير:

يقول الله للمَلَكين السائق والشهيد بعد أن يفصل بين الخلائق: ألقيا في جهنم كل جاحد أن الله هو الإلهُ الحقُّ، كثيرِ الكفر والتكذيب معاند للحق، منَّاع لأداء ما عليه من الحقوق في ماله، مُعْتَدٍ على عباد الله وعلى حدوده، شاكٍّ في وعده ووعيده، الذي أشرك بالله، فعبد معه معبودًا آخر مِن خلقه، فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

قوله تعالى:{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} [ق : ٢٤]، أي:" قول الله للمَلَكين السائق والشهيد بعد أن يفصل بين الخلائق: ألقيا في جهنم كل جاحد أن الله هو الإلهُ الحقُّ، كثيرِ الكفر والتكذيب معاند للحق"[٣٤٩٦].

وأما «العنيد»، ففيه أربعة وجوه :

أحدها : أنه المعاند للحق.

قال مجاهد وعكرمة:" مجانب للحقّ معاند لله"[٣٤٩٧].

الثاني : أنه المنحرف عن الطاعة ، قاله قتادة[٣٤٩٨].

الثالث : أنه الجاحد المتمرد ، قاله الحسن[٣٤٩٩].

الرابع : أنه المشاق ، قاله السدي[٣٥٠٠].

قوله تعالى:{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ} [ق : ٢٥]، أي:" منَّاع لأداء ما عليه من الحقوق في ماله"[٣٥٠١].

قال قتادة:" الزكاة المفروضة"[٣٥٠٢].

قوله تعالى:{مُعْتَدٍ مُرِيبٍ} [ق : ٢٥]، أي:" مُعْتَدٍ على عباد الله وعلى حدوده، شاكٍّ في وعده ووعيده"[٣٥٠٣].

قال قتادة:" معتد في قوله وكلامه، آثم بربه، فقال: هذا المنافق"[٣٥٠٤].

عن قتادة:" {معتد} في منطقه وسيرته وأمره، {مريب} أي: شاك"[٣٥٠٥].

(٣٤٩٤)البيت منسوب إلى عدى بن زيد. انظر: نهاية الأرب ٣/ ٦٥ والعقد الفريد ٢/ ٣١١، وهو في تفسير الطبري ٤/ ٩٠، وذكره الخطابي في «العزلة» ص: ٦٩.

(٣٤٩٥) المحرر الوجيز: ١٦٣/٥.

(٣٤٩٦) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٤٩٧) حكاه عنهما الثعلبي في الكشف والبيان: ١٠٢/٩.

(٣٤٩٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٥١/٥.

(٣٤٩٩) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٥١/٥.

(٣٥٠٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٥١/٥.

(٣٥٠١) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٥٠٢) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٢.

(٣٥٠٣) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٥٠٤) الدر المنثور: ٦٠١/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٥٠٥) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٢.

وفي قوله تعالى: {مُرِيبٍ} [ق : ٢٥]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أنه الشاك في الله ، قاله السدي[٣٥٠٦].
الثاني : أنه الشاك في وحدانية الله وقُدرته على ما يشاء، قاله قتادة[٣٥٠٧].
قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [ق : ٢٦]، أي:" الذي أشرك بالله، فعبد معه معبودًا آخر مِن خلقه"[٣٥٠٨].
عن قتادة، قوله: "{الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}، هو المشرك"[٣٥٠٩].
عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة، بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين "[٣٥١٠].

القرآن
{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧)} [ق : ٢٧]
التفسير:
قال شيطانه الذي كان معه في الدنيا: ربنا ما أضللته، ولكن كان في طريق بعيد عن سبيل الهدى.
قوله تعالى:{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} [ق : ٢٧]، أي:" قال شيطانه الذي كان معه في الدنيا: ربنا ما أضللته"[٣٥١١].
عن مجاهد، قوله: "{قَالَ قَرِينُهُ}، قال: الشيطان قُيِّض له"[٣٥١٢].
قال قتادة:" قرينه الشيطان"[٣٥١٣].
قال الضحاك:" قرينه: شيطانه"[٣٥١٤].
قال محمد بن كعب القرظي: "{قال قرينه ربنا ما أطغيته} ما أكرهته على الطغيان"[٣٥١٥].

القرآن
{قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨)} [ق : ٢٨]
التفسير:
قال الله تعالى: لا تختصموا لديَّ اليوم في موقف الجزاء والحساب; إذ لا فائدة من ذلك، وقد قَدَّمْتُ إليكم في الدنيا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني.
قوله تعالى:{قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} [ق : ٢٨]، أي:" قال الله تعالى: لا تختصموا لديَّ اليوم في موقف الجزاء والحساب; إذ لا فائدة من ذلك"[٣٥١٦].

(٣٥٠٦) انظر: النكت والعيون: ٣٥١/٥.
(٣٥٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٢.
(٣٥٠٨) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٥٠٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٢.
(٣٥١٠) سنن الترمذي(٢٥٧٤):ص٧٠١/٤.
(٣٥١١) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٥١٢) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٢.
(٣٥١٣) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٢.
(٣٥١٤) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٢.
(٣٥١٥)تفسير الثعلبي ٩/ ١٠٢.
(٣٥١٦) التفسير الميسر: ٥١٩.

عن الربيع بن أنس، قال: قلتُ لأبي العالية: قال الله: {قالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكُمْ بِالوَعِيدِ}، وقال: {ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١]، فكيف هذا؟ قال: نعم، أمّا قوله: {لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} فهؤلاء أهل الشرك، وقوله: {ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} فهؤلاء أهل القِبلة يختصمون في مظالمهم"[٣٥١٧].

قوله تعالى:{وَقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} [ق : ٢٨]، أي:" وقد قَدَّمْتُ إليكم في الدنيا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني"[٣٥١٨].

عن أبي عمران، قوله: "{وَقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}، قال: بالقرآن"[٣٥١٩].

القرآن

{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩)} [ق : ٢٩]

التفسير:

ما يُغيَّر القول لديَّ، ولست أعذِّب أحدًا بذنب أحد، فلا أعذِّب أحدًا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

قوله تعالى:{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} [ق : ٢٩]، أي:" ما يُغيَّر القول لديَّ"[٣٥٢٠].

عن مجاهد، قوله: "{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ}، قد قضيت ما أنا قاض"[٣٥٢١].

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [ق : ٢٩]، أي:" ولست ظالماً حتى أعذب أحداً بدون استحقاق، وأعاقبه بدون جرم"[٣٥٢٢].

قال السدي: "الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب، فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي. فيقال له: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}"[٣٥٢٣].

القرآن

{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)} [ق : ٣٠]

التفسير:

اذكر -أيها الرسول- لقومك يوم نقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وتقول جهنم: هل من زيادة من الجن والإنس؟ فيضع الرب -جل جلاله- قدمه فيها، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط، قط، أي: حسبي، قد امتلأت ليس فيَّ مزيد.

عن مجاهد، قوله: "{وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}، قال: وعدها الله ليملأنها، فقال: هلا وفيتك؟ قالت: وهل من مَسلك"[٣٥٢٤]. وفي رواية قال مجاهد:" هل في من سعة"[٣٥٢٥]

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يُلقَى في النار، وتقول : هل من مزيد، حتى يضع قدمه فيها، فتقول قط قط"[٣٥٢٦].

(٣٥١٧) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٢-٣٥٩، بنحوه. وعزاه السيوطي في " الدر المنثور": ٦٠١/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٥١٨) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٥١٩) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٢.

(٣٥٢٠) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٥٢١) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٢.

(٣٥٢٢) صفوة التفاسير: ٢٢٩/٣.

(٣٥٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢١١):ص٢٣٢١/٧.

(٣٥٢٤) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٢.

(٣٥٢٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٩٦):ص٥١/٢.

(٣٥٢٦)صحيح البخاري برقم (٤٨٤٨).

القرآن

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١)} [ق : ٣١]

التفسير:

وقُرِّبت الجنة للمتقين مكانًا غير بعيد منهم، فهم يشاهدونها زيادة في المسرَّة لهم.

عن قتادة، قوله: "{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}، يقول: وأدنيت {غَيْرَ بَعِيد}"(٣٥٢٧).

قال الضحاك:" قربت لأهلها"(٣٥٢٨).

عن نبيح ابن امرأة كعب، قال: "تزلف الجنة ثم تزخرف ثم ينظر إليها من خلق الله من مسلم أو يهودي أو نصراني إلا رجلان: رجلا قتل مؤمنا متعمدا أو رجلا قتل معاهدا متعمدا"(٣٥٢٩).

القرآن

{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣)} [ق : ٣٢-٣٣]

التفسير:

يقال لهم: هذا الذي كنتم توعدون به -أيها المتقون- لكل تائب مِن ذنوبه، حافظ لكل ما قَرَّبه إلى ربه، من الفرائض والطاعات، مَن خاف الله في الدنيا ولقيه يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه.

قوله تعالى:{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ} [ق : ٣٢]، أي:" يقال لهم: هذا الذي كنتم توعدون به -أيها المتقون- لكل تائب مِن ذنوبه، حافظ لكل ما قَرَّبه إلى ربه، من الفرائض والطاعات"(٣٥٣٠).

وفي تفسير قوله تعالى:{أَوَّابٌ} [ق : ٣٢]، وجوه:

أحدها : أنه رجّاع عن الذنوب. قاله مجاهد-في رواية-(٣٥٣١).

قال سعيد بن المسيب:" الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب"(٣٥٣٢).

الثاني : أنه المطيع لله كثير الصلاة. قاله قتادة-في رواية-(٣٥٣٣).

الثالث: أنه المحسن. قاله سعيد بن جبير(٣٥٣٤)، وقتادة(٣٥٣٥).

الرابع: أنه المسبح، قاله مجاهد(٣٥٣٦)، والسدي(٣٥٣٧)، وعمرو بن شرحبيل(٣٥٣٨).

الخامس : أنه الذاكر الله في الخلاء. قاله الحكم بن عتيبة(٣٥٣٩).

السادس: أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. قاله مجاهد-أيضا-(٣٥٤٠)، والشعبي(٣٥٤١)، ويونس بن خباب(٣٥٤٢)، وعبيد بن عمير(٣٥٤٣).

(٣٥٢٧) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٢-٣٦٤.

(٣٥٢٨) الدر المنثور: ٣٠٨/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣٥٢٩) الدر المنثور: ٣٠٨/٦، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٣٥٣٠) التفسير الميسر: ٥١٩.

(٣٥٣١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٣٥٣٢) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٧-٤٢٤.

(٣٥٣٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٣٥٣٤) انظر: تفسير الطبري:٤٢٢/١٧.

(٣٥٣٥) انظر: النكت والعيون:٢٣٨/٣.

(٣٥٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢٢.

(٣٥٣٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٣٥٣٨) انظر: تفسير الطبري:٤٢٢/١٧.

(٣٥٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢٢.

(٣٥٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/١٧، و٣٦٤/٢٢.

قال مجاهد:" الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها"[٣٥٤٤].
قال يونس بن خباب:" الرجل يذكر ذنوبه، فيستغفر الله لها"[٣٥٤٥].
قال الشعبي:" الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر"[٣٥٤٦].
قال الحسن: "إذا أرخى الستر وأغلق الباب"[٣٥٤٧].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: «الأواب»: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن «الأواب» إنما هو فعال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص[٣٥٤٨]:
وكل ذي غيبة يئوب ... وغائب الموت لا يئوب
فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأواب من ذنوبه"[٣٥٤٩].
وأما «الحفيظ» -هنا- ففيه وجهان:
أحدهما : مطيع لله كثير الصلاة. قاله مجاهد[٣٥٥٠].
وعن السدي، فيما معناه: "أنه المطيع فيما أمر"[٣٥٥١].
الثاني: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته. قاله قتادة[٣٥٥٢].
ومعنى هذا أنه حفظ جوارحه عن معاصي الله تعالى[٣٥٥٣].
والصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأوّاب بأنه حفيظ، ولم يخصّ به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع، فالواجب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: هو حفيظ لكلّ ما قرّبه إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلفت منه للتوبة منها والاستغفار[٣٥٥٤].
وروى مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبع رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ كَانَ أَوَّاباً حَفِيظاً»[٣٥٥٥].
قوله تعالى:{مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} [ق : ٣٣]، أي:" مَن خاف الله في الدنيا"[٣٥٥٦].
قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٣٥٥٧].

(٣٥٤١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢٢.
(٣٥٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢٢.
(٣٥٤٣) انظر: تفسير الطبري:٤٢٤/١٧.
(٣٥٤٤) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٢.
(٣٥٤٥) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٢.
(٣٥٤٦) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٢.
(٣٥٤٧) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٣٦٣/٧.
(٣٥٤٨)البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التي مطلعها: "أقفر من أهله ملحوب". يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من آب يئوب إذا رجع (انظر اللسان: أوب) . وفيه أيضا: قال أبو بكر في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: الراحم، والتائب، والمسبح، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب، والمطيع، والذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه. أهـ. وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره.
(٣٥٤٩) تفسير الطبري:٤٢٥/١٧-٤٢٦.
(٣٥٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢٢.
(٣٥٥١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٣/٥.
(٣٥٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢٢.
(٣٥٥٣) إعراب القرآن: ١٥٣/٤.
(٣٥٥٤) تفسير الطبري: ٣٦٥/٢٢.
(٣٥٥٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٣٥٤/٥، والقرطبي في التفسير: ٢٠/١٧.
(٣٥٥٦) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٥٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

قوله تعالى:{وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق : ٣٣]، أي:" ولقي الله يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه"[٣٥٥٨].
وفي قوله تعالى:{وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق : ٣٣]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أي: منيب إلى ربه مُقْبل. قاله قتادة[٣٥٥٩].
الثاني: يعني: بقلب مخلص. روي نحوه عن السدي[٣٥٦٠].
عن السدي، قال:" أنه المنيب المخلص"[٣٥٦١].

القرآن
{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤)} [ق : ٣٤]
التفسير:
ويقال لهؤلاء المؤمنين: ادخلوا الجنة دخولا مقرونًا بالسلامة من الآفات والشرور، مأمونًا فيه جميع المكاره، ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع.
قوله تعالى:{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} [ق : ٣٤]، أي:" ويقال لهؤلاء المؤمنين: ادخلوا الجنة دخولا مقرونًا بالسلامة من الآفات والشرور، مأمونًا فيه جميع المكاره"[٣٥٦٢].
قال قتادة:"سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ"[٣٥٦٣].
قال السدي:" تقوله لهم الملائكة"[٣٥٦٤].
قال الحسن: "السلام لا ينقطع عن أهل الجنة وهو تحيتهم"[٣٥٦٥].
قوله تعالى:{ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} [ق : ٣٤]، أي:" ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع"[٣٥٦٦].
قال قتادة:" خلدوا والله، فلا يموتون، وأقاموا فلا يَظْعُنون، ونَعِمُوا فلا يبأسون"[٣٥٦٧].
عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، خلود فلا موت فيه، ويا أهل النار، خلود فلا موت فيه"[٣٥٦٨].

القرآن
{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)} [ق : ٣٥]
التفسير:
لهؤلاء المؤمنين في الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظَمُه النظر إلى وجه الله الكريم.
عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في قوله: {لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها ولَدَيْنا مَزِيدٌ}، قال: "لو أنّ أدنى أهل الجنّة لو نزل به أهل الجنّة كلّهم لأوسعهم طعامًا وشرابًا ومجلسًا وخَدمًا"[٣٥٦٩].

(٣٥٥٨) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٥٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٦/٢٢.
(٣٥٦٠) انظر: النكت والعيون: ٣٥٤/٥.
(٣٥٦١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٤/٥.
(٣٥٦٢) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٥٦٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٦١):ص٢٣٢/٣.
(٣٥٦٤) حكاه عنه ابن أبي زمنين في التفسير: ٢٧٥/٤.
(٣٥٦٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٨/٥.
(٣٥٦٦) التفسير الميسر: ٥١٩.
(٣٥٦٧) أخرجه الطبري: ٣٦٦/٢٢.
(٣٥٦٨) أخرجه أحمد في المسند(٨٥٣٥):ص٢١٥/١٤. إسناده قوي.
(٣٥٦٩) الدر المنثور: ٦٠٨/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

عن كثير بن مرة قال: "من «المزيد» أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمطره عليكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم. قال كثير: لئن أشهدني الله ذلك، لأقولن: أمطرينا جواري مزينات"[٣٥٧٠].

عن شَهْر بن حَوْشَب -من طريق جعفر بن سليمان، عن شيخ من أهل البصرة- قال: "إنّ الرجل من أهل الجنّة ليتّكئ اتّكاءة واحدة قدْر سبعين سنة، يُحدّث بعض نسائه، ثم يلتفتُ الالتفاتة، فتناديه الأخرى: فِدانا لك، أما لنا فيك نصيب! فيقول: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا مِن الذين قال الله: {فِيها ولَدَيْنا مَزِيدٌ}. قالوا: فيتحدّث معها، ثم يلتفت الالتفات، فتناديه الأخرى: أما إنّا لك، أما لنا فيك نصيب! فيقول: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا من الذين قال الله: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ} [السجدة: ١٧]"[٣٥٧١].

عن محمد بن سيرين-من طريق ابن عون- قال: حدّثنا -أو قال:" قالوا- إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة الذي يُقال له: تمَنّ. ويذكّره أصحابه، فيتمنى، ويذكّره أصحابه، فيقال: له ذلك ومثله معه. قال: قال ابن عمر: ذلك لك وعشرة أمثاله، وعند الله مزيد"[٣٥٧٢].

القرآن

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦)} [ق : ٣٦]

التفسير:

وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أممًا كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة، فطوَّفوا في البلاد وسلكوا كل طريق؛ طلبا للهرب من الهلاك، هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟

قوله تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا} [ق : ٣٦]، أي:" وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أممًا كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة"[٣٥٧٣].

وللمفسرين في المراد بـ«القرن»، أقوال:

أحدها: أن القرن: سبعون سنة. قاله قتادة[٣٥٧٤].

الثاني: أنه ستون سنة. قاله الحسن[٣٥٧٥].

الثالث: أن القرن أربعون سنة. قاله إبراهيم[٣٥٧٦].

الرابع: أنه عشرون سنة. وهذا مروي عن الحسن –أيضا[٣٥٧٧]-.

عن مالك بن دينار، قال: "سألت الحسن، عن القرن، فقال: عشرون سنة"[٣٥٧٨].

الخامس: أنه مائة وعشرون سنة، قاله زرارة بن أوفى[٣٥٧٩]، وإياس بن معاوية[٣٥٨٠].

السادس: أن القرن: أمد. قاله أبو مالك[٣٥٨١].

السابع: أنه مائة سنة، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن[٣٥٨٢]، وهو قول الجمهور[٣٥٨٣].

(٣٥٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٤٤):ص٣٣١٠/١٠.

(٣٥٧١)أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة -موسوعة ابن ابي الدنيا ٦/ ٣٧٩ - ٣٨٠ (٢٨٩) -.

(٣٥٧٢) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٢.

(٣٥٧٣) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٥٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٧):ص٢٩٨٢/٩.

(٣٥٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٨):ص٢٩٨٢/٩.

(٣٥٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤٠):ص٢٩٨٢/٩.

(٣٥٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤١):ص٢٩٨٢/٩.

(٣٥٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤١):ص٢٩٨٢/٩.

(٣٥٧٩) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(٣٥٨٠) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(٣٥٨١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧١٠٩):ص١٢٦٣/٤.

(٣٥٨٢) انظر: زاد المسير:١٠/٢.

والراجح أن القرن مئة سنة، إذ ورد فيه الحديث مرفوعا[٣٥٨٤] وهو حديث قوي. والله أعلم.

قوله تعالى:{فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ} [ق : ٣٦]، أي:" فساروا في البلاد يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم فيها"[٣٥٨٥].

وفي قوله تعالى:{فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ} [ق : ٣٦]، وجهان:

احدهما : أثروا في البلاد، وهو معنى قول مجاهد[٣٥٨٦].

قال مجاهد:" يقول: عملوا في البلاد، ذاك النقب"[٣٥٨٧].

الثاني : أنهم ملكوا في البلاد ، قاله الحسن[٣٥٨٨].

وقرأ يحيى بن يعمر«فَنَقِبُوا»، على وجه التهديد والوعيد: أي طوّفوا في البلاد[٣٥٨٩]، وتردّدوا فيها، فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم[٣٥٩٠]، وهي قراءة ابن عباس، وأبى العالية، ونصر بن سيار، وأبى حيوة، والأصمعى عن أبى عمرو[٣٥٩١].

قوله تعالى:{هَلْ مِنْ مَحِيصٍ} [ق : ٣٦]، أي:" هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟"[٣٥٩٢].

قال قتادة:" قد حاص الفَجرة فوجدوا أمر الله مُتَّبعا"[٣٥٩٣].

وقال قتادة-في رواية أخرى-:" حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مُدْركا"[٣٥٩٤].

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)} [ق : ٣٧]

التفسير:

إن في إهلاك القرون الماضية لعبرة لمن كان له قلب يعقل به، أو أصغى السمع، وهو حاضر بقلبه، غير غافل ولا ساهٍ.

(٣٥٨٣) انظر: الدر المصون:٥٤١/٤.

(٣٥٨٤)ورد ذلك مرفوعا وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٣٢٣ و «الصغير» ١/ ٢١٦ قال: قال داود بن رشيد حدثنا أبو حياة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعيش هذا الغلام قرنا» ، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بأتم منه وقال رواه الطبراني والبزار باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدركن قرنا» ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.

وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرنا» أخرجه أحمد ٤/ ١٨٩ والطبراني كما في «المجمع» ١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر «الإصابة» ٢/ ٢٨١- ٢٨٢ (٤٥٦٥) .

الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده..

(٣٥٨٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٨/٧.

(٣٥٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٧١/٢٢.

(٣٥٨٧) أخرجه الطبري: ٣٧١/٢٢.

(٣٥٨٨) انظر النكت والعيون: ٣٥٥/٥.

(٣٥٨٩) قال الزجاج:" وتقرأ :«نَقَّبوا في البلاد»، أي: فتشوا وانظروا، ومن هذا نَقيبُ القوم للذي يعرف أمرهم، مثل العريف".

" . [معاني القرآن: ٤٨/٥].

(٣٥٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٢.

(٣٥٩١) انظر: تفسير البحر المحيط ٨/ ١٢٩.

(٣٥٩٢) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٥٩٣) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٢.

(٣٥٩٤) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٢.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} [ق : ٣٧]، أي:" إن في إهلاك القرون الماضية لعبرة لمن كان له قلب يعقل به"[٣٥٩٥].

قال قتادة:" أي: من هذه الأمة، يعني بذلك القلبِ: القلبَ الحيّ"[٣٥٩٦].

قال قتادة:" من كان له قلب من هذه الأمة"[٣٥٩٧].

قوله تعالى:{أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق : ٣٧]، أي:" أو أصغى السمع، وهو حاضر بقلبه، غير غافل ولا ساهٍ"[٣٥٩٨].

عن أبي صالح: في قوله: {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}، قال: "المؤمن يسمع القرآن، وهو شهيد على ذلك"[٣٥٩٩]. وروي عن محمد بن كعب نحوه[٣٦٠٠].

قال قتادة:" هو رجل من أهل الكتاب ألقى السمع ، يقول استمع إلى القرآن ، وهو شهيد على ما في يديه من كتاب الله أنه يجد النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا"[٣٦٠١].

عن قتادة :"{أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} على ما في يده من كتاب الله أنه يجد النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مكتوبا"[٣٦٠٢].

قال الضحاك:" كان العرب تقول: ألقى فلان سمعه، أي استمع بأذنيه، وهو شاهد، يقول: غير غائب"[٣٦٠٣].

قال الضحاك:" العرب تقول: ألقى فلان سمعه: أي: استمع بأذنيه"[٣٦٠٤].

عن مجاهد:" {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} غير غائب"[٣٦٠٥].

قال مجاهد:" أو ألقى السمع، والقلب شهيد"[٣٦٠٦].

قال مجاهد:" وهو لا يحدّث نفسه، شاهد القلب"[٣٦٠٧].

قرأ السدى وجماعة: «ألقى السمع»، على البناء للمفعول. ومعناه: لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن[٣٦٠٨].

القرآن

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨)} [ق : ٣٨]

التفسير:

ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام، وما أصابنا من ذلك الخلق تعب ولا نَصَب.

(٣٥٩٥) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٥٩٦) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٢-٣٧٣.

(٣٥٩٧) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٢.

(٣٥٩٨) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٥٩٩) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٢.

(٣٦٠٠) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٥.

(٣٦٠١) تفسير عبدالرزاق(٢٩٦٣):ص٢٣٢/٣، وأخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٢. بلفظ:" يعني بذلك أهل الكتاب، وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب الله من بعث محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم".

(٣٦٠٢) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٢.

(٣٦٠٣) تفسير إسحاق البستي(١٠٤٥):ص٤١٣/٢.

(٣٦٠٤) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٢.

(٣٦٠٥) تفسير إسحاق البستي(١٠٤٣):ص٤١٣/٢.

(٣٦٠٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٧٨/٤.

(٣٦٠٧) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٢.

(٣٦٠٨) انظر: الكشاف: ٣٩٢/٤.

سبب النزول:

عن أبي بكر، قال: "جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: "خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات، يعني من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم، قالوا: صدقت إن أتممت، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون، فغضب، فأنزل الله: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ(٣٨) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [ق : ٣٨-٣٨]"[٣٦٠٩].[ضعيف]

عن ابن عباس: "أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء [وما فيهن من المنافع] وخلق يوم الأربعاء والشجر والماء وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر. قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو تممت ثم استراح. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا. فنزلت: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق : ٣٨]"[٣٦١٠].[ضعيف]

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، قال: "قالت اليهود: ابتدأ الله الخَلْق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، واستراح يوم السبت، فأنزل الله: {ولَقَدْ خَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ}"[٣٦١١].

عن العوّام بن حَوْشَب، قال: "سألت أبا مِجْلَز عن الرجل يجلس فيضع إحدى رجليه على الأخرى. فقال: لا بأس به، إنما كره ذلك اليهود؛ زعموا أنّ الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح يوم السبت، فجلس تلك الجِلسة؛ فأنزل الله: {ولَقَدْ خَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ}"[٣٦١٢].

عن الحسن البصري -من طريق أبي معاذ- قال: "قالت اليهود: خلق الله -تبارك وتعالى- السماوات والأرض في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى- على نبيّه - صلى الله عليه وسلم -: {ولَقَدْ خَلَقْنا السَّماواتِ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ}"[٣٦١٣].

عن قتادة-من طريق معمر- قال: "قالت اليهود: إنّ الله خلق الخَلْق في ستة أيام، وفرغ من الخَلْق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت. فأكذبهم الله في ذلك، فقال: {وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ}"[٣٦١٤].

عن ابن المبارك، قال: سمعت أبا سنان الشيبانيّ يقول: "فرغ الله مِن خَلْق السماوات والملائكة إلى ثلاث ساعات بَقِين مِن يوم الجمعة؛ فخلق الآفة في ساعة والأجل في ساعة، فلا أدري بأيّتهما بدأ؟ وخلق آدم في الساعة الآخرة. فقالت اليهود: فجلس هكذا يوم السبت؛ فأنزل الله تعالى: {ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب}"[٣٦١٥].

(٣٦٠٩) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٢. إسناده ضعيف, بسبب ابن حميد (تقريب التهذيب: ١٥٦/٢ - رقم: ١٥٩).

(٣٦١٠) أخرجه الواحدي في أسباب النزول(٧٦٩):ص٤١٣-٤١٤، والحاكم (المستدرك: ٥٤٣/٢) إسناده ضعيف، أبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان، قال ابن معين: ليس بشيء لا يكتب حديثه، وقال: عمرو بن علي: ضعيف الحديث [تهذيب التهذيب ٤/ ٧١] و [المجروحين لابن حبان ١/ ٣١٣]

(٣٦١١) الدر المنثور: ٦٠٩/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٦١٢)أخرجه الخطيب في تاريخه ٨/ ٦، وفيه: سألت أبا مخلد، وعند ابن أبي شيبة ٨/ ٣٨٢: عن العوام عن الحكم قال: سألت أبا مجلز.

(٣٦١٣)ذكره في الإيماء ٧/ ٣٥٣ (٦٨٧٥)، وعزاه لجزء المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٢٥٨١). وقال: «إسناده ضعيف، وهو مرسل».

(٣٦١٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٣٩، والطبري: ٣٧٦/٢٢-كما سيأتي-، وابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٥٩٤ - وزاد في آخره: أي من إعياء. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣٦١٥)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ١١١.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [ق : ٣٨]، أي:" ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام"(٣٦١٦).

قال الضحاك:" كان مقدار كل [يوم] ألف سنة مما تعدون"(٣٦١٧).

قوله تعالى:{وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق : ٣٨]، أي:" وما أصابنا من ذلك الخلق تعب ولا نَصَب"(٣٦١٨).

قال مجاهد:" اللُّغوب: النّصب، تقول اليهود: إنه أعيا بعد ما خلقهما"(٣٦١٩).

عن قتادة:" {وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ}، أي: من إعياء"(٣٦٢٠).

قال قتادة:" أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفرى على الله، وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة"(٣٦٢١).

قال قتادة:" قالت اليهود: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، وقال: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}"(٣٦٢٢).

عن محمد بن علاثة، قال: "كان عندنا رجل يكتب مصاحف، وكان خفيف اليد. وكتب مصحفًا في ستة أيام. فقيل له: في كم كتبته؟ قال: في ستة أيام وما مسنا من لغوب. قال: فجفت يمينه"(٣٦٢٣).

وقال عبد الله بن الحسين التويي الهمذاني: سمعت أبي يقول: "كنت عند أبي حامد الإسفراييني، فذكر له رجل يكتب مصحفاً في يوم، فاجتمع بالرجل فقال له: أنت تكتب مصحفاً في يوم، فقال: نعم، وما مسنا من لغوب! وأشار بثلاثة أصابعه، فجفت يده في الحال"(٣٦٢٤).

القرآن

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)} [ق : ٣٩-٤٠]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على ما يقوله المكذبون، فإن الله لهم بالمرصاد، وصلِّ لربك حامدًا له صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب، وصلِّ من الليل، وسبِّحْ بحمد ربك عقب الصلوات.

قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق : ٣٩]، أي:" وصلِّ لربك حامدًا له صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب"(٣٦٢٥).

وفي هذا التسبيح وجهان :

أحدهما : أنه تسبيحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، قاله أبو الأحوص(٣٦٢٦).

(٣٦١٦) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦١٧) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٢.

(٣٦١٨) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦١٩)تفسير مجاهد ص ٦١٥، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٧٦ - ، والطبري: ٣٧٦/٢٢ مختصرًا-كما سيأتي-، وابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٥٩٤، ٦/ ٢٨٨ - مختصرًا، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٦٦)، وانظر: الدر المنثور: ٦١٠/٧.

(٣٦٢٠)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٥٩٤ -.

(٣٦٢١) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٢.

(٣٦٢٢) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٢.

(٣٦٢٣)تاريخ واسط: ٢١٦.

(٣٦٢٤)المنثور من الحكايات والسؤالات لابن طاهر المقدسي: ٢٢.

(٣٦٢٥) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٢٦) انظر: النكت والعيون: ٢٥٦.

الثاني : أنها الصلاة، ومعناه: فصلِّ بأمر ربك قبل طلوع الشمس، يعني: صلاة الصبح ، وقبل الغروب ، يعني: صلاة العصر، قاله أبو صالح[٣٦٢٧]، وقتادة[٣٦٢٨]، ورواه جرير بن عبد الله مرفوعاً[٣٦٢٩].

عن قتادة:"{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس} قال: هي صلاة الفجر، {وقبل غروبها} قال: صلاة العصر"[٣٦٣٠].

عن قتادة:"{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس} قال: صلاة الصبح. {وقبل غروبها} الظهر والعصر"[٣٦٣١].

عن السدي:" {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها}، قال: كان هذا قبل أن تُفرَض الصلاة"[٣٦٣٢].

عن جرير بن عبد الله قال : "كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : «أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر، لا تضامون فيه، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا»، ثم قرأ :{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}"[٣٦٣٣].

قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} [ق : ٤٠]، أي:" وصلِّ من الليل، وسبِّحْ بحمد ربك عقب الصلوات"[٣٦٣٤].

عن مجاهد:" {ومِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}، قال: من الليل كلّه"[٣٦٣٥].

عن أبي الأحوص: {ومِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}:" أنه تسبيح الله تعالى قولاً في الليل"[٣٦٣٦].

وفي قوله تعالى:{وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} [ق : ٤٠]، وجوه:

أحدها : أنه التسبيح في أدبار الصلوات، قاله أبو الأحوص[٣٦٣٧]، ومجاهد[٣٦٣٨].

الثاني : أنها النوافل بعد المفروضات، قاله زيد بن أسلم[٣٦٣٩]، وابنه عبدالرحمن[٣٦٤٠].

عن زيد بن أسلم:" {وأَدْبارَ السُّجُودِ} [ق: ٤٠]، قال: النوافل خلف الصلوات، قال: {وإدْبارَ النُّجُومِ}، قال: صلاة الصبح"[٣٦٤١].

الثالث : أنها ركعتان بعد المغرب، به قال مجاهد[٣٦٤٢]، وعكرمة[٣٦٤٣]، والشعبي[٣٦٤٤]، والنَّخَعِي[٣٦٤٥]، والحسن[٣٦٤٦]، وقتادة[٣٦٤٧]، والأوزاعي[٣٦٤٨].

(٣٦٢٧) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٥.

(٣٦٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٢-٣٧٧.

(٣٦٢٩) انظر: المسند (٣٦٥/٤) وصحيح البخاري برقم (٤٨٥١) وصحيح مسلم برقم (٦٣٣) وسنن أبي داود برقم (٣٧٢٩) وسنن الترمذي برقم (٢٥٥١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٣٠) وسنن ابن ماجه برقم (١١٧).

(٣٦٣٠)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢١، والطبري: ٣٧٦/٢٢-٣٧٧. ويحيى بن سلام في "التفسير": ٢٩٢/١ [روي عنه الشطر الأول فقط بلفظ:" صلاة الصبح"]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣٦٣١)أخرجه يحيى بن سلّام ١/ ٢٩٣.

(٣٦٣٢) الدر المنثور: ٦١١/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣٦٣٣)المسند (٣٦٥/٤) وصحيح البخاري برقم (٤٨٥١) وصحيح مسلم برقم (٦٣٣) وسنن أبي داود برقم (٣٧٢٩) وسنن الترمذي برقم (٢٥٥١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٣٠) وسنن ابن ماجه برقم (١١٧).

(٣٦٣٤) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٣٥) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٢.

(٣٦٣٦) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٥.

(٣٦٣٧) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٥.

(٣٦٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٢.

(٣٦٣٩)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٦٢ (٣٣٩).

(٣٦٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٢.

(٣٦٤١)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٦٢ (٣٣٩).

(٣٦٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٢.

عن مجاهد:" {وأدْبارَ السُّجُود}، قال: الركعتان بعد المغرب"[٣٦٤٩].

عن علي قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر. وقال عبد الرحمن : دبر كل صلاة"[٣٦٥٠].

عمرو بن أبي سلمة، قال: "سئل الأوزاعي عن الركعتين بعد المغرب، قال: هما في كتاب الله: :{[وَمِنَ اللَّيْلِ] فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} "[٣٦٥١].

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عم أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معني به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل[٣٦٥٢].

وقرئ: «وإدبار السجود» بكسر الألف، على أنه مصدر أدبر يدبر إدبارا[٣٦٥٣].

القرآن

{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢)} [ق : ٤١-٤٢]

التفسير:

واستمع -أيها الرسول- يوم ينادي المَلَك بنفخه في «القرن» من مكان قريب، يوم يسمعون صيحة البعث بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء، ذلك يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

قوله تعالى:{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} [ق : ٤١]، أي:" واستمع -أيها الرسول- يوم ينادي المَلَك بنفخه في «القرن» من مكان قريب"[٣٦٥٤].

قال كعب:" ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة; إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء"[٣٦٥٥].

قال قتادة:" كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض"[٣٦٥٦].

وعن كعب:" هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا"[٣٦٥٧].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} [ق : ٤٢]، أي:" يوم يسمعون صيحة البعث بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء، ذلك يوم خروج أهل القبور من قبورهم"[٣٦٥٨].

(٣٦٤٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤١٠/٧.
(٣٦٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٢.
(٣٦٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٢.
(٣٦٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٢.
(٣٦٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٢.
(٣٦٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٢.
(٣٦٤٩) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٢.
(٣٦٥٠)المسند (١٢٤/١) وسنن أبي داود برقم (١٢٧٥) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٣٤١).
(٣٦٥١) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٢.
(٣٦٥٢) تفسير الطبري: ٣٨١/٢٢.
(٣٦٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٢.
(٣٦٥٤) التفسير الميسر: ٥٢٠.
(٣٦٥٥) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٢.
(٣٦٥٦) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٢.
(٣٦٥٧) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٢.
(٣٦٥٨) التفسير الميسر: ٥٢٠.

عن عطاء الخراساني:{ يَوْمُ الْخُرُوجِ}، قال: " يوم يخرجون إلى البعث من القبور"[٣٦٥٩].

القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)} [ق : ٤٣-٤٤]

التفسير:

إنَّا نحن نحيي الخلق ونميتهم في الدنيا، وإلينا مصيرهم جميعًا يوم القيامة للحساب والجزاء، يوم تتصدع الأرض عن الموتى المقبورين بها، فيخرجون مسرعين إلى الداعي، ذلك الجمع في موقف الحساب علينا سهل يسير.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا} [ق : ٤٤]، أي:" يوم تتصدع الأرض عن الموتى المقبورين بها، فيخرجون مسرعين إلى الداعي"[٣٦٦٠].

قال مجاهد: "تُمطر السماء عليهم حتى تشقّق الأرض عنهم"[٣٦٦١].

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "«أنا أوَّلُ مَن تنشقّ عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع، فيُحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة». وتلا ابن عمر: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا} الآية"[٣٦٦٢].

قوله تعالى:{ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} [ق : ٤٤]، أي:" ذلك الجمع في موقف الحساب علينا سهل يسير"[٣٦٦٣].

قال عطاء: "بَعْثٌ علينا سهل"[٣٦٦٤].

القرآن

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)} [ق : ٤٥]

التفسير:

نحن أعلم بما يقول هؤلاء المشركون مِن افتراء على الله وتكذيب بآياته، وما أنت -أيها الرسول- عليهم بمسلَّط; لتجبرهم على الإسلام، وإنما بُعِثتَ مبلِّغًا، فذكِّر بالقرآن من يخشى وعيدي; لأن مَن لا يخاف الوعيد لا يذَّكر.

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: قالوا يا رسول الله لو خوّفتنا؟ فنزلت: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}"[٣٦٦٥].

(٣٦٥٩)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٩.

(٣٦٦٠) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٦١) الدر المنثور: ٦١٢/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٦٦٢)أخرجه الترمذي ٦/ ٢٦٩ (٤٠٢٤)، وابن حبان ١٥/ ٣٢٤ (٦٨٩٩) كلاهما دون الآية، والحاكم ٢/ ٥٠٥ (٣٧٣٢) واللفظ له، ٣/ ٧٢ (٤٤٢٩).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، وعاصم بن عمر العمري ليس بالحافظ عند أهل الحديث». قال الحاكم في الموضعين: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وتعقّبه الذهبي في الموضع الأول بقوله: «عبد الله بن نافع ضعيف». وفي الموضع الآخر بقوله: «عاصم بن عمر هو أخو عبد الله، ضعّفوه». وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٤٣٢ (١٥٢٧ - ١٥٢٨): «هذا حديث لا يصح، ومدار الطريقين على عبد الله بن نافع، قال يحيى: ليس بشيء. وقال علي: يروي أحاديث منكرة. وقال النسائي: متروك. ثم مدارهما أيضًا على عاصم بن عمر؛ ضعّفه أحمد ويحيى، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١/ ٤٩٦ - ٤٩٧ (٧٤٥): «رواه عاصم بن عمر العمري، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، وعاصم ضعيف». وقال الألباني في الضعيفة ٦/ ٥٠٨ (٢٩٤٩): «ضعيف».

(٣٦٦٣) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٦٤) علقه الواحدي في "التفسير البسيط: ٤٢٠/٢٠.

وفي رواية عن عمرو بن قيس، قال: "قالوا: يا رسول الله، لو ذكَّرتنا، فذكر مثله"[٣٦٦٦].

قال ابن عطية:" ولو لم يكن هذا سببا، فإنه لما أعلمه أنه ليس بمسلط على جبرهم، أمره بالاقتصار على تذكير الخائفين من الناس"[٣٦٦٧].

قوله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} [ق : ٤٥]، أي:" نحن أعلم بما يقول هؤلاء المشركون مِن افتراء على الله وتكذيب بآياته"[٣٦٦٨].

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} [ق : ٤٥]، أي:" وما أنت -أيها الرسول- عليهم بمسلَّط; لتجبرهم على الإسلام، وإنما بُعِثْتَ مبلِّغًا"[٣٦٦٩].

قال مجاهد: يقول: «لا تتجبر عليهم يا محمد»[٣٦٧٠][٣٦٧١].

عن قتادة: "{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} إن الله تعالى كره الجبرية ونهي عنه وقدم فيها، قال الله تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}"[٣٦٧٢].

عن جرير، قال: "أُتي النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - برجل تُرْعَد فرائصه، فقال: «هوِّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء». ثم تلا جرير: {وما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّار}"[٣٦٧٣].

قوله تعالى:{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق : ٤٥]، أي:" فذكِّر بالقرآن من يخشى وعيدي; لأن مَن لا يخاف الوعيد لا يذَّكر"[٣٦٧٤].

كان قتادة يقول : "اللهم، اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك، يا بار، يا رحيم"[٣٦٧٥].

وقرأ يعقوب: «وعيدي» بياءٍ في الحالين، أي: ما أوعدتُ مَنْ عصاني من العذاب[٣٦٧٦].

«آخر تفسير سورة (ق)، والحمد لله وحده»

(٣٦٦٥) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٢.

(٣٦٦٦) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٢.

(٣٦٦٧) المحرر الوجيز: ١٧٠/٥.

(٣٦٦٨) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٦٩) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٧٠) تفسير مجاهد: ٦١٦، وتفسير الطبري: ٣٨٤/٢٢.

(٣٦٧١)قال ابن كثير:" ولو أراد ما قالوه[أي قول مجاهد] لقال : ولا تكن جبارًا عليهم، وإنما قال :{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} بمعنى : وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ". [تفسير ابن كثير: ٤١٢/٧].

(٣٦٧٢) تفسير إسحاق البستي(١٠٥٦):ص٤١٧/٢، وتفسير الطبري: ٣٨٤/٢٢، وتفسير ابن كثير: ٤١٢/٧.

(٣٦٧٣)أخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٦ (٣٧٣٣).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٠ (١٤٢٢٠): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم». وقال الألباني في الصحيحة ٤/ ٤٩٦ - ٤٩٧ (١٨٧٦) معقبًا على كلام الحاكم والذهبي: «قلت: ورجاله ثقات كلهم حفاظ، غير محمد بن عبد الرحمن القرشي الهروي، راويه عن سعيد بن منصور، قال ابن أبي حاتم: كتبتُ عنه وهو صدوق، روى عنه علي بن الحسن بن الجنيد، حافظ حديث مالك والزهري. قلت: وهو الذي روى عنه هذا الحديث. والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث جرير، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم. قلت: فالظاهر أنه عنده مِن غير طريق الحاكم المعروفة رجالها. ثم تأكدت مما استظهرته حين تيسّر لي الرجوع إلى أوسط الطبراني، فرأيته فيه مِن طريق محمد بن كعب الحمصي، قال: أخبرنا شقران، أخبرنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد به، مثل رواية الحاكم دون الزيادة. وقال الطبراني: لم يروه عن إسماعيل إلا عيسى، تفرّد به شقران. كذا قال، ورواية الحاكم تردّه، وشقران لم أعرفه، وكذا محمد بن كعب الحمصي، وعلى كلّ حالٍ فهذه المتابعة لعباد بن العوام لا بأس بها».

(٣٦٧٤) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٧٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤١٢/٧.

(٣٦٧٦) انظر: زاد المسير: ١٦٦/٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الذاريات»

«سورة الذاريات» هي السورة «الواحدة والخمسون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الأحقاف»، وقبل «سورة الغاشية». وعدد آياتها ستون، وكلماتها ثلثمائة وستون، وحروفها ألف ومائتان وسبع وثمانون، مجموع فواصل آياتها: «قفاك معن»[٣٦٧٧].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة الذاريات بمكة"[٣٦٧٨]. وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله[٣٦٧٩].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين"[٣٦٨٠].

قال ابن الجوزي:" مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٣٦٨١].

قال القرطبي:" سورة والذاريات مكية في قول الجميع"[٣٦٨٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٣٦٨٣].

(٣٦٧٧) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٩، والتحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.

(٣٦٧٨)الدر المنثور: ٦١٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣٦٧٩) انظر: الدر المنثور: ٦١٣/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٦٨٠) المحرر الوجيز: ١٥٥/٥.

(٣٦٨١) زاد المسير: ١٦٧/٤.

(٣٦٨٢) تفسير القرطبي: ٢٩/١٧.

(٣٦٨٣) التحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.

القرآن

{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)} [الذاريات : ١-٦]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالرياح المثيرات للتراب، فالسحب الحاملات ثقلا عظيمًا من الماء، فالسفن التي تجري في البحار جريًا ذا يسر وسهولة، فالملائكة التي تُقَسِّم أمر الله في خلقه. إن الذي توعدون به -أيها الناس- من البعث والحساب لكائن حق يقين، وإن الحساب والثواب على الأعمال لكائن لا محالة.

قوله تعالى: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} [الذاريات : ١]، أي:" أقسم بالرياح المثيرات للتراب"(٣٦٨٤).

عن مجاهد، قوله: "{وَالذَّارِيَاتِ}، قال: الرياح"(٣٦٨٥).

قال أبو الطفيل: "سمعت عليا رضي الله عنه يقول: لا يسألوني عن كتاب ناطق، ولا سنة ماضية، إلا حدثتكم، فسأله ابن الكواء عن «الذاريات»، فقال: هي الرياح"(٣٦٨٦).

عن عمر الأعرج، قال: "بلغنا أنّ مساكن الرياح تحت أجنحة الكروبيّين حملة الكرسي، فتهيج من ثمّ فتقع بعجلة الشمس، ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برءوس الجبال، ثم تهيج من رؤوس الجبال فتقع في البر. فأمّا الشمال فإنّها تمرّ بجنّة عدن، فتأخذ من عرق طيبها فتمرّ على أرواح الصدّيقين، ثمّ تأخذ حدّها من كرسي بنات نعش إلى مغرب الشمس، ويأتي الدبور حدّها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل، ويأتي الجنوب حدّها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، ويأتي الصبا حدّها من مطلع الشمس إلى كرسيّ بنات نعش، فلا تدخل هذه في حدّ هذه، ولا هذه في حدّ هذه"(٣٦٨٧).

قوله تعالى:{فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات : ٢]، أي:" وأقسم بالسحب الحاملات ثقلا عظيمًا من الماء"(٣٦٨٨).

قال مجاهد:" السحاب تحمل المطر"(٣٦٨٩).

قوله تعالى:{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} [الذاريات : ٣]، أي:" وأقسم بالسفن التي تجري في البحار جريًا ذا يسر وسهولة"(٣٦٩٠).

عن مجاهد:" :{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا}، قال: السفن"(٣٦٩١).

قوله تعالى:{فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا} [الذاريات : ٤]، أي:" وأقسم بالملائكة التي تُقَسِّم أمر الله في خلقه"(٣٦٩٢).

قال مجاهد:" الملائكة ينزلها بأمره على من يشاء"(٣٦٩٣).

قوله تعالى:{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ} [الذاريات : ٥]، أي:" إن الذي توعدون به -أيها الناس- من البعث والحساب لكائن حق يقين"(٣٦٩٤).

قال مجاهد:" «إن يوم القيامة لكائن»(٣٦٩٥).

(٣٦٨٤) التفسير الميسر: ٥٢٠.
(٣٦٨٥) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٢.
(٣٦٨٦) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٢.
(٣٦٨٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٠٩/٩-١١٠.
(٣٦٨٨) التفسير الميسر: ٥٢٠.
(٣٦٨٩) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢٢.
(٣٦٩٠) التفسير الميسر: ٥٢٠.
(٣٦٩١) تفسير مجاهد: ٦١٧، وتفسير الطبري: ٣٩٣/٢٢.
(٣٦٩٢) التفسير الميسر: ٥٢٠.[بتصرف بسيط]
(٣٦٩٣) تفسير مجاهد: ٦١٧، والطبري: ٣٩٣/٢٢.
(٣٦٩٤) التفسير الميسر: ٥٢٠.
(٣٦٩٥) تفسير مجاهد: ٦١٧، وتفسير الطبري: ٣٩٣/٢٢.

قوله تعالى:{وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ} [الذاريات : ٦]، أي:" وإن الحساب والثواب على الأعمال لكائن لا محالة"[٣٦٩٦].

عن مجاهد:"{وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ}، قال: الحساب"[٣٦٩٧].

قال مجاهد: "«إن الحساب لكائن»"[٣٦٩٨].

قال قتادة:" يوم يدين الله العباد بأعمالهم"[٣٦٩٩].

قال قتادة:" وذلك يوم القيامة، يوم يُدان الناس فيه بأعمالهم"[٣٧٠٠].

القرآن

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)} [الذاريات : ٧-٩]

التفسير:

وأقسم الله تعالى بالسماء ذات الخَلْق الحسن، إنكم -أيها المكذبون- لفي قول مضطرب في هذا القرآن، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم. يُصرف عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم مَن صُرف عن الإيمان بهما؛ لإعراضه عن أدلة الله وبراهينه اليقينية فلم يوفَّق إلى الخير.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} [الذاريات : ٧]، أي:" وأقسم بالسماء ذات الخَلْق الحسن"[٣٧٠١].

وفي: «السَّمَاء»-ها هنا- وجهان :

أحدهما : أنها السحاب الذي يظل الأرض. حكاه الماوردي[٣٧٠٢].

الثاني : وهو المشهور أنها السماء المرفوعة ، قال عبد الله بن عمر : هي السماء السابعة "[٣٧٠٣].

وفي معنى: «الْحُبُكِ»، أقوال:

أحدها : ذات الخَلْق الحَسَن المستوي، قاله قتادة[٣٧٠٤]، وعكرمة[٣٧٠٥]، والربيع أنس[٣٧٠٦]، وأبو صالح[٣٧٠٧]، صالح[٣٧٠٧]، وعطاء الخراساني[٣٧٠٨].

قال قتادة:" أي: ذات الخَلْق الحسن"[٣٧٠٩].

قال الربيع بن انس:" ذات الخَلْق الحسن"[٣٧١٠].

قال عطاء الخراساني:" ذات الخلق الحسن الوثيق"[٣٧١١].

(٣٦٩٦) التفسير الميسر: ٥٢٠.

(٣٦٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٤/٢٢.

(٣٦٩٨) تفسير مجاهد: ٦١٧.

(٣٦٩٩) تفسير عبدالرزاق(٢٩٧١):ص٢٣٥/٣

(٣٧٠٠) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٢.

(٣٧٠١) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٧٠٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٢/٥.

(٣٧٠٣) انظر: تفسير الثعلبي: ٥١٦/٢٤، د. دار التفسير، والنكت والعيون" للماوردي ٥/ ٣٦٢، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ٣١، "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ١٣/ ٢٠٩.

(٣٧٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٢.

(٣٧٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٢.

(٣٧٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٢.

(٣٧٠٧) رواه عنه مقاتل بن سليمان في "التفسير": ١٢٧/٤.

(٣٧٠٨) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٣٤):ص٩٣.

(٣٧٠٩) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٢.

(٣٧١٠) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٢.

(٣٧١١)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٣٤):ص٩٣.

وقال سعيد بن جبير:" حبكها: حسنها واستواؤها"[٣٧١٢].
وقال الحسن:" حبكت بالخلق الحسن، حبكت بالنجوم"[٣٧١٣].
قال الحسن:" ذات الخلق الحسن، حبكت بالنجوم"[٣٧١٤].
عن عمران بن حُدَير، قال: "سُئل عكرمة، عن قوله: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}، قال: ذات الخلق الحسن، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب، قال: ما أحسن ما حبكه"[٣٧١٥].
عن أبي قلابة، عن رجل من أصحاب النبيَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ الكَذَّاب المُضِلَّ، وَإنَّ رأسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ" يعني بالحبك: الجعودة"[٣٧١٦].
الثاني : ذات الزينة. به قال سعيد بن جبير[٣٧١٧]، والضحاك[٣٧١٨].
عن سعيد بن جبير:" {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}، قال: ذات الزينة"[٣٧١٩].
عن عبيد قال: "سمعت الضحاك، يقول: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} يقول: ذات الزينة، يقال: حبكها مثل حبك الرمل ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح فنسجته طرائق"[٣٧٢٠].
وقال الحسن:" حبكها: نجومها"[٣٧٢١].
الثالث: يعني: ذات البُنيان المُتْقَن. قاله مجاهد[٣٧٢٢].
الرابع : أن حبكها مثل حبك الرمل، ومثل حبك الدرع، ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح، فنسجته طرائق، حكاه الضحاك[٣٧٢٣]، ومنه قول زهير [٣٧٢٤]:
مُكَلَّلٌ بأصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ ... ريحٌ خَرِيقٍ لِضاحِي مَائِهِ حُبُكُ
الخامس: الصفاقة، قاله خصيف[٣٧٢٥].
ومنه: ثوب صفيق، ووجه صفيق: بين الصفاقة[٣٧٢٦].
قرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين: «الحِبِكِ» بكسر الحاء والباء جميعاً. وقرأ عثمان بن عفان، والشعبي، وأبو العالية، وأبو حيوة: «الحِبْكِ» بكسر الحاء وإسكان الباء. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو رجاء، وابن أبي عبلة: «الحُبْكِ» برفع الحاء وإسكان الباء. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة: «الحَبَكِ» بفتح الحاء والباء جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وأبو الجوزاء، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «الحَبِكِ» بفتح الحاء وكسر الباء[٣٧٢٧].

(٣٧١٢) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٢.
(٣٧١٣) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٢.
(٣٧١٤) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٢.
(٣٧١٥) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٢.
(٣٧١٦) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٢.
(٣٧١٧) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٢.
(٣٧١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٢.
(٣٧١٩) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٢.
(٣٧٢٠) تفسير إسحاق البستي(١٠٦٥):ص٤٢١/٢، وتفسير الطبري: ٣٩٧/٢٢
(٣٧٢١) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٢.
(٣٧٢٢) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٧، وتفسير الطبري: ٣٩٧/٢٢.
(٣٧٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٢.
(٣٧٢٤)البيت في "ديوانه" ص ١٧٦، "المحتسب" ٢/ ٢٨٧، "اللسان" ١/ ٥٥٥ (حبك).
النجم: كل شي من النبات ليس له ساق ينبت حول الماء كالا كليل. ريح خريق: شديدة. لضاحى مائه: ما ضحا للشمس من الماء أي: برز. والبيت في وصف غدير.
(٣٧٢٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٢/٥، وتفسير القرطبي: ٣٢/١٧.
(٣٧٢٦) تفسي القرطبي: ٣٢/١٧. وانظر: الصحاح، مادة«صفق». ثوب صفيق، أي: كثير الغزل، ووجه صفيق: أي: وقح.
(٣٧٢٧) انظر: زاد المسير: ١٦٧/٤.

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ} [الذاريات : ٨]، أي:" إنكم -أيها المكذبون- لفي قول مضطرب في هذا القرآن، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم"[٣٧٢٨].

وفي قوله تعالى:{إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ} [الذاريات : ٨]، وجهان:

أحدها : يعني: في أمر مختلف، فمطيع وعاص ، ومؤمن وكافر ، قاله السدي[٣٧٢٩].

الثاني : أنه القرآن فمصدق له ومكذب به ، قاله قتادة[٣٧٣٠].

قال قتادة:" مصدق بهذا القرآن ومكذب به"[٣٧٣١].

قوله تعالى: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} [الذاريات : ٩]، أي:" يُصرف عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم مَن صُرف عن الإيمان بهما؛ لإعراضه عن أدلة الله وبراهينه اليقينية فلم يوفَّق إلى الخير"[٣٧٣٢].

قال قتادة:" فالمأفوك عنه اليوم، يعني كتابَ الله"[٣٧٣٣].

وفي قوله تعالى: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} [الذاريات : ٩]، وجهان من التفسير:

أحدها : يصرف عنه من صرف ، قاله الحسن[٣٧٣٤].

الثاني : يؤفن عنه من أفن ، قاله مجاهد[٣٧٣٥]، والأفن: "فساد العقل"[٣٧٣٦].

وقرأ سعيد بن جبير: «يؤفك عنه من أفك»، على البناء للفاعل[٣٧٣٧]. قال الزمخشري:" أي: من أفك الناس عنه وهم قريش، وذلك أنّ الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون له: احذره، فيرجع فيخبرهم"[٣٧٣٨].

وقرئ: «يؤفن عنه من أفن»، أي: يحرمه من حرم، من: أفن الضرع إذا نهكه حلبا[٣٧٣٩].

القرآن

{قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١)} [الذاريات : ١٠-١١]

التفسير:

لُعِن الكذابون الظانون غير الحق، الذين هم في لُجَّة من الكفر والضلالة غافلون متمادون.

قوله تعالى: {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ} [الذاريات : ١٠]، أي:" لُعِن الكذابون الظانون غير الحق"[٣٧٤٠].

وفي قوله تعالى: {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ} [الذاريات : ١٠]، وجهان من التفسير:

أحدهما : لعن الكذابون، قاله الحسن[٣٧٤١]، ومجاهد[٣٧٤٢].

قال مجاهد:" أي: لعن الكذابون الذين يخرصون الكذب، يقولون: لا نبعث، ولا يوقنون بالبعث، وهي مثل قوله في عبس: {قُتِلَ الإِنْسَانُ ما أكفره} [عبس: ١٧]، أي: «لعن»"[٣٧٤٣].

(٣٧٢٨) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٧٢٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٥.

(٣٧٣٠) تفسير عبدالرزاق(٢٩٧٥) :ص٢٣٦/٣، وتفسير الطبري: ٣٩٨/٢٢.

(٣٧٣١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٢.

(٣٧٣٢) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٧٣٣) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٢.

(٣٧٣٤) انظر: تفسير عبد الرزاق: ٢/ ٢٤٣، و تفسير الطبري: ٣٩٩/٢٢، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣٧٣٥) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٧، وتفسير الطبري: ٣٩٨/٢٢.

(٣٧٣٦) انكت والعيون: ٣٦٣/٥.

(٣٧٣٧) انظر: الكشاف: ٣٩٧/٤.

(٣٧٣٨) الكشاف: ٣٩٧/٤.

(٣٧٣٩) انظر: الكشاف: ٣٩٧/٤.

(٣٧٤٠) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٧٤١) النكت والعيون: ٣٦٣/٥.

(٣٧٤٢) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٨، وتفسير الطبري: ٤٠٠/٢٢.

الثاني : أنهم أهل الظنون والفرية ، قاله قتادة[٣٧٤٤].
عن قتادة:" {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ} أهل الغرة والظنون"[٣٧٤٥].
قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ} [الذاريات : ١١]، أي:" الذين هم في لُجَّة من الكفر والضلالة غافلون متمادون"[٣٧٤٦].
وفي قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ} [الذاريات : ١١]، وجهان من التفسير:
أحدهما: في غمرة وشُبهة، قاله قتادة[٣٧٤٧].
عن قتادة:" {الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ} يقول: في غمرة وشبهة"[٣٧٤٨].
الثاني : قلبه في كِنانة. قاله مجاهد[٣٧٤٩].
قال مجاهد: «قلبه في مثل كنانة»[٣٧٥٠].

القرآن
{يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢)} [الذاريات : ١٢]
التفسير:
يسأل هؤلاء الكذابون سؤال استبعاد وتكذيب: متى يوم الحساب والجزاء؟
قال مجاهد:" يقولون: متى يوم الدين، أو يكون يوم الدين"[٣٧٥١].
عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[٣٧٥٢].

القرآن
{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)} [الذاريات : ١٣-١٤]
التفسير:
يوم الجزاء، يوم يُعذَّبون بالإحراق بالنار، ويقال لهم: ذوقوا عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا.
قوله تعالى:{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} [الذاريات : ١٣]، أي:" يوم الجزاء، يوم يُعذَّبون بالإحراق بالنار"[٣٧٥٣].
وفي معنى قوله تعالى: {يُفْتَنُونَ} [الذاريات : ١٣]، ثلاثة وجوه :
أحدها : معناه: يعذبون ، قاله عكرمة-في رواية، ومنه قول الشاعر[٣٧٥٤]:
كل امرىء من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور مفتون
الثاني : يحرقون كما يفتن الذهب بالنار، قاله مجاهد[٣٧٥٥]، وعكرمة[٣٧٥٦]، وروي نحوه عن الضحاك[٣٧٥٧].

(٣٧٤٣) تفسير مجاهد: ٦١٨.
(٣٧٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٢.
(٣٧٤٥) تفسير إسحاق البستي(١٠٦٨):ص٤٢٢/٢، وتفسير الطبري: ٤٠٠/٢٢.
(٣٧٤٦) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠١/٢٢.
(٣٧٤٨) تفسير إسحاق البستي(١٠٦٨):ص٤٢٢/٢، وتفسير الطبري: ٤٠٠/٢٢.
(٣٧٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠١/٢٢.
(٣٧٥٠) تفسير مجاهد: ٦١٨، وتفسير الطبري: ٤٠١/٢٢.
(٣٧٥١) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٢.
(٣٧٥٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٣٧٥٣) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٥٤) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٦٤/٥.
(٣٧٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٢.
(٣٧٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٢.

قال مجاهد:" يعني: «يحرقون، أي كما يفتن الذهب في النار»"[٣٧٥٨].
قال عكرمة:" يعذّبون في النار يحرقون فيها، ألم تر أن الذهب إذا ألقي في النار قيل فتن"[٣٧٥٩].
قال الضحاك:" يطبخون، كما يفتن الذهب بالنار"[٣٧٦٠].
الثالث : يُنْضَجون بالنار. قاله مجاهد-أيضا- [٣٧٦١].
الرابع : يكذّبون. قاله الضحاك-في رواية-[٣٧٦٢].
الخامس: يعيرون بذنوبهم. وهذا مروي عن الحسن[٣٧٦٣].
عن الحسن في قوله: "{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ}. قال إسحاق: أحسبه قال: يعيرون بذنوبهم"[٣٧٦٤].
والمعنى يعذّبون بالإحراق، لأن الفتنة أصلها الاختبار، وإنما يقال: فتنت الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها، فكذلك قوله: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ}، يحرقون بها كما يحرق الذهب بها[٣٧٦٥].
قوله تعالى:{ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} [الذاريات : ١٤]، أي:" ويقال لهم: ذوقوا عذابكم"[٣٧٦٦].
وفي قوله تعالى:{ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} [الذاريات : ١٤]، ثلاثة وجوه:
أحدها : معنى: {فِتْنَتَكُمْ}، أي: عذابكم، قاله قتادة[٣٧٦٧].
قال قتادة:" يقول: يوم يعذّبون، فيقول: ذوقوا عذابكم"[٣٧٦٨].
الثاني : حريقكم ، قاله مجاهد[٣٧٦٩]، والضحاك[٣٧٧٠].
قال مجاهد:"{ذوقوا فتنتكم}، يعني: حريقكم»"[٣٧٧١].
الثالث : تكذيبكم ، حكاه الضحاك[٣٧٧٢].
قوله تعالى:{هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} [الذاريات : ١٤]، أي: "يقال لهم: هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا"[٣٧٧٣].
عن عكرمة: "{هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} قال: تكذيبكم، به تكذبون"[٣٧٧٤].

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)} [الذاريات : ١٥-١٦]

(٣٧٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٢.
(٣٧٥٨) تفسير مجاهد: ٦١٨.
(٣٧٥٩) أخرجه الطبري: ٤٠٢/٢٢.
(٣٧٦٠) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٢.
(٣٧٦١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٢.
(٣٧٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٢.
(٣٧٦٣) تفسير إسحاق البستي(١٠٧١):ص٤٢٣/٢.
(٣٧٦٤) تفسير إسحاق البستي(١٠٧١):ص٤٢٣/٢.
(٣٧٦٥) تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٢.
(٣٧٦٦) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٢.
(٣٧٦٨) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٢.
(٣٧٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٢-٤٠٥.
(٣٧٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٢.
(٣٧٧١) تفسير مجاهد: ٦١٨.
(٣٧٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٢.
(٣٧٧٣) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٧٤) تفسير إسحاق البستي(١٠٧٣):ص٤٢٣/٢.

التفسير:
إن الذين اتقوا الله في جنات عظيمة، وعيون ماء جارية، أعطاهم الله جميع مُناهم من أصناف النعيم، فأخذوا ذلك راضين به، فَرِحة به نفوسهم، إنهم كانوا قبل ذلك النعيم محسنين في الدنيا بأعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الذاريات : ١٥]، أي:" إن الذين اتقوا الله في جنات عظيمة، وعيون ماء جارية"(٣٧٧٥).

عن مجاهد: " يقول: كانوا قليلا من الليل ما ينامون "(٣٧٧٦). وروي عن القرظي مثله(٣٧٧٧).

قال مجاهد:" كانوا قل ليلة تمر بهم إلا أصابوا منها خيرا"(٣٧٧٨).

عن إبراهيم: "{كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}، قال: قليلًا من الليل ما ينامون"(٣٧٧٩).

عن الحسن، قال: "يقول: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون} [الذاريات: ١٧] قال: «ما ينامون، كانوا يمدون الصلاة إلى الأسحار، فإذا كان السحر أخذوا في الاستغفار»(٣٧٨٠).

قال مطرف بن عبدالله:" قلّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها"(٣٧٨١). وفي رواية:" قل ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله. إما من أوّلها، وإما من وسطها"(٣٧٨٢). وفي رواية:" قلّ ليلة أتت عليهم هجعوها كلها"(٣٧٨٣). وفي رواية: "كان لهم قليل من الليل ، ما يهجعون فيه كانوا يصلونه"(٣٧٨٤).

قوله تعالى:{آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ} [الذاريات : ١٦]، أي:" أعطاهم الله جميع مُناهم من أصناف النعيم، فأخذوا ذلك راضين به، فَرِحة به نفوسهم"(٣٧٨٥).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ} [الذاريات : ١٦]، أي:" إنهم كانوا قبل ذلك النعيم محسنين في الدنيا بأعمالهم الصالحة"(٣٧٨٦).

القرآن

{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)} [الذاريات : ١٧-١٨]

التفسير:
كان هؤلاء المحسنون قليلا من الليل ما ينامون، يُصلُّون لربهم قانتين له، وفي أواخر الليل قبيل الفجر يستغفرون الله من ذنوبهم.

قوله تعالى:{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} [الذاريات : ١٨]، أي:" كان هؤلاء المحسنون قليلا من الليل ما ينامون، يُصلُّون لربهم قانتين له"(٣٧٨٧).

عن إبراهيم: "{كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}، قال: قليلًا من الليل ما ينامون"(٣٧٨٨).

(٣٧٧٥) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٧٦) تفسير مجاهد: ٦١٨.
(٣٧٧٧)تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١٠):ص٥٦/٢.
(٣٧٧٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٤٢):ص٢٠/١.
(٣٧٧٩) تفسير إسحاق البستي(١٠٧٧):ص٤٢٣/٢، وتفسير الطبري: ٤١١/٢٢.
(٣٧٨٠) تفسير مجاهد: ٦١٨.
(٣٧٨١) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٢.
(٣٧٨٢) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٢.
(٣٧٨٣) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٢.
(٣٧٨٤) تفسير عبدالرزاق(٢٩٧٧):ص٢٣٦/٣.
(٣٧٨٥) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٨٦) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٨٧) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٧٨٨) تفسير إسحاق البستي(١٠٧٧):ص٤٢٣/٢، وتفسير الطبري: ٤١١/٢٢.

قال الضحاك:" الهجوع: النوم"[٣٧٨٩].
وفي قوله تعالى:{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} [الذاريات : ١٨]، وجهان:
أحدهما: أن «ما» مصدرية، تقديره : كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم.
عن الحسن، قوله: "{كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}، قال: قيام الليل"[٣٧٩٠].
قال الحسن: "كابدوا قيام الليل"[٣٧٩١].
قال الحسن:" لا ينامون منه إلا قليلا"[٣٧٩٢].
قال الحسن:" لا ينامون من الليل إلا أقله"[٣٧٩٣].
قال الحسن:" نشطوا فمدّوا إلى السحر"[٣٧٩٤]. وفي رواية:" مدّوا في الصلاة ونشطوا، حتى كان الاستغفار بسحر"[٣٧٩٥].
قال معمر:" كان الحسن والزهري يقولان: كانوا كثيرا من الليل ما يصلون"[٣٧٩٦].
قال الأحنف بن قيس:" كانوا لا ينامون إلا قليلا"[٣٧٩٧].
عن قتادة، قال: "قال الأحنف بن قَيس، وقرأ هذه الآية: {كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}، قال: لست من أهل هذه الآية"[٣٧٩٨].
الثاني : أن «ما» نافية، تقديره : كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه.
قال قتادة:" كان لهم قليل من الليل ما يهجعون، كانوا يصلونه"[٣٧٩٩].
قال محمد بن علي:" كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة"[٣٨٠٠].
قال ابن أبي نجيح:" كانوا قليلا ما ينامون ليلة حتى الصباح"[٣٨٠١].
قال مجاهد:" قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون"[٣٨٠٢].
قال مطرف:" قلّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها"[٣٨٠٣]. وفي رواية:" قل ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله. إما من أوّلها، وإما من وسطها"[٣٨٠٤]. وفي رواية:" قلّ ليلة أتت عليهم هجعوها كلها"[٣٨٠٥].
قال الربيع:" كانوا يصيبون من الليل حظا"[٣٨٠٦].
قال أبو العالية:" كانوا يصيبون فيها حظا"[٣٨٠٧].
وقال أبو العالية: "لا ينامون بين المغرب والعشاء"[٣٨٠٨].

(٣٧٨٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٤١١-٤١٢.
(٣٧٩٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩.
(٣٧٩١) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨.
(٣٧٩٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨-٤٠٩.
(٣٧٩٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩.
(٣٧٩٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩.
(٣٧٩٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩.
(٣٧٩٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩-٤١٠.
(٣٧٩٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩.
(٣٧٩٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٩.
(٣٧٩٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨.
(٣٨٠٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٧.
(٣٨٠١) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨.
(٣٨٠٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨.
(٣٨٠٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٧.
(٣٨٠٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٧.
(٣٨٠٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨.
(٣٨٠٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٨.
(٣٨٠٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٠٧.

قال الضحاك:" كانوا قليلا من الناس من يفعل ذلك"[٣٨٠٩].
وقال الضحاك:" كانوا من الناس قليلا"[٣٨١٠].
قال الضحاك:" يقول: إن المحسنين كانوا قليلا ثم ابتدئ فقيل: {مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، كما قال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}، ثم قال: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}"[٣٨١١].
وأولى الأقوال بالصحة في تفسير قوله: {كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}، قول من قال: كانوا قليلا من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل[٣٨١٢].
قوله تعالى:{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات : ١٨]، أي:" وفي أواخر الليل قبيل الفجر يستغفرون الله من ذنوبهم"[٣٨١٣].
وفي قوله تعالى:{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات : ١٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : وبالأسحار هم يصلون ، قاله مجاهد[٣٨١٤]، والضحاك[٣٨١٥].
قال الضحاك:" يقول: يقومون فيصلون، يقول: كانوا يقومون وينامون، كما قال الله لمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ}، فهذا نوم، وهذا قيام {وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}، كذلك يقومون ثلثا ونصفا وثلثين: يقول: ينامون ويقومون"[٣٨١٦].
الثاني : أنهم كانوا يؤخرون الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر ليستغفروا فيه ، قاله الحسن[٣٨١٧].
قال الحسن:" مدّوا في الصلاة ونَشطوا، حتى كان الاستغفار بسحر"[٣٨١٨].
قال أهل العلم:" فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر" »[٣٨١٩]. وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى إخبارا عن يعقوب : أنه قال لبنيه :{سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} [يوسف ٩٨] قالوا : أخرهم إلى وقت السحر"[٣٨٢٠].

القرآن
{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)} [الذاريات : ١٩]
التفسير:
وفي أموالهم حق واجب ومستحب للمحتاجين الذين يسألون الناس، والذين لا يسألونهم حياء.

(٣٨٠٨) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٢-٤٠٨.
(٣٨٠٩) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٢.
(٣٨١٠) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٢.
(٣٨١١) أخرجه الطبري: ٤١٠/٢٢.
(٣٨١٢) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٢.
(٣٨١٣) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٨١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٣/٢٢.
(٣٨١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤١٢/٢٢.
(٣٨١٦) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٢.
(٣٨١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٣/٢٢.
(٣٨١٨) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٢.
(٣٨١٩)رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٥٨).
(٣٨٢٠) تفسير ابن كثير: ٤١٨/٧.

وفي تفسير قوله تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ} [الذاريات : ١٩]، وجهان:
أحدهما : أنها الزكاة، قاله ابن سيرين[٣٨٢١]، وقتادة[٣٨٢٢]، وابن أبي مريم[٣٨٢٣].
الثاني : أنه حق سوى الزكاة تصل له رحماً أو تقري به ضيفاً أو تحمل به كلاً أو تغني به محروماً، قاله مجاهد[٣٨٢٤].

عن ابن عمر، قال: "سمعت عمر، يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال: «خذه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك»"[٣٨٢٥].

واختلف في معنى: «المحروم»، على أقوال :
أحدها : أنه الْمُحَارِفُ الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وهذا قول مجاهد[٣٨٢٦]، والضحاك[٣٨٢٧]، وسعيد بن المسيب[٣٨٢٨]، ونافع[٣٨٢٩]، وعطاء[٣٨٣٠].

قال الضحاك:" هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله له ذلك"[٣٨٣١].

عن مجاهد، وعطاء، قالا: "المحروم: المحارف في الرزق, وفي التجارة"[٣٨٣٢].
الثاني : أنه المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته، قاله قتادة[٣٨٣٣]، وابن شهاب الزهري[٣٨٣٤].

عن قتادة، قوله: "{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}، هذان فقيرا أهل الإسلام، سائل يسأل في كفّه، وفقير معتفّف، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم"[٣٨٣٥].

قال قتادة:" السائل الذي يسأل بكفه، والمحروم: المتعفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم"[٣٨٣٦].

قال الزهري:" السائل: الذي يسأل، والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل"[٣٨٣٧].

عن الزهري:" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان، قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد غنى، ولا يعلم بحاجته فيتصدق عليه فذلك المحروم"[٣٨٣٨].

عن محمد بن كعب القرظي: "المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [الواقعة : ٦٧]"[٣٨٣٩]. قال الثعلبي:" ونظيره في قصة ضروان[٣٨٤٠] {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}"[٣٨٤١].

(٣٨٢١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.
(٣٨٢٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.
(٣٨٢٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.
(٣٨٢٤) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٩.
(٣٨٢٥) صحيح البخاري(١٤٧٣):ص١٢٣/٢.
(٣٨٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٢.
(٣٨٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٢.
(٣٨٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٢.
(٣٨٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٢.
(٣٨٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٢.
(٣٨٣١) أخرجه الطبري: ٤١٤/٢٢.
(٣٨٣٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٨٥):ص٢٣٨/٣.
(٣٨٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٣٨٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٣٨٣٥) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٣٨٣٦) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٣٨٣٧) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٣٨٣٨) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٣٨٣٩) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.
(٣٨٤٠)ضروان: اسم أرض باليمن فيها الجنة المشار إليها. انظر: الدر المنثور ٦: ٢٥٣.

قال النحاس:" حدثنا الزهري محمد بن مسلم[٣٨٤٢]، أنّه قال: المحروم: الذي لا يسأل، وأكثر الصحابة على أنه: المحارف. وليس هذا بمتناقض، لأن «المحروم» -في اللغة-: الممنوع من الشيء، فهو مشتمل على كل ما قيل فيه"[٣٨٤٣].

الثالث : أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم، قاله محمد بن الحنفية[٣٨٤٤].

عن الحسن بن محمد:" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فغنموا، فجاء قوم يشهدون الغنيمة، فنزلت هذه الآية: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}"[٣٨٤٥].

وعن الحسن بن محمد، قال: "بعثت سرية فغنموا، ثم جاء قوم من بعدهم، قال: فنزلت {لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}"[٣٨٤٦].

عن إبراهيم:" أن أناسا قدموا على عليّ رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل، فقال: اقسموا لهم، قال: هذا المحروم"[٣٨٤٧].

قال إبراهيم: "المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف من الناس"[٣٨٤٨]. وفي رواية:" المحروم: الذي لا يجري عليه شيء من الفيء، وهو محارف من الناس"[٣٨٤٩].

الرابع : أنه الذي لا ينمى له مال. قاله عكرمة[٣٨٥٠].

عن حصين، قال: "سألت عكرمة، عن السائل والمحروم؟ قال: السائل: الذي يسألك، والمحروم: الذي لا ينمى له مال"[٣٨٥١].

السادس : أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب، قاله زيد بن أسلم[٣٨٥٢].

عن عبد الله بن عياش، قال: "قال زيد بن أسلم في قول الله: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} قال ليس ذلك بالزكاة، ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة، والمحروم: الذي يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته، فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين، كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالوا {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} وقال أيضًا: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}"[٣٨٥٣].

عن أبي قلابة، قال: "جاء سيل باليمامة، فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: هذا المحروم"[٣٨٥٤].

وفي رواية عن أبي قلابة، قال: "كان رجل من أهل اليمامة له مال، فجاء سيل فذهب بماله، فقال رجل من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم: هذا المحروم، فاقسموا له"[٣٨٥٥].

(٣٨٤١) الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٣٨٤٢)هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، القرشي المدني، تابعي جليل، وامام علم، كان عالم الحجاز والشام، وكان آية فى الحفظ، حتى انه قال ما استودعت قلبي شيئا فنسيه، وقال الليث بن سعد: ما رأيت عالما قط اجمع من ابن شهاب، وقال مالك: لم يكن فى الناس له نظير توفى عام ١٢٤ هـ.

(٣٨٤٣) إعراب القرآن: ١٦٠/٤.

(٣٨٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٤٥) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢-٤١٧.

(٣٨٤٦) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٤٧) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٤٨) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٤٩) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٥١) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٣٨٥٢) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.

(٣٨٥٣) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.

(٣٨٥٤) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٢.

السابع: أنه الكلب، قال محمد بن إسحاق : "حدثني بعض أصحابنا قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر كتف شاة فرمى بها إليه، وقال : يقولون : إنه المحروم"[٣٨٥٦][٣٨٥٧].

والصواب من القول في ذلك أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ، كما قال جلّ ثناؤه :{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[٣٨٥٨]، وإنما وقع الاختلاف في هذا لأنها صفة أقيمت مقام الموصوف، و«المحروم»: هو الذي قد حرم الرزق واحتاج. فهذه الأقوال كلها داخلة في هذا غير أنه ليس فيها أجل مما روي عن ابن عباس ولا أجمع أنه: «المحارف»[٣٨٥٩].

قال الشعبي: "أعناني أن أعلم ما {الْمَحْرُومِ}[٣٨٦٠]، لقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة، فما أنا اليوم بأعلم مني من يومئذ"[٣٨٦١].

قال الحسن البصري: "أدركت أقواماً إن كان الرجل ليعزم على أهله أن لا يردوا سائلاً، ولقد أدركت أقواماً إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله أربعين عاماً، وإن أهل البيت يبتلون بالسائل، ما هو من الجن ولا من الإنس، وإن الذين كانوا من قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغاً، ويبتاعون بالفضل أنفسهم. رحم الله امرأ جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة وليس خلقاً، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة، حتى يأتي عليه أجله وهو كذلك"[٣٨٦٢].

وحكي :«أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله مالي لا أحب الموت، جعلني الله فداك؟ فقال: هل لك مال؟ قال: نعم. قال: قدم مالك. قال: لا أطيق ذلك يا رسول الله. قال: فإن قلب المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن أخره أحب أن يتخلف معه»[٣٨٦٣]".

عن الحرث بن النعمان- ابن أخت سعيد بن جبير- قال: "سمعت أنس بن مالك يحدّث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «يا أنس ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: يا ربّ ظلمونا حقوقنا التي

(٣٨٥٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٣٨٥٦) تفسير ابن كثير: ٤١٩/٧، وحكاه عنه النحاس في: الناسخ والمنسوخ: ٦٨٣، والماوردي في النكت والعيون: ٣٦٦/٥

(٣٨٥٧) قال الجصاص:" من تأوله على الكلب فإنه لا يجوز أن يكون المراد عنده بحق معلوم الزكاة لأن إطعام الكلب لا يجزي من الزكاة فينبغي أن يكون المراد عنده حقا غير الزكاة فيكون في إطعام الكلب قربة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في كل ذي كبد حرى أجرا وإن رجلا سقى كلبا فغفر الله له»، والأظهر في قوله حق معلوم أنه الزكاة لأن الزكاة واجبة لا محالة وهي حق معلوم فوجب أن يكون مرادا بالآية إذ جائز أن ينطوي تحتها ويكون اللفظ عبارة عنها ثم جائز أن يكون جميع ما تأول السلف عليه المحروم مرادا بالآية في جواز إعطائه الزكاة وهو يدل على أن الزكاة إذا وضعت في صنف واحد أجزأ لأنه اقتصر على السائل والمحروم دون الأصناف المذكورة في آية الصدقات وفرق الله تعالى في الآية بين السائل والمحروم لأن الفقير قد يحرم نفسه بتركه المسألة وقد يحرمه الناس بترك إعطائه فإذا لم يسئل فقد حرم نفسه بترك المسألة فسمي محروما من هذا الوجه لأنه يصير محروما من وجهين من قبل نفسه ومن قبل الناس".[أحكام القرآن: ٢٩٦/٥].

والحديث في البخاري عن أبي هريرة كتاب الشرب والمساقاة : (٢٣٦٣):ص١١١/٣.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له "، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر"».

(٣٨٥٨) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٢.

(٣٨٥٩) الناسخ والمنسوخ: ٦٨٣.

(٣٨٦٠) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٢.

(٣٨٦١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٣٨٦٢)الحلية ٢/ ١٤٩ وكتاب الزهد الكبير للبيهقي(١٣):ص ٢/ ٦٥.

(٣٨٦٣)الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٢٠٥ (رقم ٤٥٨٠)، وتفسير التستري: ١٥٣.

فرضتها عليهم. قال: فيقول: وعزّتي وجلالي لأقربنّكم ولأبعدنّهم»، قال: فتلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليه هذه الآية: {وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}"[٣٨٦٤].

القرآن

{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠)} [الذاريات : ٢٠]

التفسير:

وفي الأرض عبر ودلائل واضحة على قدرة خالقها لأهل اليقين بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والمصدِّقين لرسوله صلى الله عليه وسلم.

عن قتادة، قوله: "{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ}، قال: يقول: معتبر لمن اعتبر"[٣٨٦٥].

قال قتادة:" إذا سار في أرض الله رأى عبرا وآيات عظاما"[٣٨٦٦].

القرآن

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)} [الذاريات : ٢١]

التفسير:

وفي خلق أنفسكم دلائل على قدرة الله تعالى، وعبر تدلكم على وحدانية خالقكم، وأنه لا إله لكم يستحق العبادة سواه، أغَفَلتم عنها، فلا تبصرون ذلك، فتعتبرون به؟

وفي قوله تعالى:{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)} [الذاريات : ٢١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه سبيل الغائط والبول ، قاله مجاهد[٣٨٦٧].

وروى ابن جريج، عن محمد بن المرتفع: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}: سبيل الخلاء البول"[٣٨٦٨].

وقال المسيب بن شريك: "يأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج من مكانين، ولو شرب لبنا محضا خرج ماء، فتلك الآية في النفس"[٣٨٦٩].

الثاني : وفي تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته، قاله قتادة[٣٨٧٠].

قال قتادة:" من تفكر في خلق نفسه عرف أنما خلق ولينت مفاصله للعبادة"[٣٨٧١].

الثالث : فيما يدخل من طعامكم وما يخرج، قاله السدي[٣٨٧٢].

وحكي الماوردي عن السدي، قال:" في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم"[٣٨٧٣].

الرابع: في الكبر بعد الشباب ، والضعف بعد القوة ، والشيب بعد السواد ، قاله الحسن[٣٨٧٤].

(٣٨٦٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٣/٩.

(٣٨٦٥) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٢.

(٣٨٦٦) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٢.

(٣٨٦٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٥.

(٣٨٦٨) الجامع لعلوم الإمام أحمد-التفسير وعلوم القرآن-(٣٢٣٢):ص٤٩٨/١٣.

(٣٨٦٩) انظر: الكشف والبيان: ١١٣/٩. و«المسيب»، هو " المسيب بن شريك التميمي أبو سعيد "، ترك الناس حديثه، وقال البخاري: " سكتوا عنه ". مترجم في الكبير ٤ \ ١ \ ٤٠٨، وابن أبي حاتم ٤ \ ١ \ ٢٩٤، وميزان الاعتدال ٣: ١٧١، ولسان الميزان ٦: ٣٨.

(٣٨٧٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٥.

(٣٨٧١) تفسير إسحاق البستي(١٠٨٩):ص٤٢٨/٢.

(٣٨٧٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٥٨):ص٣٣١٢/١٠.

(٣٨٧٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٥.

(٣٨٧٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٥.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعِبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم، {أَفَلا تُبْصِرُونَ}، يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم[٣٨٧٥].

القرآن

{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)} [الذاريات : ٢٢]

التفسير:

وفي السماء رزقكم وما توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب، وغير ذلك كله مكتوب مقدَّر.

وفي قوله تعالى:{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ} [الذاريات : ٢٢]، وجهان من التفسير:

أحدها : ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق فهو رزق لهم من السماء ، قاله سعيد بن جبير[٣٨٧٦]، والضحاك[٣٨٧٧].

عن الضحاك، قوله: "{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ}، قال: المطر"[٣٨٧٨].

قال مجاهد: "{رزقكم}: المطر"[٣٨٧٩].

عن سعيد، قوله: "{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}، قال: الثلج، وكلّ عين ذائبة من الثلج لا تنقص"[٣٨٨٠].

قال الحسن:" في السحاب فيه والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وأعمالكم"[٣٨٨١].

وفي الحديث:"أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم سمع رجلا ومطروا، يقول: ومطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: كَذَبْتَ، بَلْ هُوَ رِزقُ اللهِ"[٣٨٨٢].

الثاني : يعني: الجنة، يقول: الجنة في السماء. وهذا مروي عن مجاهد –أيضا-[٣٨٨٣].

وفي قوله تعالى:{رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات : ٢٢]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : وما توعدون من خير أو شرّ، قاله مجاهد[٣٨٨٤].

الثاني : من جنة ونار ، قاله الضحاك[٣٨٨٥].

الثالث : يعي: من أمر الساعة ، قاله الربيع[٣٨٨٦]، وابن سيرين[٣٨٨٧].

والصواب في ذلك، القول الذي قاله مجاهد، لأن الله عمّ الخبر بقوله :{وَمَا تُوعَدُونَ}، عن كلّ ما وعدنا من خير أو شرّ، ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض، فهو على عمومه كما عمه الله جلّ ثناؤه"[٣٨٨٨].

(٣٨٧٥) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٧٨) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٧٩) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٢-٤٢١.
(٣٨٨٠) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٨١) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٨٢) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٢.
(٣٨٨٣) انظر: تفسير مجاهد: ٦١٩، وتفسير الطبري: ٤٢١/٢٢.
(٣٨٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١/٢٢.
(٣٨٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١/٢٢.
(٣٨٨٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٨/٥.
(٣٨٨٧) رواه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٤/٩.
(٣٨٨٨) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٢.

عن عبد الله بن السائب، قال: "أخر عمر بن الخطاب كرم الله وجهه العشاء الآخرة فصليت، ودخل فكان في ظهري، فقرأت: {والذاريات ذروا} [الذاريات: ١] حتى أتيت على قوله: {وفي السماء رزقكم وما توعدون} [الذاريات: ٢٢] فرفع صوته حتى ملأ المسجد: «أشهد»"[٣٨٨٩].

عن جعفر بن إياس، قال: "دخل عمر بن الخطاب رضوان الله عنه المسجد، وقد سبق ببعض الصلاة، فنشب في الصف، وقرأ الإمام {وفي السماء رزقكم وما توعدون} [الذاريات: ٢٢] فقال عمر: «وأنا أشهد»"[٣٨٩٠].

روي عن أبي الفضل العباس بن الفرج الرياسي البصري، قال: "سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع في البصرة فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلّم وقال لي: من الرجل؟، قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم، قال: ومن أين أقبلت؟، قلت من موضع مليء بكلام الرّحمن، قال: وللرّحمن كلام يتلوه الآدمين . قلت: نعم، قال: اتل عليّ شيئا منه، فقلت له: انزل عن قعودك. فنزل، وابتدأت بسورة وَالذَّارِياتِ، فلمّا انتهيت إلى قوله سبحانه: {وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ}. قال: يا أصمعي هذا كلام الرّحمن؟، قلت: أي والذي بعث محمدا بالحق، إنّه لكلامه أنزله على نبيّه محمد، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى الناقة فنحرها وقطعها كلّها، وقال: أعنّي على توزيعها ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرمل وولّى مدبرا نحو البادية وهو يقول: {وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ}. فأقبلت على نفسي باللوم وقلت: لم تنتبهي لما انتبه له الأعرابي، فلمّا حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق فالتفّت فإذا أنا بالأعرابي نحيلا مصفارا فسلّم عليّ وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام وقال لي: اتل كلام الرّحمن، فأخذت في سورة وَالذَّارِياتِ، فلمّا انتهيت الى قوله: وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ، صاح الاعرابي فقال: وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا، ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم يقول الله سبحانه فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ، فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف؟، ألم يصدّقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثا وخرجت فيها نفسه"[٣٨٩١].

عن زيد بن جرير:" أنّ رجلا جاع في مكان ليس فيه شيء، فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به، قال: فشبع وروى من غير طعام ولا شراب"[٣٨٩٢].

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو أنّ أحدكم فرّ من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت»"[٣٨٩٣].

القرآن

{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)} [الذاريات : ٢٣]

التفسير:

أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أنَّ ما وعدكم به حق، فلا تَشُكُّوا فيه كما لا تَشُكُّون في نطقكم.

عن الحسن، في قوله: "{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}، الآية، قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا»"[٣٨٩٤].

(٣٨٨٩) فضائل القرآن للقاسم بن سلام:١٤٩.

(٣٨٩٠) فضائل القرآن للقاسم بن سلام:١٤٩.

(٣٨٩١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٥/٩، وانظر: كتاب التوابين لعبد الله بن قدامة: ٢٧٥ ح ١١٢.

(٣٨٩٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٥/٩.

(٣٨٩٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٥/٩-١١٦.

(٣٨٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٥٩):ص٣٣١٢/١٠، والطبري: ٤٢٢/٢٢.

عن أبي العلاء بن الشِّخِّير -من طريق الجريري- قال: "لمّا نَزَلَتْ: {فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}، خرج رجال بأيديهم العصي، قالوا: أين الذين كلَّفوا ربنا حتى حلف؟!"[٣٨٩٥].

القرآن

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)} [الذاريات : ٢٤-٢٥]

التفسير:

هل أتاك -أيها الرسول- حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم -وكانوا من الملائكة الكرام- حين دخلوا عليه في بيته، فحيَّوه قائلين له: سلامًا، فردَّ عليهم التحية قائلا سلام عليكم، أنتم قوم غرباء لا نعرفكم.

قوله تعالى:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} [الذاريات : ٢٤]، أي:" هل أتاك -أيها الرسول- حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم -وكانوا من الملائكة الكرام-"[٣٨٩٦].

قال عطاء:" كانوا ثلاثة: جبريل، وميكائيل، ومعهما مَلك آخر"[٣٨٩٧].

قال القرظي:" كان جبريل ومعه سبعة"[٣٨٩٨].

قال مجاهد: " أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ"[٣٨٩٩].

قال مجاهد:" خِدْمته إيّاهم بنفسه"[٣٩٠٠].

قال مجاهد:" أكرمهم إبراهيم بالعِجل"[٣٩٠١].

قال عطاء : "وكان إبراهيم إذا أراد أن يتغذ، أو يتعشى خرج الميل والميلين والثلاثة ، فيطلب من يأكل معه"[٣٩٠٢].

قال عكرمة : "وكان إبراهيم يكنى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكي لا يفوته أحد"[٣٩٠٣].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[٣٩٠٤].

قوله تعالى:{إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} [الذاريات : ٢٥]، أي:" حين دخلوا عليه في بيته، فحيَّوه قائلين له: سلامًا، فردَّ عليهم التحية قائلا سلام عليكم، أنتم قوم غرباء لا نعرفكم"[٣٩٠٥].

قال أبو العالية:" أنكَر سلامهم في ذلك الزمان، وفي تلك الأرض"[٣٩٠٦].

القرآن

(٣٨٩٥)ذكره الحافظ في المطالب العالية (إشراف: د. سعد الشثري) ١٥/ ٢٧٨ (٣٧٢٩).

(٣٨٩٦) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٨٩٧)تفسير الثعلبي ٩/ ١١٦.

(٣٨٩٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١١٦.

(٣٨٩٩) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٢.

(٣٩٠٠)أخرجه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف (٨)، والثعلبي في "الكشف والبيان": ٩/ ١١٦ - ١١٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٦٣٦). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣٩٠١)تفسير مجاهد ص ٦١٩.

(٣٩٠٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٦٩/٥.

(٣٩٠٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٦٩/٥.

(٣٩٠٤) صحيح البخاري(٦٠١٨):ص١١/٨، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف. . رقم (٤٧).

(٣٩٠٥) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٩٠٦)تفسير البغوي ٧/ ٣٧٦.

{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)} [الذاريات : ٢٦-٢٨]

التفسير:

فعَدَلَ ومال خفية إلى أهله، فعمد إلى عجل سمين فذبحه، وشواه بالنار، ثم وضعه أمامهم، وتلَّطف في دعوتهم إلى الطعام قائلا ألا تأكلون؟ فلما رآهم لا يأكلون أحسَّ في نفسه خوفًا منهم، قالوا له: لا تَخَفْ إنا رسل الله، وبشروه بأن زوجته «سَارَةَ» ستلد له ولدًا، سيكون من أهل العلم بالله وبدينه، وهو إسحاق عليه السلام.

قوله تعالى:{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} [الذاريات : ٢٦]، أي:" فعَدَلَ ومال خفية إلى أهله، فجاءهم بعجل سمينٍ مشوي"[٣٩٠٧].

قال قتادة:" كان عامة مال نبيّ الله إبراهيم عليه السلام البقر"[٣٩٠٨].

قوله تعالى:{فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} [الذاريات : ٢٧]، أي:" فأدناه منهم ووضعه بين أيديهم فلم يأكلوا فقال لهم في تلطف وبشاشة: ألا تأكلون هذا الطعام"[٣٩٠٩].

عن السدي، قال: "أتى الرسلُ إبراهيمَ حين بعثوا إلى قوم لوط فنزلوا به يستضيفونه فجاءهم بالعجل الحنيذ، قال: فلما وضع بين أيديهم كفوا عنه فلم يتناولوا منه شيئًا، فقال لهم إبراهيم حين رآهم لا يطعمون: مالكم لا تطعمون؟ قالوا: إنا قوم لا نصيب طعامًا إلا بثمن"[٣٩١٠].

قوله تعالى:{فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [الذاريات : ٢٨]، أي:" فأضمر في نفسه الخوف منهم لما رأى إعراضهم عن الطعام"[٣٩١١].

قال وهب بن منبه: "فلما رأى الله ذلك يعني فاحشة قوم لوط بعث الله عز وجل الملائكة ليعذبوهم فأتوا إبراهيم فلما رأهم راعه هيئتهم وجمالهم فسلموا عليه وجلسوا إليه فقام ليقرب لهم العجل فقالوا مكانك قال: بل دعوني آتيكم بما ينبغي لكم فإن لكم حقا لم يأتنا أحد أحق بالكرامة منكم فأمر بعجل سمين فحنذ له يعني شوي فقرب إليهم الطعام فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وسارة وراء الباب تسمع"[٣٩١٢].

قوله تعالى:{ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات : ٢٨]، أي:" قالوا له لا تخف إنا رسل ربك وبشروه بولدٍ يولد له من زوجته سارة يكون عالماً عند بلوغه"[٣٩١٣].

عن مجاهد:{وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}، قال: "هو إسماعيل"[٣٩١٤].

عَون بن أبي شَدّاد -من طريق نوح بن قيس-: "أنّ ضيف إبراهيم المُكرمين لما دخلوا عليه فقرَّب إليهم العجل مشويًّا، فمَسحه جبريل - عليه السلام – بجناحه فقام العِجل يَدْرُجُ[٣٩١٥] في الدار حتى لحق بأمه، فحينئذ عرف أنهم ملائكة "[٣٩١٦].

القرآن

(٣٩٠٧) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٩٠٨) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٢.
(٣٩٠٩) صفوة التفاسير: ٢٣٥/٣-٢٣٦.
(٣٩١٠) تفسير إسحاق البستي(١٠٩٣):٤٢٩/٢.
(٣٩١١) صفوة التفاسير: ٢٣٦/٣.
(٣٩١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠١٨):ص٢٠٥٥/٦.
(٣٩١٣) صفوة التفاسير: ٢٣٦/٣.
(٣٩١٤) تفسير مجاهد: ٦١٩، وتفسير الطبري: ٤٢٦/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٦٠):ص٣٣١٢/١٠.
(٣٩١٥)يَدْرُج: يمشي. النهاية واللسان (درج).
(٣٩١٦)أخرجه الثعلبي ٩/ ١١٧.

{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)} [الذاريات : ٢٩-٣٠]

التفسير:

فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالبشارة أقبلت نحوهم في صيحة، فلطمت وجهها تعجبًا من هذا الأمر، وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم لا ألد؟ قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك كما أخبرناك، وهو القادر على ذلك، فلا عجب من قدرته. إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، العليم بمصالح عباده.

قوله تعالى:{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ} [الذاريات : ٢٩]، أي:" فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالبشارة أقبلت نحوهم في صيحة"(٣٩١٧).

وفي قوله تعالى:{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ} [الذاريات : ٢٩]، قولان:

أحدهما : الرنة(٣٩١٨) والتأوه، قاله قتادة(٣٩١٩)، ومنه قول الشاعر(٣٩٢٠):

وشربة من شراب غير ذي نفس ... في صرة من تخوم الصيف وهاج

قال قتادة:" أقبلت ترنّ"(٣٩٢١).

الثاني : أنها الصيحة، قاله مجاهد(٣٩٢٢)، والضحاك(٣٩٢٣)، وابن سابط(٣٩٢٤)، ومنه قول امرىء القيس(٣٩٢٥):

فَالْحَقَنَا بالهَادِيَاتِ وَدُونَهُ ... جَوَاحِرُهَا في صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

قوله تعالى:{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} [الذاريات : ٢٩]، أي:" فلطمت وجهها تعجبًا من هذا الأمر"(٣٩٢٦).

عن مجاهد، قوله: "{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا}، قال: جبهتها"(٣٩٢٧).

عن ابن سابط، قوله: "{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا}، قال: قالت هكذا; وضرب سفيان بيده على جبهته"(٣٩٢٨).

قال السدي:" لما بَشَّر جبريل سارةَ بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ضربت جبهتها عجبا، فذلك قوله: {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا}"(٣٩٢٩).

قوله تعالى:{وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} [الذاريات : ٢٩]، أي:" وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم لا ألد؟"(٣٩٣٠).

عن مشاش، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {عَجُوزٌ عَقِيمٌ}، قال: لا تلد"(٣٩٣١).

عن هشيم، قال: "أخبرنا رجل من أهل خراسان من الأزد، يكني أبا ساسان، قال: سألت الضحاك، عن قوله: {عَقِيمٌ}، قال: التي ليس لها ولد"(٣٩٣٢).

(٣٩١٧) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٩١٨)الرنة: الصيحة الحزينة. ورنت ترن رنينًا، وأرانت: صاحت.

(٣٩١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٢.

(٣٩٢٠) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٧١/٥.

(٣٩٢١) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٢.

(٣٩٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٢.

(٣٩٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٢.

(٣٩٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٢.

(٣٩٢٥)ديوانه: ٢٢، وانظر: شرح المعلقات السبع للزوزني: ٣١، إذ الرواية فيه «فالحقنا»، والهاديات: أوائل بقر الوحش، وجواحرها: متخلفاتها، ولم تزيل، أي: لم تتفرق، يقول: لما لحق هذا الفرس أوائل بقر الوحش بقيت أواخرها لم تتفرق.

(٣٩٢٦) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٩٢٧) أخرجه الطبري: ٤٢٨/٢٢.

(٣٩٢٨) أخرجه الطبري: ٤٢٨/٢٢.

(٣٩٢٩) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٢.

(٣٩٣٠) التفسير الميسر: ٥٢١.

(٣٩٣١) أخرجه الطبري: ٤٢٨/٢٢.

عن السدي:{ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}: " كنت شابة عقيم فكيف وأنا اليوم عجوز؟ فضحكت تعجبًا وقالت: أنا ألد؟ كيف يكون هذا وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا"[٣٩٣٣].

قوله تعالى:{قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} [الذاريات : ٣٠]، أي:" قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك كما أخبرناك، وهو القادر على ذلك، فلا عجب من قدرته، إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، العليم بمصالح عباده"[٣٩٣٤].

عن قتادة: "حكيم: في أمره"[٣٩٣٥].

القرآن

{قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤)} [الذاريات : ٣١-٣٤]

التفسير:

قال إبراهيم عليه السلام، لملائكة الله: ما شأنكم وفيم أُرسلتم؟ قالوا: إن الله أرسلنا إلى قوم قد أجرموا لكفرهم بالله; لنهلكهم بحجارة من طين متحجِّر، معلَّمة عند ربك لهؤلاء المتجاوزين الحدَّ في الفجور والعصيان.

قوله تعالى:{قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ(٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ} [الذاريات : ٣١]، أي:" إبراهيم عليه السلام، لملائكة الله: ما شأنكم وفيم أُرسلتم؟ قالوا: إن الله أرسلنا إلى قوم قد أجرموا لكفرهم بالله"[٣٩٣٦].

قال السدي:" قال: ما خطبُكم أيها المرسلون؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فجادلهم في قوم لوط قال، أرأيتم إن كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا! فلم يزل يحُطَّ حتى بلغ عشرة من المسلمين، فقالوا: لا نعذبهم، إن كان فيهم عشرة من المسلمين، ثم قالوا: "يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين " هو لوط وأهل بيته، وهو قول الله تعالى ذكره: {يجادلنا في قوم لوط}. فقالت الملائكة: {يا إبراهيم أعرض عن هذا إنَّه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}"[٣٩٣٧].

عن أبي المثني ومسلم أبو الحبيل الأشجعي قالا: "... قال إبراهيم: أتعذب عالمًا من عالمك كثيرًا، فيهم مائة رجل؟ قال: لا وعزتي، ولا خمسين! قال: فأربعين؟ فثلاثين؟ حتى انتهى إلى خمسة. قال: لا! وعزتي لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني! قال الله عز وجل: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [سورة الذاريات:٣٦] ، أي لوطًا وابنتيه، قال: فحلّ بهم من العذاب، قال الله عز وجل: {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [سورة الذاريات:٣٧] ، وقال: {فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط}"[٣٩٣٨].

قوله تعالى:{لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [الذاريات : ٣٣]، أي:" لنهلكهم بحجارة من طين متحجِّر، معلَّمة عند ربك لهؤلاء المتجاوزين الحدَّ في الفجور والعصيان"[٣٩٣٩].

عن مجاهد:" {مسوّمة}، قال: معلمة"[٣٩٤٠].

وفي علامتها أقوال:

(٣٩٣٢) أخرجه الطبري: ٤٢٨/٢٢.
(٣٩٣٣) تفسير إسحاق البستي(١٠٩٧):ص٤٢٠/٢.
(٣٩٣٤) التفسير الميسر: ٥٢١.
(٣٩٣٥) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.
(٣٩٣٦) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٣٩٣٧) أخرجه الطبري(١٨٣٤٥):ص٤٠٤/١٥.
(٣٩٣٨) أخرجه الطبري(١٨٣٤٨):ص٤٠٥/١٥.
(٣٩٣٩) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٣٩٤٠) أخرجه الطبري(١٨٤٤٠):ص٤٣٧/١٥.

أحدها : أنها كانت مختمة، قاله السدي[٣٩٤١].
قال السدي:" المسومة"، المختَّمة"[٣٩٤٢].
الثاني : مطوقة عليها نصح من حمرة. قاله قتادة[٣٩٤٣].
عن قتادة، وعكرمة، قالا:" مطوَّقة بها نَضْحٌ[٣٩٤٤] من حمرة"[٣٩٤٥].
عن قتادة: "{مُسَوَّمَةً}، عليها سيما معلومة. حدّث بعضُ من رآها، أنها حجارة مطوَّقة عليها- أو بها- نضحٌ من حمرة، ليست كحجارتكم"[٣٩٤٦].
عن قتادة، قوله: "{مُسَوَّمَةً}، حدثني من رآها أنها حجارة مطوقة عليها نصح من حمرة ليست كحجارتكم هذه"[٣٩٤٧].
الثالث: مطوقة بسواد وحمرة. قاله قتادة[٣٩٤٨].
الرابع : عليها سيما خطوط. قاله الربيع[٣٩٤٩].

القرآن
{فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)} [الذاريات : ٣٥ - ٣٦]
التفسير:
فأخرجنا مَن كان في قرية قوم لوط من أهل الإيمان، فما وجدنا في تلك القرية غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط عليه السلام.
عن مجاهد، قوله:"{فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، قال: لوط وابنتيه"[٣٩٥٠].
عن سعيد بن جبير، قال: "كانوا ثلاثة عشر"[٣٩٥١].
عن أبي المثنى ومسلم أبي الحيل الأشجعيّ:" قال الله: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، لوطا وابنتيه، قال: فحلّ بهم العذاب"[٣٩٥٢].
قال قتادة:" لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله"[٣٩٥٣].

القرآن
{وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)} [الذاريات : ٣٧]
التفسير:

(٣٩٤١) أخرجه الطبري(١٨٤٤٧):ص٤٣٨/١٥.
(٣٩٤٢) أخرجه الطبري(١٨٤٤٧):ص٤٣٨/١٥.
(٣٩٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٠٩):ص٢٠٦٩/٦.
(٣٩٤٤) «النضح»: ما بقي له أثر، يقال: على ثوبه نضح دم، وهو اليسير منه، الباقي أثره.
(٣٩٤٥) أخرجه الطبري(١٨٤٤٤)ص: ٤٣٨/٢٢.
(٣٩٤٦) أخرجه الطبري(١٨٤٤٥)ص: ٤٣٨/٢٢.
(٣٩٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٠٩):ص٢٠٦٩/٦.
(٣٩٤٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١١٠):ص٢٠٦٩/٦.
(٣٩٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٤٦):ص٤٣٨/١٥، وتفسير ابن أبي حاتم(١١١١١):ص٢٠٦٩/٦.
(٣٩٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٦٢):ص٣٣١٢/١٠.
(٣٩٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٦٣):ص٣٣١٣/١٠.
(٣٩٥٢) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٢.
(٣٩٥٣) تفسير إسحاق البستي(١٠٩٨):ص٤٣٠/٢، وتفسير الطبري: ٤٣٠/٢٢.

وتركنا في القرية المذكورة أثرًا من العذاب باقيًا علامة على قدرة الله تعالى وانتقامه من الكفرة، وذلك عبرة لمن يخافون عذاب الله المؤلم الموجع.

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٣٩٥٤]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٣٩٥٥].

قال مجاهد: "أخذ جبريل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وامتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم"[٣٩٥٦].

قال قتادة:" بلغنا أن جبريل عليه السلام أخذ بعُرْوة القرية الوُسْطى، ثم ألوَى بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء ضَواغِي كلابهم، ثم دمَّر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم الحجارة، قال قتادة: وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف"[٣٩٥٧].

عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيهم، فاحتملها بجناحه، ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نُباح كلابها وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله: {جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [هود : ٨٢]، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات، وكنّ خمس قريات، «صنعة، وصعوة، وعثرة، ودوما، وسدوم-وسدوم هي القرية العظمى-»، ونجى الله لوطًا ومن معه من أهله، إلا امرأته كانت فيمن هلك"[٣٩٥٨].

القرآن

{وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)} [الذاريات : ٣٨-٣٩]

التفسير:

وفي إرسالنا موسى إلى فرعون وملئه بالآيات والمعجزات الظاهرة آية للذين يخافون العذاب الأليم. فأعْرَضَ فرعون مغترًّا بقوته وجانبه، وقال عن موسى: إنه ساحر أو مجنون.

قوله تعالى:{وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [الذاريات : ٣٨]، أي:" وفي إرسالنا موسى إلى فرعون وملئه بالآيات والمعجزات الظاهرة آية للذين يخافون العذاب الأليم"[٣٩٥٩].

عن قتادة، قوله: "{إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}، يقول: بعذر مبين"[٣٩٦٠].

قوله تعالى:{فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ} [الذاريات : ٣٩]، أي:" فأعْرَضَ فرعون مغترًّا بقوته وجانبه"[٣٩٦١].

وفي قوله تعالى:{فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ} [الذاريات : ٣٩]، وجهان من التفسير:

أحدهما : بقومه. قاله قتادة[٣٩٦٢].

وقال قتادة:" غلب عدوّ الله على قومه"[٣٩٦٣].

الثاني : بعَضُده وأصحابه. قاله مجاهد[٣٩٦٤].

(٣٩٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٣٩٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٣٩٥٦) أخرجه الطبري(١٨٤٥٨):ص٤٤٠/١٥.

(٣٩٥٧) أخرجه الطبري(١٨٤٦٢):ص٤٤١/١٥.

(٣٩٥٨) أخرجه الطبري(١٨٤٦٦):ص٤٤٢/١٥-٤٤٣.

(٣٩٥٩) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٣٩٦٠) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٢.

(٣٩٦١) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٣٩٦٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٩٨٩):ص٢٤٠/٣.

(٣٩٦٣) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٢.

القرآن

{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)} [الذاريات : ٤٠]

التفسير:

فأخذنا فرعون وجنوده، فطرحناهم في البحر، وهو آتٍ ما يلام عليه; بسبب كفره وجحوده وفجوره.

قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ} [الذاريات : ٤٠]، أي:" فأخذنا فرعون وجنوده"[٣٩٦٥].

قوله تعالى:{فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ} [الذاريات : ٤٠]، أي:" فطرحناهم في البحر، وهو آتٍ ما يلام عليه; بسبب كفره وجحوده وفجوره"[٣٩٦٦].

عن قتادة: {فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ}، قال: " اليم: بحر يقال له: إساف من وراء مصر، ففرقهم الله فيه"[٣٩٦٧].

عن قتادة:" {وهُوَ مُلِيمٌ}، قال: مُلِيمٌ في عباد الله"[٣٩٦٨]. وفي رواية:" أي: مليم في نعمة الله"[٣٩٦٩].

وقال قتادة:" أي: مُلِيم في نقمة الله "[٣٩٧٠].

عَنْ مُجَاهِدٍ: {وَهُوَ مُلِيمٌ} [الصافات: ١٤٢] ، يعني: «مذنبا»"[٣٩٧١].

القرآن

{وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)} [الذاريات : ٤١-٤٢]

التفسير:

وفي شأن عاد وإهلاكهم آيات وعبر لمن تأمل، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا بركة فيها ولا تأتي بخير، ما تَدَعُ شيئًا مرَّت عليه إلا صيَّرته كالشيء البالي.

قوله تعالى:{وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} [الذاريات : ٤١]، أي:" وفي شأن عاد وإهلاكهم آيات وعبر لمن تأمل، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا بركة فيها ولا تأتي بخير"[٣٩٧٢].

وفي قوله تعالى:{الرِّيحَ الْعَقِيمَ} [الذاريات : ٤١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن الريح العقيم: الريح الشديدة التي لا تُلْقح شيئا، قاله الضحاك[٣٩٧٣].

عن الضحاك: "{الرِّيحَ الْعَقِيمَ}، قال: لا تلقح"[٣٩٧٤]. وفي رواية:" التي لا تلقح شيئا"[٣٩٧٥].

قال الضحاك:" الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر"[٣٩٧٦].

الثاني : هي التي لا تنبث ، قاله قتادة[٣٩٧٧].

(٣٩٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٢.

(٣٩٦٥) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٣٩٦٦) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٣٩٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٢):ص٢٩٨٠/٩.

(٣٩٦٨) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٢٩٩٠):ص٢٤٠/٣، والطبري: ٤٣٢/٢٢.

(٣٩٦٩) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٢، وانظر: تفسير إسحاق البستي ص ٤٣١

(٣٩٧٠)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٥، وابن جرير ٢١/ ٥٣٦. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣٩٧١) تفسير مجاهد: ٥٧٠.

(٣٩٧٢) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٣٩٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٢.

(٣٩٧٤) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٢.

(٣٩٧٥) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٢.

(٣٩٧٦) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٢.

عن قتادة، {الرِّيحَ الْعَقِيمَ}، قال:" الريح التي لا تنبت"[٣٩٧٨]. وفي رواية« التي لا تثبت»[٣٩٧٩].
الثالث : ليس فيها رحمة ولا نبات، ولا تلقح نباتا، قاله مجاهد[٣٩٨٠].
وفي الريح التي هي عقيم، قولان:
أحدهما : الجنوب. قاله سعيد بن المسيب[٣٩٨١]، والحارث بن عبدالرحمن[٣٩٨٢]، وابن شهاب[٣٩٨٣].
عن ابن شهاب قال: "{الريح العقيم}، الجنوب، وهي التي عذب الله بها قوم عاد"[٣٩٨٤].
عن الحارث بن عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب:" أنه كان يقول: {الريح العقيم}: الجنوب؛ فقلت له: ما الريح بالين منها، فقال: إن الله يجعل فيها ما يشاء"[٣٩٨٥].
عن الحارث بن عبد الرحمن: "العقيم: يعني: الجنوب"[٣٩٨٦].
الثاني : هي ريح الصبا، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٣٩٨٧].
قال قتادة:" من الريح عقيما وعذابا حين ترسل لا تلقح شيئا، ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب، وينزل بها الغيث"[٣٩٨٨].
عن مجاهد، قال: "هاجت ريح أو هبت ريح فسبوها، فقال ابن عباس: «لا تسبوها، فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب، ولكن قولوا: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا»"[٣٩٨٩].
قوله تعالى: {مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ} [الذاريات : ٤٢]، أي:" ما تَدَعُ شيئًا مرَّت عليه إلا صيَّرته كالشيء البالي"[٣٩٩٠].
قال مجاهد: يعني: «الشيء الهالك»[٣٩٩١]. وفي رواية:" الهامد"[٣٩٩٢]. وفي رواية:" كالنَّبن اليابس"[٣٩٩٣].
عن قتادة:"{إلا جعلته كالرميم}، قال: كرميم الشجر "[٣٩٩٤].
قال أبو العالية الرِّياحي: "{إلا جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ} كالتُّراب المدقوق"[٣٩٩٥].
عن عبد الله بن عمرو قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «الريح مسخرة من الثانية- يعني من الأرض الثانية- فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا، قال: أي

(٣٩٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٢.
(٣٩٧٨) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٢.
(٣٩٧٩) أخرجه عبد الرزاق في التفسير(٢٩٩١):ص٢٤٠/٣.
(٣٩٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٢.
(٣٩٨١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٢.
(٣٩٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٢.
(٣٩٨٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٩):ص١٥١/٢.
(٣٩٨٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٩):ص١٥١/٢.
(٣٩٨٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٦٢):ص٣٦/٢.
(٣٩٨٦) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٢.
(٣٩٨٧) انظر: تفسير مجاهد: ٥٤٨.
(٣٩٨٨) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٢.
(٣٩٨٩) مصنف ابن أبي شيبة(٢٩٢٢٠):ص٢٧/٦.
(٣٩٩٠) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٣٩٩١) تفسير مجاهد: ٦٢٠.
(٣٩٩٢) تفسير إسحاق البستي(١١٠٤):ص٤٣١/٢.
(٣٩٩٣)تفسير البغوي ٧/ ٣٧٨.
(٣٩٩٤) تفسير عبدالرزاق(٢٩٩٢):ص٢٤٠/٣، وتفسير إسحاق البستي(١١٠٥):ص٤٣٣/٢.
(٣٩٩٥)تفسير البغوي ٧/ ٣٧٨.

رب، أرسل عيهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا، إذا تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل بقدر خاتم فهي التي يقول الله في كتابه: {مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}"[٣٩٩٦].

القرآن

{وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤)} [الذاريات : ٤٣-٤٤]

التفسير:

وفي شأن ثمود وإهلاكهم آيات وعبر، إذ قيل لهم -والقائل نبيهم صالح عليه السلام-: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام حتى تنتهي آجالكم. فعصوا أمر ربهم، فأخذتهم صاعقة العذاب، وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم.

قوله تعالى:{وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ} [الذاريات : ٤٣]، أي:" وفي شأن ثمود وإهلاكهم آيات وعبر، إذ قيل لهم -والقائل نبيهم صالح عليه السلام-: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام حتى تنتهي آجالكم"[٣٩٩٧].

عن قتادة:"{وفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّى حِينٍ}، قال: ثلاثة أيام"[٣٩٩٨].

قال ابن عطية:" يحتمل أن يريد إذ قيل لهم في أول بعث صالح آمنوا وأطيعوا فتمتعوا متاعا حسنا إلى آجالكم، وهو الحين على هذا التأويل وهو قول الحسن حكاه عن الرماني"[٣٩٩٩].

قوله تعالى:{فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِم} [الذاريات : ٤٤]، أي:" فعصوا أمر ربهم"[٤٠٠٠].

عن مجاهد:" {فَعَتَوْا}، قال: عَلوا"[٤٠٠١].

قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُون} [الذاريات : ٤٤]، أي:" فأخذتهم صاعقة العذاب، وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم"[٤٠٠٢].

عن مجاهد:"{فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ وهُمْ يَنْظُرُونَ}، قال: فجأة"[٤٠٠٣].

قال مجاهد:" وذلك أن ثمود وعدت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام وجعل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جعلت لهم الدالة على نزولها في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل، ينتظرون حلوله بهم"[٤٠٠٤].

وروي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أنه قرأ ذلك :"«فأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ»[٤٠٠٥]، بغير ألف.

القرآن

{فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥)} [الذاريات : ٤٥]

التفسير:

فما أمكنهم الهرب ولا النهوض مما هم فيه من العذاب، وما كانوا منتصرين لأنفسهم.

(٣٩٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٦٥):ص٣٣١٣/١٠.

(٣٩٩٧) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٣٩٩٨)أخرجه البيهقي في سننه ١٠/ ٦٢.

(٣٩٩٩) المحرر الوجيز: ١٨٠/٥.

(٤٠٠٠) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠٠١)تفسير مجاهد ص ٦٢٠، وأخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٢ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.

(٤٠٠٢) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠٠٣)تفسير مجاهد ص ٦٢٠، وأخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٢ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.

(٤٠٠٤) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٢.

(٤٠٠٥) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٨٨/٣، والطبري في "التفسير": ٤٣٦/٢٢.

قوله تعالى:{فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ} [الذاريات : ٤٥]، أي:" فما أمكنهم الهرب ولا النهوض مما هم فيه من العذاب"(٤٠٠٦).

عن قتادة: "{فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ}، قال: من نهوض"(٤٠٠٧).

قال قتادة:" يقول: ما استطاع القوم نهوضا لعقوبة الله تبارك وتعالى"(٤٠٠٨).

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ} [الذاريات : ٤٥]، أي:" وما كانوا منتصرين لأنفسهم"(٤٠٠٩).

قال قتادة:" ما كانت عندهم من قوة يمتنعون بها من الله عزّ وجلّ"(٤٠١٠).

القرآن

{وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦)} [الذاريات : ٤٦]

التفسير:

وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء، إنهم كانوا قومًا مخالفين لأمر الله، خارجين عن طاعته.

قوله تعالى:{وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ} [الذاريات : ٤٦]، أي:" وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء"(٤٠١١).

عن يزيد الرقاشي، قال: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"(٤٠١٢).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]، أي:" إنهم كانوا قومًا مخالفين لأمر الله، خارجين عن طاعته"(٤٠١٣).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{فاسقين}، يعني: عاصين"(٤٠١٤).

القرآن

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)} [الذاريات : ٤٧]

التفسير:

والسماء خلقناها وأتقناها، وجعلناها سَقْفًا للأرض بقوة وقدرة عظيمة، وإنا لموسعون لأرجائها وأنحائها.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات : ٤٧]، أي:" والسماء خلقناها وأتقناها، وجعلناها سَقْفًا للأرض بقوة وقدرة عظيمة"(٤٠١٥).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"(٤٠١٦).

عن مجاهد، قوله: "{بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"(٤٠١٧).

عن قتادة: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، أي: بقوّة"(٤٠١٨).

عن منصور أنه قال في هذه الآية: "{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"(٤٠١٩).

(٤٠٠٦) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠٠٧) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٢.

(٤٠٠٨) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٢.

(٤٠٠٩) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠١٠) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٢.

(٤٠١١) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٦):ص١٥٠٥/٥.

(٤٠١٣) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٦):ص٢٨٥٢/٩.

(٤٠١٥) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠١٦) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٢٢):ص٣٨.

(٤٠١٧) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.

(٤٠١٨) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.

عن رقبة، قال: "قال لي حمّاد [بن أبي سليمان]: أرأيت قوله: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} قال: بقوة. وكذلك قال إبراهيم"[٤٠٢٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات : ٤٧]، أي:" وإنا لموسعون لأرجائها وأنحائها"[٤٠٢١].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : لموسعون في الرزق، قاله الحسن[٤٠٢٢].

عن الحسن:" لموسعون في الرزق بالمطر"[٤٠٢٣].

الثاني : لموسعون بخلق سماء مثلها، قاله مجاهد[٤٠٢٤].

الثالث: مطيقون. قاله الحسن[٤٠٢٥].

الرابع : لذو سعة لا يضيق علينا شيء نريده[٤٠٢٦]. حكي نحوه عن الضحاك[٤٠٢٧].

عن الضحاك:" {وإنّا لَمُوسِعُونَ} أغنياء"[٤٠٢٨]، ودليله قوله سبحانه : {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ} [البقرة: ٢٣٦][٤٠٢٩].

القرآن

{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨)} [الذاريات : ٤٨]

التفسير:

والأرض جعناها فراشًا للخلق للاستقرار عليها، فنعم الماهدون نحن.

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا} [الذاريات : ٤٨]، أي:" والأرض جعناها فراشًا للخلق للاستقرار عليها"[٤٠٣٠].

عن أبي العالية: "{الذي جعل لكم الأرض فراشا}، قال: مهادا"[٤٠٣١].

عن السدي: {الذي جعل لكم الأرض فراشا}، أما {فراشا}، فهي فراش يمشى عليها وهي المهاد والقرار"[٤٠٣٢]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٤٠٣٣].

القرآن

{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)} [الذاريات : ٤٩]

التفسير:

ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين; لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا.

(٤٠١٩) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٢.

(٤٠٢٠) تفسير إسحاق البستي(١١١٠):ص٤٣٤/٢.

(٤٠٢١) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠٢٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٥.

(٤٠٢٣) النكت والعيون: ٣٧٣/٥.

(٤٠٢٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٥.

(٤٠٢٥) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.

(٤٠٢٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٥.

(٤٠٢٧) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩.

(٤٠٢٨)الكشف والبيان: ١١٩/٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٧٩.

(٤٠٢٩) انظر: الكشف والبيان: ١١٩/٩.

(٤٠٣٠) التفسير الميسر: ٥٢٢.

(٤٠٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٢١):ص٦٠/١.

(٤٠٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٢٢):ص٦١/١.

(٤٠٣٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:ص٦١/١.

قوله تعالى:{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذاريات : ٤٩]، أي:" ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين"(٤٠٣٤).

مجاهد، قوله: "{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجنّ"(٤٠٣٥).

عن الحسن، قوله: "{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: الشمس والقمر"(٤٠٣٦).

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات : ٤٩]، أي:" لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا"(٤٠٣٧).

قال مجاهد:" أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد"(٤٠٣٨).

القرآن

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)} [الذاريات : ٥٠]

التفسير:

ففروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بيِّن الإنذار.

قوله تعالى:{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات : ٥٠]، أي:" ففروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته"(٤٠٣٩).

قال عمرو بن عثمان: "فرّوا من أنفسكم إلى ربّكم"(٤٠٤٠).

قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات : ٥٠]، أي:" إني لكم نذير بيِّن الإنذار"(٤٠٤١).

قال قتادة:" نذيرا من النار"(٤٠٤٢).

القرآن

{وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)} [الذاريات : ٥١]

التفسير:

ولا تجعلوا مع الله معبودًا آخر، إني لكم من الله نذير بيِّن الإنذار.

قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات : ٥١]، أي:" إني لكم من الله نذير بيِّن الإنذار"(٤٠٤٣). الإنذار"(٤٠٤٣).

قال قتادة:" نذيرا من النار"(٤٠٤٤).

القرآن

{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢)} [الذاريات : ٥٢]

(٤٠٣٤) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٤٠٣٥) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(٤٠٣٦) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٢.
(٤٠٣٧) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٤٠٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٥):ص٣٤٢٤/١٠.
(٤٠٣٩) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٤٠٤٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٩/٩.
(٤٠٤١) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٤٠٤٢) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢.
(٤٠٤٣) التفسير الميسر: ٥٢٢.
(٤٠٤٤) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢.

التفسير:
كما كذبت قريش نبيَّها محمدًا صلى الله عليه وسلم، وقالوا: هو شاعر أو ساحر أو مجنون، فعلت الأمم المكذبة رسلها من قبل قريش، فأحلَّ الله بهم نقمته.

عن قتادة: "{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}، يعزي نبيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كما تسمعون، يقول: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}"(٤٠٤٥).

القرآن
{أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)} [الذاريات : ٥٣]
التفسير:
أتواصى الأولون والآخرون بالتكذيب بالرسول حين قالوا ذلك جميعًا؟ بل هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فقال متأخروهم ذلك، كما قاله متقدموهم.

قوله تعالى:{أَتَوَاصَوْا بِهِ} [الذاريات : ٥٣]، أي:" أتواصى الأولون والآخرون بالتكذيب بالرسول حين قالوا ذلك جميعًا؟"(٤٠٤٦).

قال قتادة:" أي: كان الأوّل قد أوصى الآخر بالتكذيب"(٤٠٤٧). وفي لفظ:" إن كان الأول أوصى الآخر بالتكذيب"(٤٠٤٨).

قال قتادة:" أوصى أولاهم أخراهم بالتكذيب"(٤٠٤٩). وفي لفظ:" أوصى أولهم آخرهم بالكذب"(٤٠٥٠).

القرآن
{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤)} [الذاريات : ٥٤]
التفسير:
فأعرضْ -أيها الرسول- عن المشركين حتى يأتيك فيهم أمر الله، فما أنت بملوم من أحد، فقد بلَّغت ما أُرسلت به.

قوله تعالى:{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} [الذاريات : ٥٤]، أي:" فأعرضْ -أيها الرسول- عن المشركين حتى يأتيك فيهم أمر الله"(٤٠٥١).

قوله تعالى:{فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات : ٥٤]، أي:" فما أنت بملوم من أحد، فقد بلَّغت ما أُرسلت به"(٤٠٥٢).

عن مجاهد، قوله: "{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ}، قال: محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٤٠٥٣).

قال زيد بن أسلم:" أمره أن يتولى عنهم ليعذبهم وعذر محمدا النبي، ثم قال: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}"(٤٠٥٤).

(٤٠٤٥) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢١.
(٤٠٤٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤٠٤٧) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٢.
(٤٠٤٨) تفسير إسحاق البستي(١١١٢):ص٤٣٥/٢.
(٤٠٤٩) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٢.
(٤٠٥٠) تفسير عبدالرزاق(٢٩٩٤):ص٢٤٠/٣.
(٤٠٥١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤٠٥٢) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤٠٥٣) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٤٠٥٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٨٠):ص٨٣/٣.

عن مجاهد: "{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} قال: فأعرض عنهم، فقيل له: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} قال: فوعظهم"(٤٠٥٥).

القرآن

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)} [الذاريات : ٥٥]

التفسير:

ومع إعراضك -أيها الرسول- عنهم، وعدم الالتفات إلى تخذيلهم، داوم على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أُرسلتَ إليهم; فإن التذكير والموعظة ينتفع بهما أهل القلوب المؤمنة، وفيهما إقامة الحجة على المعرضين.

سبب النزول:

قال مجاهد:" خرج عليّ معتجرًا ببرد، مشتملا بخميصة، فقال لما نزلت: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ}، أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يتولى عنا حتى نزل: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"(٤٠٥٦).

عن علي، قال: "لما نزلت: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ}، لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر- النبي صلى الله عليه وسلم- بالتولي عنا، فنزلت : {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}، فطابت أنفسنا"(٤٠٥٧).

قال قتادة:" ذُكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية-{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات : ٥٤]-، اشتدّ على أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"(٤٠٥٨).

عن الضحاك:" {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ} أنّ التولي عنهم منسوخ؛ بأنّه قد أُمِر بالإقبال عليهم بالموعظة، قال تعالى: {يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]"(٤٠٥٩).

عن الزُّهريّ: "وقال تعالى في سورة الذّاريات: {فتول عنهم فما أنت بملوم}، نُسِختْ بقوله: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}"(٤٠٦٠).

عن زيد بن أسلم -من طريق القاسم بن عبد الله- أنه قال: "ويقول في الذّاريات: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ} أمره أن يتولى عنهم ليعذّبهم، وعذر محمدًا النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، ثم قال: {وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ}"(٤٠٦١).

قوله تعالى:{وَذَكِّرْ} [الذاريات : ٥٥]، أي:" ومع إعراضك -أيها الرسول- عنهم، وعدم الالتفات إلى تخذيلهم، داوم على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أُرسلتَ إليهم"(٤٠٦٢).

عن مجاهد: "{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: وعظهم"(٤٠٦٣).

قوله تعالى:{فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات : ٥٥]، أي:" فإن التذكير والموعظة ينتفع بهما أهل القلوب المؤمنة، وفيهما إقامة الحجة على المعرضين"(٤٠٦٤).

(٤٠٥٥) تفسير إسحاق البستي(١١١٣):ص٤٣٥/٢.
(٤٠٥٦) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٤٠٥٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٦٧):ص٣٣١٣/١٠.
(٤٠٥٨) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٤٠٥٩)علقه النحاس في الناسخ والمنسوخ (ت: اللاحم) ٣/ ٢٨.
(٤٠٦٠)الناسخ والمنسوخ للزهري ص ٣٥.
(٤٠٦١)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٣/ ٨٣ (١٨٠).
(٤٠٦٢) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤٠٦٣) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.
(٤٠٦٤) التفسير الميسر: ٥٢٣.

عن سليمان بن حبيب المحاربي، قال: "مَن وجد للذكرى في قلبه موقعًا فليعلم أنّه مؤمن؛ قال الله: {وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"[٤٠٦٥].

القرآن

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)} [الذاريات : ٥٦]

التفسير:

وما خلقت الجن والإنس وبعثت جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادتي وحدي دون مَن سواي.

واختلف في تفسير قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : ٥٦]، على وجوه:

أحدها : معناه: إلا لآمرهم وأنهاهم. قاله مجاهد[٤٠٦٦].

الثاني : إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة ، قاله زيد بن أسلم[٤٠٦٧].

قال زيد بن اسلم:" ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة"[٤٠٦٨].

وفي رواية:" جَبَلَهم على الشقاء والسعادة"[٤٠٦٩].

وفي رواية:" ما جبلوا عليه من الطاعة والمعصية"[٤٠٧٠].

الثالث: إلا ليعرفوني، قاله مجاهد-أيضا-[٤٠٧١]، والضحاك[٤٠٧٢].

وحكي الثعلبي عن مجاهد هذا القول وحسّنه، إذ قال:" ولقد أحسن في هذا القول لأنّه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده، ودليل هذا التأويل قوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم} [العنكبوت : ٦١] الآيات"[٤٠٧٣].

الرابع : إلا للعبادة، وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن انس[٤٠٧٤].

وقال السدي : من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان : ٢٥] هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك "[٤٠٧٥].

وقال عكرمة:" إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ويطيعون. فأثيب العابد وأعاقب الجاحد"[٤٠٧٦].

الخامس: أي: إلا ليوحّدون، يعني: المؤمنين منهم. قاله الضحاك[٤٠٧٧].

قال الضحاك: "هذا خاص لأهل عبادته وطاعته"[٤٠٧٨].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« قال الله : "يا ابن آدم، تَفَرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غِنًى، وأسدّ فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك»"[٤٠٧٩].

(٤٠٦٥) الدر المنثور: ٦٢٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤٠٦٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٥.

(٤٠٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٢.

(٤٠٦٨) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٢.

(٤٠٦٩) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٢.

(٤٠٧٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٩٧):ص٢٤١/٣.

(٤٠٧١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٩.

(٤٠٧٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٥/٥.

(٤٠٧٣) الكشف والبيان: ١٢٠/٩.

(٤٠٧٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.

(٤٠٧٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧.

(٤٠٧٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٩.

(٤٠٧٧) حكاه عنهما الثعلبي في :الكشف والبيان: ١٢٠/٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧. حكاه عن الضحاك بلفظ:«المراد بذلك المؤمنون».

(٤٠٧٨) حكاه عنهما الثعلبي في :الكشف والبيان: ١٢٠/٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٧. حكاه عن الضحاك بلفظ:«المراد بذلك المؤمنون».

(٤٠٧٩)المسند (٣٥٨/٢) وسنن الترمذي برقم (٢٤٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٠٧)، قال ابن كثير٤٢٦/٧: "حسن

عن سلام أبي شُرحْبِيل، سمعت حَبَّة وسواء ابني خالد يقولان : "أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا أو يبني بناء - وقال أبو معاوية : يصلح شيئا - فأعناه عليه، فلما فرغ دعا لنا وقال : «لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يعطيه الله ويرزقه»"(٤٠٨٠).

القرآن

{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧)} [الذاريات : ٥٧]

التفسير:

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، فأنا الرزاق المعطي. فهو سبحانه غير محتاج إلى الخلق، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم والغني عنهم.

قوله تعالى:{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ} [الذاريات : ٥٧]، أي:" لا أريد منهم أن يرزقوني أو يرزقوا أنفسهم أو غيرهم، بل أنا الرزَّاق المعطي"(٤٠٨١).

قال الحسن:" أن يرزقوا أنفسهم"(٤٠٨٢).

قوله تعالى:{وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات : ٥٧]، أي:" ولا أريد منهم أن يطعموا خلقي ولا أن يطعموني فأنا الغني الحميد"(٤٠٨٣).

قال أبو الجوزاء:" يطعمون أنفسهم"(٤٠٨٤).

قال أبو الجوزاء:" ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا يطعموها، أنا أرزقهم وأطعمهم"(٤٠٨٥).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)} [الذاريات : ٥٨]

التفسير:

إن الله وحده هو الرزاق لخلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوة المتين، لا يُقْهَر ولا يغالَب، فله القدرة والقوة كلها.

قوله تعالى:{ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات : ٥٨]، أي:" ذو القوة المتين، لا يُقْهَر ولا يغالَب، فله القدرة والقوة كلها"(٤٠٨٦).

وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب والنخعي: "المتين"، بالجر على النعت للقوة(٤٠٨٧).

القرآن

{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩)} [الذاريات : ٥٩]

التفسير:

فإن للذين ظلموا بتكذيبهم الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم نصيبًا من عذاب الله نازلا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضَوْا من قبلهم، فلا يستعجلون بالعذاب، فهو آتيهم لا محالة.

غريب".

(٤٠٨٠)المسند (٤٦٩/٣).

(٤٠٨١) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٣.

(٤٠٨٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/ ٢٩٥.

(٤٠٨٣) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٣.

(٤٠٨٤) تفسير إسحاق البستي(١١١٧):ص٤٣٧/٢.

(٤٠٨٥) تفسير إسحاق البستي(١١١٤):ص٤٣٦/٢.

(٤٠٨٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤٠٨٧) انظر: تفسير القرطبي: ٥٦/١٧.

قوله تعالى:{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ} [الذاريات : ٥٩]، أي:" فإن للذين ظلموا بتكذيبهم الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم نصيبًا من عذاب الله نازلا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضَوْا من قبلهم"(٤٠٨٨).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ} [الذاريات : ٥٩]، وجوه:

أحدها : عذاباً مثل عذاب أصحابهم، قاله قتادة(٤٠٨٩)، وعطاء(٤٠٩٠).

قال قتادة:" عذابا مثل عذاب أصحابهم"(٤٠٩١).

الثاني : يعني: سجلا من العذاب. قاله سعيد بن جبير(٤٠٩٢)، ومجاهد(٤٠٩٣)، وقتادة(٤٠٩٤)، وعطاء بن أبي رباح(٤٠٩٥).

عن مجاهد: "{ذَنُوبا}، قال: سجلا"(٤٠٩٦).

قال قتادة:" سجلا من عذاب الله"(٤٠٩٧).

الثالث: طَرَفا من العذاب. قاله إبراهيم(٤٠٩٨).

الرابع : يعني بالذنوب: الدلو ، قاله الحسن(٤٠٩٩)، قال الشاعر(٤١٠٠) :

لَنا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ ... فإنْ أبَيْتُم فَلَنا القَلِيبُ (٤١٠١)

قال الحسن:" دَلْوًا مثل دَلْو أصحابهم"(٤١٠٢) (٤١٠٣).

وقال الحسن:" دولة مثل دولة أصحابهم"(٤١٠٤).

والمعنى:" فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوبا، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضا إذا مُلئت أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظّ والنصيب"(٤١٠٥).

القرآن

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)} [الذاريات : ٦٠]

التفسير:

فهلاك وشقاء للذين كفروا بالله ورسوله من يومهم الذي يوعدون فيه بنزول العذاب بهم، وهو يوم القيامة.

وفي معنى "الويل"، أقوال:

(٤٠٨٨) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤٠٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤٠٩٠) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٢ ، والنكت والعيون: ٣٧٥/٥.

(٤٠٩١) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤٠٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢، وتفسير إسحاق البستي(١١١٩):ص٤٣٧/٢.

(٤٠٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤٠٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤٠٩٥)أخرجه ابن المنذر -كما في الفتح ٨/ ٦٠٠ -.

(٤٠٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤٠٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤٠٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٢.

(٤٠٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤١٠٠) الرجز بلا نسبة في لسان العرب: ١/ ٣٩٢، وتفسير الثعلبي: ١٢٢/٩، والنكت والعيون: ٣٧٥/٥.

(٤١٠١)في «القاموس» القليب: البئر.

(٤١٠٢) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٢.

(٤١٠٣)قال الماوردي:" ولا يسمى الذنوب دلواً حتى يكون فيه ماء". [النكت والعيون: ٣٧٥/٥].

(٤١٠٤) تفسير إسحاق البستي(١١٢٠):ص٤٣٧/٢.

(٤١٠٥) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٢.

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٤١٠٦]، وشقيق[٤١٠٧].
الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[٤١٠٨].
يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[٤١٠٩]:
تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل
الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[٤١١٠].
الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٤١١١].
«آخر تفسير سورة (الذاريات)، والحمد لله وحده»

(٤١٠٦)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.
(٤١٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.
(٤١٠٨) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.
(٤١٠٩) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.
(٤١١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.
(٤١١١) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الطور»

«سورة الطور» هي السورة الثانية والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والسبعون وفق ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة نوح»، وقبل «سورة المؤمنين». عدد آياتها تسع وأربعون في عد الكوفة والشأم، وثمان في البصرة، وسبع في الحجاز. كلماتها ثلاثمائة واثنتا عشرة. وحروفها ألف وخمسمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {وَالطُّورِ} [الطور : ١]، {دَعًّا} [الطور : ١٣]، مجموع فواصل آياتها: «من رعا»[٤١١٢].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سُورَة الطّور بِمَكَّة"[٤١١٣]. وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله[٤١١٤].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين والرواة"[٤١١٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلها بإجماعهم"[٤١١٦].

قال القرطبي:" سورة «والطور» مكية كلها في قول الجميع"[٤١١٧].

قال ابن عاشور:" هي مكية جميعها بالاتفاق"[٤١١٨].

(٤١١٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤١.

(٤١١٣)الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٤١١٤) انظر: الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤١١٥) المحرر الوجيز: ١٨٥/٥.

(٤١١٦) زاد المسير: ١٧٥/٤.

(٤١١٧) تفسير القرطبي: ٥٨/١٧.

(٤١١٨) التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.

القرآن

{وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)} [الطور : ١-٦]

التفسير:

أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم الله سبحانه وتعالى موسى عليه، وبكتاب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة، وبالبيت المعمور في السماء بالملائكة الكرام الذين يطوفون به دائمًا، وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا، وبالبحر المسجور المملوء بالمياه.

قوله تعالى:{وَالطُّورِ} [الطور : ١]، أي:" أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم الله سبحانه وتعالى موسى عليه"(٤١١٩).

عن ابن عباس قال: "الطور: جبل"(٤١٢٠). وروي عن مجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وأبي صخر نحو ذلك(٤١٢١).

قال الحسن:" كل جبل يُدعى: طورًا"(٤١٢٢).

قال عكرمة:" جبل يقال له: الطور"(٤١٢٣).

قال مجاهد:" " الطور: الجبل بالسريانية "(٤١٢٤).

قال ابن جريج: قال لي عطاء: "رفعنا فوقكم الطور قال رفع فوقهم الجبل على بني إسرائيل فقال: لتؤمنن به أو ليقعن عليكم"(٤١٢٥).

قال قتادة:" الطور الجبل؛ كانوا بأصله، فرفع عليهم فوق رؤوسهم، فقال: لتأخذن أمري، أو لأرمينكم به(٤١٢٦).

عن نَوْف البكالي -من طريق أبي عمران الجوني- قال: "أوحى الله إلى الجبال: أني نازل على جبلٍ منكنّ. قال: فشَمخت الجبالُ كلّها رجاء أن يكون الأمر عليها. قال: وتواضع طور سيناء، وقال: أرضى بما قسم الله لي. فكان الأمرُ عليه"(٤١٢٧).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الطُّور من جبال الجنة»(٤١٢٨).

عن عمرو بن عوف، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الطُّور جبل من جبال الجنة»(٤١٢٩).

(٤١١٩) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤١٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٢٠١):ص١١٠٥/٥.

(٤١٢١) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤.

(٤١٢٢) تفسير ابن ابي حاتم: ص١١٠٥/٤، وذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٩٣ -.

(٤١٢٣) تفسير عبدالرزاق(٢٩٩٨):ص٢٤٢/٣.

(٤١٢٤) تفسير مجاهد: ٦٢٢، وتفسير الطبري: ٤٥٠/٢٢.

(٤١٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٣):ص١٢٩/١.

(٤١٢٦) أنظر: تفسير الطبري(١١١٨):ص١٥٨/٢.

(٤١٢٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٤١٢٨)أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ٣٤٢ (٧٦٧٣)، من طريق الحسن بن كثير، عن يحيى بن سعيد اليمامي، عن نصر بن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة بنحوه.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير إلا ابنه نصر، ولا رواه عن نصر إلا يحيى بن أبي سعيد اليمامي، تفرد به الحسن بن كثير». وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٧١: «فيه مَن لم أعرفهم». وقال الألباني في الضعيفة ١٤/ ٩٣٠: «منكر جدًّا».

(٤١٢٩)أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ١/ ٨٠ - ٨١، والطبراني في الكبير ١٧/ ١٨ (١٩) كلاهما مطولًا، من طريق كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده به.

قوله تعالى:{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣)} [الطور : ٢ - ٣]، أي:" وبكتاب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة"[٤١٣٠].

عن مجاهد، قوله: "{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ}، قال: صحف"[٤١٣١]. وفي رواية: صحفا مكتوبة"[٤١٣٢].

قال قتادة:" المسطور: المكتوب"[٤١٣٣]. وروي عن الضحاك مثله[٤١٣٤].

قال مجاهد:" الرقّ: الصحيفة"[٤١٣٥].

وقال مجاهد:" يعني: صحفا مكتوبة"[٤١٣٦].

عن قتادة:" {فِي رَقٍّ مَنشُورٍ}، قال: هو الكتاب"[٤١٣٧].

عن الحسن:" {فِي رَقٍّ مَنشُورٍ} القرآن في أيدي السَّفرة"[٤١٣٨].

قوله تعالى:{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} [الطور : ٤]، أي:" وبالبيت المعمور في السماء بالملائكة الكرام الذين يطوفون به دائمًا"[٤١٣٩].

وفي قوله تعالى:{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} [الطور : ٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : ما روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- :" رفع إلي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم"[٤١٤٠]. وبه قال علي بن أبي طالب[٤١٤١]، وابن عباس[٤١٤٢].

وروي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما عرج بي الملك إلى السماء السابعة انتهيت إلى بناء فقلت للملك: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله للملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يقدسون الله ويسبحونه، لا يعودون فيه"[٤١٤٣].

قال قتادة:" ذكر لما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه: "هل تدرون ما البيت المعمور" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة لو خر لخر عليها، أو عليه، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم"[٤١٤٤].

قال ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٤٨: «هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١/ ٣٨٣ (٤٦٢): «رواه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده. وكثير ضعيف». وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ١٤ (٥٩١٤): «فيه كثير بن عبد الله، وهو ضعيف». وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/ ٨٦: «لا يصح؛ كثير كذاب». وقال الألباني في الضعيفة ١١/ ٨٤٨ (٥٤٩٠): «موضوع بهذا التمام».

(٤١٣٠) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤١٣١) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٢.

(٤١٣٢) تفسير مجاهد: ٦٢٢.

(٤١٣٣) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٢.

(٤١٣٤) انظر: تفسير إسحاق البستي(١١٢١):ص٤٣٩/٢، وتفسير الطبري: ٤٥٤/٢٢.

(٤١٣٥) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٢.

(٤١٣٦) تفسير مجاهد: ٦٢٢.

(٤١٣٧)أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٩٨)، والطبري:٤٥٤/٢٢، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٠). وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.

(٤١٣٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٩٣ -.

(٤١٣٩) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤١٤٠) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٢.

(٤١٤١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٢.

(٤١٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(٤١٤٣) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(٤١٤٤) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

روي عن خالد بن عرعرة ؛ أن رجلا قال لعلي : "ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له : "الضُّراح" وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، لا يعودون فيه أبدا"[٤١٤٥].

عن مجاهد، في قوله: "{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}، قال: بيت في السماء يقال له: «الضراح»"[٤١٤٦].

عن ابن عباس، قوله: "{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}، قال: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه"[٤١٤٧].

عن حسين، قال: "سُئل عكرمة وأنا جالس عنده عن البيت المعمور، قال: بيت في السماء بحيال الكعبة"[٤١٤٨].

وروي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "في السماء السابعة بيت يقال له : "المعمور"؛ بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له : "الحيوان" يدخله جبريل كل يوم، فينغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا، ويولي عليهم أحدهم، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة"[٤١٤٩].

الثاني : أن البيت المعمور، هو بيت فوق ست سموات ، ودون السابعة ، يدعى :«الضراح»، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس لا يرجعون إليه أبداً ، وهو بحذاء البيت العتيق. قاله السدي[٤١٥٠]، وعن وعن الضحاك نحوه[٤١٥١].

قال الضحاك:" يزعمون أنه يروح إليه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس، يقال لهم الجن"[٤١٥٢].

الثالث : أن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم ، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا، فأبوا عليه وعصوه ، فما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا ، فيعمره، فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان ، قاله الله تعالى : {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج : ٢٦] ،الآية. قاله الربيع بن أنس[٤١٥٣].

الرابع : أن البيت المعمور هو البيت الحرام. قاله الحسن[٤١٥٤].

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الإسراء - بعد مجاوزته إلى السماء السابعة - : «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[٤١٥٥]. يعني : يتعبدون فيه ويطوفون، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت،

(٤١٤٥) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٢.

(٤١٤٦) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(٤١٤٧) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(٤١٤٨) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٢.

(٤١٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧، قال ابن كثير:" هذا حديث غريب جدا، تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم : الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم.
قال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة، ولا سعيد، ولا الزهري".

(٤١٥٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(٤١٥١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(٤١٥٢) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٢.

(٤١٥٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(٤١٥٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.

(٤١٥٥) أخرجه أحمد (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢٧) ، ومسلم (١٤٥/١، رقم ١٦٢) ، وأبو يعلى (١٠٩/٦، رقم ٣٣٧٥) ، وفى (٢١٦/٦، رقم ٣٤٩٩) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣٣٣/٧، رقم ٣٦٥٧٠) ، وأبو عوانة (١١٣/١، رقم ٣٤٤).

هو كعبة أهل السماء السابعة ؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل، عليه السلام، مسندا ظهره إلى البيت المعمور ؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة[٤١٥٦].

قوله تعالى:{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} [الطور : ٥]، أي:" وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا"[٤١٥٧].

وفي قوله تعالى:{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} [الطور : ٥]، وجهان:

أحدهما : أنه السماء، قاله مجاهد[٤١٥٨]، وقتادة[٤١٥٩]، يدل عليه قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٣٢].

الثاني : أنه العرش ، قاله الربيع[٤١٦٠].

قوله تعالى:{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور : ٦]، أي:" وبالبحر المسجور المملوء بالمياه"[٤١٦١].

قال عكرمة:" بحر دون العرش"[٤١٦٢].

وفي قوله تعالى:{الْمَسْجُورِ} [الطور : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : المحبوس، قاله السدي[٤١٦٣].

الثاني : أنه المرسل، قاله سعيد بن جبير[٤١٦٤].

الثالث : يعني: الموقد ناراً ، قاله مجاهد[٤١٦٥].

عن مجاهد: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، قال: الموقد"[٤١٦٦].

الرابع : أنه الذي قد ذهب ماؤه. قاله ابن جبير[٤١٦٧].

روي ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير:" أنه الذي قد ذهب ماؤه ويبس"[٤١٦٨].

الخامس : هو الذي لا يشرب من مائه ولا يسقى به زرع ، قاله العلاء بن زيد[٤١٦٩].

السادس : أنه الممتلئ، قاله قتادة [٤١٧٠]، وبه قال أهل اللغة[٤١٧١].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء على ما وصفت، كما قال لبيد[٤١٧٢]:

(٤١٥٦) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٧-٤٢٨.
(٤١٥٧) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤١٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(٤١٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٢.
(٤١٦٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٥.
(٤١٦١) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤١٦٢) تفسير إسحاق البستي(١١٤٠):ص٤٤٦/٢.
(٤١٦٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(٤١٦٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(٤١٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(٤١٦٦) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(٤١٦٧) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(٤١٦٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(٤١٦٩) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(٤١٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢.
(٤١٧١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٦٢/٥.
(٤١٧٢)البيت ورد في "ديوانه" ص ١٠، وفي "شرح المعلقات السبع" (معلقة لبيد) للزوزني ص ٨٢، "جمهرة أشعار العرب" ص ٦٨، "المُحتسب" ٢/ ٣٧١، وقوله: (قُلاَمُهَا) ضرب من شجر الحمض، ويروى (أقلامها) وهو قصب اليراع. والسَّريُّ: النهر الصغير والجمع الأسرية.
والبيت في وصف العير والأتان، وقد توسطا جانب النهر الصغير وشقا عينًا مملوءة ماء، قد كثر نبتها.

فتوسطا عُرْضَ السَّريِّ وصدعا ... مسجورةً متجاورًا قُلامُها
وكما قال النمر بن تولب العكلي[٤١٧٣]:
إذا شاءَ طالَعَ مَسْجورةً ... تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسمّا
سَقَتْها رَوَاعِدُ مِنْ صَيّفٍ ... وَإنْ مِنْ خَريفٍ فَلَنْ يَعدمَا
فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السَّجْر، وكان البحر غير مُوقَد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه كلّ وقت ممتلئ[٤١٧٤].
وهذا آخر القسم، وجوابه : {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} [الطور : ٧][٤١٧٥].

القرآن
{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)} [الطور : ٧-١٠]
التفسير:
إن عذاب ربك -أيها الرسول- بالكفار لواقع، ليس له مِن مانع يمنعه حين وقوعه، يوم تتحرك السماء فيختلُّ نظامها وتضطرب أجزاؤها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا، وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كسير السحاب.
قوله تعالى:{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} [الطور : ٧]، أي:" إن عذاب ربك -أيها الرسول- بالكفار لواقع، ليس له مِن مانع يمنعه حين وقوعه"[٤١٧٦].
عن قتادة: "{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}، وقع القسم ها هنا، {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}، وذلك يوم القيامة"[٤١٧٧].
عن عامر الشعبي، قال: "سمع عمر بن الخطاب رجلًا يقرأ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ ما لَهُ مِن دافِعٍ}، فجعل يبكي حتى اشتدَّ بكاؤه، ثم خرَّ يضطرب، فقيل له في ذلك، فقال: دَعُوني، فإني سمعت قَسَمَ حقٍّ مِن ربي"[٤١٧٨].
عن الحسن البصري: "أن عمر بن الخطاب قرأ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ}، فربا لها رَبْوةً[٤١٧٩] عِيدَ لها عشرين يومًا"[٤١٨٠].
عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير بن مطعم قال: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، لأكلمه في أسارى بدر، فوافقته، وهو يصلي بأصحابه المغرب، أو العشاء، فسمعته وهو يقول، أو يقرأ، وقد

(٤١٧٣) البيتان من كلمة في مختارات شعراء العرب ٢٠٥ والعيني ١/ ٥٧٥، ٤/ ١٥١ وشواهد المغني ص ٦٥ والخزانة ٤/ ٤٣٤ وهما في الطبري ٤٦٠/٢٢، والأول في الشنتمري ١/ ١٣٥ والقرطبي ١٧/ ٦١ والثاني: الكتاب ١/ ١١٣ والشنتمري ١/ ١٣٥، ٤٧١.
معناه: إما من صيف وإما من خريف فلن بعدم الري البتة، المسجورة الروضة المملوءة عشبا والنبع والساسم من شجر الجبال والصيف مطر الصيف وأراد بالخريف مطر الخريف (الشنتمرى).
والساسم: قيل هو جمع سِمْسِم، وقد يكون من الخشب يشبه الأبنوس. "اللسان" ١/ ٥٦٩ (نبع) ٢/ ١٤٢ (سسم)
(٤١٧٤) تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٢-٤٦٠.
(٤١٧٥) النكت والعيون: ٣٧٩/٥.
(٤١٧٦) التفسير الميسر: ٥٢٣.
(٤١٧٧) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٢.
(٤١٧٨)أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ٣/ ١٨٩ - ١٩٠ (١٠٠).
(٤١٧٩)الرّبو والرَّبْوة: البُهْر وانتفاخ الجوف والنَّفَس العالي بسبب الخوف وغيره. لسان العرب (ربا).
(٤١٨٠)أخرجه أبو عبيد في فضائله ص ٦٤.

خرج صوته من المسجد {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)} [الطور : ٧ - ٨]، فكأنما صدع قلبي "[٤١٨١].

قوله تعالى:{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور : ٩]، أي:" يوم تتحرك السماء فيختلُّ نظامها وتضطرب أجزاؤها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا"[٤١٨٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن عذاب ربك لواقع: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}"[٤١٨٣].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: تدور السماء دوراً، به قال مجاهد[٤١٨٤]، ومنه قول طرفة بن العبد[٤١٨٥]:

صُهابِيَّةُ العُثْنُونِ، مُؤْجَدَةُ القَرَا، ... بَعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ، مَوَّارَةُ اليَدِ

فالمور: التكفي والترهيل في المشية[٤١٨٦].

الثاني : تحرَّكُ تحرُّكاً، به قال قتادة[٤١٨٧].

قال قتادة:" مورها: تحريكها"[٤١٨٨].

الثالث: يعني: استدارتها وتحريكها لأمر الله، وموج بعضها في بعض. قاله الضحاك[٤١٨٩].

وروي عن عطية بن سعد العَوفيّ: "{تَمُورُ} تختلف"[٤١٩٠].

وقال عطاء:" تختلف أجزاؤها بعضها في بعض"[٤١٩١].

وكل هذه العبارات متقاربة، وأصل "المور": الاضطراب والاختلاف[٤١٩٢].

القرآن

{فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢)} [الطور : ١١-١٢]

التفسير:

فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين الذين هم في خوض بالباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا.

قوله تعالى:{فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [الطور : ١١]، أي:" فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين"[٤١٩٣].

وفي معنى "الويل"، أقوال:

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٤١٩٤]، وشقيق[٤١٩٥].

الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[٤١٩٦].

(٤١٨١) المعجم الكبير للطبراني(١٤٩٩):ص١٦٦/٢.

(٤١٨٢) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤١٨٣) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.

(٤١٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.

(٤١٨٥) انظر: اللسان «صهب»:ص٥٣١/١، والنكت والعيون: ٣٧٩/٥.

(٤١٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٢.

(٤١٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.

(٤١٨٨) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٢.

(٤١٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٢.

(٤١٩٠)تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٦.

(٤١٩١) تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٦، وتفسير البغوي ٧/ ٣٨٧ بنحوه.

(٤١٩٢)انظر: "لسان العرب" لابن منظور ٥/ ١٨٦ (مور).

(٤١٩٣) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤١٩٤)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٤١٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(٤١٩٦) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر(٤١٩٧):

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل

الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار(٤١٩٨).

الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة (٤١٩٩).

قوله تعالى:{الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} [الطور : ١٢]، أي:" الذين هم في خوض بالباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا"(٤٢٠٠).

قال عطاء: "يخوضون في تكذيبك ويلهون بذكرك"(٤٢٠١).

عن مجاهد:" {يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}، قال: كذبون أو يكذبون، -شك إسحاق-"(٤٢٠٢).

و«الخوض»: الفتنة والاختلاط"(٤٢٠٣).

القرآن

{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)} [الطور : ١٣-١٤]

التفسير:

يوم يُدْفَع هؤلاء المكذبون دفعًا بعنف ومَهانة إلى نار جهنم، ويقال توبيخًا لهم: هذه هي النار التي كنتم بها تكذِّبون.

قوله تعالى:{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} [الطور : ١٣]، أي:" يوم يُدْفَع هؤلاء المكذبون دفعًا بعنف ومَهانة إلى نار جهنم"(٤٢٠٤).

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} [الطور : ١٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أن يدعهم زبانيتها بالدعاء عليهم. أفاده الماوردي(٤٢٠٥).

الثاني: يدفعون دفعاً عنيفاً. قاله مجاهد(٤٢٠٦)، والضحاك(٤٢٠٧)، وعكرمة(٤٢٠٨)، والسدي(٤٢٠٩)، ومنه قول الراجز (٤٢١٠):

يدعّه بضفتي حيزومه ... دعّ الوصيّ جانبي يتيمه

قال مجاهد: يدفعون"(٤٢١١).

(٤١٩٧) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(٤١٩٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.

(٤١٩٩) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(٤٢٠٠) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤٢٠١)انظر: " التفسير الوسيط" ٤/ ١٨٥، و"التفسير البسيط" للواحدي: ٤٨٣/٢٠، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٣٨، "الجامع" للقرطبي ١٧/ ٦٤.

(٤٢٠٢) تفسير إسحاق البستي(١١٤٤):ص٤٤٧/٢.

(٤٢٠٣) مجاز القرآن: ٢٣١/٢.

(٤٢٠٤) التفسير الميسر: ٥٢٣.

(٤٢٠٥) انظر: النكت والعيون: ٣٨٠/٥.

(٤٢٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢٢.

(٤٢٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٢.

(٤٢٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢٢.

(٤٢٠٩) انظر: النكت والعيون: ٣٨٠/٥.

(٤٢١٠)الرجز لأبي نواس في ديوان المعاني: ١/ ٣٥٧، وهو في ربيع الأبرار ١/ ٤٩، والنكت والعيون: ٣٨٠/٥. وفيه:" يدعه بصفحتي"

قال عكرمة:" يدفعون إلى نار جهنم دفعا"[٤٢١٢]. وروي عن القرظي مثله[٤٢١٣].
قال الضحاك:" الدعّ: الدفع والإرهاق"[٤٢١٤].
الثالث : يُزعَجون إليها إزعاجًا، قاله قتادة[٤٢١٥].
والتفسير: يوم يزعجون إليها إزعاجاً شديداً، ويدفعون دفعاً عنيفاً، ومن هذا قوله: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون : ٢]، أي: يدفعه عما يجب له[٤٢١٦].

القرآن
{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨)} [الطور : ١٧-١٨]
التفسير:
إن المتقين في جنات ونعيم عظيم، يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذّ المختلفة، ونجَّاهم الله من عذاب النار.
قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ} [الطور : ١٧]، أي:" إن المتقين في جنات ونعيم عظيم"[٤٢١٧].
عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٤٢١٨].
قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٤٢١٩].
قوله تعالى:{فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ} [الطور : ١٨]، أي:" يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذّ المختلفة"[٤٢٢٠].
عن ابن عباس:" {فَاكِهُونَ}، قال فرحون"[٤٢٢١].
عن الحسن:" {فَاكِهُونَ} مسرورون"[٤٢٢٢].
عن السدي:" {فَاكِهُونَ} ناعمون"[٤٢٢٣].
عن مجاهد:" {فَاكِهُونَ}، قال: مُعجبون"[٤٢٢٤]. وروي عن الحسن وقتادة مثله[٤٢٢٥].
قال الضحاك:" مُعجبون بما هم فيه"[٤٢٢٦].

(٤٢١١) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(٤٢١٢) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٢.
(٤٢١٣) الدر المنثور: ٦٣٠/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور.
(٤٢١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٢.
(٤٢١٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٧، والطبري: ٤٦٤/٢٢، من طريق معمر، ومن طريق سعيد أيضًا.
(٤٢١٦) معاني القرآن: ٦٢/٥.
(٤٢١٧) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٤٢١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٤٢١٩) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٤٢٢٠) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٤٢٢١)أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٠. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٤٢٢٢)علقه يحيى بن سلّام في "التفسير": ٢/ ٨١٤.
(٤٢٢٣)تفسير الثعلبي ٨/ ١٣١.
(٤٢٢٤)تفسير مجاهد (٥٦١)، وأخرجه إسحاق البستي(٤٧٣):ص١٩٢/٢، والطبري: ٥٣٦/٢٠، بلفظ: "عجبون"، والفريابي -كما في التغليق ٤/ ٢٩١ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٤٢٢٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٤٥.
(٤٢٢٦)تفسير الثعلبي ٨/ ١٣١، وتفسير البغوي ٧/ ٢٢.

القرآن

{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)} [الطور : ١٩-٢٠]

التفسير:

كلوا طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا سائغًا؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا. وهم متكئون على سرر متقابلة، وزوَّجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسانهنَّ.

قوله تعالى:{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور : ١٩]، أي:" كلوا طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا سائغًا؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا"(٤٢٢٧).

عن عكرمة في قوله: "{كلوا واشربوا هنيئا} أي: لا موت"(٤٢٢٨).

عن يوسف بن يعقوب الحنفي، قال: "بلغنا أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: "يا أوليائي، طالما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وقد غارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية"(٤٢٢٩).

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ} [الطور : ٢٠]، أي:" وهم متكئون على سرر متقابلة"(٤٢٣٠).

عن صفوان بن عمرو ؛ أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه"(٤٢٣١).

قال ثابت: "بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة، عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن : قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا"(٤٢٣٢).

قوله تعالى:{وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} [الطور : ٢٠]، أي:" وزوَّجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسانهنَّ"(٤٢٣٣).

عن قتادة، قوله: " {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} [الدخان : ٥٤]، قال: بيضاء عيناء"(٤٢٣٤).

وقال مجاهد:" أنكحناهم بحور عين، والحُور: اللاتي يحار فيهنّ الطرف بادٍ مُخُّ سوقهنّ من وراء ثيابهنّ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهنّ كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون"(٤٢٣٥).

عن أنس - رفعه نوح - قال : "لو أن حوراء بَزَقَت في بحر لُجِّي، لعَذُبَ ذلك الماء لعذوبة ريقها"(٤٢٣٦).

(٤٢٢٧) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٢٢٨) الدر المنثور: ٣٨٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤٢٢٩) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٩/٢٧-٣١٠، و أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ٤١١. [إسناده ضعيف؛ فيه المقدمي ضعيف، وكذلك عبد الله بن جعفر، ثم هو مرسل]

(٤٢٣٠) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٢٣١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٣١/٧-٤٣٢.

(٤٢٣٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٧.

(٤٢٣٣) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٢٣٤) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

(٤٢٣٥) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

قال الطبري:" وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف، قول لا معنى له في كلام العرب، لأن الحُور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحُوَّاري". [تفسير الطبري: ٥٢/٢٢]

(٤٢٣٦) رواه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٨٦) من وجه آخر،

وفي «العين»، وجهان من التفسير:
أحدهما : العظام الأعين، قاله الضحاك[٤٢٣٧] ، السدي[٤٢٣٨].
عن الضحاك:" العِين: العِظام الأعين"[٤٢٣٩].
روي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قلت: "يا رسول الله أخبرني عن قول الله: {حور عين}، قال:«العين: الضخام العيون; شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر»"[٤٢٤٠].
الثاني : الحسان العيون، قاله مجاهد[٤٢٤١].
عن مجاهد:" {عِينٌ}، قال: حِسان العيون"[٤٢٤٢].
و«عين»: "كبار الأعين حسانها. الواحدة: عيناء"[٤٢٤٣].

القرآن
{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)} [الطور : ٢١]
التفسير:
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيمان، وألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم; لتَقَرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيُجْمَع بينهم على أحسن الأحوال، وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم. كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس.
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور : ٢١]، أي:" والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيمان، وألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم; لتَقَرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيُجْمَع بينهم على أحسن الأحوال"[٤٢٤٤].
وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ} [الطور : ٢١]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن الله تعالى يعطي الذرية مثل أجور الآباء من غير أن ينقص الآباء من أجورهم شيئاً ، قاله إبراهيم[٤٢٤٥]، والربيع[٤٢٤٦].
قال إبراهيم:" أعطوا مثل أجور آبائهم، ولم ينقص من أجورهم شيئًا"[٤٢٤٧].
وعن الربيع: "{وأتْبَعْناهُم ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمانٍ}، يقول: أعطيناهم من الثواب ما أعطيناهم، {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}، يقول: ما نقصنا آباءهم شيئًا"[٤٢٤٨].
وروي عن سعيد بن جبير، قال:" ألحق الله ذرياتهم بآبائهم، ولم ينقص الآباء من أعمالهم، فيردَّه على أبنائهم"[٤٢٤٩].

فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني، عن منصور الواسطي، عن أبي النصر الأبار، عن أنس مرفوعا بنحوه.
(٤٢٣٧) الدر المنثور: ٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.
(٤٢٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.
(٤٢٣٩) الدر المنثور: ٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.
(٤٢٤٠) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.
(٤٢٤١) الدر المنثور:٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.
(٤٢٤٢) الدر المنثور:٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.
(٤٢٤٣) معاني القرآن: ٣٠٤/٤.
(٤٢٤٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٤٢٤٥) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٤٢٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٤٢٤٧) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٤٢٤٨) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٢.
(٤٢٤٩) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٢-٤٧٠.

وقال عامر:" فأدخل الله الذرّية بعمل الآباء الجنة، ولم ينقص الله الآباء من عملهم شيئا، قال: فهو قوله: {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}"[٤٢٥٠].

الثاني : أنهم البالغون عملوا بطاعة الله مع آبائهم فألحقهم الله بآبائهم ، قاله قتادة[٤٢٥١].

الثالث : معنى ذلك: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّيَّاتهم التي بلغت الإيمان بإيمانٍ، ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الإيمان، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء. قاله الضحاك[٤٢٥٢].

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق جويبر- في قوله: "{ذريتهم بإيمان}، يعني: الذين لم يبلغوا العمل، «أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ» يعني: الصغار الذين لم يبلغوا الحِنث فدخلوا الجنة"[٤٢٥٣].

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- في قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّياتِهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ»، يقول: مَن أدرك ذُرّيته الإيمان، فعملوا بطاعتي أَلحقتُهم بآبائهم في الجنة، وأولادهم الصغار أيضًا على ذلك"[٤٢٥٤].

ومعنى هذه الآية: "أن الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن إليه وإن كانوا دونه في العمل لتقر عينه، وتطيب نفسه، بشرط أن يكونوا مؤمنين، فيختص ذلك بمن يتصف بالإيمان من الذرية وهم البالغون دون الصغار، فإنهم وإن كانوا لاحقين بآبائهم فبدليل آخر غير هذه الآية. وقيل: إن الذرية تطلق على الكبار والصغار كما هو المعنى اللغوي، فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذريتهم وكبارهم، ويكون قوله: بإيمان في محل نصب على الحال، أي: بإيمان من الآباء. وقيل: إن الضمير في «بهم» راجع إلى الذرية المذكورة أولا، أي: ألحقنا بالذرية المتبعة لآبائهم بإيمان ذريتهم. وقيل: المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار فقط، وظاهر الآية العموم، ولا يوجب تخصيصها بالمهاجرين والأنصار كونهم السبب في نزولها إن صح ذلك، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[٤٢٥٥].

عن علي قال : "سألتْ خديجة النبي صلى الله عليه وسلم، عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هما في النار». فلما رأى الكراهة في وجهها قال : «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما». قالت : يا رسول الله، فولدي منك. قال : «في الجنة». قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار». ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} الآية"[٤٢٥٦].

قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والحسن وقتادة وأهل مكة: «واتبعتهم ذريتهم» «بهم ذريتهم»، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن مسعود بخلاف عنه وشيبة والجحدري وعيسى، «وأتبعناهم ذريتهم» «بهم ذرياتهم»، وروى خارجة عنه مثل قراءة حمزة. وقرأ ابن عامر وابن عباس وعكرمة وابن جبير والضحاك: «واتبعتهم ذريتهم» «بهم ذريتهم» . وقرأ أبو عمرو والأعرج وأبو رجاء والشعبي وابن جبير والضحاك: «وأتبعناهم ذريتهم» «بهم ذريتهم»[٤٢٥٧].

قال ابن عطية:" فكون الذرية جمعا في نفسه حسن الإفراد في هذه القراءات، وكون المعنى يقتضي انتشار أو كثرة حسن جمع الذرية في قراءة «ذرياتهم»[٤٢٥٨].

(٤٢٥٠) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٢.

(٤٢٥١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٠/٢٢.

(٤٢٥٢) انظر: تفسير إسحاق البستي(١١٥١):ص٤٥٠/٢، وتفسير الطبري: ٤٦٨/٢٢-٤٦٩.

(٤٢٥٣) تفسير إسحاق البستي(١١٥١):ص٤٥٠/٢.

(٤٢٥٤) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٢-٤٦٩.

(٤٢٥٥) فتح القدير: ١١٧/٥.

(٤٢٥٦)زوائد عبد الله على المسند (١٣٤/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢١٧/٧) : "فيه محمد بن عثمان ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح".

(٤٢٥٧) انظر: المحرر الوجيز: ١٨٩/٥.

(٤٢٥٨) المحرر الوجيز: ١٨٩/٥.

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرو: «وأتبعنهم»، بالنون[٤٢٥٩].

قوله تعالى:{وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور : ٢١]، أي:" وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم"[٤٢٦٠].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور : ٢١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : ما نقصناهم ، قاله مجاهد[٤٢٦١]، والربيع بن انس[٤٢٦٢]، ومنه قول رؤبة[٤٢٦٣]:

وليلةٍ ذات نَدى سَرَيتُ ... ولم يَلتني عنْ سُرَاها لَيْت

أي: لم ينقصني.

قال مجاهد:" ما نقصنا الآباء للأبناء"[٤٢٦٤].

قال الربيع بن انس:" يقول: ما نقصنا آباءهم شيئا"[٤٢٦٥].

الثاني : معناه: وما ظلمناهم ، قاله سعيد بن جبير[٤٢٦٦]، وقتادة[٤٢٦٧]، والضحاك[٤٢٦٨]،ومنه قول الحطيئة[٤٢٦٩]:

أبلغ سراة بني سعد مغلغلة ... جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذباً

أي: لا ظلماً ، ولا كذباً .

قال قتادة:" يقول: وما ظلمناهم من عملهم من شيء"[٤٢٧٠].

ومعنى الكلام : "لم نظلم الآباء بما أعطينا الأبناء، وإنما فعل تعالى ذلك بالأبناء تكرمة للآباء[٤٢٧١].

قرأ جمهور القراء: «ألتناهم» بفتح الألف من ألت. وقرأ ابن كثير وأبو يحيى وشبل: «ألتناهم» من ألت بكسر اللام. وقرأ الأعرج: «ألتناهم» على وزن أفعلناهم. وقرأ أبيّ بن كعب وابن مسعود: «لتناهم» من لات، وهي قراءة ابن مصرف. ورواها القواس عن ابن كثير[٤٢٧٢].

قوله تعالى:{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور : ٢١]، أي:" كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس"[٤٢٧٣].

عن الضحاك:" {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}، قال: كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار، لا يرتهن الله أحدا من أهل الجنة، ألم تسمع أنه قال: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}، يقول: ليسوا رهينة {فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ}"[٤٢٧٤].

(٤٢٥٩) انظر: السبعة في القراءات: ٦١٢.

(٤٢٦٠) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٢٦١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٢.

(٤٢٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٢.

(٤٢٦٣) نسبه في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٢١/٢، والمحتسب: ٢٩١/٢، لرؤبة، ولم أجده في ديوانه ولا في ديوان أبيه العجاج ، وهو في الطبري: ٢٦/ ٨٢، والمقتضب لابن جنى: ص ٧، وتفسير القرطبي: ١٦/ ٣٤٩ وفتح الباري: ٨/ ٤٥٢، ورواه في اللسان "ليت"، لم ينسبه.

(٤٢٦٤) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٢.

(٤٢٦٥) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٢.

(٤٢٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.

(٤٢٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.

(٤٢٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٢.

(٤٢٦٩) ديوانه: ٧. ومغلغة: رسلة تغلغل حتى تصل إليهم.

(٤٢٧٠) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢٢.

(٤٢٧١) النكت والعيون: ٣٨٢/٥.

(٤٢٧٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٨٩/٥.

(٤٢٧٣) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٢٧٤) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.

القرآن

{وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)} [الطور : ٢٢-٢٣]

التفسير:

وزدناهم على ما ذُكر من النعيم فواكه ولحومًا مما يستطاب ويُشتهى، ومن هذا النعيم أنهم يتعاطَوْن في الجنة كأسًا من الخمر، يناول أحدهم صاحبه؛ ليتم بذلك سرورهم، وهذا الشراب مخالف لخمر الدنيا، فلا يزول به عقل صاحبه، ولا يحصل بسببه لغو، ولا كلام فيه إثم أو معصية.

قوله تعالى:{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا} [الطور : ٢٣]، أي:" يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر، يتجاذبها بعضهم من بعض تلذذاً وتأنسا"[٤٢٧٥].

قال مجاهد:" الكأس: كل شيء يشرب فيه الخمر ""[٤٢٧٦].

قوله تعالى:{لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [الطور : ٢٣]، أي:" لا يقع بينهم بسبب شربها هذيان حتى يتكلموا بساقط الكلام، ولا يلحقهم إثم كما يلحق شارب الخمر في الدنيا"[٤٢٧٧].

وفي قوله تعالى:{لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [الطور : ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : ليس فيها لغو ولا باطل، قاله قتادة[٤٢٧٨].

قال قتادة:" أي: لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان"[٤٢٧٩].

وقال قتادة:" ليس فيها لغو ولا باطل، إنما كان اللغو والباطل في الدنيا"[٤٢٨٠].

الثاني : لا كذب فيها ولا حلف، قاله الضحاك[٤٢٨١].

قال الضحّاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضا"[٤٢٨٢].

الثالث : لا يتسابون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضاً، قاله مجاهد[٤٢٨٣].

عن مجاهد، قوله: "{لا لَغْوٌ فِيهَا}، قال: لا يستبون، {وَلا تَأْثِيمٌ}، يقول: ولا يؤثمون"[٤٢٨٤].

وقرئ:«لا لَغْوَ فيها وَلا تَأْثِيَمَ»، نصبا غير منوّن على وجه التبرئة[٤٢٨٥].

القرآن

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤)} [الطور : ٢٤]

التفسير:

ويطوف عليهم غلمان مُعَدُّون لخدمتهم، كأنهم في الصفاء والبياض والتناسق لؤلؤ مصون في أصدافه.

قال سعيد بن جُبَير:" {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}، يعني: في الصّدف"[٤٢٨٦].

(٤٢٧٥) صفوة التفاسير: ٢٤٧/٣.

(٤٢٧٦) تفسير مجاهد: ٦٩٦.

(٤٢٧٧) صفوة التفاسير: ٢٤٧/٣.

(٤٢٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢-٤٧٥.

(٤٢٧٩) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٢-٤٧٥.

(٤٢٨٠) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٢.

(٤٢٨١) انظر: تفسير الثعلبي: ١٢٩/٩، والنكت والعيون: ٣٨٣/٥. وفي المطبوع: «ولا خلف».

(٤٢٨٢)تفسير الثعلبي: ١٢٩/٩.

(٤٢٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢.

(٤٢٨٤) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٢.

(٤٢٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٢.

(٤٢٨٦)تفسير الثعلبي ٩/ ١٢٩، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٠. وفي تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) ٢٤/ ٣٦ بلفظ: لم تمسه الأيدي.

قال سعيد بن المسيب: "{ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} هو مخزون في الصّدف"(٤٢٨٧).

قال قتادة: "بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ، فكيف المخدوم؟ قال: "والّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ فَضْل ما بَيْنَهُمَا كَفَضْل القَمَر لَيْلَة البَدر على النجوم"(٤٢٨٨).

قال قتادة: "ذُكر لنا أن رجلا قال: يا نبيّ الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟ قال: "والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"(٤٢٨٩).

قال عبد الله بن عمر -من طريق قتادة- "{ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}: وما من أحدٍ من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألفُ غلامٍ، وكلّ غلام على عملٍ ما عليه صاحبه"(٤٢٩٠).

عن عبد الله بن أبي الهذيل: أنّ موسى أو غيره من الأنبياء قال: يا ربّ، كيف يكون هذا منك؟! أولياؤك في الأرض خائفون يُقتلون، ويطلبون فلا يُعطون، وأعداؤك يأكلون ما شاؤوا، ويشربون ما شاؤوا! ونحو هذا، فقال: انطلِقوا بعبدي إلى الجنة. فينظر ما لم يَر مثله قطّ؛ إلى أكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة، وإلى الحُور العين، وإلى الثمار، وإلى الخدم كأنهم لؤلؤ مكنون، فقال: ما ضرّ أوليائي ما أصابهم في الدنيا إذا كان مصيرهم إلى هذا؟! ثم قال: انطلِقوا بعبدي. فانطُلق به إلى النار، فخرج منها عُنق، فصَعِق العبد، ثم أفاق، فقال: ما نفع أعدائي ما أعطيتُهم في الدنيا إذا كان مصيرهم إلى هذا؟ قال: لا شيء"(٤٢٩١).

القرآن

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)} [الطور : ٢٥-٢٨]

التفسير:

وأقبل أهل الجنة، يسأل بعضهم بعضًا عن عظيم ما هم فيه وسببه، قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا -ونحن بين أهلينا- خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة. فمنَّ الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب سموم جهنم، وهو نارها وحرارتها. إنا كنا من قبلُ نضرع إليه وحده لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السَّموم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا، إنه هو البَرُّ الرحيم. فمن بره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا مِن سخطه والنار.

قوله تعالى:{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} [الطور : ٢٥]، أي:" وأقبل أهل الجنة، يسأل بعضهم بعضًا عن عظيم ما هم فيه وسببه، قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا -ونحن بين أهلينا- خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة"(٤٢٩٢).

عن إبراهيم التيمي، قال: "ينبغي لمن يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}، وينبغي لمن يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا :{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ}"(٤٢٩٣).

قوله تعالى:{فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور : ٢٧]، أي:" فمنَّ الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب سموم جهنم، وهو نارها وحرارتها"(٤٢٩٤).

(٤٢٨٧)تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) ٢٤/ ٣٦.
(٤٢٨٨) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٤٢٨٩) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٢.
(٤٢٩٠)أخرجه الثعلبي ٩/ ١٢٩، والبغوي ٧/ ٣٩٠.
(٤٢٩١)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٥.
(٤٢٩٢) التفسير الميسر: ٥٢٤.
(٤٢٩٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٧٩٩٨):ص٣١٨٣/١٠، والدر المنثور: ٢٩/٧.

قال الحسن: "السموم: اسم من أسماء النار وطبقة من طبقات جهنم"[٤٢٩٥].

عن مسروق، عن عائشة أنها قرأت هذه الآية: "{فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} فقالت: اللهم منَّ علي وقني عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم"[٤٢٩٦].

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، قال: "غدوت يوما، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة - رضي الله عنها - فأسلم عليها، فوجدتها ذات يوم تصلي السبحة[٤٢٩٧]، وهي تقرأ: {فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم (٢٧)} وترددها وتبكي، فقمت حتى مللت ثم ذهبت إلى السوق في حاجتي ثم رجعت، فإذا هي قائمة تقرؤها وتبكي وتدعو"[٤٢٩٨].

قوله تعالى:{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ } [الطور : ٢٨]، أي:" إنا كنا من قبلُ نضرع إليه وحده لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السَّموم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا، إنه هو البَرُّ الرحيم. فمن بره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا مِن سخطه والنار "[٤٢٩٩].

عن الضحاك:" {إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ} الصادق فيما وعد"[٤٣٠٠].

عن مسروق، عن عائشة ؛ "أنها قرأت هذه الآية :{فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} فقالت : اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم"[٤٣٠١].

عن أسماء: "أنها قَرأتْ هذه الآية، فوقفتْ عليها، فجَعلت تستعيذ وتدعو"[٤٣٠٢].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة {ندعوه إنه} بالكسر، وقرأ نافع والكسائى «أنه» نصبا، وقال ابن جماز عن نافع إنه كسر مثل حمزة[٤٣٠٣].

القرآن

{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)} [الطور : ٢٩]

التفسير:

فذكِّر -أيها الرسول- مَن أُرسلت إليهم بالقرآن، فما أنت بإنعام الله عليك بالنبوة ورجاحة العقل بكاهن يخبر بالغيب دون علم، ولا مجنون لا يعقل ما يقول كما يَدَّعون.

قوله تعالى:{فَذَكِّرْ} [الطور : ٢٩]، أي:" فذكِّر -أيها الرسول- مَن أُرسلت إليهم بالقرآن"[٤٣٠٤].

عن مجاهد في قوله:" {وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ}، قال: ذكِّر بالقرآن"[٤٣٠٥].

(٤٢٩٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٢٩٥) تفسير الثعلبي: ٢٥/٤٠-٤١، (د. دار التفسير)، وأورده الماوردي ونسبه إلى الأصم، انظر: "النكت والعيون" ٥/ ٣٨٣، "الوسيط" للواحدي ٥/ ١٨٨، "معالم التنزيل" للبغوي ٧/ ٣٩١، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ٧٠.

(٤٢٩٦) تفسير إسحاق البستي(١١٦١):ص٤٥٣/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٨٦):ص٣٣١٦/١٠.

(٤٢٩٧)يقال للذكر ولصلاة النافلة سبحة. [انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير ٢/ ٣٣١].

(٤٢٩٨) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٢/٢٥، و أخرجه الإمام أحمد في "الزهد" (ص ٢٠٥). [صحيح، رجاله كلهم ثقات]

(٤٢٩٩) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٣٠٠)تفسير البغوي ٧/ ٣٩١.

(٤٣٠١) رواه ابن أبي حاتم (١٨٦٨٦):ص٣٣١٦/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٧، ورواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في شعيب الإيمان كما في الدر المنثور للسيوطي (٦٣٤/٧).

(٤٣٠٢)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢١١. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأحمد في الزهد.

(٤٣٠٣) انظر: السبعو في القراءات: ٦١٣.

(٤٣٠٤) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٣٠٥)أخرجه إسحاق بن راهويه -كما في المطالب (٤١١٥) -. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)} [الطور : ٣٠-٣١]

التفسير:

أم يقول المشركون لك -أيها الرسول-: هو شاعر ننتظر به نزول الموت؟ قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: :{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : ٣١]"(٤٣٠٦).

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : ٣١]، أي:" أم يقول المشركون لك -أيها الرسول-: هو شاعر ننتظر به نزول الموت؟"(٤٣٠٧).

وفي قوله تعالى:{رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : ٣١]، وجهان:

أحدهما : الموت ، قاله قتادة(٤٣٠٨)، ومنه قول الشاعر(٤٣٠٩):

تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ المَنُونِ لَعَلَّهَا ... سَيَهْلِكُ عَنْها بَعْلُها أو تُسَرَّحُ

قال قتادة:" قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان"(٤٣١٠).

عن قتادة:" {رَيْبَ الْمَنُونِ}، قال: هو الموت، نَتربَّص به الموت، كما مات شاعر بني فلان، وشاعر بني فلان"(٤٣١١).

الثاني : حوادث الدهر، قاله مجاهد(٤٣١٢). والمنون : الدهر ، قال أبو ذؤيب(٤٣١٣):

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِه تَتَوَجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ

وروي عن أبي سنان: "{رَيْبَ الْمَنُونِ}، قال: ريب الدنيا، والمنون: الموت"(٤٣١٤).

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم -من طريق عبيد- قال: "وما رَيبُ المَنُون فتَربَّصوا إني معكم من المُتربِّصين؟ فيقال: هو الموت، وأحداث الدهر منه"(٤٣١٥).

قوله تعالى:{قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} [الطور : ٣١]، أي:" قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة"(٤٣١٦).

(٤٣٠٦) أخرجه الطبري ٤٧٩/٢٢.

(٤٣٠٧) التفسير الميسر: ٥٢٤.

(٤٣٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(٤٣٠٩) أنشده ابن زيد، نظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٢، والبيت في اللسان(ربص):ص٣/ ١٥٥٨، وتفسير القرطبي: ١٠٨/٣، و٧٢/١٧، والدر المنثور (٦/ ١٢٠) وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء، وهو أيضا في فتح القدير (١/ ٢٣٢) (٥/ ٩٩). ولم أقف على قائله.

(٤٣١٠) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(٤٣١١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٨.

(٤٣١٢) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٤، وتفسير الطبري: ٤٧٨/٢٢.

(٤٣١٣)البيت مطلع مرثيته الجيدة. وهو في ديوانه ١/١، والمفضليات ٤٢١، واللسان ٣٠٣/١٧ و ٣٠٤، وتفسير القرطبي ١٧٠/١٦ و ٧٢/١٧، والبحر ٤٩٤/٧ و ١٥١/٨.

(٤٣١٤) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٢.

(٤٣١٥)أخرجه إسحاق البستي ص ٤٥٣.

(٤٣١٦) التفسير الميسر: ٥٢٤.

قال الحسن البصري: "قال الله للنبي: {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ}، كانوا يتربّصون بالنبي أن يموت، وكان النبي يتربّص بهم أن يأتيهم العذاب"(٤٣١٧).

فجاء في التفسير:" أن هؤلاء الذين قالوا هذا - وكان فيهم أبو جهل - هلكوا كلهم قبل وفاة رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم -"(٤٣١٨).

القرآن

{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)} [الطور : ٣٢]

التفسير:

بل أتأمر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟ ذلك أن صفات الكهانة والشعر والجنون لا يمكن اجتماعها في آن واحد، بل هم قوم متجاوزون الحدَّ في الطغيان.

قوله تعالى:{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا} [الطور : ٣٢]، أي:" بل أتأمر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟"(٤٣١٩).

عن زيد بن اسلم:"{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ}، قال: العقول"(٤٣٢٠).

قيل لعمرو بن العاص: "ما بالُ قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم اللهُ سبحانه بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادَها الله"(٤٣٢١).

قوله تعالى:{أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الطور : ٣٢]، أي:" بل هم قوم متجاوزون الحدَّ في الطغيان"(٤٣٢٢).

عن مجاهد، قوله: "{أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}، قال: بل هم قوم طاغون"(٤٣٢٣).

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)} [الطور : ٣٣]

التفسير:

بل أيقول هؤلاء المشركون، اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؟ بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ} [الطور : ٣٣]، أي:" بل أيقول هؤلاء المشركون، اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؟"(٤٣٢٤).

عن عطاء: {تَقَوَّلَهُ}: "افتعله"(٤٣٢٥).

القرآن

(٤٣١٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٠ -.

(٤٣١٨) معاني القرآن: ٦٥/٥.

(٤٣١٩) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٢٠)عزاه ابن حجر في "الفتح": ٨/ ٦٠٢ إلى الطبري من قول زيد بن أسلم، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٦٣٦/٧ إلى ابن جرير. وأخرجه ابن جرير ٤٨٠/٢٢ مطولًا بمعناه من قول ابن زيد.

(٤٣٢١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣١، وعقبه: أي لم يصحبها التوفيق.

(٤٣٢٢) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٢٣) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٢.

(٤٣٢٤) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٢٥) التفسير البسيط للواحدي: ٥٠٣/٢٠. وعلقه عليه:" والتقوّل: تكلف القول، ولا يستعمل إلا في الكذب، لأنه تكلف القول من غير حقيقة بمعنى يرجع إلى أجل". [وانظر: "تهذيب اللغة" ٩/ ٣١١، "اللسان" ٣/ ١٠٨٩]

{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)} [الطور : ٣٤]

التفسير:

فليأتوا بكلام مثل القرآن، إن كانوا صادقين -في زعمهم- أن محمدًا اختلقه.

عن مجاهد :"{سور مثله}، قال: مثل القرآن"(٤٣٢٦).

عن الحسن، في قوله: {سور مثله}، قال: فلا يستطيعون والله أن يأتوا بسورة من مثله ولو حرصوا"(٤٣٢٧).

القرآن

{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)} [الطور : ٣٥]

التفسير:

أخُلِق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وكلا الأمرين باطل ومستحيل. وبهذا يتعيَّن أن الله سبحانه هو الذي خلقهم، وهو وحده الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له.

قوله تعالى:{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} [الطور : ٣٥]، أي:" أخُلِق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد"(٤٣٢٨).

قال ابن كيسان: "أم خلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون"(٤٣٢٩).

القرآن

{أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)} [الطور : ٣٦]

التفسير:

أم خَلَقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟ بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون.

قوله تعالى:{أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الطور : ٣٦]، أي:" أم خَلَقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟"(٤٣٣٠).

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"(٤٣٣١).

قوله تعالى:{بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور : ٣٦]، أي:" بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون"(٤٣٣٢).

القرآن

{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)} [الطور : ٣٧]

التفسير:

أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء.

(٤٣٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٢٨):ص٢٠٠٩/٦.

(٤٣٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٣٠):ص٢٠٠٩/٦.

(٤٣٢٨) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٢٩) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.

(٤٣٣٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٤٣٣٢) التفسير الميسر: ٥٢٥.

قوله تعالى:{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ} [الطور : ٣٧]، أي:" أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها"[٤٣٣٣].

قال عكرمة: "يعني: النبوّة"[٤٣٣٤].

قوله تعالى:{أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور : ٣٧]، أي:" أم هم الغالبون القاهرون حتى يتصرفوا في الخلق كما يشاءون؟ لا بل الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق المالك المتصرف"[٤٣٣٥].

وفي قوله تعالى:{أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور : ٣٧]،، وجهان من التفسير:

أحدها : المسلّطون، قاله الضحاك[٤٣٣٦].

الثاني : أنهم الأرباب ، قاله الحسن[٤٣٣٧]، وعطاء[٤٣٣٨].

قال عطاء: " أم هم أربابٌ قاهرون "[٤٣٣٩].

القرآن

{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)} [الطور : ٣٨]

التفسير:

أم لهم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن الذي هم عليه حق؟ فليأت مَن يزعم أنه استمع ذلك بحجة بينة تصدِّق دعواه.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} [الطور : ٣٨]، أي:" أم لهم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن الذي هم عليه حق؟"[٤٣٤٠].

عن قادة:"{أو سلما في السماء} [الأنعام: ٣٥] يعني: الدرج"[٤٣٤١].

قوله تعالى:{فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [الطور : ٣٨]، أي:" فليأت مَن يزعم أنه استمع ذلك بحجة بينة تصدِّق دعواه"[٤٣٤٢].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٤٣٤٣].

قال مجاهد:" «السلطان المبين»، البرهان والبينة، وقوله: {مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا} [سورة آل عمران: ١٥١ / سورة الأعراف: ٧ / سورة الحج: ٧١] ، قال: بينَةً وبرهانًا"[٤٣٤٤].

القرآن

{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩)} [الطور : ٣٩]

التفسير:

(٤٣٣٣) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٣٤) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.

(٤٣٣٥) صفوة التفاسير: ٢٤٩/٣.

(٤٣٣٦) انظر: النكت والعيون: ٣٨٥/٥.

(٤٣٣٧) انظر: النكت والعيون: ٣٨٥/٥.

(٤٣٣٨) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٣١، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٢، وأورد عقبه: فلا يكونوا تحت أمر ونهي، يفعلون ما شاؤوا"، وانظر: تفسير القرطبي: ٧٥/١٧.

(٤٣٣٩) تفسير الثعلبي: ١٣١/٩.

(٤٣٤٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٤١) تفسير عبدالرزاق(٧٩٦):ص٤٨/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٧٢٤٧):ص١٢٨٤/٤.

(٤٣٤٢) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

(٤٣٤٤) أخرجه الطبري(٢٠٦١٠م):ص٥٣٨/١٦.

أَلِلهِ سبحانه البنات ولكم البنون كما تزعمون افتراء وكذبًا؟
عن قتادة:"{أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ} [الصافات : ١٤٩]، قال: لأنهم قالوا: -يعني مشركي قريش-: لله البنات، ولهم البنون "[٤٣٤٥].
عن مجاهد في قوله: "{وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} [النحل : ٦٢]، قال: قول كفار قريش لنا البنون ولله البنات"[٤٣٤٦].

القرآن
{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠)} [الطور : ٤٠]
التفسير:
بل أتسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركون أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟
عن قتادة، قوله: "{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}، يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرا يُجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام"[٤٣٤٧].

القرآن
{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١)} [الطور : ٤١]
التفسير:
أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك; فإنه لا يعلم الغيب في السموات والأرض إلا الله.
قال قتادة: "لَمّا قالوا: {نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} قال الله تعالى: {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ} حتى علموا بموت محمد، وإلى ما يؤول أمره؟"[٤٣٤٨].
قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٤٣٤٩].

القرآن
{أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)} [الطور : ٤٣]
التفسير:
أم لهم معبود يستحق العبادة غير الله؟ تنزَّه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة.
قوله تعالى:{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الطور : ٤٣]، أي:" تنزَّه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة"[٤٣٥٠].
عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٤٣٥١].
عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[٤٣٥٢].

(٤٣٤٥) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١، وابن أبي حاتم(١٨٣٠٢):ص٣٢٣١/١٠. بنحوه.
(٤٣٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٤):ص٢٢٨٧/٧.
(٤٣٤٧) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.
(٤٣٤٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٢.
(٤٣٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٤٣٥٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٧.
(٤٣٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.
(٤٣٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

القرآن

{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)} [الطور : ٤٤]

التفسير:

وإن ير هؤلاء المشركون قطعًا من السماء ساقطًا عليهم عذابًا لهم لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} [الطور : ٤٤]، أي:" وإن يروا بأعينهم ويظهر لهم قطعة عظيمة من السماء تسقط عليهم لتهلكهم وتقضي عليهم"(٤٣٥٣).

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} [الطور : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: قطعاً من السماء، قاله قتادة(٤٣٥٤).

قال قتادة:" وإن يروا قطعا"(٤٣٥٥).

الثاني : جانباً من السماء. قاله الضحاك(٤٣٥٦).

الثالث : عذاباً من السماء، قاله السدي(٤٣٥٧). وسمي كسفاً لتغطيته، والكسف : التغطية ، ومنه أخذ: كسوف الشمس والقمر(٤٣٥٨).

قوله تعالى:{يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ} [الطور : ٤٤]، أي:" لقالوا - من فرط طغيانهم وشدة عنادهم -: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض"(٤٣٥٩).

عن قتادة:" يقولوا {سَحَابٌ مَرْكُومٌ}، يقول: لا يصدّقوا بحديث، ولا يؤمنوا بآية"(٤٣٦٠).

القرآن

{فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦)} [الطور : ٤٥ - ٤٦]

التفسير:

فدع -أيها الرسول- هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهْلكون، وهو يوم القيامة. وفي ذلك اليوم لا يَدْفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئًا، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله

قال الحسن البصري: "{فَذَرْهُمْ حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ}، يعني: كفار آخر هذه الأُمّة الذين يكون هلاكهم بقيام الساعة"(٤٣٦١).

عن اليزيدي عن أبي عمرو، قال: قال عكرمة: إذا اختلف الناس في حرف، فانظر نظرة من القرآن فقس عليه ولا تقس القرآن على الشعر ولا غيره، مثل قوله جل وعلا: {وَانْظُرْ إِلى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا} [البقرة : ٢٥٩]، {إِذَا شَاءَ أَنْشَرَه} [عبس : ٢٢]. {يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} [الطور : ٤٥] تصديق: {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْض} [الزمر : ٦٨]، ومثل: { ملك يَوْمِ الدِّين} [الفاتحة : ٤] تصديق:

(٤٣٥٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١١٣٥/٩.

(٤٣٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢٢.

(٤٣٥٥) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٢.

(٤٣٥٦) تفسير إسحاق البستي(١١٦٤):ص٤٥٤/٢.

(٤٣٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦٠٢ -.

(٤٣٥٨) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.

(٤٣٥٩) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١١٣٥/٩، والتفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٦٠) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٢.

(٤٣٦١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٣ -.

{الْمَلِكُ الْحَقّ} [طه : ١١٤/ المؤمنون: ١١٦]، {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} [الحشر : ٢٣/ الجمعة: ١]، و {مَلِكِ النَّاس} [الناس : ٢]، وما أشبهه"[٤٣٦٢].

وقرأ الأعمش وعاصم وابن عامر:«يُصْعَقُونَ»، بضم الياء وفتح العين، أي: يهلكون[٤٣٦٣].

القرآن

{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧)} [الطور : ٤٧]

التفسير:

وإن لهؤلاء الظلمة عذابًا يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسبي وعذاب البرزخ وغير ذلك، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.

قوله تعالى:{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} [الطور : ٤٧]، أي:" وإن لهؤلاء الظلمة عذابًا يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسبي وعذاب البرزخ وغير ذلك"[٤٣٦٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} [الطور : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : الجوع لقريش في الدنيا ، قاله مجاهد[٤٣٦٥]، والضحاك[٤٣٦٦].

قال الضحاك:" هو الجوع والقَحْط سبع سنين"[٤٣٦٧].

الثاني : المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد، قاله الحسن[٤٣٦٨].

الثالث : عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة، قاله زاذان [أبو عمر الكندي] [٤٣٦٩].

عن قتادة: "أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ}"[٤٣٧٠].

والصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ فقال: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} فكلّ ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة[٤٣٧١].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الطور : ٤٧]، أي:" ولكن أكثرهم لا يعلمون أن العذاب نازل بهم"[٤٣٧٢].

عن الحسن: "{ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} أي جماعتهم {لا يَعْلَمُونَ} يعني مَن لا يؤمن به"[٤٣٧٣].

(٤٣٦٢)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٣٧٨):ص١٢٢/١.

(٤٣٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٢، والكشف والبيان: ١٣٢/٩.

(٤٣٦٤) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٦٥)تفسير مجاهد ص ٦٢٤، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٨ من طريق ابن جُرَيْج، و الطبري: ٤٨٧/٢٢ بنحوه، بلفظ:" قال: الجوع". وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٣٦٦)تفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.

(٤٣٦٧)تفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.

(٤٣٦٨) انظر: النكت والعيون: ٣٨٦/٥.

(٤٣٦٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٨، وهناد (٣٥٥)، وإسحاق البستي ص ٤٥٥.

(٤٣٧٠) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٢.

(٤٣٧١) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢.

(٤٣٧٢) صفوة التفاسير: ٢٥١/٣، والتفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٣٧٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٣ -.

القرآن
{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)} [الطور : ٤٩]
التفسير:
واصبر -أيها الرسول- لحكم ربك وأمره فيما حَمَّلك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك بمرأى منا وحفظ واعتناء، وسبِّح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبِّح بحمد ربك وعظِّمه، وصلِّ له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم.
قوله تعالى:{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الطور : ٤٨]، أي:" واصبر -أيها الرسول- لحكم ربك وأمره فيما حَمَّلك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك"(٤٣٧٤).
قوله تعالى:{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور : ٤٨]، أي:" واصبر -أيها الرسول- لحكم ربك وأمره فيما حَمَّلك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك بمرأى منا وحفظ واعتناء"(٤٣٧٥).
وفي قوله تعالى:{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور : ٤٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : بعلمنا، قاله السدي(٤٣٧٦).
الثاني: بحفظنا وحراستنا، ومنه قوله تعالى لموسى :{وَلِتُصنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه : ٣٩]،أي: بحفظي وحراستي ، قاله الضحاك(٤٣٧٧).
جاء في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي :" من الناس من حمل العين المذكورة في الكتاب على الرؤية، وهذا تأويل، يعني: قال في قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه:٣٩] أي: بمرأى مني، وفي قوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور:٤٨] أي: بمرأى منا، وكذلك في قوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤]، وقد يكون ذلك من صفات الذات، وتكون صفة واحدة، والجمع فيه للتعظيم، ومنهم من حملها على الحفظ والكلاءة -أي: الرعاية- وقال: إنها صفات فعل، والجمع فيها سائغ. ومن قال بأحد هذين زعم أن المراد بالخبر نفي نقص العور عن الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من الآفات والنقائص"(٤٣٧٨).
وقرئ: «بأعينا»، بالإدغام(٤٣٧٩).
قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور : ٤٨]، أي:" وسبِّح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك"(٤٣٨٠).
وفي تفسير قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور : ٤٨]، وجوه:
أحدها : أن يسبح الله إذا قام من مجلسه، قاله سعيد بن جبير(٤٣٨١)، ومجاهد(٤٣٨٢)، وعطاء بن أبي رياح(٤٣٨٣)، وأبو الأحوص-في رواية(٤٣٨٤).

(٤٣٧٤) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤٣٧٥) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤٣٧٦) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(٤٣٧٧) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(٤٣٧٨)شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري،[دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. الدرس:٣٥/٢١].
(٤٣٧٩) انظر: الكشاف: ٤١٥/٤.
(٤٣٨٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.
(٤٣٨١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.
(٤٣٨٢) تفسير مجاهد: ٦٢٤، والدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى الفريابي، وابن المنذر.
(٤٣٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩١):ص٣٣١٧/١٠.
(٤٣٨٤) رواه عنه سفيان الثوري كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٧.

عن طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح: أنه حدثه، عن قول الله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، يقول: "حين تقوم من كل مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كان غير ذلك كان هذا كفارة له"(٤٣٨٥).

عن أبي الأحوص :"{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} قال : إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك"(٤٣٨٦).

قال سعيد بن جُبَير: "{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، أي: قُلْ حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك. فإن كان المجلس خيرًا ازددتَ فيه إحسانًا، وإن كان غير ذلك كان كفارة له"(٤٣٨٧).

عن مجاهد:" {وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، قال: من كلّ مجلس"(٤٣٨٨).

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك"(٤٣٨٩).

الثاني : حين تقوم من منامك، ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله، قاله أبو الجوزاء(٤٣٩٠)، وأبو الأحوص(٤٣٩١)، وحسان بن عطية(٤٣٩٢)،وذكره عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه(٤٣٩٣).

ويتأيد هذا القول بما رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : رب اغفر لي - أو قال : ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى تقبلت صلاته"(٤٣٩٤).

قال أبو الأحوص:" من كل منامة، يقول حين يريد أن يقوم: سبحانَك وبحمدك"(٤٣٩٥).

عن أبي الأحوص عوف بن مالك: "{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}، قال: سبحان الله وبحمده"(٤٣٩٦).

وعن زيد بن اسلم:" حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر"(٤٣٩٧).

الثالث : أنه التسبيح إذا قام إلى الصلاة المفروضة. قاله الضحاك(٤٣٩٨)، والربيع بن أنس(٤٣٩٩)، والقرظي(٤٤٠٠).

عن الضحاك:"{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، قال: حين تقوم إلى الصلاة تقول هؤلاء الكلمات: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك"(٤٤٠١)(٤٤٠٢).

(٤٣٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩١):ص٣٣١٧/١٠.
(٤٣٨٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٧.
(٤٣٨٧)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٤.
(٤٣٨٨) تفسير مجاهد: ٦٢٤، والدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى الفريابي، وابن المنذر.
(٤٣٨٩)سنن الترمذي برقم (٣٤٣٣) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٢٣٠) والمستدرك (٥٣٦/١).
(٤٣٩٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٧.
(٤٣٩١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٢-٤٨٩.
(٤٣٩٢) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(٤٣٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(٤٣٩٤)المسند (٣١٣/٥) وصحيح البخاري برقم (١١٥٤) وسنن أبي داود برقم (٥٠٦٠) وسنن الترمذي برقم (٣٤١٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٩٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٨).
(٤٣٩٥) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٢-٤٨٩.
(٤٣٩٦) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(٤٣٩٧) انظر: النكت والعيون: ٣٨٧/٥.
(٤٣٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢.
(٤٣٩٩)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٥.
(٤٤٠٠)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٠٨ (٢١٢).

قال الربيع بن أنس: "{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} إذا قمتَ إلى الصلاة فقُلْ: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك"(٤٤٠٣).

عن محمد بن كعب القُرَظيّ -من طريق أسامة بن زيد- :"أنه سمعه تلا هذه الآية: {وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، قال: حين تقوم للصلاة"(٤٤٠٤).

وقال الحسن البصري: "{وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} من مقامك، يعني: صلاة الصبح"(٤٤٠٥).

وروي عن عمر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة(٤٤٠٦)، ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك(٤٤٠٧).

والصواب" قول من قال: معنى ذلك: وصلّ بحمد ربك حين تقوم من مَنامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عنى صلاة الظهر، وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضحاك لكان فرضا أن يُقال لأن قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد. قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة بأن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيحمل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلا لنا على أنه أُريد به الندب والإرشاد. وإنما قلنا: عُني به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر; فلما أمر بعد قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، بالتسبيح بعد إدبار النجوم، وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلا عُلِم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل(٤٤٠٨).

عن سعيد بن المسيّب، قال: "حقٌّ على كلّ مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول: سبحان الله وبحمده؛ لأن الله يقول لنبيّه: {وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}"(٤٤٠٩).

قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} [الطور : ٤٩]، أي:" ومن الليل فسبِّح بحمد ربك وعظِّمه، وصلِّ له"(٤٤١٠).

عن مجاهد :"{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}، قال: من الليل كله"(٤٤١١).

قوله تعالى:{وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور : ٤٩]، أي:" وصلِّ له في آخر الليل حين تدبر وتغيب النجوم بضوء الصبح"(٤٤١٢).

(٤٤٠١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٩، وابن أبي شيبة ١/ ٢٣٢، والطبري: ٤٨٩/٢٢. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر. وأورده الثعلبي ٩/ ١٣٣، وقال عقبه: وعن الضحاك أيضًا: قل حين تقوم إلى الصلاة: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا.

(٤٤٠٢)قال النحاس:" فأما قول الضّحاك إنه في افتتاح الصلاة فبعيد لاجتماع الحجة لأن الافتتاح في الصلاة غير واجب ولو أمر الله جلّ وعزّ به لكان واجبا إلّا أن تقوم الحجة أنّه على الندب والإرشاد". [إعراب القرآن: ١٧٧/٤].

(٤٤٠٣)تفسير الثعلبي ٩/ ١٣٣، وتفسير البغوي ٧/ ٣٩٥.

(٤٤٠٤)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٠٨ (٢١٢).

(٤٤٠٥)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٠٣ -.

(٤٤٠٦) انظر: صحيح مسلم برقم (٣٩٩).

(٤٤٠٧) انظر: المسند (٥٠/٣) وسنن أبي داود برقم (٧٧٥) وسنن الترمذي برقم (٢٤٢) وسنن النسائي (١٣٢/٢) وسنن ابن ماجة برقم (٨٠٤).

(٤٤٠٨) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٢-٤٩٠.

(٤٤٠٩) الدر المنثور: ٦٣٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٤١٠) التفسير الميسر: ٥٢٥.

(٤٤١١) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٢.

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور : ٤٩]، قولان:
أحدهما : أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر. قاله الحسن[٤٤١٣]، وقتادة[٤٤١٤]، والشعبي[٤٤١٥]، وإبراهيم[٤٤١٦].

عن الحسن بن علي: {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} [الطور: ٤٩] ركعتان قبل الصبح، {وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} [ق: ٤٠] : «ركعتان بعد المغرب»[٤٤١٧].

عن الشعبي قال: "{وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}، الركعتين بعد المغرب {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} الركعتين قبل الصبح"[٤٤١٨].

عن إبراهيم:" أنه قال في هذه الآية: {وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} قال: الركعتين قبل الصبح {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} ركعتين بعد المغرب"[٤٤١٩].

وقد روى في حديث ابن سيلان، عن أبي هريرة مرفوعا : "لا تَدَعُوهما، وإن طردتكم الخيل"[٤٤٢٠]. يعني : "ركعتي الفجر"[٤٤٢١].

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت : "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر"[٤٤٢٢].

وفي لفظ لمسلم : "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"[٤٤٢٣].

وفي لفظ للطبري: "هما خيرٌ مِنَ الدُّنْيا جميعا"[٤٤٢٤].

قال قتادة:"كنا نحدّث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر. قال: وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لهما أحبّ إليّ من حُمْر النَّعَم"[٤٤٢٥].

الثاني: أن معنى التسبح {إِدْبَارَ النُّجُومِ}: صلاة الصبح الفريضة. قاله الضحاك[٤٤٢٦]، وزيد بن أسلم[٤٤٢٧].

عن ابن زيد، عن ابيه:" {وأدبار السجود}، قال: النوافل خلف الصلوات، قال: {وإدبار النجوم}، قال: صلاة الصبح"[٤٤٢٨].

والصواب عنى بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}، والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين، ولم تقم حجة يجب التسليم لها، أن قوله فسبحه على الندب[٤٤٢٩].

(٤٤١٢) صفوة التفاسير: ٢٥١/٣.
(٤٤١٣) تفسير عبدالرزاق(٢٩٦٨):ص٢٣٣/٣.
(٤٤١٤) انظر: عبدالرزاق(٣٠١٩):ص٢٤٧/٣، وتفسير الطبري: ٤٩٠/٢٢.
(٤٤١٥) تفسير إسحاق البستي(١٠٤٩):ص٤١٤/٢.
(٤٤١٦) تفسير إسحاق البستي(١٠٥١):ص٤١٤/٢.
(٤٤١٧) تفسير عبدالرزاق(٢٩٦٨):ص٢٣٣/٣.
(٤٤١٨) تفسير إسحاق البستي(١٠٤٩):ص٤١٤/٢.
(٤٤١٩) تفسير إسحاق البستي(١٠٥١):ص٤١٤/٢.
(٤٤٢٠)رواه أبو داود في السنن برقم (١٢٥٨).
(٤٤٢١) تفسير ابن كثير: ٤٤١/٧.
(٤٤٢٢)صحيح البخاري برقم (١١٦٩) وصحيح مسلم برقم (٧٢٤).
(٤٤٢٣) صحيح مسلم برقم (٧٢٥).
(٤٤٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(٤٤٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(٤٤٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢.
(٤٤٢٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٣٩):ص٣٣٩/٢.
(٤٤٢٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٣٩):ص٣٣٩/٢.
(٤٤٢٩) تفسير الطبري: ٤٩١/٢٢-٤٩٢.

وقرئ: «وأدبار»، بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت[٤٤٣٠].

«آخر تفسير سورة (الطور)، والحمد لله وحده»

(٤٤٣٠) انظر: الكشاف: ٤/٤١٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النجم»

«سورة النجم»: هي السورة الثالثة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة والعشرون بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الإخلاص، وقبل سورة عبس، آياتها اثنتان وستون في عد الكوفيين، وواحدة في عد الباقين. وكلماتها ثلاثمائة وستون، وحروفها ألف وأربعمائة وخمسون. والآيات المختلف فيها ثلاث: {مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : ٢٨]، {عَنْ مَنْ تَوَلَّى} [النجم : ٢٩]، {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]. مجموع فواصل آياتها: «واه»[٤٤٣١].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٤٤٣٢]، وابن الزبير[٤٤٣٣].

الثاني : أنها مكية إلا آية منها، وهي {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ} [النجم : ٣٢]، الآية. قاله ابن عباس[٤٤٣٤]، وقتادة[٤٤٣٥]، ومقاتل[٤٤٣٦].

قال ابن عاشور:" ونسب إلى الحسن البصري: أن السورة كلها مدنية، وهو شذوذ"[٤٤٣٧].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٤٤٣٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٤٤٣٩].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين، وهي أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون"[٤٤٤٠].

(٤٤٣١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٣.

(٤٤٣٢)الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٤٣٣)الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٤٣٤) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.

(٤٤٣٥) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.

(٤٤٣٦) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٣/٤.

(٤٤٣٧) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.

(٤٤٣٨)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٣/١.

(٤٤٣٩) زاد المسير: ١٨٣/٤.

(٤٤٤٠) المحرر الوجيز: ١٩٥/٥.

القرآن
{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)} [النجم : ١-٤]
التفسير:
أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، وليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه. ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى:{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم : ١]، أي:" أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد"(٤٤٤١).
وفي تفسير قوله تعالى:{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، أقوال:
أحدها : معناه: والقرآن إذا نزل. لأنه كان ينزل نجوماً متفرقة. قاله الأعمش عن مجاهد(٤٤٤٢).
عن المنهال بن عمرو -رفعه إلى عبد الله- في قوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ}، قال: هو محكم القرآن"(٤٤٤٣). قال محمد أبو زكريا: يعني: الذي لم ينسخ"(٤٤٤٤).
عن قتادة: "{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}، قال: قال عُتبة بن أبي لهب: كفرتُ بربّ النجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَمَا تَخَافُ أَنْ يَأْكُلَكَ كَلْبُ اللهِ" قال: فخرج في تجارة إلى اليمن، فبينما هم قد عرَّسوا، إذ سمعَ صوتَ الأسد، فقال لأصحابه إني مأكول، فأحدقوا به، وضرب على أصمخّتهم فناموا، فجاء حتى أخذه، فما سمعوا إلا صوته"(٤٤٤٥).
الثاني : معناه: والثريا إذا سقطت، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد(٤٤٤٦)، لأنهم كانوا يخافون الأمراض عند طلوعها.
قال مجاهد:" يعني: "الثريا، إذا سقط مع الفجر"(٤٤٤٧). وفي لفظ :"الثريا إذا غابت"(٤٤٤٨)، وفي لفظ: قال: "الثريا إذا وقعت"(٤٤٤٩).
الثالث : أنها الزهرة، قاله السدي(٤٤٥٠). لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها(٤٤٥١).
الرابع : أنها جماعة النجوم، أي: نجوم السماء كلها دون تحديد، عبر عنها باسم الجنس. وهذا قول الحسن(٤٤٥٢)، وقتادة(٤٤٥٣)، هو مروي عن مجاهد أيضاً(٤٤٥٤).
عن محمد ابن كعب القرظي:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في: {والنجم إذا هوى}"(٤٤٥٥).

(٤٤٤١) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤٤٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٤٩٥-٤٩٦.
(٤٤٤٣) رواه الفراء في معاني القرآن: ٣/٩٤.
(٤٤٤٤) معاني القرآن: ٣/٩٤.
(٤٤٤٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٤٩٦.
(٤٤٤٦) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٥، وتفسير الطبري: ٢٢/٤٩٥.
(٤٤٤٧) تفسير مجاهد: ٦٢٥، وتفسير الطبري: ٢٢/٤٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٣):ص٣٣١٨/١٠.
(٤٤٤٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٣):ص٣٣١٨/١٠.
(٤٤٤٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٦٩٣):ص٣٣١٨/١٠.
(٤٤٥٠) انظر: النكت والعيون: ٥/٣٨٩، وزاد المسير: ٤/١٨٣.
(٤٤٥١)النكت والعيون: ٥/٣٨٩.
(٤٤٥٢) انظر: النكت والعيون: ٥/٣٨٩.
(٤٤٥٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٥/٢٨٣.
(٤٤٥٤) انظر: زاد المسير: ٤/١٨٣. بدون سند.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قرأ بالنجم فسجد وسجد الناس معه إلا رجلين"[٤٤٥٦].

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه -: "أنه قرأ عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنجم فلم يسجد فيها"[٤٤٥٧].

قوله تعالى:{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم : ٣]، أي:" وليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه"[٤٤٥٨].

قال قتادة:" أي: ما ينطق عن هواه "[٤٤٥٩].

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٤]، أي:" ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم"[٤٤٦٠].

عن قتادة:" قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم"[٤٤٦١].

القرآن

{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)} [النجم : ٥-١١]

التفسير:

علَّم محمدًا صلى الله عليه وسلم مَلَك شديد القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا جبريل من الرسول صلى الله عليه وسلم، فزاد في القرب، فكان دنوُّه مقدار قوسين أو أقرب من ذلك. فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام. ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره.

قوله تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم : ٥]، أي:" علَّم محمدًا صلى الله عليه وسلم القرآن مَلَك شديد القوة، وهو جبريل -عليه السلام-"[٤٤٦٢].

عن قتادة، والربيع: "{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}، يعني: جبريل"[٤٤٦٣].

قوله تعالى: {ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} [النجم : ٦]، أي:" ذو حصافة في العقل، وقوةٍ في الجسم، فاستقرَّ جبريل على صورته الحقيقية"[٤٤٦٤].

عن الربيع: "{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}: جبريل عليه السلام"[٤٤٦٥].

وفي قوله تعالى: {ذُو مِرَّةٍ} [النجم : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: ذو منظر حسن. وهو معنى قول قتادة[٤٤٦٦].

قال قتادة:" ذو خَلْق طويل حَسن"[٤٤٦٧].

(٤٤٥٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٢٩):ص١٠١/٣.

(٤٤٥٦) رواه الشافعي في "التفسير": ١٢٩١/٣.

(٤٤٥٧) رواه الشافعي في "التفسير": ١٢٩١/٣. وسبق تخريج الحديث في مقدمة السورة.

(٤٤٥٨) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٤٤٥٩) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٢.

(٤٤٦٠) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٤٤٦١) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٢.

(٤٤٦٢) انظر: صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣، والتفسير الميسر: ٥٢٦.

(٤٤٦٣) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٢.

(٤٤٦٤) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.

(٤٤٦٥) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٢.

(٤٤٦٦) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٢.

الثاني : ذو قوة، قاله مجاهد[٤٤٦٨]، والحسن[٤٤٦٩]، وقتادة[٤٤٧٠].
قال مجاهد:" ذو قوة؛ جبريل"[٤٤٧١].
ولا منافاة بين القولين السابقين؛ فإنه، عليه السلام، ذو منظر حسن، وقوة شديدة[٤٤٧٢].
الثالث : ذو غناء، قاله الحسن[٤٤٧٣].
و«المرّة»: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات. والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قويا، لأن المرة واحدة المرر، وإنما أُريد به: ذو مرة سوية. وإذا كانت المرّة صحيحة، كان الإنسان صحيحا. ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَحِلُّ الصَّدقَةُ لِغَنِيّ، وَلا لذي مرةٍ سَوِيَّ»[٤٤٧٤]"[٤٤٧٥].
قوله تعالى: {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} [النجم : ٧]، أي:" وهو بأفق السماء حيث تطلع الشمس جهة المشرق"[٤٤٧٦].
قال الحسن: «بأفق المشرق الأعلى منهما»[٤٤٧٧].
قال قتادة:" والأفق :الذي يأتي منه النهار"[٤٤٧٨].
وفي قوله تعالى:{فَاسْتَوَى(٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} [النجم : ٦-٧]، قولان:
أحدهما: انه جبريل-عليه السلام-. وهذا قول مجاهد[٤٤٧٩]، وقتادة[٤٤٨٠]، والربيع[٤٤٨١]، وعلقمة[٤٤٨٢]، ومرة بن شراحيل[٤٤٨٣]، وأكثر أهل التفسير[٤٤٨٤].

(٤٤٦٧) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(٤٤٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(٤٤٦٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.
(٤٤٧٠) انظر: النكت والعيون: ٣٩٢/٥.
(٤٤٧١)تفسير مجاهد: ص ٦٢٥، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق: ٤/ ٣٢٢، وفتح الباري: ٨/ ٦٠٤ - ، والطبري: ٢٢/ ٤٩٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٤٧٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.
(٤٤٧٣) انظر: النكت والعيون: ٣٩٢/٥.
(٤٤٧٤)حديث ابن عمرو: أخرجه ابن أبى شيبة (٤٢٤/٢، رقم ١٠٦٦٣) ، وأحمد (١٦٤/٢، رقم ٦٥٣٠) ، وأبو داود (١١٨/٢، رقم ١٦٣٤) ، والترمذى (٤٢/٣، رقم ٦٥٢) وقال: حسن، والحاكم (٥٦٥/١، رقم ١٤٧٨) ، والبيهقى (١٣/٧، رقم ١٢٩٣٤) . وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ٣٠٠، رقم ٢٢٧١) ، وعبد الرزاق (١١٠/٤، رقم ٧١٥٥) ، والدارمى (٤٧٢/١، رقم ١٦٣٩) ، وابن الجارود (ص ٩٩، رقم ٣٦٣) .
حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٣٨٩/٢، رقم ٩٠٤٩) ، والنسائى (٩٩/٥، رقم ٢٥٩٧) ، وابن ماجه (٥٨٩/١، رقم ١٨٣٩) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣٢٣/٧، رقم ٣٦٥٠٧) ، وابن خزيمة (٧٨/٤، رقم ٢٣٨٧) ، وأبو يعلى (٦٢/١١، رقم ٦١٩٩) ، وابن حبان (١٨٧/٨، رقم ٣٣٩٤) ، والدارقطنى (١١٨/٢) ، والحاكم (٥٦٥/١، رقم ١٤٧٧) .
حديث جابر: أخرجه الخطيب (٣١٩/١١) .
حديث ابن أبى بكر: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٩١/٣) . وأخرجه أيضا: البزار (٢٣٨/٦، رقم ٢٢٧١) . قال الهيثمى (٩١/٣) : فيه ابن لهيعة وفيه كلام.
حديث حبشى: أخرجه أيضا: الطبرانى (١٤/٤، رقم ٣٥٠٤) .
ومن غريب الحديث: "لذى مرة": أي: صاحب قوة.
(٤٤٧٥) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢-٥٠٠.
(٤٤٧٦) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٤٤٧٧) تفسير عبدالرزاق(٣٠٢٤):ص٢٤٩/٣.
(٤٤٧٨) تفسير إسحاق البستي(١١٧٠):ص٤٥٧/٢.
(٤٤٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(٤٤٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(٤٤٨١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٢.
(٤٤٨٢) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٢٨٥/٥.
(٤٤٨٣) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٢٨٥/٥.

الثاني: حكي السمعاني عن الحسن البصري في قوله: {فاستوى}: "أنه الله تعالى"[٤٤٨٥]. ثم قال:" والأصح هو الأول"[٤٤٨٦].

عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة- أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله :{وَهُوَ بِالأُفُقِ الأعْلَى}"[٤٤٨٧].

قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} [النجم : ٨]، أي:" ثم اقترب جبريل من محمد وزاد في القرب منه"[٤٤٨٨].

وفي قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} [النجم : ٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أنه جبريل، قاله الحسن[٤٤٨٩]، وقتادة[٤٤٩٠]، والربيع[٤٤٩١].
الثاني: ما روي عن مجاهد، في قوله: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}- قال:" حيث الوتر من القوس، الله من جبريل"[٤٤٩٢].

قوله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم : ٩]، أي:" فكان منه على مقدار قوسين أو أقل"[٤٤٩٣].

وفي تفسير قوله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم : ٩]، ثلاثة أقوال:
أحدها: أن الذي دنا فكان قاب قوسين جبريل من محمد –صلى الله عيه وسلم-. قاله الحسن[٤٤٩٤]، وقتادة[٤٤٩٥]، والربيع[٤٤٩٦].

عن عبدالله بن مسعود في قوله: "{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}، قال: رأى جبرائيل ست مئة جناح في صورته"[٤٤٩٧].

عن مسروق، قال: "قلت لعائشة: ما قوله {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}، فقالت: إنما ذلك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرّة في صورته، فسدّ أفق السماء"[٤٤٩٨].
الثاني: أنه جبريل من ربه. قاله مجاهد[٤٤٩٩].

(٤٤٨٤) حكاه السمعاني في التفسير: ٢٨٥/٥، وانظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٠/٤.
(٤٤٨٥) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨٥/٥.
(٤٤٨٦) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨٥/٥.
(٤٤٨٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.
(٤٤٨٨) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٤٤٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣.
(٤٤٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣.
(٤٤٩١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢.
(٤٤٩٢) تفسير إسحاق البستي(١١٧٢):ص٤٥٨/٢.
(٤٤٩٣) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٤٤٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣، والتفسير البسيط للواحدي: ٢٠/٢١.
(٤٤٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، وتفسير عبدالرزاق في التفسير(٣٠٢٥):ص٢٤٩/٣، والتفسير البسيط للواحدي: ٢٠/٢١.
(٤٤٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٢، والتفسير البسيط للواحدي: ٢٠/٢١.
(٤٤٩٧) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٢.
(٤٤٩٨) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٢-٥٠٥.
(٤٤٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٢.

الثالث: أنه محمد -صلى الله عليه وسلم- من ربه ، قاله محمد بن كعب[٤٥٠٠].

عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: "لَمْ أرَهُ بعَيْني، ورأيتُهُ بفُؤَادي مَرَّتَيْن"، ثم تلا :{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}"[٤٥٠١].

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَمَّا عُرِجَ بي، مَضَى جِبْرِيل حتى جاءَ الجَنَّة، قالَ: فَدَخَلْتُ فأعْطيتُ الكَوْثَر، ثُمَّ مَضَى حتى جاءَ السِّدْرَةَ المُنْتَهَى، فَدَنَا رَبُّكَ فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى، فَأوْحَى إلَى عَبْدِهِ مَا أوْحَى"[٤٥٠٢].

قوله تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ١٠]، أي:" فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحى إليه من أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ"[٤٥٠٣].

وفي قوله تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ١٠]، قولان:

أحدهما : أنه جبريل عليه السلام أوحى إليه ما يوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قاله الحسن[٤٥٠٤]، وقتادة[٤٥٠٥]، والربيع[٤٥٠٦].

قال الربيع:" على لسان جبريل"[٤٥٠٧].

الثاني : أنه محمد -صلى الله عليه وسلم -أوحي إليه على لسان جبريل ، قاله السدي[٤٥٠٨].

وكلا المعنيين صحيح[٤٥٠٩].

قوله تعالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ١١]، أي:" ما كذب قلب محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل الحقيقية"[٤٥١٠].

وفي الذي رأى خمسة، أقوال :

أحدها : رأى ربه بعينه، وهو قول منسوب إلى الحسن[٤٥١١]، وعكرمة[٤٥١٢]، والربيع[٤٥١٣].

عن عكرمة، قال: "سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه؟ قال: نعم. قال: فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} [الأنعام: ١٠٣] ؟ قال: لا أم لك, ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء"[٤٥١٤].

عن المبارك بن فضالة، قال:" كان الحسن يحلف بالله عز وجل لقد رأى محمد ربّه"[٤٥١٥].

(٤٥٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٤٥٠١) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٤٥٠٢) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٢.
(٤٥٠٣) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٤٥٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(٤٥٠٥) انظر: النكت والعيون: ٣٩٣/٥.
(٤٥٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(٤٥٠٧) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٢.
(٤٥٠٨) انظر: النكت والعيون: ٣٩٣/٥.
(٤٥٠٩) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٧.
(٤٥١٠) صفوة التفاسير: ٢٥٥/٣.
(٤٥١١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(٤٥١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(٤٥١٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(٤٥١٤)أخرجه الترمذي(٣٢٧٩):ص٣٩٥/٥، في التفسير، باب ومن سورة النجم، وقال: هذا حديث حسن غريب وابن خزيمة في التوحيد "ص١٩٨" وابن أبي عاصم في السنة "١/ ١٩٠/ ح٤٣٧". وأخرجه ابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه واللالكائي في السنة كما في الدر المنثور "٣/ ٣٣٥" وفي إسناده الحكم بن إبان قال الحافظ عنه: صدوق عابد وله أوهام.
(٤٥١٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.

عن ابن منصور، قال: "سألت عكرمة، عن قوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، قال: أتريد أن أقول لك قد رآه، نعم قد رآه، ثم قد رآه، ثم قد رآه حتى ينقطع النفس"[٤٥١٦].

عن عيسى بن عبيد، قال: "سمعت عكرمة، وسُئل هل رأى محمد ربه، قال نعم، قد رأى ربه"[٤٥١٧].

قال ابن عباس:" إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدا بالرؤية صلوات الله عليهم"[٤٥١٨].

عن عبد الله بن الحرث قال: "اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس: أمّا نحن بنو هاشم فنقول: إنّ محمدا رأى ربّه مرتين، وقال ابن عباس يحبّون أن تكون الخلّة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد. قال: فكبّر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: إن الله سبحانه قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليه السلام، فكلّمه موسى ورآه محمد"[٤٥١٩].

ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة، رضي الله عنهم، وقولُ البغوي في تفسيره : «وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسنُ وعكرمة»[٤٥٢٠]. فيه نظر، والله أعلم[٤٥٢١].

الثاني : أنه رآه في المنام ، قاله السدي[٤٥٢٢].

الثالث :أنه رآه بقلبه. قاله عكرمة[٤٥٢٣]، والربيع[٤٥٢٤]، ورواه ابن الحنفية عن أبيه[٤٥٢٥].

عن أبي صالح: "{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، قال: رآه مرّتين بفؤاده"[٤٥٢٦].

عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: «لَمْ أَرَهُ بعَيْنِي، ورأيتُهُ بفُؤَادي مَرَّتَيْن»، ثم تلا: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}"[٤٥٢٧].

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رَأَيْتُ ربِّي فِي أَحْسَن صُورَةٍ، فَقالَ لي: يا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأ الأعْلى؟ فَقُلْتُ: لا يا رَبّ فَوضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْت ما في السَّماء والأرض، فَقُلْتُ: يا رَبِّ فِي الدَّرَجَاتِ والكَفَّارَاتِ وَنَقْلِ الأقْدَامِ إلى الجُمُعات، وَانْتَظار الصَّلاة بعْد الصَّلاة، فَقُلْتُ: يَا رَبّ إنَّكَ اتَّخَذْتَ إبْراهيم خَليلا وكَلَّمْتَ مُوسَى تَكليما، وفَعَلْتَ وفَعَلْتَ؟ فقال: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أضَعْ عَنْك وِزْرَكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟ ألم أفْعَلْ. قال: "فَأفْضَى إليَّ بأشْيَاءَ لَمْ يُؤذَنْ لي أنْ أُحَدّثكُمُوها; قال: فَذلكَ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ يُحدّثكُمُوهُ: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}،"فَجَعَل نُورَ بَصَري فِي فُؤَادِي، فَنَظَرْتُ إلَيْهِ بفُؤَادِي"[٤٥٢٨].

الرابع : أنه رأى جلاله، قاله الحسن[٤٥٢٩]، ومجاهد[٤٥٣٠]، ورواه عكرمة عن ابن عباس[٤٥٣١].

(٤٥١٦) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(٤٥١٧) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(٤٥١٨) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٢.
(٤٥١٩) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤١/٩.
(٤٥٢٠)انظر: تفسير البغوي :٤٠٣/٧.
(٤٥٢١) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٧.
(٤٥٢٢) انظر: النكت والعيون: ٣٩٤/٥.
(٤٥٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٢.
(٤٥٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٢.
(٤٥٢٥) انظر: الكشف والبيان: ١٤٠/٩.
(٤٥٢٦) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٢.
(٤٥٢٧)أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور "٧/ ٦٤٨" وابن أبي حاتم "ابن كثير ٤/ ٢٦٨" والطبري:٥٠٥/٢٢، وإسناده ضعيف. فيه محمد بن حميد الرازي وهو متهم. وموسى بن عبيدة وهو ضعيف.
(٤٥٢٨) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٢-٥٠٨.
(٤٥٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٦٩٧):ص٣٣١٨/١٠-٣٣١٩، وانظر: النكت والعيون: ٣٩٤/٥.
(٤٥٣٠) انظر: الكشف والبيان: ١٤١/٩.

عباد بن منصور قال: "سألت عكرمة: {ما كذب الفؤاد ما رأى}، فقال: عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم، قال: قد رآه، ثم قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن، فقال: رأى جلاله وعظمته ورداءه"[٤٥٣٢].

عن أبي العالية قال: "سئل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهرا، ورأيت وراء النهر حجابا، ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك»"[٤٥٣٣].

عن عبد الله بن شقيق، قال: "قلت لأبي ذر، لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت، فقال: «رأيت نورا»[٤٥٣٤]. وفي رواية: «قد رأيت نورا، أنى أراه؟»[٤٥٣٥].

الخامس : أنه رأى جبريل على صورته مرتين ، قاله قتادة[٤٥٣٦].

قال قتادة:" رأى جبريل في صورته التي هي صورته، قال: وهو الذي رآه نزلة أخرى"[٤٥٣٧].

قال الشعبي: "فأخبرني مسروق أنّه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد صلّى الله عليه وسلّم ربّه تعالى قط؟، قالت: إنك لتقول قولا، إنّه ليقف منه شعري، قال: قلت: رويدا فقرأت عليها: {وَالنَّجْمِ إذا هَوى حتى قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى}، فقالت: رويدا، أين يذهب بك؟ إنّما رأى جبريل في صورته. من حدّثك أن محمدا رأى ربّه فقد كذب، والله عز وجل يقول: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ}، ومن حدّثك أنّه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب، والله سبحانه يقول: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} الآية، ومن حدّثك أنّ محمدا كتم شيئا من الوحي فقد كذب، والله عز وجلّ يقول: {بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} الآية"[٤٥٣٨]. قال عبد الرزاق: "فذكرت هذا الحديث لعمر، فقال: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس"[٤٥٣٩].

القرآن

{أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)} [النجم : ١٢-١٨]

التفسير:

أتُكذِّبون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟ ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى -شجرة نَبْق- وهي في السماء السابعة، ينتهي إليها ما يُعْرَج به من الأرض، وينتهي إليها ما يُهْبَط به من فوقها، عندها جنة المأوى التي وُعِد بها المتقون. إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. وكان النبي

(٤٥٣١) انظر: الكشف والبيان: ١٤١/٩.

(٤٥٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٧):ص٣٣١٨/١٠-٣٣١٩.

(٤٥٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٨)ص:٣٣١٩/١٠، ورواه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦٤٨/٧) وهو مرسل. قال ابن كثير: ٤٥٠/٧:" غريب جدا".

(٤٥٣٤) صحيح مسلم(١٧٨):ص١٦١/١.

(٤٥٣٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤١/٩.

قال ابن خزيمة في قوله: " نور أنى أراه": هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب: أحدهما الإثبات ومعناه إني أراه, أو كيف أراه فهو نور أو فإن ما أرى نور. ويؤيد هذا رواية "رأيت نورا". المعنى الثاني النفي قال: والعرب قد تقول "أنى" على معنى النفي كقوله عز وجل: {قالوا أنى يكون له الملك علينا} [البقرة: ٢٤٧] الآية, يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه".[ابن خزيمة "ص٢٠٨"]

(٤٥٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٢.

(٤٥٣٧) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٢.

(٤٥٣٨) الكشف والبيان: ١٤١/٩.

(٤٥٣٩) الكشف والبيان: ١٤١/٩.

صلى الله عليه وسلم على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يمينًا ولا شمالا ولا جاوز ما أُمِر برؤيته. لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك.

قوله تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى} [النجم : ١٢]، أي:" أتُكذِّبون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟"(٤٥٤٠).

عن سعيد بن جُبَير أنه كان يقرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ»(٤٥٤١).

إبراهيم النَّخْعي -من طريق مُغيرة- أنه كان يقرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ»(٤٥٤٢).

عن عامر الشعبي، أنّ شُريحًا كان يقرأ: {أفتُمارُونَهُ} بالألف، وكان مسروق يقرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ»"(٤٥٤٣).

عن إبراهيم:" أنه كان يقرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ»، بفتح التاء بغير ألف، يقول: أفتجحدونه; ومن قرأ: {أَفَتُمَارُونَهُ}، قال: أفتجادلونه"(٤٥٤٤).

قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم : ١٣-١٤]، أي:" ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش"(٤٥٤٥).

واختلف أهل التفسير في الذي رأى محمد نزلة أخرى نحو اختلافهم في قوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}، وفيه قولين:

أحدهما: أنه رأى جبريل في صورته مرّتين. قاله مجاهد(٤٥٤٦)، والربيع(٤٥٤٧).

عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن كعب أنه أخبره أن الله تباك وتعالى قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلّمه موسى مرّتين، ورآه محمد مرّتين، قال: فأتى مسروق عائشة، فقال: يا أمّ المؤمنين، هل رأى محمد ربه، فقالت: سبحان الله لقد قفّ شعري لما قلت: أين أنت من ثلاثة من حدّثك بهنّ فقد كذب، من أخبرك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، ومن أخبرك ما في غد فقد كذب، ثم تلت آخر سورة لقمان: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}، ومن أخبرك أن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد كذب، ثم قرأت: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} قالت: ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرّتين"(٤٥٤٨).

عن ابن مسعود: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: رأى جبريل في رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض"(٤٥٤٩).

عن مجاهد: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: رأى جبريل في صورته مرّتين"(٤٥٥٠).

(٤٥٤٠) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٤٥٤١) .

(٤٥٤٢)أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٢، وسعيد بن منصور -كما في التغليق ٤/ ٣٢٣، وفتح الباري ٨/ ٦٠٥ - ، وعبد بن حميد -كما في التغليق ٤/ ٣٢٣ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٥٤٣) الدر المنثور: ٦٤٧/٧، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد.

(٤٥٤٤) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٢.

(٤٥٤٥) التفسير الميسر: ٥٢٦، وصفوة التفاسير: ٢٥٦/٣.

(٤٥٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٢.

(٤٥٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٢.

(٤٥٤٨) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٢-٥١٣.

(٤٥٤٩) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.

(٤٥٥٠) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.

عن الربيع: "{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى}، قال: جبريل عليه السلام"(٤٥٥١).

عن مُرّة الهمداني -من طريق قيس بن وهب- قال: "لم يأتِه جبريلُ في صورته إلا مرتين، فرآه في خَضِرٍ، يتعلّق به الدُّر"(٤٥٥٢).

وروي عن قتادة، في قوله: {ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى}، قال: رأى نورًا عظيمًا عند سِدْرة المنتهى"(٤٥٥٣).

الثاني: أنه رأى ربه عزّ وجلّ بقلبه.

عن العَوّام بن حَوْشَب -من طريق هشيم- في قوله: {ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى}، قال: رآه بقلبه، ولم يره ببصره"(٤٥٥٤).

وفي سبب تسميتها سدرة المنتهى، وجهان :

أحدهما : لأنه ينتهي علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه إلا الله، قاله كعب(٤٥٥٥).

عن الأجلح، قال: "قلت للضحاك: لِم تسمى سدرة المنتهى؟ قال: لأنه ينتهي إليها كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها"(٤٥٥٦).

عن شمر، قال: "جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له حدثني عن قول الله: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش، إليها ينتهي علم كلّ عالم، مَلَك مقرّب، أو نبيّ مرسل، ما خلفها غيب، لا يعلمه إلا الله"(٤٥٥٧).

عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبا، عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة على رءوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاء العلم إليها"(٤٥٥٨).

الثاني: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومنهاجه ، قاله الربيع بن أنس(٤٥٥٩).

قال الربيع:" إليها ينتهي كلّ أحد، خلا على سنة أحمد، فلذلك سميت المنتهى"(٤٥٦٠).

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هُريرة، أو غيره "شكّ أبو جعفر الرازيّ" قال: "لما أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك"(٤٥٦١).

الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء. وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى: لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها، كما قال كعب. وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاء ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها، كما روي عن عبد الله. وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها. وجائز أن يكون قيل

(٤٥٥١) أخرجه الطبري: ٢٢/٥١١-٥١٢.

(٤٥٥٢)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٢٦ -، والبيهقي في التوحيد ص ٨٩٦. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.

(٤٥٥٣) الدر المنثور: ٧/٦٤٩، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد.

(٤٥٥٤)ذيل صحيح ابن خزيمة (٢٣٥) رقم (٢٣٤/ ٣٣١٣). وعزاه إلى إتحاف المهرة لابن حجر ١٨/ ٤٢٨ (٢٣٨٨٢) مع أن ابن حجر عزاه لكتاب التوحيد لابن خزيمة.

(٤٥٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥١٣-٥١٤.

(٤٥٥٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٥١٤. انظر: والدر المنثور: ٧/٦٥٠. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد.

(٤٥٥٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٥١٣-٥١٤.

(٤٥٥٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٥١٤.

(٤٥٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥١٤-٥١٥.

(٤٥٦٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٥١٤-٥١٥.

(٤٥٦١) أخرجه الطبري: ٢٢/٥١٥.

لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصحّ من القول الذي قال ربنا جَلَّ جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى. وبالذي قلنا في أنها شجرة النبق تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أهل العلم[٤٥٦٢].

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَة فإذَا نَبْقُها مثْلُ الجرار، وإذَا وَرَقُها مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ فَلَمَّا غَشيهَا مِنْ أمر اللهِ ما غَشيهَا، تَحَوَّلَتْ ياقُوتا وَزُمُرُّدًا وَنَحْوَ ذلكَ"[٤٥٦٣].

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا انْتَهَيْتُ إلى السَّماءِ السَّابِعَة أَتَيْتُ عَلى إبْرَاهيمَ فَقُلْتُ: يا جبْريلُ مَنْ هَذا؟ قال: هَذا أبُوكَ إبْراهِيمُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبَا بالابن الصَّالحِ والنَّبيّ الصَّالِحِ، قال: ثُمَّ رُفِعَتْ لي سِدرَةُ المُنْتَهَى فحدّث نبيّ الله أنّ نبقها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفِيلة"[٤٥٦٤].

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رَكَبْتُ البُرَاقَ ثُمَّ ذُهِبَ بي إلى سدْرَة المُنتهَى، فَإذَا وَرَقُها كآذَانِ الفِيلَةِ، وإذَا ثمَرُها كالقلال ; قال: فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ الله ما غَشيَها تَغَيَّرتْ، فَمَا أحَدٌ يَسْتَطيعُ أنْ يصِفَها مِنْ حُسْنها[٤٥٦٥]، قال: فأوْحَى اللهُ إليّ ما أوْحَى"[٤٥٦٦].

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره "شكّ أبو جعفر الرازيّ" قال: "لما أُسريَ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمة كلها"[٤٥٦٧].

عن الربيع، عن سدرة المنتهى، قال: "السدرة: شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وإن ورقة منها غَشَّت الأمَّة كلها"[٤٥٦٨].

عن قتادة، في قوله: "{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعتْ لي سدْرَةُ مُنْتَهَاها فِي السَّماءِ السَّابِعَة، نَبْقُها مِثْلُ قِلال هَجرٍ، وَوَرَقُها مِثْلُ آذان الفيلة، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِها نَهْرانِ ظاهِران، ونَهْرانِ باطِنان، قال: قُلْتُ لجِبْرِيلَ ما هَذَانِ النَّهْرَانِ أرْوَاحٌ [٤٥٦٩] قال: أمَّا النَّهْرَانِ الباطِنان، فَفِي الجَنَّة، وأمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَان: فالنِّيلُ والفراتُ""[٤٥٧٠].

قوله تعالى: {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} [النجم : ١٥]، أي:" عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين"[٤٥٧١].

عن قتادة:" {جَنَّةُ المَأْوى}، قال: منازل الشهداء"[٤٥٧٢].

وقال الحسن: "هي التي يصير إليها أهل الجنة"[٤٥٧٣].

(٤٥٦٢) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٢.

(٤٥٦٣) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٢.

(٤٥٦٤) أخرجه اطبري: ٥١٥/٢٢-٥١٦.

(٤٥٦٥) وفي رواية : حتى ما أسْتَطِيعُ أنْ أصِفَها".[تفسير الطبري: ٥١٦/٢٢].

(٤٥٦٦) أخرجه اطبري: ٥١٦/٢٢.

(٤٥٦٧) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٢-٥١٧.

(٤٥٦٨) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٢.

(٤٥٦٩) قال المحقق:" كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية (ج ٢٢: ٥٩ ب) ولعل الكلمة محرفة، أو لعلها زائدة من قلم الناسخ".

(٤٥٧٠) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٢-٥١٨.

(٤٥٧١) صفوة التفاسير: ٢٥٦/٣.

(٤٥٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨/٢٢.

(٤٥٧٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٨٧/٤. بدون سند.

عن أبي إسحاق الشيباني قال: "سئل زر بن حبيش، وأنا أسمع: عندها جنة المأوى، أو جنة المأوى، فقال: جنة من الجنان"[٤٥٧٤].

قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم : ١٦]، أي:" إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل"[٤٥٧٥].

وفي قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم : ١٦]، وجهان:

أحدهما : أن الذي يغشاها فراش من ذهب ، قاله مسروق[٤٥٧٦]، ومجاهد[٤٥٧٧]، وإبراهيم[٤٥٧٨]، ورواه ابن مسعود مرفوعاً[٤٥٧٩].

عن يعقوب بن زيد، قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما رأيتَ يغشى السِّدرة؟ قال: رَأَيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ"[٤٥٨٠].

قال مجاهد:" كأن أغصان السدرة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد فرآها محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه"[٤٥٨١].

الثاني: أنه نور رب العزة ، قاله الضحاك[٤٥٨٢]، والربيع[٤٥٨٣].

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره -شكّ أبو جعفر-، قال: لما أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة، قال: فغشيها نور الخَلاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ"[٤٥٨٤].

قال الربيع:" غشيها نور الربّ، وغشيتها الملائكة من حُبّ الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر"[٤٥٨٥].

وقال مجاهد:" كان أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتا أو زبرجدا، فرآها محمد، ورأى محمد بقلبه ربه"[٤٥٨٦].

قوله تعالى: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم : ١٧]، أي:" وكان النبي صلى الله عليه وسلم على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يمينًا ولا شمالا ولا جاوز ما أُمِر برؤيته"[٤٥٨٧].

عن محمد بن كعب القرظي :"{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}، قال: رأى جبرائيل في صورة المَلَك"[٤٥٨٨].

قوله تعالى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم : ١٨]، أي:" لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك"[٤٥٨٩].

(٤٥٧٤) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٩٧/٣.
(٤٥٧٥) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤٥٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٤٥٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٤٥٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٤٥٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٤٥٨٠) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٢.
(٤٥٨١) تفسير مجاهد: ٦٢٧.
(٤٥٨٢) انظر: النكت والعيون: ٣٩٦/٥.
(٤٥٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٤٥٨٤) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٤٥٨٥) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٤٥٨٦) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٢.
(٤٥٨٧) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤٥٨٨) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٢.
(٤٥٨٩) التفسير الميسر: ٥٢٦.

قال الضحاك:" رأى سِدرة المنتهى"[٤٥٩٠].
وقال مجاهد: "مِن نحو أجياد منسوجٌ بالدُّر والياقوت"[٤٥٩١].

\القرآن
{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)} [النجم : ١٩-٢٠]
التفسير:
أفرأيتم -أيها المشركون- هذه الآلهة التي تعبدونها: اللات والعزَّى ومناة الثالثة الأخرى، هل نفعت أو ضرَّت حتى تكون شركاء لله؟
وأما «اللاّت»، فقد كان الأعمش يشددها[٤٥٩٢]، وسائر القراء على تخفيفها[٤٥٩٣]، فمن خففها فلهم فيها قولان :
أحدهما : أنه كان صنماً بالطائف زعموا أن صاحبه كان يلت عليه السويق لأصحابه ، قاله السدي[٤٥٩٤].
عن قتادة: "{أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى}، أما اللات، فكان بالطائف"[٤٥٩٥]. وفي رواية:" وكانت اللات لأهل الطائف"[٤٥٩٦].
الثاني : أنه صخرة يَلُتّ عليها السويق بين مكة والطائف ، قاله عكرمة[٤٥٩٧].
وأما من شددها فلهم فيها قولان :
أحدهما : أنه رجلاً كان يلُتُّ السَّويقَ للحاجّ، فلمّا مات عكفوا على قبره فعبدوه، قاله مجاهد[٤٥٩٨].
قال مجاهد:" اللات: كان يلتّ السويق للحاجِّ"[٤٥٩٩].
قال مجاهد:" كان يَلُتّ السويق للحاجِّ، فعكف على قبره"[٤٦٠٠].
قال مجاهد:" كان يَلُتّ السويق فمات، فعكفوا على قبره"[٤٦٠١].
قال مجاهد:" رجل يلتّ للمشركين السويق، فمات فعكفوا على قبره"[٤٦٠٢].
عن أبي صالح، في قوله: {اللاتَّ}، قال: اللاتّ: الذي كان يقوم على آلهتهم، يَلُتّ لهم السويق، وكان بالطائف"[٤٦٠٣].
الثاني : أنه كان رجلاً يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق بالطائف. قاله السدي[٤٦٠٤].
وقيل:" إنه عامر بن ظرب العدواني ثم اتخذوا قبره وثناً معبوداً"[٤٦٠٥].

(٤٥٩٠)تفسير الثعلبي ٩/ ١٤٤.
(٤٥٩١)أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٤/ ١١، يعني: رؤية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجبريل.
(٤٥٩٢) وهي قراءة ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وابن السميفع ومجاهد وابن يعمر، وورش عن يعقوب. [زاد المسير: ١٨٨/٤].
(٤٥٩٣) انظر: تفسير اطبري: ٥٢٢/٢٢-٥٢٣، والنكت والعيون: ٣٩٨/٥، وزاد المسير: ١٨٨/٤.
(٤٥٩٤) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(٤٥٩٥) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٥٩٦) تفسير عبدالرزاق(٣٠٣٦):ص٢٥٣/٣.
(٤٥٩٧) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(٤٥٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٥٩٩) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٦٠٠) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٦٠١) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٦٠٢) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٦٠٣) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٢.
(٤٦٠٤) انظر: النكت والعيون: ٣٩٧/٥.
(٤٦٠٥) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.

قال ابن إسحاق: "وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف[٤٦٠٦]:

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إنّ اللهَ مُهْلِكُهَا ... وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ ... وَلَمْ يُقَاتَلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
إنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلَادَكُمْ ... يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ"[٤٦٠٧].

وأما «الْعُزَّى»، ففيه أقوال :

أحدها : أنه صنم كانوا يعبدونه ، قاله الضحاك[٤٦٠٨]، وهو قول الجمهور[٤٦٠٩].

قال قتادة:" كانت العزى لقريش"[٤٦١٠].

عن سعيد بن جُبَير، قال:"{الْعُزَّى}، حَجَرا أبيض"[٤٦١١].

قال قتادة:" أما مناةُ فكانت بقُدَيد، آلهة كانوا يعبدونها، يعني اللات والعُزَّى ومَناة"[٤٦١٢].

الثاني : أنها شجرة لغطفان كانوا يعبدونها، قاله مجاهد[٤٦١٣].

عن مجاهد: "{وَالْعُزَّى}، قال: العُزَّى: شُجيرات"[٤٦١٤].

وقال أبو صالح : "بل كانت نخلة يعلق عليها الستور والعهن"[٤٦١٥].

عن أبي الطُّفَيْلِ، قال : "لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : "ارجع فإنك لم تصنع شيئًا". فرجع خالد، فلما أبصرته السَّدَنة - وهم حَجَبتها - أمعنوا في الحِيَل وهم يقولون : "يا عزى، يا عزى". فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال : "تلك العزى"[٤٦١٦].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى، فليقل : لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه : تعال أقامرْك، فليتصدق"[٤٦١٧].

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال : "حلفت باللات والعزى، فقال لي أصحابي : بئس ما قلت! قلت هجرا! فأتيت رسول صلى الله عليه سلم، فذكرت ذلك له، فقال : «قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وانفث عن شمالك ثلاثا، وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تعد»"[٤٦١٨].

وفي قوله تعالى:{وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}، وجهان:

(٤٦٠٦) الشعر لشداد بن عارض الجشمي، كما في سيرة ابن هشام: ٤٨١/٢، قاله في أبيات حين هدمت اللات وحرقت، ينهى ثقيفا عن العود إليها والغصب لها، والبيت بلا نسبة في: النكت والعيون: ٣٩٨/٥، وتفسير السمعاني: ٢٩٤/٥، وتفسير القرطبي: ١٠٠/١٧.

(٤٦٠٧) .سيرة ابن هشام: ٤٨١/٢-٤٨٢

(٤٦٠٨) انظر: زاد المسير: ١٨٨/٤.

(٤٦٠٩) انظر: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.

(٤٦١٠) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٠٣٦)ص٢٥٢/٣.

(٤٦١١) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.

(٤٦١٢) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.

(٤٦١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٢، وزاد المسير: ١٨٨/٤.

(٤٦١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.

(٤٦١٥) النكت والعيون: ٣٩٨/٥.

(٤٦١٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم (١١٥٦٧).

(٤٦١٧) .

(٤٦١٨)سنن النسائي (٨/٧).

أحدهما: أن {مناة}: صنم لهُذيل وخُزاعة، يعبدها أهل مكة. قاله الضحاك[٤٦١٩].
الثاني: أنها لخزاعة وكانت بقديد. قاله قتادة[٤٦٢٠].
قال قتادة:" هي لخزاعة وكانت بقديد"[٤٦٢١].
قال قتادة:" أما مناةُ فكانت بقُدَيد، آلهة كانوا يعبدونها، يعني اللات والعُزَّى ومَناة"[٤٦٢٢].
قال قتادة:" كانت مناة للأنصار"[٤٦٢٣].
وعن أبي صالح:" أنه كان صنماً بقديد بين مكة والمدينة"[٤٦٢٤].
عن ابن إسحاق، قال: "نصب عمرو بن لحي مناة على ساحل البحر مِمّا يلي قُدَيْد، يحجونها ويطوفونها، إذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا مِن منى أتوا مناة، فأهلُّوا لها، فمَن أهلَّ لها لم يطف بين الصفا والمروة"[٤٦٢٥].
قال ابن إسحاق: "وكانت مناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد"[٤٦٢٦]، "وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : ريام. وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت"[٤٦٢٧]، "وكانت «رُضَاء» بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر[٤٦٢٨] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :
ولقد شَدَدْتُ عَلَى رُضَاء شَدّةً... فَتَرَكْتُها قَفْرًا بِقَاع أسحَمَا"[٤٦٢٩].
قال ابن إسحاق : "وكان ذو الكَعَبَات لبكر وتغلب ابني وائل، وإياد بِسَنْداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :
بَيْنَ الخَوَرْنَق والسَّدير وَبَارِقٍ... والبيت ذو الكَعَبَات من سَنْدَاد"[٤٦٣٠].
وروى عن سعيد بن جبير[٤٦٣١]، وأبي العالية الرياحي[٤٦٣٢]:"قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم، فلما بلغ هذا لموضع أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي. قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا ثم جاءه جبريل بعد ذلك قال: اعرض علي ما جئتك به، فلما بلغ: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي، قال له جبريل:

(٤٦١٩)تفسير الثعلبي ٩/ ١٤٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤٠٨.
(٤٦٢٠) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢، وتفسير الثعلبي: ١٢٣/٢٥. [ط. دار التفسير]
(٤٦٢١)تفسير الثعلبي: ١٢٣/٢٥. [ط. دار التفسير].
(٤٦٢٢) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٢.
(٤٦٢٣) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٠٣٦)ص٢٥٢/٣.
(٤٦٢٤) انظر: النكت والعيون: ٣٩٨/٥.
(٤٦٢٥)أخرجه الفاكهي -كما في الفتح ٨/ ٦١٣ -.
(٤٦٢٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١.
(٤٦٢٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٩/١، وتفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧.
(٤٦٢٨)واسمه. كعب قال ابن دريد. سمي مستوغرا بقوله:
ينش الماء في الربلات منه ... نشيش الرضف في اللبن الوغير
والوغير: فعيل من وغرة الحر وهي شدته. وذكر القتبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل: ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك فقال: ومن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ما هو إلا ابن ابني، فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر.
(٤٦٢٩) السيرة النبوية لابن هشام: ٨٠/١-٨١.
(٤٦٣٠) السيرة النبوية لابن هشام: ٨١/١-٨٢. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٧-٤٥٨.
(٤٦٣١) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٢٥٠٠/٨.
(٤٦٣٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٤٠٠١):ص٢٥٠٢/٨.

لم آتك بهذا، هذا من الشيطان، فأنزل الله:{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُوْلٍ وَلاَ نَبِّيٍ إِلاَّ إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}"[٤٦٣٣].

القرآن

{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)} [النجم : ٢١-٢٣]

التفسير:

أتجعلون لكم الذَّكر الذي ترضونه، وتجعلون لله بزعمكم الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟ تلك إذًا قسمة جائرة. ما هذه الأوثان إلا أسماء ليس لها من أوصاف الكمال شيء، إنما هي أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة، ما أنزل الله بها مِن حجة تصدق دعواكم فيها. ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهوى أنفسهم المنحرفة عن الفطرة السليمة، ولقد جاءهم من ربهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ما فيه هدايتهم، فما انتفعوا به.

قوله تعالى:{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى(٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢١-٢٢]، أي:" أتجعلون لكم الذَّكر الذي ترضونه، وتجعلون لله بزعمكم الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟ تلك إذًا قسمة جائرة"[٤٦٣٤].

وفي قوله تعالى:{تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : قسمة عوجاء، قاله مجاهد[٤٦٣٥].

الثاني : تلك إذا قسمة جائرة لا حقّ فيها، قاله قتادة[٤٦٣٦]، والضحاك [٤٦٣٧].

وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا كبيرا[٤٦٣٨].

الثالث: قسمة منقوصة. قاله مجاهد-أيضا-[٤٦٣٩].

قوله تعالى:{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم : ٢٣]، أي:" ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهوى أنفسهم المنحرفة عن الفطرة السليمة"[٤٦٤٠].

قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[٤٦٤١].

القرآن

{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)} [النجم : ٢٦]

التفسير:

وكثير من الملائكة في السموات مع علوِّ منزلتهم، لا تنفع شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع له.

(٤٦٣٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٢٥٠٠/٨، و(١٤٠٠١):ص٢٥٠٢/٨. وهذه رواية سعيد بن جبير.

(٤٦٣٤) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٤٦٣٥) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٧، وتفسير الطبري: ٥٢٦/٢٢.

(٤٦٣٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٠٥٣):ص٢٥٦/٣، وتفسير الطبري: ٥٢٦/٢٢.

(٤٦٣٧) الدر المنثور: ٦٥٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤٦٣٨) تفسير السعدي: ٨١٩.

(٤٦٣٩) الدر المنثور: ٦٥٤/٧، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(٤٦٤٠) التفسير الميسر: ٥٢٦.

(٤٦٤١)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.

قوله تعالى:{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} [النجم : ٢٦]، أي:" وكثير من الملائكة في السموات مع علوِّ منزلتهم، لا تنفع شفاعتهم شيئًا"(٤٦٤٢).

روى عن كعب الأحبار أنه قال: «ما من موضع شبر في السماء إلا وفيه ملك قائم أو ساجد»"(٤٦٤٣). قوله تعالى:{إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم : ٢٦]، أي:" إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع له"(٤٦٤٤).

قال محمد بن كعب:" أي: فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده؟!"(٤٦٤٥).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨)} [النجم : ٢٧-٢٨]

التفسير:

إن الذين لا يصدِّقون بالحياة الآخرة من كفار العرب ولا يعملون لها ليسمُّون الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم جهلا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله. وما لهم بذلك من علم صحيح يصدِّق ما قالوه، ما يتبعون إلا الظن الذي لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى} [النجم : ٢٧]، أي:" إن الذين لا يصدِّقون بالحياة الآخرة من كفار العرب ولا يعملون لها ليسمُّون الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم جهلا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله"(٤٦٤٦).

عن مجاهد، قوله: "{تَسْمِيَةَ الأُنْثَى}، قال: الإناث"(٤٦٤٧).

قوله تعالى:{ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : ٢٨]، أي:" أنما يتبعون في هذه الأقوال الباطلة إلا الظنون والأوهام، وإن الظنَّ لا يجدي شيئاً، ولا يقوم أبداً مقام الحق"(٤٦٤٨).

عن عطاء: {وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}، قال: "يريد: لا ينتفعون به"(٤٦٤٩).

عن عمر بن الخطاب، قال: "احذروا هذا الرأيَ على الدين، فإنّما كان الرأي مِن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصيبًا؛ لأنّ الله كان يريه، وإنما هو مِنّا تكلُّفٌ وظنٌّ، {وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا}"(٤٦٥٠).

القرآن

{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)} [النجم : ٢٩-٣٠]

التفسير:

فأعْرِضْ عمَّن تولى عن ذكرنا، وهو القرآن، ولم يُرِدْ إلا الحياة الدنيا. ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم. إن ربك هو أعلم بمن حادَ عن طريق الهدى، وهو أعلم بمن اهتدى وسلك طريق الإسلام.

(٤٦٤٢) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤٦٤٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٩٦/٥.
(٤٦٤٤) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤٦٤٥) أخرجه الطبري: ٦٦٣/١٨-٦٦٤.
(٤٦٤٦) التفسير الميسر: ٥٢٦.
(٤٦٤٧) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٢.
(٤٦٤٨) صفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.
(٤٦٤٩) التفسير البسيط للواحدي: ٥٠/٢١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٥٥، وهو المعتمد عنده ولم ينسبه لقائل.
(٤٦٥٠) الدر المنثور: ٦٥٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

سبب نزول قوله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا} [النجم : ٢٩]:
قال الثعلبي:" أنزلت في النضر [٤٦٥١]، وقيل: في الوليد"[٤٦٥٢]"[٤٦٥٣].
قوله تعالى:{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا} [النجم : ٢٩]، أي:" فأعْرِضْ عمَّن تولى عن ذكرنا، وهو القرآن"[٤٦٥٤].
عن السدي:" {وأنزلنا إليك الذّكر}، قال: هو القرآن"[٤٦٥٥].
عن السديّ، في قوله: "{قَدْ أنزلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولا}، قال: الذكر: القرآن، والرسول: محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٤٦٥٦].
قوله تعالى:{وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]، أي:" وليس له همٌ إلا الدنيا وما فيها من النعليم الزائل، والمتعة الفانية"[٤٦٥٧].
عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"[٤٦٥٨].
عن قتادة: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"[٤٦٥٩].
عن هشام بن حسان، قال: سمعت الحسن يقول: "متاع الدنيا قليل، قال: رحم الله عبدا صاحبها على ذلك"[٤٦٦٠].
قوله تعالى:{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [النجم : ٣٠]، أي:" ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم"[٤٦٦١].
عن مجاهد: {ذلك مبلغهم من العلم} [النجم: ٣٠] ، يعني: «مبلغ رأيهم»[٤٦٦٢].
عن الحسن البصري قال: "رب رجل ينقر درهما بظفره فيذكرونه ولا يخطئ فيه، وهو لا يحسن يصلي"[٤٦٦٣].
عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له" [٤٦٦٤].
وفي الدعاء المأثور : " ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا"[٤٦٦٥].

القرآن

(٤٦٥١)نسبه أبو حيان للضحاك "البحر المحيط" ٨/ ١٦٦.
(٤٦٥٢)نسبه أبو حيان لمجاهد وابن زيد ومقاتل "البحر المحيط" ٨/ ١٦٦.
(٤٦٥٣) تفسير الثعلبي: ١٣٢/٢٥. [ط. دار التفسير]
(٤٦٥٤) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٤٦٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٦):ص٢٢٨٩/٧.
(٤٦٥٦) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٣.
(٤٦٥٧) صفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.
(٤٦٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.
(٤٦٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٩٤٠/٦.
(٤٦٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٧٧):ص١٩٦٨/٦.
(٤٦٦١) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٤٦٦٢) تفسير مجاهد: ٦٢٧.
(٤٦٦٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٩٧/٥.
(٤٦٦٤)المسند (٧١/٦).
(٤٦٦٥) سنن الترمذي(٣٥٠٢):ص٤٠٦/٥، وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة"(٤٠١):ص٣١٠، والطبراني في "الدعاء"(١٩١١):ص٥٣٥.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)} [النجم : ٣١-٣٢]

التفسير:

ولله سبحانه وتعالى ملك ما في السموات وما في الأرض؛ ليجزي الذين أساءوا بعقابهم على ما عملوا من السوء، ويجزي الذي أحسنوا بالجنة، وهم الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وحين أنتم أجنَّة في بطون أمهاتكم، فلا تزكُّوا أنفسكم فتمدحوها وتَصِفُوها بالتقوى، هو أعلم بمن اتقى عقابه فاجتنب معاصيه من عباده.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]:

قال مقاتل:" نزلت في نبهان التمار وذلك أنه كان له حانوت يبيع فيه التمر، فأتته امرأة تريد تمرا، فقالت لها: ادخلي الحانوت، فإن فيه تمرا جيدا. فلما دخلت راودها عن نفسها، فأبت عليه، فلما رأت الشر خرجت فوثب إليها، فضرب عجزها بيده، فقال: والله، ما نلت مني حاجتك، ولا حفظت غيبة أخيك المسلم. فذهبت المرأة وندم الرجل، فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بصنيعه. فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- ويحك يا نبهان، فلعل زوجها غاز في سبيل الله، فقال: الله ورسوله أعلم. فقال: أما علمت أن الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، فلقي أبا بكر- رضي الله عنه- فأعلمه، فقال: ويحك فلعل زوجها غاز في سبيل الله. فقال: الله أعلم. ثم رجع فلقي عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فأخبره، فقال: ويحك لعل زوجها غاز في سبيل الله. قال: الله أعلم. فصرعه عمر فوطئه، ثم انطلق به إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إخواننا غزاة في سبيل الله تكسر الرماح في صدورهم يخلف هذا ونحوه أهليهم بسوء، فاضرب عنقه، فضحك النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال أرسله يا عمر فنزلت فيه: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]، يعني: ضربه عجزيتها بيده"(٤٦٦٦).

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]:

عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: " كانت يهود تقول إن أهلك لهم صبي صغير، قالوا: هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله، في بطن أمه إلا أنه شقي، وسعيد، فأنزل الله عز وجل عند ذلك هذه الآية: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: ٣٢] " الْآيَةَ كُلَّهَا"(٤٦٦٧).

وقال مقاتل:" قال ناس من المسلمين: صلينا وصمنا وفعلنا فزكوا أنفسهم، فقال الله- تعالى-: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]"(٤٦٦٨).

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [النجم : ٣١]، أي:" ولله سبحانه وتعالى ملك ما في السموات وما في الأرض"(٤٦٦٩).

(٤٦٦٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤-١٦٦. وقد ذكر الواحدي عن ابن عباس في رواية عطاء قصة مشابها في سبب نزول الآية: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران : ١٣٥].

(٤٦٦٧)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"(١٣٦٨):ص٨١/٢، والواحدي في "أسباب النزول": ٣٩٨، وذكره السيوطي في "الدر المنثور": ٦٥٧/٧-٦٥٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في "المعرفة"، ورواه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣١١/٤-٣١٢ من طريق ابن لهيعة به, وقد ضعف ابن لهيعة من جهة حفظه بعد اختلاطه.

(٤٦٦٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤.

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٤٦٧٠].

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم : ٣١]، أي:" ليجزي الذين أساءوا بعقابهم على ما عملوا من السوء، ويجزي الذي أحسنوا بالجنة"[٤٦٧١].

قال زيد بن أسلم:" الذين أساؤوا هم المشركون، والذين أحسنوا: المؤمنون"[٤٦٧٢].

عن عبد الله بن عياش، قال: "قال زيد بن أسلم في قول الله: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا}: المؤمنون"[٤٦٧٣].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]، أي:" وهم الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا ما قلَّ وصغر من الذنوب"[٤٦٧٤].

قال زيد بن أسلم:" فالكبائر: الشرك، والفواحش: الزنا، تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام"[٤٦٧٥].

عن الحسن: "{الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم}، قال: هو الرجل يصيب اللمم من الزنا والخطرة من الخمر، ثم يتوب، فذلك مما يتجاوزا لله عنه"[٤٦٧٦].

ما روى سعيد بن جبير: " أن رجلا قال لابن عباس: كم الكبائر؟ أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار"[٤٦٧٧].

عن طاوس قال: "جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أرأيت الكبائرَ السبع التي ذكرهن الله؟ ما هن؟ قال: هن إلى السبعين أدنى منها إلى سبع"[٤٦٧٨].

والمراد بكبائر الإثم: الآثام الكبيرة فيما شرع الله وهي ما شدد الدين التحذير منه أو ذكر له وعيدا بالعذاب أو وصف على فاعله حدا"[٤٦٧٩].

واختلفوا في معنى «اللمم» ونوع الاستثناء في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]، على قولين:

أحدهما: أن هذا استثناء متصل، و«اللمم»: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي، ولايعود. وهو قول مجاهد[٤٦٨٠]، والحسن[٤٦٨١].

قال الحسن:" اللَّمة من الزنى أو السرقة، أو شرب الخمر، ثم لا يعود"[٤٦٨٢].

(٤٦٦٩) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٦٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٤٦٧١) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٦٧٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٣٠):ص٥٩/١، وأخرج الطبري: ٥٣١/٢٢، مختصرا كما سيأتي.

(٤٦٧٣) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٢.

(٤٦٧٤) التفسير الميسر: ٥٢٧، وصفوة التفاسير: ٢٥٨/٣.

(٤٦٧٥) تفسير القرآن من الجامع لان وهب(١٣١):ص٥٩/١، وتفسير الطبري: ٥٣٢/٢٢-٥٣٣.

(٤٦٧٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٩٤):ص٨٧/١.

(٤٦٧٧) أخرجه الطبري(٩٢٠٧):ص٢٤٥/٨.

(٤٦٧٨) أخرجه الطبري(٩٢٠٨):ص٢٤٥/٨.

(٤٦٧٩) التحرير والتنوير: ١٢١/٢٧.

(٤٦٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٢.

(٤٦٨١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٢-٥٣٦.

(٤٦٨٢) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢-٥٣٦.

عن الحسن، عن أبي هُريرة، -أراه رفعه-: "{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ}، قال: اللَّمة من الزنى، ثم يتوب ولا يعود، واللَّمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود; واللَّمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، قال: فتلك الإلمام"(٤٦٨٣).

قال الحسن:" قد كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يقولون: هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللَّمة من شرب الخمر، فيخفيها فيتوب منها"(٤٦٨٤).

عن الحسن: "{إِلا اللَّمَمَ}، قال: أن يقع الوقعة ثم ينتهي"(٤٦٨٥).

قال معمر: "كان الحسن يقول في اللَّمم: تكون اللَّمة من الرجل: الفاحشة ثم يتوب"(٤٦٨٦).

عن أبي صالح، قال: "الزنى ثم يتوب"(٤٦٨٧).

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "اللمم ما دون الشرك"(٤٦٨٨).

عن عطاء، عن ابن عباس: "{إِلا اللَّمَمَ}، يلمّ بها في الحين، قلت الزنى، قال: الزنى، ثم يتوب"(٤٦٨٩).

عن عطاء، عن ابن عباس قال: "اللَّمم: الذي تُلِمُّ المرَّةَ"(٤٦٩٠).

وقال السدي : "قال أبو صالح : سئلت عن {اللَّمَمَ} فقلت : هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب. وأخبرت بذلك ابن عباس فقال : لقد أعانك عليها مَلَك كريم"(٤٦٩١).

عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية: {إِلا اللَّمَمَ}، قال: "الذي يلم بالذنب ثم يدعه، وقال الشاعر:

إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا"(٤٦٩٢).

عن مجاهد، في قوله: "{إِلا اللَّمَمَ}، قال: الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه. قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا"(٤٦٩٣).

وروي عن زيد بن أسلم:" {إِلا اللَّمَمَ}، قال: هو ما أَلَمُّوا به في الشِّرك"(٤٦٩٤).

عن عبد الله بن القاسم، في قوله: "{إِلا اللَّمَمَ}، قال: اللَّمة يلم بها من الذنوب"(٤٦٩٥).

القول الثاني: أن هذا استثناء منقطع، لأن «اللمم» ليس من كبائر الإثم ولا من الفواحش، والمعنى: لكن اللمم، وعلى هذا القول أن اللمم ليس من الكبائر والفواحش(٤٦٩٦).

(٤٦٨٣) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢.
(٤٦٨٤) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٨٥) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٨٦) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٨٧) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٨٩) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٩٠) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٢.
(٤٦٩١) حكاه البغوي: ٣١١/٤.
(٤٦٩٢) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٢.
(٤٦٩٣) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(٤٦٩٤)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ٥٤ (١١٧).
(٤٦٩٥) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٢.
(٤٦٩٦) قال ابن عاشور: ١٢١/٢٧-١٢٢:" فالاستثناء بمعنى الاستدراك. ووجهه أن ما سمي باللمم ضرب من المعاصي المحذر منها في الدين، فقد يظن الناس أن النهي عنها يلحقها بكبائر الإثم فلذلك حق الاستدراك، وفائدة هذا الاستدراك عامة وخاصة: أما العامة فلكي لا يعامل المسلمون مرتكب شيء منها معاملة من يرتكب الكبائر، وأما الخاصة فرحمة بالمسلمين الذين قد يرتكبونها فلا يقل ارتكابها من نشاط طاعة المسلم، ولينصرف اهتمامه إلى تجنب الكبائر. فهذا الاستدراك بشارة لهم، وليس المعنى أن الله رخص في إتيان اللمم".

ثم اختلفوا في معناه، على أقوال:
أحدها: أنه ما سلف من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإسلام، فلا يؤاخذهم الله به. قاله زيد بن أسلم[٤٦٩٧].

عن زيد بن أسلم، قوله: "{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: كبائر الشرك والفواحش: الزنى، تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام"[٤٦٩٨].

الثاني: أن «اللمم» صغار الذنوب، كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، قاله الشعبي[٤٦٩٩]، ومسروق[٤٧٠٠].

والجمهور على أن اللمم صغائر الذنوب[٤٧٠١].

قال منصور بن عبد الرحمن: "سألت الشعبي، عن قول الله:{يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، قال: هو ما دون الزنى، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود، قال: «زنى العينين: ما نظرت إليه، وزنى اليد: ما لمست، وزنى الرجل: ما مشت والتحقيق بالفرج»"[٤٧٠٢].

عن مسروق في قوله: "{إلا اللَّمَمَ}، قال: إن تقدم كان زنى، وإن تأخر كان لَمَمًا"[٤٧٠٣].

الثالث : أن اللمم ما لم يجب عليه حد في الدنيا ولم يستحق عليه في الآخرة عذاب ، قاله قتادة[٤٧٠٤]، والضحاك[٤٧٠٥]، وعكرمة[٤٧٠٦].

قال الضحاك:" كلّ شيء بين حدّ الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله"[٤٧٠٧].

قال قتادة:" اللمم: ما كان بين الحدّين لم يبلغ حدّ الدنيا ولا حدّ الآخرة موجبة، قد أوجب الله لأهلها النار، أو فاحشة يقام عليه الحدّ في الدنيا"[٤٧٠٨].

عن عكرمة، في قوله: "{إلا اللَّمَمَ}، يقول: ما بين الحدين، كل ذنب ليس فيه حدّ في الدنيا ولا عذاب في الآخرة، فهو اللمم"[٤٧٠٩].

الرابع : أنه النَّظر من غير تعمُّد، فهو مغفور، فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب. قاله حكاه الماوردي عن بعض التابعين[٤٧١٠]، واستشهد بقول الشاعر :

وما يستوي من لا يرى غير لمة ... ومن هو ناو غيرها لا يريمها"[٤٧١١].

الخامس: أنه ألَم بالقلب، أي: خَطَر، قاله سعيد بن المسيّب[٤٧١٢].

السادس: أنه ما يَهُمُّ به الإنسان، قاله محمّد ابن الحنفية[٤٧١٣].

(٤٦٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٢.
(٤٦٩٨)انظر: النكت والعيون: ٤٠٠/٥.
(٤٦٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٢.
(٤٧٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٢.
(٤٧٠١) فتح القدير: ١٣٦/٥.
(٤٧٠٢) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٢.
(٤٧٠٣) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٢.
(٤٧٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٤٧٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٤٧٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٤٧٠٧) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٤٧٠٨) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٤٧٠٩) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٢.
(٤٧١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٠١/٥.
(٤٧١١) انظر: النكت والعيون: ٤٠١/٥.
(٤٧١٢) انظر: زاد المسير: ١٩٠/٤، وتفسير البغوي: ٣١٢/٤.

وعن زياد بن أبي مريم -من طريق خُصيف- في قوله - عز وجل -: "{الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم}، قال: اللَّمَم: كلّ شيء ألممتَ به، ثم تركتَه ونزعتَ عنه"[٤٧١٤].

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال {إلا}، بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}، بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفوّ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جلّ ثناؤه: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا}، فوعد جلّ ثناؤه باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الْعَينانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجلانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ "، وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله جلّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم واللمم في كلام العرب المقاربة للشيء، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول: ضربه ما لَمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل. قال: وسمعت من آخر: ألمّ يفعل في معنى: كاد يفعل[٤٧١٥].

قال أبو حيان:" {إلا اللَّمَمَ}: استثناء منقطع، لأنه لم يدخل تحت ما قبله، وهو صغار الذنوب، أو صفة إلى كبائر الإثم غير اللمم، كقوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ} [الأنبياء : ٢٢]، أي: غير الله لفسدتا"[٤٧١٦].

قال ابن كثير:" الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ} هذا استثناء منقطع ؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال"[٤٧١٧].

قال القشيري:" الأصحّ أنه استثناء منقطع وأن اللمم ليس من جملة المعاصي"[٤٧١٨].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم : ٣٢]، أي:" رحمته وَسِعَت كل شيء، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها"[٤٧١٩].

قوله تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [النجم : ٣٢]، أي:" هو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب"[٤٧٢٠].

عن مجاهد، في قوله: "{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ}، قال: كنحو قوله: {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}"[٤٧٢١].

قوله تعالى:{وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم : ٣٢]، أي: وهو أعلم بأحوالكم" حين أنتم أجنَّة في بطون أمهاتكم"[٤٧٢٢].

قال مكحول : "كنا أجنة في بطون أمهاتنا، فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي، ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا يَفَعَةً، فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابًا فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا - لا أبا لك - فماذا بعد هذا ننتظر ؟"[٤٧٢٣].

(٤٧١٣) انظر: زاد المسير: ١٩٠/٤.
(٤٧١٤)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير(٢٠٩٧):ص ٧/ ٤٦٨ - ٤٦٩.
(٤٧١٥) تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٢-٥٣٩.
(٤٧١٦) البحر المحيط: ٢٠/١٠.
(٤٧١٧) تفسير ابن كثير: ٤٦٠/٧.
(٤٧١٨) لطائف الإشارات: ٤٨٧/٣.
(٤٧١٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.
(٤٧٢٠) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٤٧٢١) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٢.
(٤٧٢٢) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٤٧٢٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٧.

قوله تعالى:{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم : ٣٢]، أي:" فلا تزكُّوا أنفسكم فتمدحوها وتَصِفُوها بالتقوى"[٤٧٢٤].

قال زيد بن أسلم:" فلا تبرئوها"[٤٧٢٥]. وروي عن مجاهد مثله[٤٧٢٦].

وقال ابن عباس: "لا تمدحوها"[٤٧٢٧].

عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال : "سميت ابنتي بَرّةَ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم، وسميت بَرَّة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تزكوا أنفسكم، إن الله أعلم بأهل البر منكم». فقالوا : بم نسميها ؟ قال : «سموها زينب»"[٤٧٢٨].

عن عبد الرحمن بن أبي بكْرَة، عن أبيه، قال : مدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ويلك، قطعت عنق صاحبك مرارا، إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلانا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، إن كان يعلم ذلك، أحسبه كذا وكذا"[٤٧٢٩].

عن همام بن الحارث:" أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب»"[٤٧٣٠].

عن عطاء بن أبي رَبَاح قال: "كان رجل يمدح ابن عمر، قال: فجعل ابنُ عمر يقول هكذا، يَحْثُوا في وجهه التراب, قال: سمعت رسول الله -صلي الله عليه وسلم - يقول: "إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب"[٤٧٣١].

قوله تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]، أي:" هو أعلم بمن اتقى عقابه فاجتنب معاصيه من عباده"[٤٧٣٢].

قال الحسن: أخلص العمل لله"[٤٧٣٣].

قال الحسن: "قد علم الله كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة"[٤٧٣٤].

القرآن

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤)} [النجم : ٣٣-٣٤]

التفسير:

أفرأيت -أيها الرسول- الذي أعرض عن طاعة الله وأعطى قليلا مِن ماله، ثم توقف عن العطاء وقطع معروفه؟

في سبب نزول الآيتين[٣٣-٣٤]، أقوال:

أحدها: أنها :" نزلت في عثمان بن عفان، كان يتصدق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإني

(٤٧٢٤) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٢.

(٤٧٢٦) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.

(٤٧٢٧) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.

(٤٧٢٨)المسند (٤٥/٥).

(٤٧٢٩)المسند (٢٠٤٢٢):ص٦٥/٢٤، و(٢٠٤٦٢):ص١١٢/٢٤، وصحيح البخاري برقم (٢٦٦٢) وصحيح مسلم برقم (٣٠٠٠) وسنن أبي داود برقم (٤٨٠٥) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٤٤).

(٤٧٣٠)صحيح مسلم برقم (٣٠٠٢):ص٢٢٩٧/٤، وسنن أبي داود برقم (٤٨٠٤).

(٤٧٣١) المسند(٥٦٨٤):ص١٨٣/٥.

(٤٧٣٢) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٣٣) تفسير الثعلبي: ١٥٠/٩.

(٤٧٣٤) النكت والعيون: ٤٠٢/٥.

أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وتعالى علي وأرجو عفوه. فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤)} [النجم : ٣٣-٣٤]، فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله". وهذا قول ابن عباس[٤٧٣٥]، والسدي[٤٧٣٦]، والكلبي[٤٧٣٧]، والمسيب بن شريك[٤٧٣٨].

وأخرج الطبري بسنده عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} ... إلى قوله {فَهُوَ يَرَى}، قال: هذا رجل أسلم، فلقيه بعض من يُعَيِّره فقال: أتركت دين الأشياخ وضَلَّلتهم، وزعمت أنهم في النار، كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف يفعل بآبائك، فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئا، وأنا أحمل كلّ عذاب كان عليك عنك، فأعطاه شيئا، فقال زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئا، وكتب له كتابا، وأشهد له، فذلك قول الله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى}، عاسره: {أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى}، نزلت فيه هذه الآية"[٤٧٣٩].

الثاني: أنها"نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه، فعيره بعض المشركين وقال له: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله. فضمن له- إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه- أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية". وهذا قول مجاهد[٤٧٤٠]، وابن زيد[٤٧٤١].

الثالث: ما حكاه خلاد بن سليمان، قال: "سمعت دراجا أبا السبح، يقول: خرجت سرية غازية، فسأل رجل رسول الله أن يحمله، فقال: ما أجد ما أحملك عليه، قال: فانصرف حزينا، فمر برجل راحلته منيجة بين يديه، فشكا إليه، فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك، فقال: نعم، فركب؛ فنزل الكتاب: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)} [النجم : ٣٣ - ٤١]"[٤٧٤٢].

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} [النجم : ٣٣]، أي:" أفرأيت -أيها الرسول- الذي أعرض عن طاعة الله"[٤٧٤٣].

وفي قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} [النجم : ٣٣]، أربعة أقوال:

أحدها : أنه العاص بن وائل السهمي، وكان رَبَّما وافق رسول الله صلّى الله عليه وسلم في بعض الأمور. قاله السدي[٤٧٤٤].

الثاني : أنه الوليد بن المغيرة المخزومي ، قاله مجاهد[٤٧٤٥]، كان يأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر -رضي الله عنه-، يسمع ما يقولان ثم يتولى عنهما[٤٧٤٦].

(٤٧٣٥) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٤٧٣٦) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٤٧٣٧) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٤٧٣٨) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.
(٤٧٣٩) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢.
(٤٧٤٠) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦.[مرسل]. وأخرج الطبري:٢٤١٢/ عن مجاهد:" في قوله: {وَأَكْدَى}، قال: الوليد بن المغيرة: أعطى قليلا ثم أكدى".
(٤٧٤١) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١٦.[مرسل].
(٤٧٤٢)تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٣٦):ص١٠٣/١.
(٤٧٤٣) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٤٧٤٤) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥، وزاد المسير: ١٩١/٤.
(٤٧٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢.
(٤٧٤٦) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥.

الثالث : أنه النضر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه وضمن له أن يتحمل مأثم رجوعه ، قاله الضحاك[٤٧٤٧].

الرابع : أنه أبو جهل، وذلك أنه قال: واللهِ ما يأمُرُنا محمدٌ إلاّ بمكارم الأخلاق، قاله محمد بن كعب القرظي[٤٧٤٨].

قلت: وأثر مجاهد المتقدم أصح الأقوال في سبب النزول.

قوله تعالى:{وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى} [النجم : ٣٤]، أي:" وأعطى قليلا مِن ماله، ثم توقف عن العطاء وقطع معروفه؟"[٤٧٤٩].

وفي قوله تعالى:{وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى} [النجم : ٣٤]، أربعة وجوه:

أحدها : أنه أعطى قليلاً من نفسه بالاستمتاع ثم أكدى بالانقطاع ، قاله مجاهد[٤٧٥٠].

عن مجاهد: "{وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى}، قال: انقطع فلا يُعْطِي شيئا، ألم تر إلى البئر يقال لها أكدت"[٤٧٥١].

عن مجاهد: "{وَأَكْدَى}، انقطع عطاؤه"[٤٧٥٢].

الثاني : أعطى قليلاً من ماله ثم انقطع عطاؤه، قاله الضحاك[٤٧٥٣]، وابن طاووس[٤٧٥٤]، وقتادة[٤٧٥٥]، وعكرمة[٤٧٥٦].

عن ابن طاووس وقتادة، في قوله:{وَأَكْدَى}، قالا: "أعطى قليلا ثم قطع ذلك"[٤٧٥٧].

قال قتادة:" أي بخل وانقطع عطاؤه"[٤٧٥٨].

قال الضحاك:" يقول: انقطع عطاؤه"[٤٧٥٩].

ومعنى «أكدى»: قطع، وأصله من الحفر في البئر، يقال للحافر -إذا حَفَر البئر- فبلغ إلى حَجَرٍ لا يمكنه معه الحفر-: قد بلغ إلى الكدية، فعند ذلك يقطع الحفر"[٤٧٦٠].

القرآن

{أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥)} [النجم : ٣٥]

التفسير:

أعند هذا الذي قطع عطاءه علم الغيب أنه سينفَد ما في يده حتى أمسك معروفه، فهو يرى ذلك عِيانًا؟ ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة; بخلا وشُحًّا.

(٤٧٤٧) انظر: النكت والعيون: ٤٠٢/٥، وزاد المسير: ١٩١/٤. ولم أقف على إسناده، وهو مرسل، والضحاك ذو مناكير، وهذا منها.

(٤٧٤٨) حكاه عنه ابن الجوزي في "زاد المسير":١٩١/٤. بدون إسناد.

(٤٧٤٩) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٥٠) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥١) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥٢) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢، ٥٤٢.

(٤٧٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٠٣٩):ص٢٥٤/٣.

(٤٧٥٧) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥٨) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٥٩) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٢.

(٤٧٦٠) معاني القرآن: ٧٥/٥.

عن مجاهد:" {أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ}، قال: الغيب: القرآن، أرَأى فيه باطلًا أنفذه ببصره؛ إذ كان يختلف إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر؟!"(٤٧٦١).

قال الحسن البصري: "{أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرى} يختار لنفسه الجنّة إن كانت جنّة"(٤٧٦٢).

القرآن

{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧)} [النجم : ٣٦-٣٧]

التفسير:

أم لم يُخَبَّر بما جاء في أسفار التوراة وصحف إبراهيم الذي وفَّى ما أُمر به وبلَّغه؟

قوله تعالى:{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} [النجم : ٣٦]، أي:" أم لم يُخَبَّر بما جاء في أسفار التوراة"(٤٧٦٣).

عن أبي العالية، قال: "نزلت الصحف في أول ليلة من شهر رمضان ، ونزلت التوراة لست ، ونزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، ونزل الإنجيل لثماني عشرة ، ونزل الفرقان لأربع وعشرين من شهر رمضان"(٤٧٦٤).

قوله تعالى:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : ٣٧]، أي:" وصحف إبراهيم الذي وفَّى ما أُمر به وبلَّغه؟"(٤٧٦٥).

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : ٣٧]، على وجوه:

أحدها : وفّى طاعة الله، وبلَّغ رسالات ربه إلى خلقه. قاله قتادة(٤٧٦٦).

الثاني: أنه بلَّغ ما أمر به. قاله سعيد بن جبير(٤٧٦٧)، ومجاهد(٤٧٦٨).

عن مجاهد: "{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، ما فُرِض عليه"(٤٧٦٩).

الثالث: أن وفائه بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته: {أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، لأنه كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وأبيه فأول من خالفهم إبراهيم، قاله عكرمة(٤٧٧٠).

عن عكرمة: "{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، قالوا: بلغ هذه الآيات: {ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}"(٤٧٧١).

وكان عكرمة يقول: "وفَّى هؤلاء الآيات العشر: {ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}... حتى بلغ {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأخْرَى}"(٤٧٧٢).

الرابع: أنه وفَّى الطاعة فيما فعل بابنه. به قال القرظي(٤٧٧٣).

قال القرظي:" أوفى يذبح ابنه"(٤٧٧٤).

(٤٧٦١)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٢ - ، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور":٥٦٩/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤٧٦٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣١٣ - . وعقبه: كقوله: {ولَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبِّي إنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى} [فصلت: ٥٠] للجنة إن كانت جنة.

(٤٧٦٣) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٦٤) تفسير عبدالرزاق(٦):ص٢٥٤/١.

(٤٧٦٥) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.

(٤٧٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٢.

(٤٧٦٨) تفسير مجاهد: ٦٢٨، وتفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.

(٤٧٦٩) تفسير مجاهد: ٦٢٨، وتفسير الطبري: ٥٤٥/٢٢.

(٤٧٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.

(٤٧٧١) أخرجه الطبري: ٥٤٣/٢٢.

(٤٧٧٢) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.

(٤٧٧٣) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.

الخامس: وفَّى شأن المناسك، قاله الضحاك[٤٧٧٥].
السادس: أنه عاهد أن لا يَسأل مخلوقاً شيئاً، فلمّا قُذف في النار قال له جبريل، ألكَ حاجةٌ؟ فقال: أمّا إليك فلا، فوفَّى بما عاهد، ذكره عطاء بن السّائب[٤٧٧٦].
والأقوى من هذه الأقوال كلها القول العام لجميع الطاعات المستوفية لدين الإسلام، فروي أنها لم تفرض على أحد مكملة فوفاها الأعلى وإبراهيم ومحمد عليهما السلام ومن الحجة لذلك قوله تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ [البقرة: ١٢٤][٤٧٧٧].

القرآن
{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩)} [النجم : ٣٨-٣٩]
التفسير:
أنه لا تؤخذ نفس بمأثم غيرها، ووزرها لا يحمله عنها أحد، وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه.
قوله تعالى:{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [النجم : ٣٨]، أي:" أنه لا تؤخذ نفس بمأثم غيرها، ووزرها لا يحمله عنها أحد"[٤٧٧٨].
عن السديّ :"{وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، قال: لا يؤخذ أحد بذنب أحد"[٤٧٧٩].
عن أبي مالك الغفاريّ، في قوله: "{أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى}، إلى قوله: {مِنَ النُّذُرِ الأُولَى}، قال: هذا في صحف إبراهيم وموسى"[٤٧٨٠].
عن عروة عن أبيه قال: "سئلت عائشة عن ولد الزنا؟ فقالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيء، وقالت: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}"[٤٧٨١].
عن عمرو بن أوس ، قال: " كان الرجل يؤخذ بذنب غيره حتى نزلت: {وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى} [النجم: ٣٨]"[٤٧٨٢].
عن مجاهد في قوله: "{وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء}، كنحو: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}"[٤٧٨٣].
عن عكرمة، قال: "إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له: يا مؤمن إن لي، عندك يدا قد عرفت كيف كنت في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه حتى يرده إلى منزلة دون منزلة وهو في النار، وأن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيرا فيقول: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت؟ ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة، أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرا فيقول لها: فإني أطلب إليك حسنة واحدة تهبيها لي، لعلي أنجو مما ترين قالت:

(٤٧٧٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٨):ص١٥١/٢، وانظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(٤٧٧٥) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(٤٧٧٦) انظر: زاد المسير: ١٩٢/٤. بدون إسناد.
(٤٧٧٧) المحرر الوجيز: ٢٠٦/٥.
(٤٧٧٨) التفسير الميسر: ٥٢٧.
(٤٧٧٩) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢١.
(٤٧٨٠) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٢.
(٤٧٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٨٧):ص١٤٣٥/٥.
(٤٧٨٢) تفسير عبدالرزاق(٣٠٤٢):ص٢٥٤/٣.
(٤٧٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦٨):ص٣١٧٨/١٠.

ما أيسر ما طلبت! لكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت يقول الله: {وإن تدع مثقلة إلى حملها} ... ويقول الله: {يوما لا يجزي والد عن ولده}، و{يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه}"[٤٧٨٤].

قوله تعالى:{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم : ٣٩]، أي:" وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه"[٤٧٨٥].

قال ابن عباس: "هذه الآية منسوخة بقوله: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم}الطور: ٢١]، فأدخل الأبناء بصلاح الاباء الجنة"[٤٧٨٦].

وقال عكرمة: "كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى غيرهم بخبر سعد بن عبادة - رضي الله عنه -: أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، هل لأمي أجر إن تطوعت عنها؟ قال: «نعم»[٤٧٨٧]، وفي حديث أنه حفر بئرا وقال: «يا رب هذه لأم سعد». وخبر المرأة التي سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن أبي مات ولم يحج، قال: «فحجي عنه»[٤٧٨٨]"[٤٧٨٩].

وقال الربيع بن أنس: "يعني: الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى غيره له"[٤٧٩٠].

القرآن

{وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)} [النجم : ٤٢]

التفسير:

وأنَّ إلى ربك -أيها الرسول- انتهاء جميع خلقه يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم : ٤٢]، أي:" وأنَّ إلى ربك -أيها الرسول- انتهاء جميع خلقه يوم القيامة"[٤٧٩١].

عن عمرو بن ميمون الأوْديّ قال : "قام فينا معاذ بن جبل فقال : يا بني أود، إني رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار"[٤٧٩٢].

قال محمد بن علي الباقر: "تاه فيه العقول"[٤٧٩٣]. أي: "تحيرت"[٤٧٩٤].

عن أبي بن كعب، عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في قوله سبحانه: {وَأَنَّ إلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى}، قال: «لا فكرة في الله»[٤٧٩٥].

(٤٧٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦٩):ص٣١٧٨/١٠.

(٤٧٨٥) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٨٦) تفسير الثعلبي: ١٥٨/٢٥. [ط. دار التفسير]. وانظر: تفسير البغوي ٧/ ٤١٦، و"زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ٨١، وقال: "ولا يصح، لأن نص لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تنسخ".

(٤٧٨٧)الحديث عن عائشة - رضي الله عنها -: أن رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن أمي افتلتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم، وافتلتت أي: ماتت فجأة، هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب موت الفجأة (١٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه برقم (١٠٠٤).

(٤٧٨٨)لم أجد هذا الحديث وإنما أخرج البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: "نعم، حجي عنها" (١٨٥٢)، وفي كتاب الاعتصام (٧٣١٥)، ومسلم بلفظ آخر في كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت برقم (١١٤٩).

(٤٧٨٩) تفسير الثعلبي:١٥٨/٢٥. [ط. دار التفسير]

(٤٧٩٠) تفسير الثعلبي: ١٥٣/٩، وانظر: تفسير البغوي ٧/ ٤١٦، و"زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ٨١، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ١١٤.

(٤٧٩١) التفسير الميسر: ٥٢٧.

(٤٧٩٢) رواه ابن أبي حاتم كما في :تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٧.

(٤٧٩٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.

(٤٧٩٤) تفسير السمعاني: ٣٠١/٥.

(٤٧٩٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٤/٩.

عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، قال: "خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه وهم يتفكرون، فقال: «فيم أنتم؟» قالوا: نتفكر في الخالق. فقال: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة، تفكّروا أنّ الله خلق السموات والأرض سبعا غلظ كل أرض خمسمائة عام، وما بين كلّ أرضين خمسمائة عام، وما بين السماء والأرض خمسمائة عام، غلظ كل سماء خمسمائة عام، وما بين كل سمائين خمسمائة عام، وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كلّه، فيه ملك لم يجاور الماء كعبه»"(٤٧٩٦).

وفي الصحيح : "يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله وَلْيَنْتَه"(٤٧٩٧).

القرآن

{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣)} [النجم : ٤٣]

التفسير:

وأنه سبحانه وتعالى أضحك مَن شاء في الدنيا بأن سرَّه، وأبكى من شاء بأن غَمَّه.

سبب النزول:

عن الصهباء، عن عائشة قالت: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله تعالى يقول: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى}، فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى تلقاني جبريل عليه السلام فقال: ائت هؤلاء وقل لهم: إن الله عز وجل يقول: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣]"(٤٧٩٨).

قال مجاهد في الآية:" أضحك أهلَ الجنة في الجنة، وأبكى أهلَ النار في النار"(٤٧٩٩).

قال الضحاك:" أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر"(٤٨٠٠).

قال الحسن البصري: "هو خلق الضحك والبكاء"(٤٨٠١).

قال عطاء الخراساني: "{وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكى}، يعني: أفرحَ وأحزنَ"(٤٨٠٢).

عن حبان الطائي، قال: "شهدت جنازة أم مصعب بن الزبير وفيها ابن عباس على أتان له فمر، وحاذى عبد الله بن عمرو وابن عمر وقال: فسمعوا أصوات صوائح، قال: قلت: يا ابن عباس يصنع هذا وأنت هاهنا قال: «دعنا منك يا حبان فإن الله أضحك وأبكى»"(٤٨٠٣).

عن قتادة، قال: "سُئل عبد الله بن عمر: هل كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظمُ مِن الجبل"(٤٨٠٤).

عن سِماك بن حرب، قال: "قلت لجابر بن سَمُرة: أكنتَ تجالس النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: نعم، وكان أصحابه يجلسون، ويتناشدون الشِّعر، ويذكرون أشياء مِن أمر الجاهلية، فيضحكون، ويتبسّم معهم إذا ضحكوا. يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم -"(٤٨٠٥).

(٤٧٩٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٥/٩.

(٤٧٩٧)صحيح البخاري برقم (٣٢٧٦) وصحيح مسلم برقم (١٣٤).

(٤٧٩٨) أخرجه الواحدي في أسباب النزل: ٤١٦-٤١٧، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٦٦٣/٧) لابن مردويه.

(٤٧٩٩)تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٤، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨.

(٤٨٠٠)تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٥، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨.

(٤٨٠١)تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) ٢٤/ ١٦٨.

(٤٨٠٢)تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٤، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨، وعقبه: "لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء".

(٤٨٠٣) مصنف ابن أبي شيبة(١١٢٩٦):ص٤٨٢/٢، وانظر: الدر المنثور: ٦٦٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٤٨٠٤)أخرجه البغوي ٧/ ٤١٨.

(٤٨٠٥)أخرجه البغوي ٧/ ٤١٨.

القرآن

{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)} [النجم : ٤٥-٤٦]

التفسير:

وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان، من نطفة تُصَبُّ في الرحم.

قوله تعالى:{مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} [النجم : ٤٦]، أي:" خلق الذكر والأنثى من نطفة تُصَبُّ في الرحم"(٤٨٠٦).

عن الضحاك، وعطاء بن أبي رباح: "{مِن نُطْفَةٍ إذا تُمْنى} أي: تُصبّ في الرَّحِم"(٤٨٠٧).

قال أهل العلم:" وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته وانفراده بالعزة العظيمة، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها وكبيرها من نطفة ضعيفة من ماء مهين، ثم نماها وكملها، حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين"(٤٨٠٨).

القرآن

{وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧)} [النجم : ٤٧]

التفسير:

وأن على ربك -أيها الرسول- إعادة خلقهم بعد مماتهم، وهي النشأة الأخرى يوم القيامة.

قرأ الحسن، ومجاهد، وحميد، وابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو، والجحدري: {النشاءة} بفتح الشين ومد الهمزة(٤٨٠٩).

عن عكرمة في قوله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، قال: "وفَّى هؤلاء الآيات العشر: {أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} ... حتى بلغ: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى}"(٤٨١٠).

القرآن

{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨)} [النجم : ٤٨]

التفسير:

وأنه هو أغنى مَن شاء مِن خلقه بالمال، وملَّكه لهم وأرضاهم به.

قال الطبري: " وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال"(٤٨١١).

واختلف أهل التفسير في {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨)} [النجم : ٤٨]، على أقوال:

أحدها : معناه: أعطى وأرضى. رواه ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد(٤٨١٢).

الثاني : أغنى بالمال وأقنى بأن جعل لهم قنية ، وهي أصول الأموال ، قاله أبو صالح(٤٨١٣).

قال أبو صالح:" أغنى المال وأقنى القنية"(٤٨١٤).

الثالث : أغنى: بأن مَوّل، وأقنى: بأن أخدم ، قاله مجاهد(٤٨١٥)، وقتادة(٤٨١٦).

(٤٨٠٦) التفسير الميسر: ٥٢٨، وصفوة التفاسير: ٢٦١/٣

(٤٨٠٧) تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤١٨. وذكره الواحدي في "التفسير البسيط": ٧٢/٢١، عن الضحاك.

(٤٨٠٨) تفسير السعدي: ٨٢٢.

(٤٨٠٩) انظر: تفسير الثعلبي: ١٨٢/٢٥، [ط. دار التفسير]، وانظر: معاني القرآن للزجاج: ١٦٥/٤.

(٤٨١٠) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٢.

(٤٨١١) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٢.

(٤٨١٢) انظر: تفسير الثعلبي: ١٧٢/٢٥. [ط. دار التفسير]

(٤٨١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٢.

(٤٨١٤) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.

قال مجاهد:" أغنى: مَوَّل، وأقنى: أخدم"[٤٨١٧].
قال قتادة:" أغنى وأخدم"[٤٨١٨].
وقال قتادة:" أعطى وأرضى وأخدم"[٤٨١٩].
عن الحسن، قوله: "{أَغْنَى وَأَقْنَى}، قال: أخدم"[٤٨٢٠].
الرابع : أغنى: موّل، وأقنى: رضّى. قاله مجاهد –أيضا-[٤٨٢١].
الخامس : أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه ، قاله الحضرمي[٤٨٢٢].
عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه: "{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى}، قال: زعم حضرميّ أنه ذكر له أنه أغنى نفسه، وأفقر الخلائق إليه"[٤٨٢٣].
السادس: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال، وأقنى بالإبل والبقر والغنم. قاله الضحاك[٤٨٢٤].

القرآن
{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩)} [النجم : ٤٩]
التفسير:
وأنه سبحانه وتعالى هو رب الشِّعْرى، وهو نجم مضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله.
قال مجاهد: يعني: " مرزم الجوزاء"[٤٨٢٥].
قال مجاهد:" كان يُعبد في الجاهلية"[٤٨٢٦].
قال مجاهد:" الكوكب الذي خَلف الجوزاء، كانوا يعبدونه"[٤٨٢٧].
قال قتادة:" كان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يُقال له: الشِّعْرَى"[٤٨٢٨].
قال قتادة:" «كان حيّ من العرب يعبدون الشِّعْرَى هذا النجم الذي رأيتم»، قال بشر: يريد النجم الذي يتبع الجوزاء"[٤٨٢٩].

القرآن
{وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤)} [النجم : ٥٠-٥٤]
التفسير:

(٤٨١٥) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨١٦) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨١٧) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨١٨) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨١٩) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨٢٠) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨٢١) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٢.
(٤٨٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(٤٨٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٢.
(٤٨٢٤) تفسير الثعلبي: ١٧٢/٢٥، [د. دار التفسير]، و"تفسير البغوي": ٧/ ٤١٩، و"زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ٨٣.
(٤٨٢٥) تفسير مجاهد: ٦٢٨، وتفسير الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٤٨٢٦) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٤٨٢٧) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٤٨٢٨) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.
(٤٨٢٩) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٢.

وأنه سبحانه وتعالى أهلك عادًا الأولى، وهم قوم هود، وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يُبْقِ منهم أحدًا، وأهلك قوم نوح قبلُ. هؤلاء كانوا أشد تمردًا وأعظم كفرًا من الذين جاؤوا من بعدهم. ومدائن قوم لوط قلبها الله عليهم، وجعل عاليها سافلها، فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من السماء كالمطر.

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى} [النجم : ٥٠]، أي:" وأنه سبحانه وتعالى أهلك عادًا الأولى، وهم قوم هود"(٤٨٣٠).

قال ابن إسحاق:" قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذرّيته بالريح: عاد الأولى، لأنها أُهلكت قبل عاد الآخرة"(٤٨٣١).

ذكر القاسم بن معن: أن الأعمش قرأ: «عاد لولى»، فجزم النون، ولم يهمز (الأولى)(٤٨٣٢).

قوله تعالى:{وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى} [النجم : ٥١]، أي:" وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يُبْقِ منهم أحدًا"(٤٨٣٣).

قوله تعالى:{وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى} [النجم : ٥٢]، أي:" وقوم نوح قبل عادٍ وثمود أهلكناهم، هؤلاء كانوا أشد تمردًا وأعظم كفرًا من الذين جاؤوا من بعدهم"(٤٨٣٤).

عن قتادة: " {وقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ إنَّهُمْ كانُوا هُمْ أظْلَمَ وأطْغى}، قال: لم يكن قبيلٌ مِن الناس هم أظلم وأطغى مِن قوم نوح، دعاهم نوحٌ ألفَ سنة إلا خمسين عامًا، كلّما هلك قرنٌ ونشأ قرنٌ دعاهم، حتى لقد ذُكِر لنا: أنّ الرجل كان يأخذ بيد أخيه أو ابنه فيمشي به إليه، فيقول: يا بُني، إنّ أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذ. تَتابُعًا في الضلالة، وتكذيبًا بأمر الله"(٤٨٣٥).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى}، قال: دعاهم نبيّ الله ألف سنة إلا خمسين عاما"(٤٨٣٦).

قوله تعالى:{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى} [النجم : ٥٣]، أي:" وقرى قوم لوط أهواها فأسقطها على الأرض بعد أن انقلبت بهم فصار عاليها سافلها"(٤٨٣٧).

عن قتادة، قوله :"{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، قال: قرية لوط"(٤٨٣٨). وفي رواية:" هم قوم لوط"(٤٨٣٩).

عن مجاهد: "{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، قال: أهواها جبريل، قال: رفعها إلى السماء ثم أهواها"(٤٨٤٠). وفي رواية:" جبريل رفعها إلى السماء، ثم قلبها، والمؤتفكة: قوم لوط"(٤٨٤١).

قال عكرمة:" قوم لوط ائتفكتْ بهم الأرض بعد أن رفعها الله إلى السماء، فالأرض تَجَلجَل بهم إلى يوم القيامة"(٤٨٤٢).

عن أبي عيسى يحيى بن رافع -من طريق إسماعيل- :"{والمُؤْتَفِكَة أهْوى}، قال: قرية لوط حين أهوى بها"(٤٨٤٣).

(٤٨٣٠) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤٨٣١) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٢.
(٤٨٣٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٢/٣.
(٤٨٣٣) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤٨٣٤) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤٨٣٥) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٢-٥٥٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. كما أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٤، وابن جرير ٢٢/ ٥٥٤، من طريق معمر مختصرًا-كما سيأتي-.
(٤٨٣٦) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٤٨٣٧) صفوة التفاسير: ٢٦١/٣.
(٤٨٣٨) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٤٨٣٩) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٤٨٤٠) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.
(٤٨٤١) تفسير مجاهد: ٦٢٩.
(٤٨٤٢) الدر المنثور:٧/ ٦٦٥، وعزاه إلى عبد بن حميد.

عن السُدِّيّ -من طريق أسباط- قال:" لمّا أصبحوا -يعني: قوم لوط- نزل جبرئيل، فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا، حتى سمع أهلُ السماء نباحَ كلابهم وأصوات ديوكهم، ثم قلبها، فقتلهم، فذلك حين يقول: {والمؤتفكة أهوى} المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض، فاقتلعها بجناحه، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شادًا في الأرض. وهو قول الله: {فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل}، ثم تتبعهم في القرى، فكان الرجل يتحدث، فيأتيه الحجر فيقتله، وذلك قول الله تعالى: {وأمطرنا عليها حجارة من سجيل} "[٤٨٤٤].

قوله تعالى:{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى} [النجم : ٥٤]، أي:" فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من السماء كالمطر"[٤٨٤٥].

عن قتادة: "{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى}، قال: الحجارة"[٤٨٤٦].

قال قتادة:" غشاها صخرا منضودا"[٤٨٤٧].

قال قتادة:" كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئا من نار ونفط وقَطِران كفم الأتون"[٤٨٤٨].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥)} [النجم : ٥٥]

التفسير:

فبأيِّ نعم ربك عليك -أيها الإنسان المكذب- تَشُكُّ؟

قال قتادة:" يقول: فبأيّ نِعم الله تتمارى يا ابن آدم"[٤٨٤٩].

القرآن

{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٦)} [النجم : ٥٦]

التفسير:

هذا محمد صلى الله عليه وسلم، نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، فليس ببدع من الرسل.

واختلف في قوله تعالى: {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى} [النجم : ٥٦]، على قولين:

أحدهما : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، نذيرٌ بما أنذرتْ به الأنبياءُ، قبله. قاله قتادة[٤٨٥٠]، وأبو جعفر الباقر[٤٨٥١]، ومحمد بن كعب القرظي[٤٨٥٢].

قال قتادة:" أنذر محمد صلى الله عليه وسلم كما أنذرت الرسل من قبله"[٤٨٥٣].

قال قتادة:" بعث محمد صلى الله عليه وسلم بما بعث الرسل قبله"[٤٨٥٤].

عن أبي جعفر: "{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى}، قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم"[٤٨٥٥].

(٤٨٤٣) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٢.

(٤٨٤٤) أخرجه الطبري(١٨٤٦٤):ص ٤٤٢/١٥.

(٤٨٤٥) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٨٤٦) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٢.

(٤٨٤٧) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٢.

(٤٨٤٨) رواه ابن أبي حاتم كم افي تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٧. قال ابن كثير:" غريب جدا" .

(٤٨٤٩) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.

(٤٨٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٦/٢٢.

(٤٨٥١) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.

(٤٨٥٢)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير(٢١٠٦):ص ٧/ ٤٨١.

(٤٨٥٣) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.

(٤٨٥٤) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.

قال محمد بن كعب:" محمد - صلى الله عليه وسلم - أنذرَ ما أنذر الأولون"[٤٨٥٦].
الثاني : أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى. قاله أبو مالك[٤٨٥٧].
عن أبي مالك: "{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولى}، قال: مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى"[٤٨٥٨].
وقول أبي مالك أشبه بتفسير الآية، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النُّذر الأولى التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم، فقوله {هَذَا} بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك[٤٨٥٩].

القرآن
{أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)} [النجم : ٥٧-٥٨]
التفسير:
قربت القيامة ودنا وقتها، لا يدفعها إذًا من دون الله أحد، ولا يَطَّلِع على وقت وقوعها إلا الله.
قوله تعالى:{أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [النجم : ٥٨]، أي:" قربت القيامة ودنا وقتها"[٤٨٦٠].
عن مجاهد، قوله: "{أَزِفَتِ الآزِفَةُ}، قال: اقتربت الساعة"[٤٨٦١].
عن قتادة:" {أزفت الآزفة}، قال: الساعة"[٤٨٦٢].
عن زيد بن أسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل قوم بعثوا عينا فبصر بالعدو، فخاف أن يسبقه العدو إلى أصحابه فألاح بسيفه أتيتم، وإني جئت مبعوثا بين يدي الساعة»[٤٨٦٣].
عن سهل بن سعد، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: " «مثلي ومثل الساعة كهاتين». وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان». ثم قال:«مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم». ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ذلك» "[٤٨٦٤].
قوله تعالى:{لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم : ٥٨]، أي:" لا يدفعها إذًا من دون الله أحد، ولا يَطَّلِع على وقت وقوعها إلا الله"[٤٨٦٥].
عن قتادة:" {ليس لها من دون الله كاشفة}: أي: رادّة"[٤٨٦٦].
قال عطاء:" ليس لها رادٌّ"[٤٨٦٧].

(٤٨٥٥) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢.
(٤٨٥٦)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير(٢١٠٦):ص ٧/ ٤٨١.
(٤٨٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٦/٢٢-٥٥٧.
(٤٨٥٨) أخرجه الطبري: ٥٥٦/٢٢-٥٥٧.
(٤٨٥٩) تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٢.
(٤٨٦٠) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤٨٦١) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٢.
(٤٨٦٢) الدر المنثور: ٦٦٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير.
(٤٨٦٣) الفتن لنعيم بن حماد(١٨٠٦):ص٦٤٤/٢
(٤٨٦٤) المسند(٢٢٨٠٩):ص٤٦٧/٣٧، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٥٨٧٢) ، وفي "الأوسط" (٧٣١٩) ، وفي "الصغير" (٩٠٤) ، والرامهرمزي في "الأمثال" (٦٧) ، والبيهقي في "الشعب" (٧٢٦٧) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤٢٠٣) من طريق أنس بن عياض.
(٤٨٦٥) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤٨٦٦) الدر المنثور: ٦٦٦/٧ ، وعزاه إلى ابن جرير.

قال الضحاك:" ليس لها من دون الله من آلهتهم كاشفة"[٤٨٦٨].

القرآن
{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)} [النجم : ٥٩-٦٢]
التفسير:
أفمِن هذا القرآن تعجبون -أيها المشركون- من أن يكون صحيحًا، وتضحكون منه سخرية واستهزاءً، ولا تبكون خوفًا من وعيده، وأنتم لاهون معرضون عنه؟ فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلِّموا له أموركم.
قوله تعالى:{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ(٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} [النجم : ٥٩]، أي:" أفمِن هذا القرآن تعجبون -أيها المشركون- من أن يكون صحيحًا، وتضحكون منه سخرية واستهزاءً، ولا تبكون خوفًا من وعيده"[٤٨٦٩].
عن مجاهد في قوله :"{أفمن هذا الحديث} قال: القرآن"[٤٨٧٠].
عن الحسن، أنه قرأ هذه الآية: {أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون} [النجم: ٦٠] ، قال: «والله إن كان أكيس القوم في هذا الأمر لمن بكى، فأبكوا هذه القلوب، وابكوا هذه الأعمال، فإن الرجل لتبكي عيناه، وإنه لقاسي القلب»[٤٨٧١].
عن المعلى بن زياد، قال: "قال غزوان: لله تبارك وتعالى ألا يراني الله ضاحكا حتى أعلم أي الدارين داري؟ قال: قال الحسن فعزم ففعل، فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله عز وجل"[٤٨٧٢].
عن صالح أبي الخليل، قال: "لما نزل :{أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ}، ما رأي النبي صلّى الله عليه وسلّم ضاحكا"[٤٨٧٣].
عن أبي هريرة قال: "لما نزلت: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} [النجم: ٦٠]، بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مصر على معصية، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم»"[٤٨٧٤].
عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل عليه السلام ضاحكا قط؟» قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[٤٨٧٥].
عن عبد الله بن مسعود قال:" ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخطئون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حليما سكينا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا ضاحكا ولا حديدا"[٤٨٧٦].

(٤٨٦٧)تفسير البغوي ٧/ ٤٢٠، وجاء عقبه: "يعني: إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردّها عنهم أحد".
(٤٨٦٨) الدر المنثور: ٦٦٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤٨٦٩) لتفسير الميسر: ٥٢٨.
(٤٨٧٠) الدر المنثور: ٦٦٦/٧، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٤٨٧١)الزهد والرقائق لابن المبارك(١٢٧):ص٤١/١.
(٤٨٧٢) الزهد لأحمد بن حنبل(١١٤٨):ص١٦٨.
(٤٨٧٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٥٨/٩.
(٤٨٧٤) شعب الإيمان(٧٧٧):ص٢٣٢/٢.
(٤٨٧٥) الزهد لأحمد بن حنبل(٣٥٩):ص٥٩.
(٤٨٧٦) الزهد لأحمد بن حنبل(٨٩٢):ص١٣٣.

قوله تعالى:{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم : ٦١]، أي:" وأنتم لاهون معرضون عنه؟"[٤٨٧٧].

اختلف في تفسير قوله تعالى:{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم : ٦١]، على وجوه:

أحدها : معناه: غضاب مبرطمون[٤٨٧٨]. قاله مجاهد[٤٨٧٩].

قال مجاهد:" كانوا يمرّون على النبيّ صلى الله عليه وسلم غضابا مُبَرْطِمين[٤٨٨٠]"[٤٨٨١].

عن مجاهد:" {وأنْتُمْ سامِدُونَ}، قال: البَرْطَمة[٤٨٨٢]"[٤٨٨٣].

قال مجاهد:" «البرطمة، وهو العابس الوجه"[٤٨٨٤].

الثاني: غافلون، قاله الحسن[٤٨٨٥]، وقتادة[٤٨٨٦].

الثالث : مستكبرون، قاله السدي[٤٨٨٧].

الرابع : أن السُّمود: اللهو واللعب. قاله الضحاك[٤٨٨٨].

الخامس : هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قاله عكرمة[٤٨٨٩].

قال عكرمة:" هو الغناء بالحِميرية"[٤٨٩٠].

السادس : أن «السامد»: القائم في تحيّر، روي معناه عن إبراهيم[٤٨٩١].

عن إبراهيم، قوله: "{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ}، قال: قيام القوم قبل أن يجيء الإمام"[٤٨٩٢].

قال إبراهيم:" كانوا يكرهون أن يقوموا إذا أقام المؤذن للصلاة، وليس عندهم الإمام، وكانوا يكرهون أن ينتظروه قياما، وكان يقال: ذاك السُّمود، أو من السُّمود"[٤٨٩٣].

عن أبي خالد الوالبيّ، عن عليّ -رضي الله عنه-، قال: "رآهم قياما ينتظرون الإمام، فقال: ما لكم سامدون"[٤٨٩٤].

قوله تعالى:{فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم : ٦٢]، أي:" فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلّموا له أموركم"[٤٨٩٥].

قال قتادة:" اعنِتوا هذه الوجوه لله، وعفّروها في طاعة الله"[٤٨٩٦].

(٤٨٧٧) لتفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٨٧٨) في "الصحاح": البرطمة هي: الانتفاخ من الغيظ والغضب.

(٤٨٧٩) انظر: تفسير مجاهد: ٦٢٩، وتفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢، والكشف والبيان: ١٥٨/٩.

(٤٨٨٠)«البرطمة» هى: التكبر والانتفاخ من الغضب..

(٤٨٨١) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٢.

(٤٨٨٢)البَرْطَمَة: الانتِفاخ مِن الغضب، ورجل مُبَرْطِم: مُتكبِّر. وقيل: مُقَطِّب مُتَغَضِّبٌ. النهاية (برطم).

(٤٨٨٣)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٢٢ -.

(٤٨٨٤) تفسير مجاهد: ٦٢٩.

(٤٨٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٢.

(٤٨٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.

(٤٨٨٧) انظر: النكت والعيون: ٤٠٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٦٨/٧.

(٤٨٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.

(٤٨٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٢.

(٤٨٩٠) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٢.

(٤٨٩١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦١/٢٢.

(٤٨٩٢) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٢.

(٤٨٩٣) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٢.

(٤٨٩٤) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٢.

(٤٨٩٥) لتفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٨٩٦) الدر المنثور: ٦٦٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعة، عن أبيه قال : "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم، فسجد وسَجَد من عنده، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرؤها إلا سجد معه"[٤٨٩٧].

«آخر تفسير سورة (النجم)، والحمد لله وحده»

(٤٨٩٧)المسند (٣٩٩/٦) وسنن النسائي (١٦٠/٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القمر»

«سورة القمر»: هي السورة الرابعة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة السابعة والثلاثون وَفْق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الطارق»، وقبل سورة (ص). وآياتها خمس وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وثلاث وعشرون. فواصل آياتها كلها على حرف «الراء»[٤٨٩٨].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٤٨٩٩]، وابن الزبير[٤٩٠٠].

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: «سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - آية؛ فانشق القمر بمكة مرتين؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}، يقول: ذاهب (٤)»[٤٩٠١]. [صحيح]

الثاني : أنها مكية إلا ثلاث آيات، أوّلها: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ} [القمر : ٤٤]، إلى قوله: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]، نزلت يوم بدر، قاله مقاتل[٤٩٠٢].

(٤٨٩٨) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٥.

(٤٨٩٩) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(٤٩٠٠) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى وابن مردويه.

(٤٩٠١)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٥٧) -ومن طريقه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢١٥٩ - لكن لم يسق لفظه)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، وعبد بن حميد في "المسند" (٣/ ٩٢ رقم ١١٨٢)، والترمذي في "الجامع" (٥/ ٣٩٧ رقم ٣٢٨٦)، والأصبهاني في "دلائل النبوة" (١/ ٢٦٢ رقم ٦)، وأبو يعلى في "المسند" (٥/ ٤٦٣ رقم ٣١٨٧)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٣) - عن معمر عن قتادة عن أنس به.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "قد اتفق الشيخان على حديث شعبة عن قتادة عن أنس: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - , ولم يخرجاه بسياقة حديث معمر، وهو صحيح على شرطهما".

قلنا: وهو كما قال، وقد توسع أخونا الفاضل مساعد الراشد -حفظه الله- في تخريج رواياته في تعليقه على "دلائل النبوة" للأصبهاني؛ فانظرها غير مأمور.

وأخرج أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٢/ ١٢٣ رقم ٢٤٤٧ - منحة)، والطبري في "جامع البيان" (٢٧/ ٥٠، ٥١)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٨)، وأبو نعيم في "الدلائل النبوة" (ص ٢٣٥، ٢٣٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٦) من طريق أبي عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود؛ قال: انشق القمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -, فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فسألوهم؛ فقالوا: نعم قد رأيناه؛ فأنزل الله -تعالى-: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}.

قلنا: وسنده صحيح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٦٧٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

وأخرج عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٥٧) -ومن طريقه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧١)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٥) - عن ابن عيينة ومحمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن مسعود؛ قال: رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي - صلى الله عليه وسلم -: شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} يقول: كما رأيتم القمر منشقاً؛ فإن الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق.

قلنا: وسنده صحيح.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبد الله مختصراً، وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٦٧٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٤٩٠٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.

قال القرطبي: وهذا" ولا يصح"[٤٩٠٣].

الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، حكاه ابن عطية[٤٩٠٤]، وحكاه ابن الجوزي عن مقاتل[٤٩٠٥]. وبه قال الزمخشري[٤٩٠٦].

وقال السمعاني: وهي مكية إلا قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، والآية التي بعدها"[٤٩٠٧].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس هي مكية، وقال قوم هي مما نزل ببدر، وقيل بالمدينة وهي: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر: ٤٥] الآية"[٤٩٠٨].

قال ابن أبي زمنين:" هي مكية كلها"[٤٩٠٩].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٤٩١٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٤٩١١].

قال القرطبي:" سورة القمر مكية كلها في قول الجمهور"[٤٩١٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[٤٩١٣].

(٤٩٠٣) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.

(٤٩٠٤) انظر: المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٤٩٠٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.

(٤٩٠٦) انظر: الكشاف: ٤٣٠/٤.

(٤٩٠٧) تفسير السمعاني: ٣٠٦/٥.

(٤٩٠٨) المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٤٩٠٩) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٥/٤.

(٤٩١٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٥/١.

(٤٩١١) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(٤٩١٢) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.

(٤٩١٣) التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٧.

القرآن

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} [القمر : ١]

التفسير:

دنت القيامة، وانفلق القمر فلقتين، حين سأل كفار «مكة» النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فدعا الله، فأراهم تلك الآية.

سبب النزول:

عن عبدالله بن مسعود، قال: "انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كَبْشة سحركم فسلوا السُّفَّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تبارك وتعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}"[٤٩١٤].

قوله تعالى:{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} [القمر : ١]، أي:" دنت القيامة"[٤٩١٥].

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين فما فضل إحداهما على الأخرى» . وجمع بين إصبعه الوسطى والتي يقول الناس: السبابة"[٤٩١٦].

ال أبو حازم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أبو ضمرة لا أعلمه إلا، عن سهل بن سعد، قال: «"مثلي ومثل الساعة كهاتين". وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: "مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان". ثم قال: "مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم". ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا ذلك"»[٤٩١٧].

قوله تعالى:{وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]، أي:" وانفلق القمر فلقتين"[٤٩١٨].

وفي قوله تعالى:{وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه سينشق بعد مجيء الساعة وهي النفخة الثانية، قاله الحسن[٤٩١٩]، ورواه عثمان بن عطاء عن أبيه[٤٩٢٠]، قال : لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنها آية والناس في الآيات سواء.

الثاني : أن القمر انشق على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته. قالهمجاهد[٤٩٢١]، وقتادة[٤٩٢٢]، والضحاك[٤٩٢٣]، وإبراهيم[٤٩٢٤]. وهو قول الجمهور وظاهر التنزيل[٤٩٢٥].

(٤٩١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.

(٤٩١٥) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٩١٦) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٩٧/١.

(٤٩١٧) أخرجه احمد(٢٢٨٠٩):ص٤٦٧/٣٧، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٥٨٧٢) ، وفي "الأوسط" (٧٣١٩) ، وفي "الصغير" (٩٠٤) ، والرامهرمزي في "الأمثال" (٦٧) ، والبيهقي في "الشعب" (٧٢٦٧) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤٢٠٣).

(٤٩١٨) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٩١٩) انظر: النكت والعيون: ٤٠٩/٥.

(٤٩٢٠) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٠/٩. هو عثمان بن عطاء بن أبي مسلم. أبو مسعود المقدسي، ضعيف، مات سنة (١٥٥ هـ). انظر: "تقريب التهذيب" ٢/ ١٢

(٤٩٢١) انظر: تفسير: الطبري: ٥٦٩/٢٢.

(٤٩٢٢) انظر: تفسير: الطبري: ٥٧٠/٢٢.

(٤٩٢٣) انظر: تفسير: الطبري: ٥٧٠/٢٢.

(٤٩٢٤) انظر: تفسير: الطبري: ٥٧٠/٢٢.

(٤٩٢٥) حكاه الزجاج والماوردي والواحدي وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم، عن الجمهور، انظر: معاني القرآن: ٨١/٥، والنكت والعيون: ٤٠٩/٥، والتفسير البسيط: ٨٩/٢١، والمحرر الوجيز: ٢١١/٥، وزاد المسير: ١٩٧/٤.

أجمع المفسرون، أن القمر انشق على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم –"[٤٩٢٦]، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة .. وهو أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"[٤٩٢٧]، وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها، لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عند التحدي"[٤٩٢٨].

عن مجاهد في قوله: "{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، قال: رأوه منشقا"[٤٩٢٩].

قال مجاهد:" انفلق القمر فلقتين، فثبتت فلقة، وذهبت فلقة من وراء الجبل، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اشْهَدُوا»""[٤٩٣٠].

قال مجاهد:" انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار فرقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: «اشْهَدْ يا أبا بَكْرٍ». فقال المشركون: سحر القمر حتى انشقّ[٤٩٣١]

عن قتادة: " أن أنس بن مالك حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرّتين"[٤٩٣٢].

قال قتادة:" سأل أهل مكة النبيّ صلى الله عليه وسلم آية، فانشقّ القمر بمكة مرّتين، فقال: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}"[٤٩٣٣].

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، قد مضى، كان الشقّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأعرض عنه المشركون، وقالوا: {سِحْر مستمرّ}"[٤٩٣٤].

قال إبراهيم:" مضى انشقاق القمر بمكة"[٤٩٣٥].

عن أنس بن مالك:" أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما"[٤٩٣٦].

عن أنس، قال: "انشق القمر فرقتين"[٤٩٣٧].

عن عبد الله بن مسعود، قال: " انشقّ القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشْهَدُوا»"[٤٩٣٨].

عن عبد الله بن مسعود، قال :" تفلّق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فكانت فرقة على الجبل، وفرقة من ورائه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُم اشْهَدْ»"[٤٩٣٩].

قال عبدالله بن مسعود:" رأيت الجبل من فرج القمر حين انشقّ"[٤٩٤٠].

قال عبدالله بن مسعود: "قد مضى انشقاق القمر"[٤٩٤١].

(٤٩٢٦) معاني القرآن: ٨١/٥.
(٤٩٢٧) تفسير ابن كثير: ٤٧٢/٧.
(٤٩٢٨) تفسير القرطبي: ١٢٦/١٧.
(٤٩٢٩) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٤٩٣٠) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٤٩٣١) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٤٩٣٢) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٢.
(٤٩٣٣) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٤٩٣٤) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٤٩٣٥) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.
(٤٩٣٦) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٢.
(٤٩٣٧) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٢-٥٦٦.
(٤٩٣٨) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(٤٩٣٩) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(٤٩٤٠) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.

قال عبدالله بن مسعود: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم"[٤٩٤٢].

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: " انشقّ القمر، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة"[٤٩٤٣].

عن أبي عبد الرحمن السُلَميّ، قال: "نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي، وحضرت معه، فخطبنا حُذيفة، فقال: ألا إن الله يقول: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المِضمار، وغدا السباق، فقلت لأبي: أتستبق الناس غدا؟ فقال: يا بنيّ إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا، فخطب حُذيفة، فقال: ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سَبق إلى الجنة"[٤٩٤٤].

وفي قراءة حذيفة: "وقد انشق القمر»[٤٩٤٥]، أي: "اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه[٤٩٤٦].

عن ابن عباس، قال: " انشقّ القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤٩٤٧].

عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: " انشقّ القمر قبل الهجرة، أو قال: قد مضى ذاك"[٤٩٤٨].

عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: "{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}، قال: ذاك قد مضى كان قبل الهجرة، انشقّ حتى رأوا شِقيه"[٤٩٤٩].

عن ابن عباس، قوله: "{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}... إلى قوله: {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، قال:" قد مضى، كان قد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأعرض المشركون وقالوا: سحر مستمرّ"[٤٩٥٠].

القرآن

{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)} [القمر : ٢]

التفسير:

وإن ير المشركون دليلا وبرهانًا على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكرين، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له.

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر : ٢]، أي:" وإن ير المشركون دليلا وبرهانًا على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكرين، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له"[٤٩٥١].

(٤٩٤١) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(٤٩٤٢) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.
(٤٩٤٣) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٢.
(٤٩٤٤) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢-٥٦٨.
(٤٩٤٥) انظر: الكشاف: ٤٣١/٤.
(٤٩٤٦) انظر: الكشاف: ٤٣١/٤.
(٤٩٤٧) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٢.
(٤٩٤٨) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٢.
(٤٩٤٩) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٤٩٥٠) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٢.
(٤٩٥١) التفسير الميسر: ٥٢٨.

قال الضحاك:" كان القمر قد انشقّ ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة قبل أن يُهاجِر، فقالوا: هذا سحرُ أسْحَرِ السَّحرة، فافعلوا كما فعل المشركون؛ إذا كُسِف القمر ضربوا بِطِساسِهم، واصفرّ أحبارهم، وقالوا: هذا فِعلُ السّحر. فذلك قوله: {وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}"[٤٩٥٢].

عن الضحاك: "{وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، كما يقول أهل الشرك إذا كُسف القمر يقولون: هذا عمل السحرة"[٤٩٥٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} [القمر : ٢]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: سحر مارٌّ ذاهب، يذهب ويتلاشى ولا يبقى، مَنَّوْا أنفسَهم بذلك، قاله مجاهد[٤٩٥٤]، وقتادة[٤٩٥٥].

عن قتادة، قوله: {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}، قال: "إذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا: إنما هذا عمل السحر، يوشك هذا أن يستمرّ ويذهب"[٤٩٥٦].

الثاني : أي: قد استمر من الأرض إلى السماء ، قاله مجاهد-أيضا-[٤٩٥٧].

الثالث: أي: سحر نافذ. قاله الربيع[٤٩٥٨].

القرآن

{وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)} [القمر : ٣]

التفسير:

وكذَّبوا النبي صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب، وكلُّ أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب.

قوله تعالى:{وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [القمر : ٣]، أي:" وكذَّبوا النبي صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب "[٤٩٥٩].

قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[٤٩٦٠].

قوله تعالى:{وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} [القمر : ٣]، أي:" وكلُّ أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب"[٤٩٦١].

عن مجاهد:" {وكُلُّ أمْرٍ مُسْتَقِرٌّ}، قال: يوم القيامة"[٤٩٦٢].

قال قتادة:" مستقرٌّ بأهل الخيرِ الخيرُ، وبأهل الشرِّ الشرُّ"[٤٩٦٣].

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)} [القمر : ٤]

التفسير:

(٤٩٥٢) الدر المنثور: ٦٧٢/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤٩٥٣) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٢.

(٤٩٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٢.

(٤٩٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٢.

(٤٩٥٦) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٢.

(٤٩٥٧) انظر: النكت والعيون: ٤١٠/٥. وحكاه القرطبي: ١٢٨/١٧، دون نسبة.

(٤٩٥٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٦٢.

(٤٩٥٩) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٩٦٠)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.

(٤٩٦١) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٩٦٢)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦١٦ -.

(٤٩٦٣) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد.

ولقد جاء كفار قريش من أنباء الأمم المكذبة برسلها، وما حلَّ بها من العذاب، ما فيه كفاية لردعهم عن كفرهم وضلالهم.

عن مجاهد، قوله: "{مُزْدَجَرٌ}، قال: مُنتهى"(٤٩٦٤). وفى لفظ: "مُتَناهِي"(٤٩٦٥).

قال قتادة:" أي: هذا القرآن"(٤٩٦٦).

عن عمر بن عبد العزيز:" أنه خطب بالمدينة، فتلا هذه الآية: {ولَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ}، قال: أحلّ فيه الحلال، وحرَّم فيه الحرام، وأنبأكم فيه ما تأتون، لم يَدعْكم في لَبْسٍ مِن دينكم، كرامة أكرمكم بها، ونعمة أتمّ بها عليكم"(٤٩٦٧).

القرآن

{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)} [القمر : ٥]

التفسير:

هذا القرآن الذي جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها، فأي شيء تغني النذر عن قوم أعرضوا وكذَّبوا بها؟

عن السدي: "{وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ} [يونس : ١٠١]، يقول: عند قوم لا يؤمنون نسخت قوله {حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِ النُّذُرُ} [القمر: ٥]"(٤٩٦٨).

القرآن

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)} [القمر : ٦]

التفسير:

فأعرض -أيها الرسول- عنهم، وانتظر بهم يومًا عظيمًا. يوم يدعو الملك بنفخه في «القرن» إلى أمر فظيع منكر، وهو موقف الحساب.

قوله تعالى:{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} [القمر : ٦]، أي:" فأعرض يا محمد عن هؤلاء المجرمين وانتظرهم"(٤٩٦٩).

عن مجاهد {فتول عنهم} [الصافات: ١٧٤]، أي: «يا محمد»"(٤٩٧٠).

قوله تعالى:{يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ} [القمر : ٦]، أي:" يوم يدعو إسرافيل إلى شيءٍ منكر فظيع، تنكره النفوس لشدته وهوله، وهو يوم القيامة"(٤٩٧١).

روي عن مجاهد وقتادة، أنهما قرآ: "إلى شيء نُكِرَ"، بكسر الكاف وفتح الراء، على الفعل المجهول أي: أنكر(٤٩٧٢).

وقرأ الحسن: "{نُكُرٍ}، بإسكان الكاف"(٤٩٧٣).

(٤٩٦٤) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢.

(٤٩٦٥)تفسير مجاهد : ٦٣٤، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق: ٤/ ٣٢٧ -، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٩٦٦) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٢.

(٤٩٦٧) الدر المنثور: ٦٧٣/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤٩٦٨) الدر المنثور: ٣٩٤/٤، وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٤٩٦٩) صفوة التفاسير: ٢٦٧/٣.

(٤٩٧٠) تفسير مجاهد: ٦٢١.

(٤٩٧١) صفوة التفاسير: ٢٦٧/٣.

(٤٩٧٢) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/٢٥، [ط. دار التفسير]، وانظر: "المحتسب"، لابن جني: ٢/ ٢٩٨.

(٤٩٧٣) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/٢٥، [ط. دار التفسير]، وانظر: "المحتسب"، لابن جني: ٢/ ٢٩٨.

القرآن
{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)} [القمر : ٧-٨]

التفسير:

ذليلة أبصارهم يخرجون من القبور كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جرادٌ منتشر في الآفاق، مسرعين إلى ما دُعُوا إليه، يقول الكافرون: هذا يوم عسر شديد الهول.

قوله تعالى:{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ} [القمر : ٧]، أي:" ذليلةً أبصارهم لا يستطيعون رفعها من شدة الهول"(٤٩٧٤).

عن قتادة، قوله: "{خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ}، أي: ذليلة أبصارهم"(٤٩٧٥).

وقرئ:«خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ»، بالألف(٤٩٧٦).

قوله تعالى:{يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} [القمر : ٧]، أي:" يخرجون من القبور كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جرادٌ منتشر في الآفاق"(٤٩٧٧).

قال عطاء الخراساني:" الأجداث: القبور"(٤٩٧٨).

قال الحسن:" شبّههم بالجراد؛ إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلع عليه الشمس انتشر"(٤٩٧٩).

عن أبي هريرة، قال: "تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها"(٤٩٨٠).

قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} [القمر : ٨]، أي:" مسرعين إلى ما دُعُوا إليه"(٤٩٨١).

وفي قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} [القمر : ٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: مسرعين إلى الداعي، قاله سعيد بن جبير(٤٩٨٢)، والحسن(٤٩٨٣)، وقتادة(٤٩٨٤)، ومنه قول يزيد بن مفرّغ الحميريّ(٤٩٨٥):

بِدِجْلَةَ أَهْلُهَا ولَقَد أراهُمْ... بِدِجْلَةَ مُهْطِعِينَ إلى السّمَاعِ

عن الحسن:" {مُهْطِعِينَ إلى الدّاعِ}، قال: مُنطلقين"(٤٩٨٦).

عن سعيد بن جبير:" «مُهْطِعِينَ إلى الدّاعِي»، قال: هو النَّسَلان(٤٩٨٧)"(٤٩٨٨).

(٤٩٧٤) صفوة التفاسير: ٢٦٧/٣.

(٤٩٧٥) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٢.

(٤٩٧٦) انظر تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٢.

(٤٩٧٧) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٩٧٨)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٠.

(٤٩٧٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣١٧ -.

(٤٩٨٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في " التفسير": ٨١٣/٢.

(٤٩٨١) التفسير الميسر: ٥٢٨.

(٤٩٨٢) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٩٨٣) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٣.

(٤٩٨٤) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٩٨٥) ديوانه" ص ١٦٧، وورد في "مجاز القرآن" ١/ ٣٤٣، و"الوقف والابتداء" لابن الأنباري ١/ ٦٧، و"والمحرر الوجيز" ٨/ ٢٥٩، وفيها (دارُهم) بدل (أهلها)، وورد غير منسوب في "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٦٦، و"تهذيب اللغة" (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، و"الفريد في إعراب القرآن" ٣/ ١٧٣، و"تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦، و"اللسان" (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، و"الدر المصون" ٧/ ١٢٠، و"عمدة الحفاظ" ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي أنهم مقبلون برؤوسهم إلى سماع الداعي.

(٤٩٨٦) الدر المنثور: ٥٧٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤٩٨٧)نسل الماشي ينسل (كيضرب ويقتل) نسلا (بالتسكين والتحريك) ونسلانا: أسرع. وأصل النسلان للذئب، ثم استعمل

الثاني : عامدين إلى الداعي، قاله قتادة[٤٩٨٩].
الثالث : معناه: ناظرين، والمهطع: الدائم النظر لا يطرف، قاله الضحاك[٤٩٩٠]، وأبو الضحى[٤٩٩١]، وتميم بن حَدْلم[٤٩٩٢].
قال أبو الضحى:" الإهطاع: التحميج الدائم الذي لا يَطْرَف"[٤٩٩٣].
قال الضحاك:" شدة النظر الذي لا يطرف"[٤٩٩٤]. وفي رواية:" شدة النظر في غير طَرْف"[٤٩٩٥].
قال مجاهد:" مُديمي النظر"[٤٩٩٦].
قال الضحاك:" الإهطاع: شدة النظر في غير طَرْف"[٤٩٩٧].
قال تميم بن حَدْلم:" الإهطاع: التحميج[٤٩٩٨]"[٤٩٩٩].
الرابع : معناه: فاتحين آذانهم إلى الصوت ، قاله عكرمة[٥٠٠٠].
قال عكرمة:" صائخي آذانهم إلى الصوت"[٥٠٠١].
قوله تعالى:{يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر : ٨]، أي:" يقول الكافرون: هذا يوم عسر شديد الهول"[٥٠٠٢].
روي عن قتادة في قوله: "{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ} قال: شديد، ثم بَيَّن على مَن مَشَقَّتُه وعُسْرُه، فقال: {عَلَى الكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}"[٥٠٠٣].

القرآن
{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)} [القمر : ٩]
التفسير:
كذَّبت قبل قومك -أيها الرسول- قوم نوح فكذَّبوا عبدنا نوحًا، وقالوا: هو مجنون، وانتهروه متوعدين إياه بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته.
قوله تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ} [القمر : ٩]، أي:" كذَّبت قبل قومك -أيها الرسول- قوم نوح"[٥٠٠٤].

في غيره.
(٤٩٨٨)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٢٧ - ٣٢٨ - . وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٦٧٤/٧، إلى عبد بن حميد.
(٤٩٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.
(٤٩٩٠) انظر: تفسير الطبري:٣٠/١٧.
(٤٩٩١) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.
(٤٩٩٢) انظر تفسير الطبري:٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.
(٤٩٩٣) أخرجه الطبري: ٢٩/١٧.
(٤٩٩٤) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٩٩٥) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٩٩٦) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٩٩٧) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٩٩٨) «التحميج»: إدامة النظر، والقلب كاره أو محنق، أو التحديق في النظر. يقال: حَمَّجَ تحميجاً، أي نظر بخوف، وتحميج التعيين: غؤُورُهما انظر: "المحيط في اللغة" (حمج) ٢/ ٤١٨.
(٤٩٩٩) انظر تفسير الطبري:٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.
(٥٠٠٠) انظر النكت والعيون: ٤١١/٥.
(٥٠٠١)الدر المنثور: ٦٧٤/٧، وعزاه عبد بن حميد، وانظر: النكت والعيون: ٤١١/٥.
(٥٠٠٢) التفسير الميسر: ٥٢٨.
(٥٠٠٣)أخرج أوله ابن جرير ٢٣/ ٤٢٠. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور":٣٢٨/٨ إلى عَبد بن حُمَيد.
(٥٠٠٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.

عن يزيد الرقاشي، قال: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"[٥٠٠٥].

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} [القمر : ٩]، أي:" فكذَّبوا عبدنا نوحًا، وقالوا: هو مجنون، وانتهروه متوعدين إياه بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته"[٥٠٠٦].

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{وَازْدُجِرَ} [القمر : ٩]، على قولين:

أحدهما: كان زجرهم إياه أن قالوا: استُطِير جنونا. قاله مجاهد[٥٠٠٧].

قال مجاهد:" استُطِير جنونا"[٥٠٠٨]. وفي رواية :"استعر جنونا"[٥٠٠٩].

الثاني: تهدّدوه بالقتل. قاله الحسن[٥٠١٠].

القرآن

{فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)} [القمر : ١٠ - ١٢]

التفسير:

فدعا نوح ربه أنِّي ضعيف عن مقاومة هؤلاء، فانتصر لي بعقاب من عندك على كفرهم بك. فأجبنا دعاءه، ففتحنا أبواب السماء بماء كثير متدفق، وشققنا الأرض عيونًا متفجرة بالماء، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدَّره الله لهم؛ جزاء شركهم.

قوله تعالى:{ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} [القمر : ١١-١٢]، أي:" فأجبنا دعاءه، ففتحنا أبواب السماء بماء كثير متدفق، وشققنا الأرض عيونًا متفجرة بالماء"[٥٠١١].

عن طلحة، قال: سمعت عطاء، يقول:" بلغني أن نوحا عليه السلام قال لجاريته: إذا فار تنورك ماء فأخبريني قال عطاء: بلغني أنها لما فرغت من آخر خبزها فار التنور فذهبت إلى سيدها فأخبرته فركب هو ومن معه في أعلى السفينة وفتح الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا"[٥٠١٢].

عن أبي الطفيل: "إن ابن الكواء سأل عليا، عن المجرة، فقال: هي شرج السماء، ومنها فتحت أبواب السماء بماء منهمر، ثم قرأ: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ}، الآية"[٥٠١٣].

قوله تعالى:{فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} [القمر : ١٢]، أي:" فالتقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدَّره الله لهم؛ جزاء شركهم"[٥٠١٤].

عن محمد بن كعب: " {فالْتَقى الماءُ}، قال: ماء السماء وماء الأرض، {عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} ، قال: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء، وتلا: {فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}"[٥٠١٥].

وقرئ: «الماءان»، أي: النوعان من الماء السماوي والأرضي، وقرأ الحسن: «الماوان»، بقلب الهمزة واوا[٥٠١٦].

(٥٠٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٦):ص١٥٠٥/٥.

(٥٠٠٦) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٥٠٠٨) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٥٠٠٩) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٢.

(٥٠١٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣١٧ - . وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٦٧٥/٧، إلى سعيد بن منصور، وعَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٥٠١١) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٨٦٣):ص٢٠٢٩/٦، و(٣٥٤٩٦):ص٢٦٥/١١.

(٥٠١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٠٤):ص٣٣٢٠/١٠.

(٥٠١٤) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠١٥) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٢، وانظر: الدر المنثور: ٦٧٥/٧، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٥٠١٦) انظر: الكشاف: ٤٣٤/٤.

القرآن

{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)} [القمر : ١٣-١٤]

التفسير:

وحملنا نوحًا ومَن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شُدَّت بها، تجري بمرأى منا وحفظ، وأغرقنا المكذبين؛ جزاء لهم على كفرهم وانتصارًا لنوح عليه السلام.

قوله تعالى:{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} [القمر : ١٣]، أي:" وحملنا نوحًا ومَن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شُدَّت بها"(٥٠١٧).

وفي معنى «الدسر»، أقوال:

أحدها : أنها المسامير التي شدّت بها السفينة، أي شدت، قاله ابن جبير(٥٠١٨)، وقتادة(٥٠١٩)، والقرظي(٥٠٢٠).

الثاني : الدُّسُر: صَدْر السفينة الذي يضرب الموج، لأنها تدسر الماء بصدرها، أي: تدفعه. قاله الحسن(٥٠٢١)، وعكرمة(٥٠٢٢).

الثالث : أن الدسر: عوارض السفينة. قاله مجاهد(٥٠٢٣).

قال مجاهد:" {ألواح}: السفينة {ودسر}: عوارضها"(٥٠٢٤).

الرابع: أن الدُّسُر: أضلاع السفينة. قاله مجاهد -أيضا-(٥٠٢٥).

الخامس: أن الألواح: جانبا السفينة. والدُّسُر: طرفاها وأصلاها. قاله الضحاك(٥٠٢٦).

قوله تعالى:{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر : ١٤]، أي:" تجري بمرأى منا وحفظ"(٥٠٢٧).

قال الضحاك:" بأمرنا"(٥٠٢٨). وفي رواية:" بمنظر منا"(٥٠٢٩).

وقال الربيع :" بحفظنا"(٥٠٣٠).

وعن قتادة في قوله :"{بأعيننا ووحينا}، قال: بعين الله ووحيه"(٥٠٣١).

وعن عطاء:" {بأعيننا ووحينا}، فيقال بعين الله ورحمته"(٥٠٣٢).

قوله تعالى:{جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} [القمر : ١٤]، أي:" وأغرقنا المكذبين؛ جزاء لهم على كفرهم وانتصارًا لنوح عليه السلام"(٥٠٣٣).

عن مجاهد: "{جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}، قال: كَفَر بالله"(٥٠٣٤). وفي رواية:" لمن كان كفر فيه"(٥٠٣٥).

(٥٠١٧) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٧٠٦):ص٣٣٢٠/١٠.

(٥٠١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢.

(٥٠٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢.

(٥٠٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٢-٥٨٠.

(٥٠٢٢) انظر: النكت والعيون: ٤١٢/٥.

(٥٠٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.

(٥٠٢٤) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٢.

(٥٠٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.

(٥٠٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٢.

(٥٠٢٧) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٢٨) النكت والعيون: ٤١٣/٥.

(٥٠٢٩) التفسير البسيط: ٤١٠/١١.

(٥٠٣٠) التفسير البسيط: ٤١٠/١١.

(٥٠٣١) أخرجه الطبري(١٨١٣١):ص٣٠٩/١٥.

(٥٠٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٨٤٣):ص/٢٠٢٦.

(٥٠٣٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.

القرآن

{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦)} [القمر : ١٥-١٦]

التفسير:

ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلا على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بما حلَّ بهذه الأمة التي كفرت بربها، فهل من متعظ يتعظ؟ فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بما جاءت به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً} [القمر : ١٥]، أي:" ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلا على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بما حلَّ بهذه الأمة التي كفرت بربها"(٥٠٣٦).

قال قتادة:" ألقى الله سفينة نوح على الجوديّ حتى أدركها أوائل هذه الأمة"(٥٠٣٧).

قال قتادة:" أبقاها الله بباقَردى من أرض الجزيرة، عبرة وآية، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظرا، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رمادا"(٥٠٣٨).

عن مجاهد:" أن الله حين غرّق الأرض، جعلت الجبال تشمخ، فتواضع الجوديّ، فرفعه الله على الجبال، وجعل قرار السفينة عليه"(٥٠٣٩).

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ١٥]، أي:" فهل من متعظ يتعظ؟"(٥٠٤٠).

قال الحسن:" فهل من خائف يتذكر"(٥٠٤١).

قال محمد بن كعب القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"(٥٠٤٢).

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)} [القمر : ١٧]

التفسير:

ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]، أي:" ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر"(٥٠٤٣).

عن مجاهد، قوله: "{يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}، قال: هوّناه"(٥٠٤٤). وفي رواية:" هونا قراءته"(٥٠٤٥).

وقال السدي : "يسرنا تلاوته على الألسن"(٥٠٤٦).

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ١٧]، أي:" فهل من متعظ به؟"(٥٠٤٧).

(٥٠٣٤) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٢.

(٥٠٣٥) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٢.

(٥٠٣٦) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٣٧) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٢.

(٥٠٣٨) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٢.

(٥٠٣٩) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٢-٥٨٣.

(٥٠٤٠) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٤١) تفسير عبدالرزاق(٣٠٦٧):ص٢٦١/٣.

(٥٠٤٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.

(٥٠٤٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٤٤) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(٥٠٤٥) تفسير مجاهد: ٦٣٤.

(٥٠٤٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.

(٥٠٤٧) التفسير الميسر: ٥٢٩.

عن قتادة: "{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه"(٥٠٤٨).
قال مطر-وهو الوراق-:" هل من طالب علم فيعان عليه؟"(٥٠٤٩).
عن حماد بن زيد عن عاصم قال: "سمع أبو العالية رجلا وهو يقول سورة قصيرة، فقال: أنت أقصر وألم؛ قال: وكان ابن سيرين يكره أن يقول سورة خفيفة، فإن الله يقول: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل : ٥]، ولكن قل: سورة يسيرة، فإن الله يقول: {لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]"(٥٠٥٠).

القرآن
{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)} [القمر : ١٨]
التفسير:
كذبت عاد هودًا فعاقبناهم، فكيف كان عذابي لهم على كفرهم، ونذري على تكذيب رسولهم، وعدم الإيمان به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا.
قوله تعالى:{كَذَّبَتْ عَادٌ} [القمر : ١٨]، أي:" كذبت عادٌ رسولهم هوداً"(٥٠٥١).
قال الربيع بن خثعم:" عاد ما بين اليمن إلى الشام مثل الذر"(٥٠٥٢).
عن السدي:" إنّ عادًا كانوا قومًا باليمن بالأحقاف، والأحقاف: هي الرمال، فأتاهم، فوعظهم، وذكَّرهم بما قصَّ اللهُ في القرآن، فكذَّبوه، وسألوا أن يأتيهم بالعذاب"(٥٠٥٣).

القرآن
{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)} [القمر : ١٩-٢٠]
التفسير:
إنَّا أرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرد، في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك، تقتلع الناس من مواضعهم على الأرض فترمي بهم على رؤوسهم، فتدق أعناقهم، ويفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المنقلع من أصله.
قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} [القمر : ١٩]، أي:" أرسلنا عليهم ريحاً عاصفة باردة شديدة الهبوب"(٥٠٥٤).
قال قتادة:" الصَّرصر: الباردة"(٥٠٥٥). وروي عن الضحاك مثله(٥٠٥٦).
قال الحسن:" الصرصر: الباردة"(٥٠٥٧).
قوله تعالى:{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر : ١٩]، أي:" في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك"(٥٠٥٨).

(٥٠٤٨) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.
(٥٠٤٩) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢-٥٨٥، وابن أبي حاتم(١٨٧٠٧):ص٣٣٢٠/١٠.
(٥٠٥٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٨):ص١٤/٣.
(٥٠٥١) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.
(٥٠٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٩٥):ص٢٧٩٢/٨.
(٥٠٥٣)أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٩٢. وقد تقدم بسط قصة عاد مع نبيهم هود في سورة الأعراف.
(٥٠٥٤) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.
(٥٠٥٥) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٢.
(٥٠٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٢.
(٥٠٥٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.
(٥٠٥٨) التفسير الميسر: ٥٢٩.

عن قتادة: "{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}، يستمرّ بهم إلى نار جهنم"[٥٠٥٩]، وفي رواية:" {مُسْتَمِرٍّ} استمرّ عليهم شرّه"[٥٠٦٠].

قال السدي:" النّحس: الشؤم، والمستمرّ: استمرّ عليهم العذاب {سَبْعَ لَيالٍ وثَمانِيَةَ أيّامٍ حُسُومًا} قال: حَسمتْ كلّ شيء مرّتْ به {فَتَرَى القَوْمَ فِيها صَرْعى} [الحاقة: ٧]، {كَأَنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}"[٥٠٦١].

وفي تفسير قوله تعالى:{فِي يَوْمِ نَحْسٍ} [القمر : ١٩]، قولان:

أحدهما : يوم شديد. قاله الضحاك[٥٠٦٢].

الثاني: أي: في يوم شؤم. قاله الحسن[٥٠٦٣]، وقتادة[٥٠٦٤]، والسدي[٥٠٦٥].

قال الحسن:" النّحس: المشؤوم"[٥٠٦٦].

قال قتادة:" النَّحْس: الشؤم"[٥٠٦٧].

قال قتادة:" في يوم مشئوم على القوم"[٥٠٦٨].

عن زر بن حبيش: "{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}، قال: يوم الأربعاء"[٥٠٦٩].

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "«يوم الأربعاء يوم نحْسٍ مستمرّ»"[٥٠٧٠].

عن أنس، قال: سُئِل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن الأيام، وسُئل عن يوم الأربعاء. قال: «يوم نحْسٍ». قالوا: وكيف ذاك، يا رسول الله؟ قال: «أغرق الله فرعون وقومه، وأهلك عادًا وثمود»[٥٠٧١].

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «آخر أربعاء في الشهر يوم نحْسٍ مستمرّ»[٥٠٧٢].

(٥٠٥٩) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٢.

(٥٠٦٠) الدر المنثور: ٥٧٩/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥٠٦١)أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات(١٢٩):ص ٤/ ٤٥٨.

(٥٠٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٢.

(٥٠٦٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.

(٥٠٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٢.

(٥٠٦٥)أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات(١٢٩):ص ٤/ ٤٥٨.

(٥٠٦٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.

(٥٠٦٧) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٢.

(٥٠٦٨) .

(٥٠٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٠٨):ص٣٣٢٠/١٠.

(٥٠٧٠)أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٢٤٣ (٧٩٧)، ٦/ ٢٨٣ (٦٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى ١٠/ ٢٨٦ (٢٠٦٥٥)، من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله به.

قال الطبراني: «لم يروِ هذا الحديثَ عن جعفر بن محمد إلا إبراهيم بن أبي حية». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١/ ٢١٨ (٦٣): «هذا الأصل فيه مرسل، والزيادة فيه ينفرد بها إبراهيم، وهو لا شيء». وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٧٤ بعد أن ذكر أحاديث وهذا من بينها: «هذه الأحاديث لا تصحّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... ، وأما حديث جابر فلم يروه غير إبراهيم، قال الدارقطني: هو متروك». وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ٤٩٢ (٢١٣٣): «إبراهيم ضعيف جدًّا». وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ٥٥ (٢٤): «لا يصحّ، فيه إبراهيم بن أبي حية». وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ص ١١٦: «موضوع». وقال المناوي في فيض القدير ١/ ٤٧: «سند ضعيف ... ». وقال أبو عبد الرحمن الحوت في أسنى المطالب ص ٣٣٥ (١٧٧٨): «موضوع». وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٣٨ (٢٩): «قال الصنعاني: موضوع. وكذا قال ابن الجوزي. ورواه الخطيب وفي إسناده كذّاب، ورواه ابن مردويه وفي إسناده متروك». وقال الألباني في الضعيفة ٤/ ٨٣: «أورده ابن الجوزي في الموضوعات أيضًا من طرق، وكلها واهية شديدة الضعف، فما أبعد ابن الجوزي عن الصواب، وما أحسن السيوطي بإيراده إياه في الزيادة على الجامع».

(٥٠٧١)أخرجه ابن مردويه -كما في اللآلئ المصنوعة ١/ ٤٤٢ - ، من طريق أبي الأخيل خالد بن عمرو الحمصي، عن يزيد بن خالد القرشي، عن عبد الرحمن بن كسرى، عن مسلم بن عبد الله، عن سعيد بن ميمون، عن أنس بن مالك به.

قال السيوطي: «أبو الأخيل متهم».

قوله تعالى:{تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} [القمر : ٢٠]، أي:" تقلع الريح القوم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدقُّ رقابهم وتتركهم، كأنهم أُصول نخلٍ قد انقلعت من مغارسها وسقطت على الأرض"(٥٠٧٣).

عن مجاهد، قوله: "{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}، قال: سقطت رءوسهم كأمثال الأخبية، وتفرّدت، أو وتَفَرّقت أعناقهم وقال " أبو جعفر: أنا أشك"، فشبهها بأعجاز نخل منقعر"(٥٠٧٤).

عن السدي:" {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} انقعر من أصوله"(٥٠٧٥).

عن الحسن، قال: "لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد، فأخذ بعضهم بأيدي بعض كما تفعل الأعاجم، وغمزوا أقدامهم في الأرض وقالوا: يا هود من يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقا، فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل مُنْقَعر"(٥٠٧٦).

قال ابن إسحاق: " لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة شَماليًّا، منهم ستة من أشدّ عاد وأجسمها، منهم عمرو بن الحُلَيِّ والحارث بن شداد والهلقام وابنا تيقن وخَلَجان بن أسعد، فأدلجوا العيال في شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردّوا الريح عمن بالشِّعب من العِيال، فجعلت الريح تخفقُهم رجلا رجلا فقالت امرأة من عاد(٥٠٧٧):

ذَهَبَ الدَّهْرُ بعَمْرِو بْ ... نِ حُلَيٍّ والهَنيَّاتِ
ثُمَّ بالحارثِ والهِلْ ... قامِ طَلاعِ الثَّنيَّاتِ
وَالَّذِي سَدَّ عَلَيْنا الرّ ... يحَ أَيَّامَ البَلِيَّاتِ"(٥٠٧٨).

لما هبَّت الريح قام سبعة من عاد، فقالوا: نردّ الريح، فأتوا فم الشعب الذي يأتي منه الريح، فوقفوا عليه، فجعلت الريح تهبّ، فتدخل تحت واحد واحد، فتقتلعه من الأرض فترمي به على رأسه، فتندقّ رقبته، ففعلت ذلك بستة منهم، وتركتهم كما قال الله: {أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}، وبقي الخلجان فأتى هودا فقال: يا هود ما هذا الذي أرى في السحاب كهيئة البخاتيّ؟ قال: تلك ملائكة ربي، قال: ما لي إن أسلمت؟ قال: تَسْلَم، قال: أيُقيدني ربك إن أسلمت من هؤلاء؟ فقال: ويلك أرأيت ملكا يقيد جنوده؟ فقال: وعزّته لو فعل ما رضيت. قال: ثم مال إلى جانب الجبل، فأخذ بركن منه فهزّه، فاهتز في يده، ثم جعل يقول(٥٠٧٩):

لَمْ يَبْقَ إلا الخَلَجانُ نَفْسُهُ ... يا لَكَ مِنْ دَهانِي أَمْسُهُ

(٥٠٧٢)أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ٥٨٤ (٤٨٣١)، وابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٧٣، من طريق مسلمة بن الصلت، عن أبي الوزير صاحب ديوان المهدي، عن المهدي أمير المؤمنين، عن أبيه، عن أبيه، عن ابن عباس به.
قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٨: «ضعيف، بل واهٍ؛ لضعف رواية سلمة بن الصلت وغيره». وقال في فيض القدير ١/ ٤٧ (٨): «فيه سلمة بن الصلت؛ قال أبو حاتم: متروك. وجزم ابن الجوزي بوضعه، وحكاه في الكبير ولم يتعقّبه، وقال ابن رجب: حديث لا يصحّ». وقال السيوطي: «سند ضعيف». وقال في اللآلئ المصنوعة ١/ ٤٤١: «مسلمة متروك». وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ٥٥ (٢٣): «ولا يصحّ، فيه مسلمة بن الصلت؛ متروك». وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٣٨ (٢٦) وقال: «قال ابن حجر: هذا كذب على ابن عباس لا تحل روايته». وقال الألباني في الضعيفة ٤/ ٨٣ (١٥٨١): «موضوع».
(٥٠٧٣) صفوة التفاسير: ٢٦٨/٣.
(٥٠٧٤) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢٢.
(٥٠٧٥)أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات(١٢٩):ص ٤/ ٤٥٨.
(٥٠٧٦) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٢.
(٥٠٧٧)هذه الأبيات لامرأة من عاد قوم هود عليه السلام (هامش القرطبي ١٧: ١٣٦) . وقد ذكر المؤلف الأبيات في قصة عاد حينما سلط الله عليهم الريح. والله أعلم بمن قالها وبمن رواها. وقوله: «علينا»، زيادة لإصلاح الوزن، وهي ساقطة من الأصل.
(٥٠٧٨) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٢، وانظر: الكشف والبيان: ١٦٥/٩-١٦٦.
(٥٠٧٩)وهذان البيتان من الأشعار التي رواها أهل القصص في قصة هلاك عاد قوم هود بالريح. وقد أوردها الثعلبي المفسر في كتابه قصص الأنبياء المشهور بعرائس المجالس ص ٦٤ من طبعة الحلبي.

بِثابتِ الوَطْءِ شَدِيدٍ وَطْسُهُ ... لَوْ لَمْ يَجِئْنِي جِئْتُهُ أَحُسُّهُ
قال: ثم هبت الريح فألحقته بأصحابه"[٥٠٨٠].

عن محمد بن قرظة بن كعب، عن أبيه، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «انتزعت الريح الناس من قبورهم»[٥٠٨١].

عن أبي هريرة، قال: "إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة، لو اجتمع عليها خمس مئة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها، وإن كان الرجل منهم ليغمز قدمه في الأرض، فتدخل في الأرض"[٥٠٨٢].

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢)} [القمر : ٢٢]

التفسير:

ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم وللتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ٢٢]، أي:" ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم وللتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر"[٥٠٨٣].

عن مجاهد، قوله: "{يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}، قال: هوّناه"[٥٠٨٤]. وفي رواية:" هونا قراءته"[٥٠٨٥].

وقال السدي : "يسرنا تلاوته على الألسن"[٥٠٨٦].

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٢٢]، أي:" فهل من متعظ به؟"[٥٠٨٧].

عن قتادة: "{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه"[٥٠٨٨].

قال مطر-وهو الوراق-:" هل من طالب علم فيعان عليه؟"[٥٠٨٩].

القرآن

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)} [القمر :٢٣-٢٤]

التفسير:

كذبت ثمود -وهم قوم صالح- بالآيات التي أُنذروا بها، فقالوا: أبشرًا منا واحدًا نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟ إنا إذا لفي بُعْدٍ عن الصواب وجنون.

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ} [القمر : ٢٣]، أي:" كذبت ثمود -وهم قوم صالح- بالآيات التي أُنذروا بها"[٥٠٩٠].

(٥٠٨٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٧-٥٨٨.
(٥٠٨١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٦/٩.
(٥٠٨٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٨.
(٥٠٨٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥٠٨٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٤.
(٥٠٨٥) تفسير مجاهد: ٦٣٤.
(٥٠٨٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.
(٥٠٨٧) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥٠٨٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٤.
(٥٠٨٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٤-٥٨٥، وابن أبي حاتم(١٨٧٠٧):ص١٠/٣٣٢٠.
(٥٠٩٠) التفسير الميسر: ٥٢٩.

عن الحسن البصري -من طريق إسماعيل- أنه سُئل: "يا أبا سعيد، أرأيت قوله: {كذبت قوم نوح المرسلين}، و {كذبت عاد المرسلين}، و {كذبت ثمود المرسلين}، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إنّ الآخر جاء بما جاء الأول، فإذا كذبوا واحدًا فقد كذبوا الرسل أجمعين"(٥٠٩١).

قوله تعالى:{فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٢٤]، أي:" فقالوا: أبشرًا منا واحدًا نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟، إنا إذا لفي بُعْدٍ عن الصواب وجنون"(٥٠٩٢).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}: في عناء وعذاب"(٥٠٩٣). وفي رواية:" ضلال وعناء"(٥٠٩٤).

القرآن

{أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦)} [القمر : ٢٥-٢٦]

التفسير:

أأنزل عليه الوحي وخُصَّ بالنبوة مِن بيننا، وهو واحد منا؟ بل هو كثير الكذب والتجبر. سَيَرون عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة مَن الكذاب المتجبر؟

قوله تعالى:{أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا} [القمر : ٢٥]، أي:" أأنزل عليه الوحي وخُصَّ بالنبوة مِن بيننا، وهو واحد منا؟"(٥٠٩٥).

عن السدي في قوله:" {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْر} [النحل : ٤٤]، قال: هو القرآن"(٥٠٩٦).

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} [القمر : ٢٥]، أي:" بل هو كثير الكذب والتجبر"(٥٠٩٧).

عن الحسن بن محمد بن سعيد القرشيّ، قال: "قلت لعبد الرحمن بن أبي حماد: ما «الكذّاب الأشر»؟ قال: الذي لا يبالي ما قال"(٥٠٩٨).

عن مجاهد أنه كان يقرأه: «كَذَّابٌ أَشُرٌ»، بضم الشين وتخفيف الراء(٥٠٩٩).

قوله تعالى:{سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ} [القمر : ٢٦]، أي:" سَيَرون عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة مَن الكذاب المتجبر؟"(٥١٠٠).

عن مجاهد :"أنه قرأ: {سَيَعْلَمُونَ} بالياء(٥١٠١).

وقرئ: «ستعلمون»، بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم، أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات(٥١٠٢).

القرآن

{إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧)} [القمر : ٢٧]

(٥٠٩١)أخرجه الثعلبي ٧/ ١٧٣، وينظر: تفسير البغوي ٦/ ١٢٠.

(٥٠٩٢) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٩٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٠.

(٥٠٩٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٠.

(٥٠٩٥) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٦٦):ص٧/٢٢٨٩.

(٥٠٩٧) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥٠٩٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٩٠.

(٥٠٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٩٠.

(٥١٠٠) التفسير الميسر: ٥٢٩.

(٥١٠١)أخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٠٨.

(٥١٠٢) انظر: الكشاف: ٤/٤٣٧-٤٣٨.

التفسير:
إنا مخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة؛ اختبارًا لهم، فانتظر -يا صالح- ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك.

قوله تعالى:{إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ} [القمر : ٢٧]، أي:" إنا مخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة، اختبارًا لهم"(٥١٠٣).

عن السدي، قال: "فسألوا، -يعني: صالحا- أن يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وقال: فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها جميعا فذلك قوله: {فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، فكانوا قد أقروا بها على وجه النفاق"(٥١٠٤).

عن أبي الطفيل قال: قالت ثمود لصالح ائتنا بآية إن كنت من الصادقين: قال: فقال لهم صالح، اخرجوا إلى هضبة من الأرض فخرجوا، فإذا تمخض كما تمخض الحامل، ثم إنها تفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال لهم صالح: {هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله}، إلى قوله: {عذاب أليم} ... {لها شرب ولكم شرب يوم معلوم}"(٥١٠٥).

عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة:" أنه حدث أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة، ثم انتفضت فانصدغت، عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء، نتوجا ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظما"(٥١٠٦).

القرآن

{وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨)} [القمر : ٢٨]

التفسير:
وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم، كل شِرْب يحضره مَن كانت قسمته، ويُحظر على من ليس بقسمة له.

قوله تعالى:{وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ} [القمر : ٢٨]، أي:" وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم"(٥١٠٧).

عن أبي رَوْق -من طريق المسيب- قال: "كانت ناقة صالح - عليه السلام - يُوضَع لها الإناء، فتَدُرُّ فيه اللبَن"(٥١٠٨).

عن جابر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من ذلك الفج تشرب ماءهم يوم وردها، ويحتلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها وتصدر من ذلك"(٥١٠٩).

قوله تعالى:{كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ} [القمر : ٢٨]، أي:" كل شِرْب يحضره مَن كانت قسمته، ويُحظر على من ليس بقسمة له"(٥١١٠).

عن مجاهد، قوله: "{كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ}، قال: يحضرون بهم الماء إذا غابت، واذا جاءت حضروا اللبن"(٥١١١). وفي رواية:" يحضرون هم الماء إذا غابت الناقة فإذا جاءت فشربت الماء أحضروا هم اللبن"(٥١١٢).

(٥١٠٣) التفسير الميسر: ٥٢٩.
(٥١٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٢):ص٢٨٠٥/٩.
(٥١٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٦):ص١٥١٢/٥.
(٥١٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٧):ص١٥١٢/٥.
(٥١٠٧) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٠٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٣/٣.
(٥١٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٦٩):ص٢٨٠٤/٩.
(٥١١٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.

القرآن

{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠)} [القمر : ٢٩-٣٠]

التفسير:

فنادوا صاحبهم بالحض على عقرها، فتناول الناقة بيده، فنحرها فعاقَبْتُهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم، وإنذاري لمن عصى رسلي؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

قوله تعالى:{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [القمر : ٢٩]، أي:" فنادوا صاحبهم بالحض على عقرها، فتناول الناقة بيده، فنحرها، غير مكترث بالأمر العظيم"(٥١١٣).

عن مجاهد:" {فَتَعاطى}، قال: تناول"(٥١١٤).

قال قتادة:" تناول أحيمر ثمود الناقة فعقرها"(٥١١٥).

عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله تعالى: {فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر} [القمر: ٢٩] أن النبي عليه السلام قال: «إن عاقر الناقة كان في قومه عزيزا منيعا ، كأبي زمعة»"(٥١١٦).

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر : ٣٠]، أي:" فكيف كان عقابي وإنذاري لهم؟ ألم يكن فظيعاً شديداً؟!"(٥١١٧).

قال الحسن: "لمّا عقروا الناقة طلبوا فَصِيلها، فصار في قارة الجبل، فقطع الله قلوبهم"(٥١١٨).

قال قتادة:" ذُكر لنا أن أحيمر ثمود أبى أن يعقرها، حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها"(٥١١٩).

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)} [القمر : ٣١]

التفسير:

إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة، فبادوا عن آخرهم، فكانوا كالزرع اليابس سريع الانكسار الذي يُجْعل حِظارًا على الإبل والمواشي.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً} [القمر : ٣١]، أي:" إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة"(٥١٢٠).

قال عطاء:" يريد: صيحة جبريل - عليه السلام –"(٥١٢١).

قوله تعالى:{فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} [القمر : ٣١]، أي:" فصاروا كالزرع اليابس سريع الانكسار الذي يُجْعل حِظارًا على الإبل والمواشي"(٥١٢٢).

(٥١١١) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٢.

(٥١١٢) تفسير مجاهد: ٦٣٥.

(٥١١٣) التفسير الميسر: ٥٣٠، وصفوة التفاسير: ٢٦٩/٣.

(٥١١٤)أخرجه الفريابي -كما في التغليق ٤/ ٣٢٧ - ، وابن جرير ٢٢/ ١٤٧ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥١١٥) الدر المنثور: ٦٧٩/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥١١٦) تفسير عبدالرزاق(٣٠٦٥):ص٢٦٠/٣.

(٥١١٧) صفوة التفاسير: ٢٦٩/٣.

(٥١١٨) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤، وابن أبي حاتم(٨٣٥٤٢):ص٢٩٠/٢٣.

(٥١١٩)أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٥٣٠/٨، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥١٢٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥١٢١)تفسير البغوي ٧/ ٤٣١.

(٥١٢٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.[بتصرف]

وفي قوله تعالى:{فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} [القمر : ٣١]، وجوه من التفسير:
أحدها : كرمادٍ محترق. قاله قتادة[٥١٢٣].
وكان قتادة يقرأ: "«كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ»، يقول: المحترق"[٥١٢٤].
الثاني : أنه التراب الذي يتناثر من الحائط وتصيبه الريح، فيحتظر مستديراً ، قاله سعيد بن جبير[٥١٢٥].
قال سعيد بن جبير:" التراب الذي يسقط من الحائط"[٥١٢٦][٥١٢٧].
الثالث : عني به: هشيم الخيمة، وهو ما تكسَّر من خشبها. قاله مجاهد[٥١٢٨].
عن مجاهد، قوله: "{كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}، قال: الرجل يهشِم الخيمة"[٥١٢٩].
وقال مجاهد:" الهشيم: الخيمة"[٥١٣٠].
الرابع : أنه المرعى بالصحراء حين يبيس وتحرق ونسفته الريح. قاله السدي[٥١٣١].
الخامس : أنه حظيرة الراعي للغنم. قاله الضحاك[٥١٣٢]، ورواه سفيان عن أبي إسحاق وأسنده[٥١٣٣]. ومنه قول الشاعر[٥١٣٤] :
أثرت عجاجة كدخان نار ... تشب بغرقد بال هشيم
وقال الضحاك:" المحتظر: الحظيرة تتخذ للغنم فتيبس، فتصير كهشيم المحتظر، قال: هو الشوك الذي تحظر به العرب حول مواشيها من السباع، والهشيم: يابس الشجر الذي فيه شوك ذلك الهشيم"[٥١٣٥].

القرآن
{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)} [القمر : ٣٢]
التفسير:
ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل مِن متعظ به؟
قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ٣٢]، أي:" ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر"[٥١٣٦].
عن مجاهد، قوله: "{يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}، قال: هوّناه"[٥١٣٧]. وفي رواية:" هونا قراءته"[٥١٣٨].
وقال السدي : "يسرنا تلاوته على الألسن"[٥١٣٩].

(٥١٢٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩ بلفظ: كرمام، وابن جرير ٢٢/ ٥٩٤ بنحوه من طريق سعيد، وحسين على قراءة (كَهَشِيمِ المُحْتَظِر) –كما سيأتي-. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٥١٢٤) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٢.
(٥١٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٢.
(٥١٢٦) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٢، وابن المنذر -كما في الفتح ٨/ ٦١٦ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٥١٢٧) قال ابن كثير:" وهذا قول غريب". [تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٧]
(٥١٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(٥١٢٩) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(٥١٣٠) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(٥١٣١) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٤٨٠/٧.
(٥١٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٢-٥٩٥.
(٥١٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٢.
(٥١٣٤) بلا نسبة في "النكت والعيون: ٤١٧/٥.
(٥١٣٥) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(٥١٣٦) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٣٧) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.
(٥١٣٨) تفسير مجاهد: ٦٣٤.
(٥١٣٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٣٢]، أي:" فهل مِن متعظ به؟"[٥١٤٠].
قال الحسن:" فهل من خائف يتذكّر"[٥١٤١].

القرآن

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣)} [القمر : ٣٣]

التفسير:

كذَّبت قوم لوط بآيات الله التي أنذِروا بها.

عن الحسن البصري -من طريق إسماعيل- أنه سُئل: "يا أبا سعيد، أرأيت قوله: {كذبت قوم نوح المرسلين}، و{كذبت عاد المرسلين}، و {كذبت ثمود المرسلين}، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إنّ الآخر جاء بما جاء الأول، فإذا كذبوا واحدًا فقد كذبوا الرسل أجمعين"[٥١٤٢].

قال قتادة:" بلغني أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان أو ما شاء الله من ذلك"[٥١٤٣].

عن جامع بن شداد أبي صخرة، قال: "كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل أن تكون في الرجال بأربعين سنة"[٥١٤٤].

قال عمرو بن دينار: "ما نزلوا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[٥١٤٥].

قال وهب بن منبه:" كان سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا، عن النساء بالرجال"[٥١٤٦].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥)} [القمر : ٣٤-٣٥]

التفسير:

إنا أرسلنا عليهم حجارةً إلا آل لوط، نجَّيناهم من العذاب في آخر الليل، نعمة من عندنا عليهم، كما أثبنا لوطًا وآله وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم مِن عذابنا، نُثيب مَن آمن بنا وشكرنا.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا} [القمر : ٣٤]، أي:" إنا أرسلنا عليهم حجارةً"[٥١٤٧].

قال الضحاك:" يعني: صغار الحصى"[٥١٤٨].

و«الحاصب»: الريح العاصف، سميت بذلك لأنها تحصب أي: ترمي بالحصباء، و«القاصف»: الريح التي تقصف الشجر فتكسره[٥١٤٩].

قال وهب بن منبه:" فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، ثم حمل قراهم فقلبها عليهم، ونزلت حجارة من السماء فتبعث من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله عز وجل ونجا لوط وأهله إلا امرأته"[٥١٥٠].

قال قتادة:" كان في مدينة لوط التي جعل الله عاليها سافلها أربعة آلاف ألف نفس"[٥١٥١].

(٥١٤٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٤١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٥٨.
(٥١٤٢)أخرجه الثعلبي ٧/ ١٧٣، وينظر: تفسير البغوي ٦/ ١٢٠.
(٥١٤٣) تفسير عبدالرزاق(١٢٢٢):ص١٩٣/٢.
(٥١٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٧):ص١٥١٧/٥.
(٥١٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٦):ص١٥١٧/٥.
(٥١٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٨):ص١٥١٨/٥.
(٥١٤٧) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٤٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٦٨ - ١٦٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٢٦.
(٥١٤٩) انظر: مجاز القرآن:٣٨٥/١، وغريب القرآن لابن قتيبة:٢٥٩، وغريب القرآن للسجستاني:٣٧٦
(٥١٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٤):ص١٥١٩/٥.
(٥١٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٢):ص١٥١٧/٥.

قال مجاهد:" كانوا –يعني: قوم لوط-: أربعمائة ألف بيت في كل بيت عشرة مردة فذلك أربعة آلاف ألف"(٥١٥٢).

قوله تعالى:{إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} [القمر : ٣٤]، أي:" إلا آل لوط، نجَّيناهم من العذاب في آخر الليل"(٥١٥٣).

قال السدي:" لما قال لوط: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ، بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه، ففقأ أعينهم، وخرجوا يدوس بعضُهم في أدبار بعض عميانًا يقولون: "النَّجَاءَ النجاء! فإن في بيت لوط أسحرَ قوم في الأرض"! فذلك قوله: {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} [سورة القمر: ٣٧] . وقالوا للوط: {إنا رسل ربِّك لن يصلوا إليك فأسرْ بأهْلكَ بقطع منَ اللَّيْل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها} ، وَاتبع أدبارَ أهلك، يقول: سرْ بهم {وامضوا حيث تؤمرون}، فأخرجهم الله إلى الشام. وقال لوط: أهلكوهم الساعة! فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصُّبح، أليس الصبح بقريب؟ فلما أن كان السَّحَر، خرج لوط وأهله معه امرأته، فذلك قوله: {إلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} [سورة القمر: ٣٤]"(٥١٥٤).

قال وهب بن منبه:" كانَ أهل سدوم الذين فيهم لوط، قومًا قد استغنوا عن النساء بالرجال، فلما رأى الله ذلك منهم ، بعث الملائكة ليعذبوهم، فأتوا إبراهيم، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه. فلما بشروا سارَة بالولد، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشي، قال: أخبروني لم بعثتم؟ وما خطبكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمرها، وإنهم قوم سَوء قد استغنوا بالرجال عن النساء. قال إبراهيم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون رجلا صالحًا؟ قالوا: إذًا لا نعذبهم! فجعل ينقص حتى قال أهل بَيْت؟ قالوا: فإن كان فيها بيت صالح! قال: فلوط وأهل بيته؟ قالوا: إن امرأته هَوَاها معهم! فلما يَئس إبراهيم انصرف. ومضوا إلى أهل سدوم، فدخلوا على لوط، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم، فأرسلت إلى أهل القرية إنه قد نزل بنا قومٌ لم يُرَ قومٌ قطُّ أحسن منهم ولا أجمل! فتسامعوا بذلك، فغشُوا دار لُوط من كل ناحية وتسوَّروا عليهم الجدران. فلقيهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحون في ضيفي، وأنا أزوّجكم بناتي، فهن أطهر لكم! فقالوا: لو كنَّا نُريد بناتك، لقد عرفنا مكانهن! فقال: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ! فوجد عليه الرسل وقالوا: إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود! فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه، فطمس أبصارَهم فقالوا: سُحِرْنا، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه! فكان من أمرهم ما قد قصَّ الله تعالى في القرآن. فأدخل ميكائيل -وهو صاحبُ العذاب - جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، فقلبها، ونزلت حجارة من السماء، فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانُوا، فأهلكهم الله، ونجّى لوطًا وأهله، إلا امرأته"(٥١٥٥).

القرآن

{وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦)} [القمر : ٣٦]

التفسير:

ولقد خوَّف لوط قومه بأس الله وعذابه، فلم يسمعوا له، بل شكُّوا في ذلك، وكذَّبوه.

قوله تعالى:{فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ} [القمر : ٣٦]، أي:" فتشككوا وكذبوا بالإنذار والوعيد"(٥١٥٦).

عن قتادة، قوله: "{فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ}، لم يصدّقوه"(٥١٥٧).

(٥١٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٣):ص١٥١٧/٥.

(٥١٥٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥١٥٤)رواه أبو جعفر في تاريخه ١/ ١٥٧، مع اختلاف بسيط. وذكر إسناده تامًا غير مختصر، إلى ابن عباس، وابن مسعود، وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وهو إسناد دائر في التفسير، في أوله، ثم اختصره أبو جعفر بعد.

(٥١٥٥)رواه أبو جعفر في تاريخه ١: ١٥٦، ١٥٧.

(٥١٥٦) صفوة التفاسير: ٢٧١/٣.

(٥١٥٧) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٢.

القرآن

{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧)} [القمر : ٣٧]

التفسير:

ولقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة، فطمسنا أعينهم فلم يُبصروا شيئًا، فقيل لهم: ذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

قال قتادة:" وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطا، وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه، فصفقهم بجناحه، وتركهم عميا يتردّدون"(٥١٥٨).

قال الضحاك:" جاءت الملائكة في صور الرجال، وكذلك كانت تجيء، فرآهم قوم لوط حين دخلوا القرية. وقيل: إنهم نزلوا بلوط، فأقبلوا إليهم يريدونهم، فتلقّاهم لوط يناشدهم الله أن لا يخزوه في ضيفه، فأبوا عليه وجاءوا ليدخلوا عليه، فقالت الرسل للوط خلّ بينهم وبين الدخول، فإنا رسل ربك، لن يصلوا إليك، فدخلوا البيت، وطمس الله على أبصارهم، فلم يروهم; وقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت، فأين ذهبوا؟ فلم يروهم ورجعوا"(٥١٥٩).

القرآن

{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩)} [القمر : ٣٩]

التفسير:

ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة، وذلك العذاب هو رجمهم بالحجارة وقلب قُراهم وجعل أعلاها أسفلها، فقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ} [القمر : ٣٩]، أي:" ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة"(٥١٦٠).

قال قتادة:" يقول: صبحهم عذاب مستقرّ، استقرّ بهم إلى نار جهنم"(٥١٦١).

قال الحسن:" عذاب في الدنيا استقرّ بهم في الآخرة"(٥١٦٢).

القرآن

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠)} [القمر : ٤٠]

التفسير:

ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل مِن متعظ به؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ٤٠]، أي:" ولقد سَهَّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر"(٥١٦٣).

عن مجاهد، قوله: "{يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}، قال: هوّناه"(٥١٦٤). وفي رواية:" هونا قراءته"(٥١٦٥).

وقال السدي : "يسرنا تلاوته على الألسن"(٥١٦٦).

(٥١٥٨) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٢.

(٥١٥٩) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢٢.

(٥١٦٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥١٦١) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٢.

(٥١٦٢) الدر المنثور: ٦٨٠/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور.

(٥١٦٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥١٦٤) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٢.

(٥١٦٥) تفسير مجاهد: ٦٣٤.

(٥١٦٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٧.

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٤٠]، أي:" مِن متعظ به؟"[٥١٦٧].
قال مطر-وهو الوراق-:" هل من طالب علم فيعان عليه؟"[٥١٦٨].
عن قتادة: "{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه"[٥١٦٩].
قال القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"[٥١٧٠].

القرآن
{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١)} [القمر : ٤١]
التفسير:
ولقد جاء أتباعَ فرعون وقومَه إنذارُنا بالعقوبة لهم على كفرهم.
قال محمد بن إسحاق:" لم يكن منهم فرعون أعتى على الله، ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب"[٥١٧١].
عن الحسن، قال: "كان فرعون علجا من همذان"[٥١٧٢].

القرآن
{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)} [القمر : ٤٢]
التفسير:
كذَّبوا بأدلتنا كلها الدالة على وحدانيتنا ونبوة أنبيائنا، فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالَب، مقتدر على ما يشاء.
قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر : ٤٢]، أي:" فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالَب، مقتدر على ما يشاء"[٥١٧٣].
قال قتادة:" يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"[٥١٧٤].

القرآن
{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)} [القمر : ٤٣]
التفسير:
أكفاركم -يا معشر قريش- خير مِنَ الذين تقدَّم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم، أم لكم براءة مِن عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟
قوله تعالى:{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} [القمر : ٤٣]، أي:" أكفاركم -يا معشر قريش- خير مِنَ الذين تقدَّم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم"[٥١٧٥].
عن قتادة، قوله: "{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ}، أي: من مضى"[٥١٧٦].

(٥١٦٧) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٦٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٤-٥٨٥، وابن أبي حاتم(١٨٧٠٧):ص١٠/٣٣٢٠.
(٥١٦٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٨٤.
(٥١٧٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص٢/١٤٧
(٥١٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٥):ص٩/٢٩٤٤.
(٥١٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٦):ص٩/٢٩٤٤.
(٥١٧٣) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٧٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠٠.
(٥١٧٥) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٧٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٦٠١.

عن الربيع بن أنس: "{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ}، قال: كفار هذه الأمة"(٥١٧٧).
قال عكرمة:" يقول: أكفاركم يا معشر قريش خير من أولئكم الذين مضوا"(٥١٧٨).
قوله تعالى:{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر : ٤٣]، أي:" أم لكم براءة مِن عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟"(٥١٧٩).
عن الضحاك، قوله: "{الزُّبُرِ}، يقول: الكتب"(٥١٨٠).
عن عكرمة: "{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}، يعني: في الكتب"(٥١٨١).

القرآن
{أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤)} [القمر : ٤٤]
التفسير:
بل أيقول كفار «مكة» : نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع، فنحن جماعة منتصرة لا يغلبنا من أرادنا بسوء؟
قال ابن عباس: "يريد جماعة ينصر بعضنا بعضاً"(٥١٨٢).
وقال الكلبي: "نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا"(٥١٨٣).
وفي التفسير: "أن أبا جهل هو القائل: {نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ}"(٥١٨٤).

القرآن
{أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)} [القمر : ٤٤ - ٤٥]
التفسير:
بل أيقول كفار «مكة» : نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع، فنحن جماعة منتصرة لا يغلبنا من أرادنا بسوء؟ سيهزم جمع كفار «مكة» أمام المؤمنين، ويولُّون الأدبار، وقد حدث هذا يوم «بدر».
سبب النزول:
عن ابن عباس: {سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ}، قال: كان ذلك يوم بدر، قالوا: نحن جميعٌ منتصر. فنَزَلَتْ هذه الآية"(٥١٨٥).
عن قتادة، قوله: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} ... الآية ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: يوم بدر"(٥١٨٦).
عن عكرمة، قوله: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ}، يعني: جمع بدر، {وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}"(٥١٨٧).
عن الربيع بن أنس: "{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}، قال: يوم بدر، هزموا وولوا الدبر"(٥١٨٨).

(٥١٧٧) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٢.
(٥١٧٨) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٢.
(٥١٧٩) التفسير الميسر: ٥٣٠.
(٥١٨٠) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٥١٨١) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٥١٨٢) التفسير البسيط: ١١٩/٢١.
(٥١٨٣) التفسير البسيط: ١١٩/٢١، وتفسير البغوي: ٢٦٤/٤.
(٥١٨٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٩٦/٤.
(٥١٨٥)أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٥٧، وابن منيع -كما في المطالب (٤١٢٩) -، والطبري: ٦٠٣/٢٢، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه.
(٥١٨٦) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٥١٨٧) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢.
(٥١٨٨) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢-٦٠٣.

عن عكرمة:" أن عمر قال لما نزلت: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ}، جعلت أقول: أيّ جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يثب في الدرع ويقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر}"(٥١٨٩).

القرآن

{بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)} [القمر : ٤٦]

التفسير:

والساعة موعدهم الذي يُجازون فيه بما يستحقون، والساعة أعظم وأقسى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر».

قوله تعالى:{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]، أي:" والساعة أعظم وأقسى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر»"(٥١٩٠).

عن الحسن:" {والسّاعَةُ أدْهى} مِن تلك الأخذات التي أهلك بها الأمم السالفة، {وأمَرُّ}، أي: وأشدُّ"(٥١٩١).

عن الحسن البصري -من طريق المبارك بن فَضالة- في قوله: {فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم} [يونس: ١٠٢]، قال: خُوِّفوا بالعذاب، ثم قال: {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر}"(٥١٩٢).

عن شهر بن حوشب، قال: " إنْ هذه الأمةُ بهلاك، إنما موعدهم الساعة. ثم قرأ: {أكُفّارُكُمْ خَيْرٌ مِن أُولئِكُمْ} إلى قوله: {والسّاعَةُ أدْهى وأمَرُّ}"(٥١٩٣).

عن يوسف بن ماهَكَ، قال : "إني عند عائشة أم المؤمنين، قالت : نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة - وإني لجارية ألعب - {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}"(٥١٩٤).

القرآن

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)} [القمر : ٤٧-٤٨]

التفسير:

إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب. يوم يُجرُّون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم.

سبب نزول الآيات:[٤٧-٤٩]:

قال محمد بن كعب القرظيّ: "لما تكلم الناس في القَدَرِ نظرت، فإذا هذه الآية أنزلت فيهم: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧] ... إلى قوله: {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر : ٤٩]"(٥١٩٥).

عن أبي هريرة، قال: " جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر، فنزلت : {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٨ - ٤٩]"(٥١٩٦).

(٥١٨٩) أخرجه اطبري: ٦٠٢/٢٢.

(٥١٩٠) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥١٩١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٢٣ -.

(٥١٩٢)أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤٢.

(٥١٩٣) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢٢.

(٥١٩٤)صحيح البخاري برقم (٤٨٧٦)، صحيح البخاري برقم (٤٩٩٣).

(٥١٩٥) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.

(٥١٩٦)المسند (٤٤٤/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٢٩٠) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣).

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧]، أي:" إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب"(٥١٩٧).

قال الطبري: يقول:" إن المجرمين في ذهاب عن الحقّ، وأخذ على غير هدى، وفي احتراق من شدّة العناء والنصب في الباطل"(٥١٩٨).

عن قتادة، قوله: "{فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}، قال: في عناء"(٥١٩٩).

قال الضحاك: "يعني: نارا ستعرض عليهم"(٥٢٠٠).

وقال ابن كيسان: "بعد من الحق"(٥٢٠١).

قوله تعالى:{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [القمر : ٤٨]، أي:" يوم يُجرُّون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم"(٥٢٠٢).

عن محمد بن كعب، قال:" نزلت هذِه الآية {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} في أهل القدر"(٥٢٠٣).

وفي قراءة عبد الله: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ إِلَى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ»(٥٢٠٤).

القرآن

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٩]

التفسير:

إنَّا كل شيء خلقناه بمقدار قدرناه وقضيناه، وسبق علمنا به، وكتابتنا له في اللوح المحفوظ.

سبب النزول:

عن أبي هريرة:" أن مشركي قريش خاصمت النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في القَدَر، فأنزل الله: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}"(٥٢٠٥).

عن أبي هريرة، قال: "جاء مشركو قريش إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخاصمونه في القدر، فنزلت: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}"(٥٢٠٦).

قال الحسن: " قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له"(٥٢٠٧).

قال الربيع: "هو كقوله: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}، أي: أجلا لا يتقدم ولا يتأخر"(٥٢٠٨).

عن طاووس بن كيسان، قال: "أدركتُ ناسًا مِن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون: كلّ شيء بقَدَر الله"(٥٢٠٩).

(٥١٩٧) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥١٩٨) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٢

(٥١٩٩) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٢.

(٥٢٠٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.

(٥٢٠١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.

(٥٢٠٢) التفسير الميسر: ٥٣٠.

(٥٢٠٣)رواه الفريابي في "القدر" ص ١٦٩ (٢٤٦)، والطبري في "تفسيره" الطبري: ٦٠٦/٢٢، والآجري في "الشريعة" ص ١٨٩ (٤٤٧)، وابن بطة في "الإبانة" كتاب القدر ٢/ ١١٤ (١٥٣٥)، واللالكائي في "شرح أصول أهل السنة" ٤/ ٧٥٧ (١٢٦٠).

(٥٢٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٢.

(٥٢٠٥) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.

(٥٢٠٦) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.

(٥٢٠٧) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.

(٥٢٠٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٠/٩.

(٥٢٠٩)أخرجه البغوي ٤/ ٣٢٨ - ٣٢٩.

عن أبي الحسن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن جعفر بن موسى بن جعفر المعروف بالموسوي، قال: سمعت أبي يذكر عن آبائه: "أنّ علي بن موسى الرضا كان يقعد في الرَّوضة وهو شاب، ملتحفٌ بمطرف خزّ، فيسأله الناس ومشايخ العلماء في المسجد، فيُسأل عن القَدَر، فقال: قال الله - عز وجل -: {إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر}. ثم قال الرّضا: كان أبي يذكر، عن آبائه، أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يقول: إنّ الله خلق كلّ شيء بقَدَر، حتى العَجْز والكَيْس، وإليه المشيئة، وبه الحَول والقوة"(٥٢١٠).

قال محمد بن كعب:" ما نزلت هذه الآية إلا تعبيرا لأهل القدر: {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٨ - ٤٩]"(٥٢١١).

عن داود بن قيس, قال: سمعت محمد بن كعب القرظي , قال: " كنت أقرأ هذه الآية فلا أدري ما عني بها, حتى سقطت عليها: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر: ٤٧] إلى {كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: ٥٠]، فإذا هم المكذبون بالقدر "(٥٢١٢).

عن محمد بن كعب القُرَظي: "{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}، قال: نزلت تعييرا لأهل القَدَر"(٥٢١٣).

عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ، قال: "ولما نزلت هذه الآية: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، قال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ أفي شيء نستأنفه، أو في شيء قد فرغ منه؟ قال: فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، سنُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسْرَى»"(٥٢١٤).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال : "ما نزلت هذه الآيات :{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، إلا في أهل القدر"(٥٢١٥).

عن ابن زُرَارة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية :{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، قال : "نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله"(٥٢١٦).

عن عطاء بن أبي رَبَاح، قال : "أتيت ابن عباس وهو يَنزع من زمزم، وقد ابتلّت أسافل ثيابه، فقلت له : قد تُكُلّم في القدر. فقال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم. قال : فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم :{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم ولا تُصَلّوا على موتاهم، إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعيّ هاتين"(٥٢١٧).

عن نافع قال : "كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر : إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليّ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر"(٥٢١٨).

عن عبد الله بن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون : لا قدر. إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"(٥٢١٩).

(٥٢١٠)أخرجه البيهقي في القضاء والقدر ٢/ ٣٣٧.

(٥٢١١) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.

(٥٢١٢) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٠٧٢):ص٢٦٤/٣.

(٥٢١٣) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.

(٥٢١٤) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.

(٥٢١٥)مسند البزار برقم (٢٢٦٥) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (١١٧/٧) : "فيه يونس بن الحارث، وثقه ابن معين وابن حيان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".

(٥٢١٦)رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٦/٥) من طريق قرة بن حبيب عن جرير بن حازم - وأظن أن كنانة ساقط منه - عن سعيد بن عمرو به.

(٥٢١٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٧.

(٥٢١٨)المسند (٩٠/٢) وسنن أبي داود برقم (٤٦١٣).

(٥٢١٩)المسند (٨٦/٢).

عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "سيكون في هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية"[٥٢٢٠].

عن طاوس اليماني قال : سمعت ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل شيء بقدرن حتى العجز والكيس"[٥٢٢١].

وفي الحديث الصحيح : "استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل : قَدَّرُ الله وما شاء فعل، ولا تقل : لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[٥٢٢٢].

وفي حديث ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم يكتبه الله لك، لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يكتبه الله عليك، لم يضروك. جفّت الأقلام وطويت الصحف"[٥٢٢٣].

عن عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي، قال : "دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال : أجلسوني. فلما أجلسوه قال : يا بني، إنك لما تطعم طعم الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت : يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن أول ما خلق الله القلم. ثم قال له : اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة" يا بني، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلت النار"[٥٢٢٤].

عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره"[٥٢٢٥].

عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" زاد ابن وهب :{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود : ٧]"[٥٢٢٦].

القرآن

{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)} [القمر : ٥٠]

التفسير:

وما أمرنا للشيء إذا أردناه إلا أن نقول قولة واحدة وهي «كن» ، فيكون كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين.

قال الحسن:" يعني: إذا جاء عذاب كُفّار آخر هذه الأُمّة بالنفخة الأولى"[٥٢٢٧].

(٥٢٢٠)المسند (١٠٨/٢) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٢) وسنن ابن ماجه برقم (٤٠٦١).

(٥٢٢١)المسند (١١٠/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).

(٥٢٢٢)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥٢٢٣)رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٣/١).

(٥٢٢٤)المسند (٣١٧/٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٣١٩)، وقال : "حسن صحيح غريب".

(٥٢٢٥)سنن الترمذي برقم (٢١٤٥) ورواه أحمد في مسنده (١٣٣/١) عن وكيع والحاكم في مستدركه (٣٣/١) عن أبي حذيفة، كلاهما عن سفيان الثوري به.

وقد رجح هذه الرواية الدارقطني في العلل (١٩٦/٣) فقال : "حديث شريك وورقاء وجرير وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن ربعي عن علي. وخالفهم سفيان الثوري وزائدة أبو الأحوص وسليمان التيمي فرووه : عن منصور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن علي وهو الصواب".

(٥٢٢٦)صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).

(٥٢٢٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٢٤ -.

القرآن

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١)} [القمر : ٥١]

التفسير:

ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية، فهل من متعظ بما حلَّ بهم من النَّكال والعذاب؟

قوله تعالى:{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر : ٥١]، أي:" فهل من متعظ بما حلَّ بهم من النَّكال والعذاب؟"(٥٢٢٨).

قال الحسن:" فهل من خائف يتذكر"(٥٢٢٩).

قال محمد بن كعب القرظي:" هل من مزدجر عن المعاصي"(٥٢٣٠).

القرآن

{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢)} [القمر : ٥٢]

التفسير:

وكل شيء فعله أشباهكم الماضون من خير أو شرٍّ مكتوب في الكتب التي كتبتها الحفظة.

عن الضحاك، قوله: "{فِي الزُّبُرِ}، قال: الكُتب"(٥٢٣١).

القرآن

{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)} [القمر : ٥٣]

التفسير:

وكل صغير وكبير من أعمالهم مُسَطَّر في صحائفهم، وسيجازون به.

قال عكرمة:" مكتوب في كلّ سطر"(٥٢٣٢).

قال قتادة:" محفوظ مكتوب"(٥٢٣٣).

عن الضحاك، "{مُسْتَطَرٌ}، قال: مكتوب"(٥٢٣٤). وروي عن مجاهد مثله(٥٢٣٥).

عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، قال : "طلبتُ هذا القَدَر فيما أنزل اللهُ على محمد - صلى الله عليه وسلم -، فوجدتُه في اقتربت الساعة: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ* وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}"(٥٢٣٦).

عن عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأمها - عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : "يا عائشة، إياك ومُحَقّرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا"(٥٢٣٧).

ورواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر، ثم قال سعيد : "فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي : ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره، فأتاه آت في منامه فقال له : يا سليمان :

لا تَحْقِرنَّ مِنَ الذنوبِ صَغِيرا... إن الصَّغير غدًا يعود كبيرا

(٥٢٢٨) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٥٢٢٩) تفسير عبدالرزاق(٣٠٦٧):ص٢٦١/٣.

(٥٢٣٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.

(٥٢٣١) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٢.

(٥٢٣٢) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.

(٥٢٣٣) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.

(٥٢٣٤) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٢.

(٥٢٣٥) الدر المنثور: ٦٨٤/٧، وعزاه إلى ابن جرير.

(٥٢٣٦) الدر المنثور: ٧/ ٦٨٤، وعزاه إلى ابن شاهين في السنة.

(٥٢٣٧)المسند (١٥١/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٤٣).

إن الصغير ولو تقادم عهده... عند الإله مُسَطَّرٌ تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن... صعب القياد وشمرن تشميرا
إن المُحِبَّ إذا أحب إلهه... طار الفؤاد وألْهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الإله بِنِيَّة... فَكَفَى بِرَبّكَ هاديا ونصيرا"[٥٢٣٨].

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤)} [القمر : ٥٤]

التفسير:

إن المتقين في بساتين عظيمة، وأنهار واسعة يوم القيامة.

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٥٢٣٩].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٥٢٤٠].

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} [القمر : ٥٤]، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن النهر: معناه: أنهار، أي: أنهار الماء، والخمر، والعسل، واللبن، قاله شريك[٥٢٤١].

عن شريك، في قوله: "{فِي جَنّاتٍ ونَهَرٍ}، قال: جنات وعيون"[٥٢٤٢].

الثاني : أن النهر: الضياء والنور، ومنه: النهار ، قاله محمد بن إسحاق[٥٢٤٣]، ومحمد بن كعب القرظي[٥٢٤٤]، ومنه قول الراجز[٥٢٤٥]:

لَوْلا الثَّرِيدانِ هَلَكْنَا بِالضُّمُرْ ... ثَرِيدُ لَيْلٍ وثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ

عن أبي عمران الجوني، قال: "ليس في الجنة ليل، هو نهار كله، ويعرف مجيء النهار بفتح الأبواب ورفع الستور، ويعرف مجيء الليل برد الأبواب وإرخاء الستور"[٥٢٤٦].

الثالث: أن النّهر الضياء والسعة. قاله الضحاك[٥٢٤٧]. ومنه قول الشاعر[٥٢٤٨]:

إنْ تَكُ لَيْلِيًّا فَإنِّي نَهِرُ ... مَتَى أرَى الصُّبْحَ فَلاَ أنْتَظِرُ

ومعنى «نهر»: صاحب نهار[٥٢٤٩].

قال الضحاك:" يعني: في ضياء وسعة"[٥٢٥٠].

وأكثرُ أهل التفسير والمعاني على أنه أراد: وأنهار. يعني: أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل، ووحد لأنه قابل الفواصل فصار كقوله {وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} والواحد قد ينبى عن الجميع فيخبر به[٥٢٥١].

(٥٢٣٨)تاريخ دمشق (٣٥٣/٧ "المخطوط") من طريق أبي عامر العقدي والقعنبي، كلاهما عن سعيد بن مسلم به.

(٥٢٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٥٢٤٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٥٢٤١) الدر المنثور: ٦٨٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥٢٤٢) الدر المنثور: ٦٨٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥٢٤٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٥.

(٥٢٤٤) .

(٥٢٤٥) انظر: تهذيب الألفاظ: ٤٢٢، والمخصص ٩: ٥١، واللسان (نهر) ، والأزمنة والأمكنة ١: ٧٧، ١٥٥ وغيرها. ورواية اللسان والمخصص"لمتنا بالضمر". والضمر (بضم الميم وسكونها) مثل العسر والعسر: الهزال ولحاق البطن من الجوع وغيره. والثريد: خبز يهشم ويبل بماء القدر ويغمس فيه حتى يلين.

(٥٢٤٦) حكاه عنه السمعاني في "التفسير" :٣٢١/٥.

(٥٢٤٧)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٠.

(٥٢٤٨) البيت في تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٢، وفيه: «متى أتى الصُّبْحُ» مكان« متى أرى»، واستشهد به القرطبي في التفسير: ١٥٠/١٧، نقلا عن الفراء، ولم ينسبه؟.

(٥٢٤٩) معاني القرآن: ١١٠/٣.

(٥٢٥٠)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٠.

القرآن

{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)} [القمر : ٥٥]

التفسير:

في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم عند الله المَلِك العظيم، الخالق للأشياء كلها، المقتدر على كل شيء تبارك وتعالى.

قوله تعالى:{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ} [القمر : ٥٥]، أي:" في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم"(٥٢٥٢).

قال عطاء: "يريد في جوار الرحمن"(٥٢٥٣).

قال جعفر الصادق: مدح الله تعالى المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلَّا أهل الصِدق"(٥٢٥٤).

قوله تعالى:{عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر : ٥٥]، أي:" عند الله المَلِك العظيم، الخالق للأشياء كلها، المقتدر على كل شيء تبارك وتعالى"(٥٢٥٥).

عن خالد بن معدان، قال: "بلغنا أنَّ الملائكة يأتون المُؤْمنين يوم القيامة، فيقولون: يَا أولياء الله انطلقوا. فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتذهبون بنا إلى غير بغيتنا. فيقال: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد مع الحبيب"(٥٢٥٦).

عن عبد الله بن بريدة :" أنَّه قال في قوله تعالى: {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)} أن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار عز وجل، فيقرؤون القرآن على ربهم تبارك وتعالى، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر من الدرِّ، والياقوت، والزبرجد، والذهب، والزمرد، والفضة، بقدر أعمالهم، فلم تقرَّ أعينهم بشيء قط كما تقرُّ بذلك، ولم يسمعوا شيئًا أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى منازلهم قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد"(٥٢٥٧).

عن عبد الله بن عمرو يَبلُغُ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال : "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"(٥٢٥٨).

عن عبد الجبار بن عبيد الله بن سليمان الدمشقي، قال: "أقبل عيسى ابن مريم على أصحابه ليلة رُفِع، فقال لهم: لا تأكلوا بكتاب الله، فإنّكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر، الحجرُ مِنها خيرٌ من الدنيا وما فيها. -قال عبد الجبار: وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن: {في مقعد صدق عند مليك مقتدر} [القمر: ٥٥]-. ورُفِع - عليه السلام –"(٥٢٥٩).

عن سعيد بن المسيّب، قال: "دخلتُ المسجدَ وأنا أرى أنّي قد أصبحتُ، فإذا عَلَيَّ ليلٌ طويل، وإذا ليس فيه أحد غيري، فقمتُ، فسمعتُ حركةً خلفي، ففزعتُ، فقال: أيها الممتلئ قلبه فَرقًا، لا تَفْرق -أو لا تفزع- وقل: اللهم، إنك مليك مقتدر، ما تشاء من أمرٍ يكون. ثم سَلْ ما بدا لك. قال سعيد: فما سألتُ الله شيئًا إلا استجاب لي"(٥٢٦٠).

(٥٢٥١) لطائف الإشارات: ١٢٧/٢١-١٢٨.

(٥٢٥٢) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٥٢٥٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٢٨/٢١، ولم أقف عليه.

(٥٢٥٤) تفسير الثعلبي: ٢٧٤/٢٥-٢٧٥، وتفسير البغوي: ٤٣٧/٧، وتفسير القرطبي: ١٥٠/٢٧..

(٥٢٥٥) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٥٢٥٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٨/٢٥، أخرجه الحكيم التِّرْمِذِيّ عن ثور بن يزيد. كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ١٨٨. [مرسل]

(٥٢٥٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٥/٢٥.

(٥٢٥٨)صحيح مسلم برقم (١٨٢٧) وسنن النسائي (٢٢١/٨).

(٥٢٥٩)أخرجه ابن عساكر ٤٧/ ٤٦٩.

(٥٢٦٠)أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٢٥٤.

«آخر تفسير سورة (القمر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء التاسع من التفسير، ويليه الجزء العاشر بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١) من سورة «الرحمن».